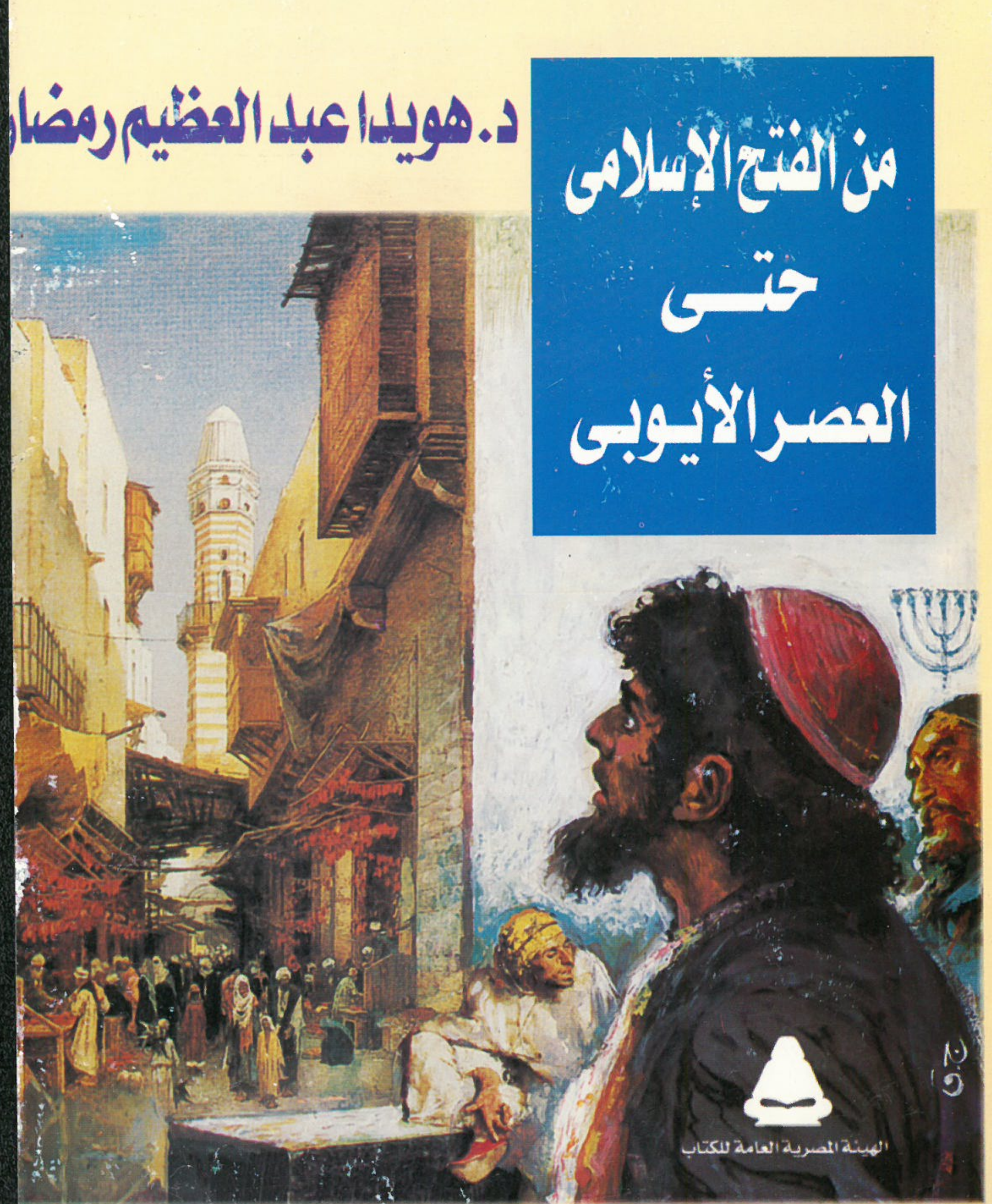
اليهود فى مصر الإسلامية



اليهود فى مصر الإسلامية

حتى نهاية العصر الأيوبى

بقلم

د. هويدا عبدالعظيم رمضان



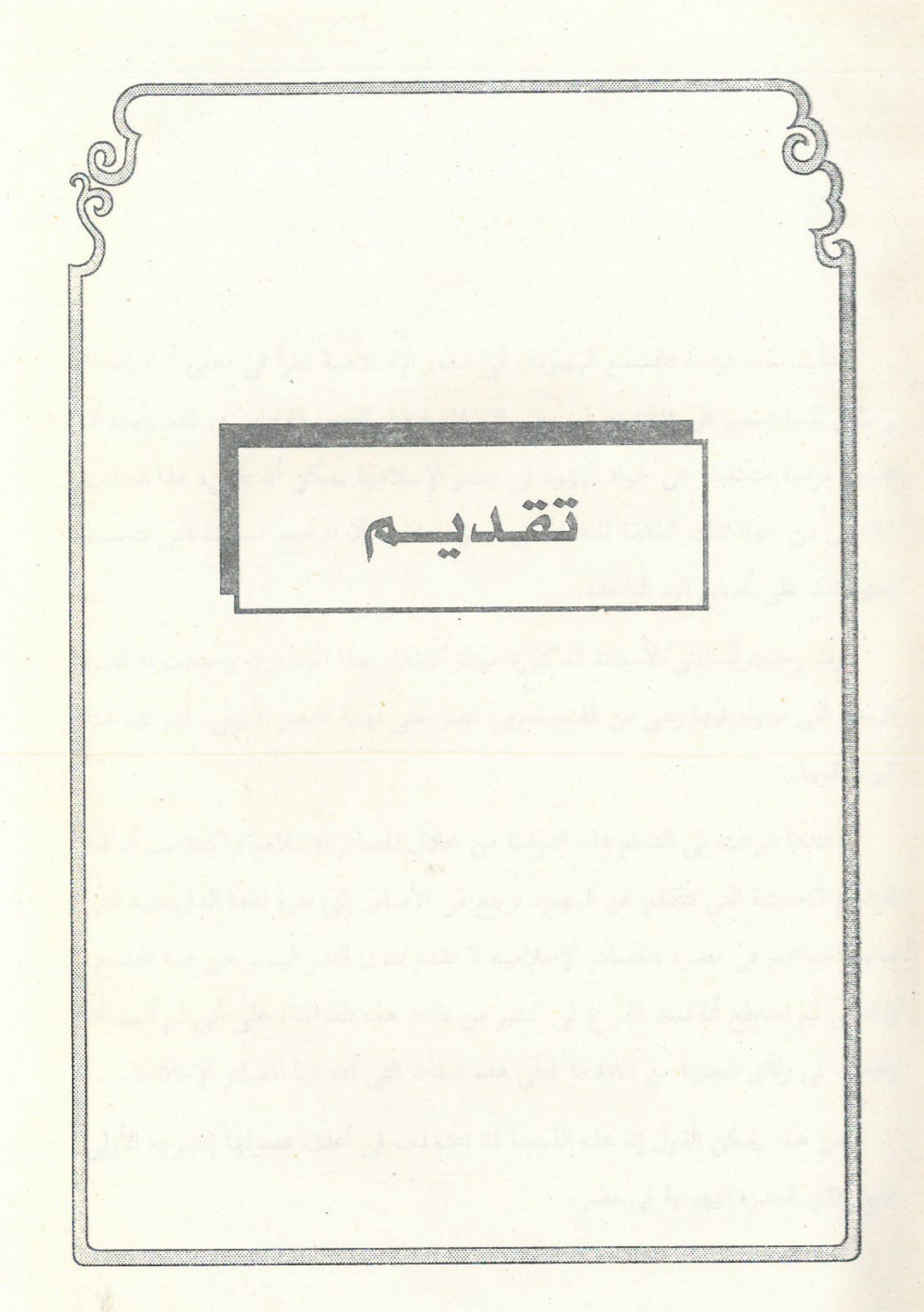
الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠١

إهـــداء

لوالدى وأستاذى الدكتور عبدالعظيم رمضان

ولأستاذتى الفاضلة الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف

اعترافا بالفضل والتقدير لدورهما في تكوينى الفكرى والعلمى



تقديم

بدأت فكرة دراسة المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية تطرأ فى ذهنى أثناء إعداد رسالتى للماجستير عن «المجتمع فى مصر الإسلامية قبل العصر الفاطمى». فقد رأيت أن تقديم دراسة متكاملة عن حياة اليهود فى مصر الإسلامية يمكن أن يضيء هذا الجانب الغامض من حياة تلك الطائفة المنغلقة فى مصر، خاصة وأن المراجع الحديثة التى تتحدث عنهم تعد على أصابع اليد الواحدة.

وقد رحبت أستاذتى الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف بهذا الموضوع، وحددت له الفترة الزمنية التى أتناوله فيها وهى من الفتح العربى لمصر حتى نهاية العصر الأيوبى، أى لمدة ستة قرون تقريبا.

وعندما شرعت فى اقتحام هذه الدراسة من خلال المصادر الإسلامية، اكتشفت أن قلة المراجع الحديثة التى تتكلم عن اليهود ترجع فى الأساس إلى ندرة المادة التاريخية التى تتناول حياتهم فى مصر، فالمصادر الإسلامية لا تقدم سوى النذر اليسير عن هذا المجتمع، وبالتالى لم تستطع أن تسد الفراغ فى كثير من نقاط هذه الدراسة، على أنى لم ألبث أن وجدت فى وثائق الجنيزة من المادة ما غطى هذه النقاط التى أغفلتها المصادر الإسلامية.

من هنا، يمكن القول إن هذه الدراسة قد اعتمدت فى أغلب فصولها بالدرجة الأولى على وثائق الجنيزة اليهودية فى مصر.

وكلمة الجنيزة كلمة عبرية مشتقة من الفعل الثلاثى العبرى «جنز» أى «كنز» بالعربية، وهى تعنى «مخبأ». وتستخدم للإشارة للمخبأ الملحق بالمعبد اليهودى الذى تحفظ أو تدفن فيه الكتب المقدسة البالية من كثرة الاستعمال، أو الكتب التى لا يمكن احراقها لاحتوائها على اسم الخالق.

وتعد جنيزة المعبد اليهودى فى الفسطاط بمصر أهم الجنيزات على الإطلاق، فقد ضمت هذه الحجرة آلاف الرسائل والسجلات والأحكام القضائية. وقد تم اكتشافها فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى على يد الحاخام الصهيونى شختر (١٨٤٧-١٩١٥م)(*).

فهذه الوثائق تعد فى الحقيقة مرآة صادقة لحياة اليهود فى مصر، خاصة وأنها لا تعبر عن أى رأى، وإنما هى أوراق رسمية محايدة خاصة بالطائفة اليهودية، وعلاقتها باليهود الذين خارج مصر، أو بالحكام الذين توالوا على حكم مصر.

من هنا، تكمن أهمية هذه الدراسة، فهى تتغلغل فى أغوار الحياة الخاصة للمجتمع اليهودى، وتحاول التعرف على كل ما يدور فى داخل هذا المجتمع سواء على المستوى الاجتماعى أو الدينى أو الثقافى أو الاقتصادى أو السياسى.

لذلك فقد قسمت هذه الدراسة إلى سبعة فصول، كل فصل منها يتحدث عن جانب من جوانب حياة اليهود فى مصر:

الفصل الأول، ويتناول الوجود اليهودى فى مصر بعد الفتح العربى، والفصل الثانى عن رؤساء المجتمع اليهودى، والفصل الثالث عن الحياة الدينية لليهود فى مصر، والفصل الرابع عن الحياة الاجتماعية لليهود، والفصل الخامس عن اليهود والإدارة فى مصر،

(*) د. عبدالوهاب المسيرى: «موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية»، مارك كوهين: «المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى».

والفصل السادس عن الحياة التجارية لليهود، والفصل السابع عن الحياة الفكرية لليهود فى مصر.

على أنه كان من الضرورى أن أمهد لهذه الفصول بتمهيد، ألقى فيه ـ بصورة مركزة ـ الضوء على الوجود اليهودى فى مصر قبل الفتح العربى، حتى أتمكن من متابعة هذا الوجود بعد الفتح.

وبالنسبة للفصل الأول وهو عن الوجود اليهودى فى مصر بعد الفتح العربى، فقد تناولت فيه موقف اليهود من الفتح العربى، الذى أظهر لى نتيجة غاية فى الأهمية، هى أن اليهود لم يكونوا جزءا من الشعب المصرى، وإنما كانوا جالية أجنبية مختلفة عن المصريين، كما تناولت أعداد اليهود فى مصر بعد الفتح العربى، وأسباب قلة أعداد اليهود بالنسبة إلى أعداد كل من المسلمين والمسيحيين على الرغم من الهجرات المتلاحقة لليهود إلى مصر، ثم تحدثت عن أحياء اليهود وأسماء دورهم فى مدينتى الفسطاط والقاهرة، وذكرت الحمامات الخاصة باليهود، كما تعرضت لأسماء معابد اليهود ومواقعها والسمات التى تميزت بها، وأخيرا تناولت قضية بناء وهدم الكنائس فى مصر، وبينت لماذا أفلتت المعابد اليهودية من عمليات الهدم لمدة أربعة قرون تقريبا.

أما الفصل الثانى وهو عن رؤساء المجتمع اليهودى، فقد تناولت فى البداية رئيس الطائفة اليهودية فى العالم الإسلامى، الذى عرف باسم «رأس الجالوت»، وتحدثت عن رئيس اليشيفا، أو الأكاديمية، الذى عرف باسم «الجاؤن»، كما تعرضت لزعيم الجماعة اليهودية فى مصر الذى عرف بالاسم العربى «رئيس اليهود»، ثم استبدل بهذا الإسم اللقب العبرى «نجيد»، وقد ناقشت جميع الآراء التى تحدثت عن تاريخ نشأة «النجيد» فى الخلافة الفاطمية، وأسباب هذه النشأة. كما تناولت القيادات اليهودية الأخرى مثل: المقدم، والبرناس، وأمين المحكمة أو النعمان، والحبر، والحزان أو المنشد، والشليح صبور، وشماس المعبد، وأخيرا الناسى.

وبالنسبة للفصل الثالث، وهو عن الحياة الدينية لليهود فى مصر، فقد عالجت فيه ثلاثة مواضيع: الموضوع الأول، وهو خاص بفرق اليهود الدينية. وقد تناولت فيه الفرق اليهودية التى ظهرت منذ القدم واختفت وهى: طائفة البيروشيم (الفروشيم)، وطائفة الصدوقيين (الصدوفية)، وطائفة الحسديم (الجسديم). كما تناولت الفرق اليهودية التى كانت عند ظهور الإسلام وهى: طائفة الربانيين، وطائفة القرائين، وطائفة السامرة. وقد تحدثت عن نشأة كل طائفة، ومذهبها الذى اختلفت به أو تشابهت فيه مع الطائفة الأخرى.

والموضوع الثانى عن كتب اليهود الدينية المقدسة، وقد تناولت فيه التوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام، وكيف ضاعت، وذكرت كتّاب التوراة، وتعرضت لموقف الإسلام من التوراة، ثم عرضت بصورة مفصلة أسفار التوراة أو العهد القديم، فتحدثت عن الأسفار التشريعية، والأسفار التاريخية، والأسفار الشعرية. والأسفار النبوية، والأسفار التعليمية. كما تناولت التلمود، فتحدثت عن المراحل التى تكون منها التلمود، كل مرحلة على حدة، بدءاً بالمشناه، ومروراً بالجماراه، وانتهاء بالتلمود. ثم عرضت لأقسام التلمود، وأخيرا تحدثت عن أهمية التلمود وقداسته عند اليهود.

والموضوع الثالث عن الواجبات الدينية لليهود، وفيه تحدثت عن خمس نقاط: الصلاة، والصوم، والحج، وتقديس يوم السبت، والطهارة أو التطهير.

وبالنسبة للصلاة، فقد تناولت فيه صلوات اليهود ومواقيتها، وتحدثت عن صلاة «الخزانة»، وصلاة «كل النذور» عند اليهود، كما تعرضت فيه لأنواع الصلاة، ولقبلة الصلاة عند اليهود، ولم يفتنى أن أتحدث عن ملابس الصلاة عند اليهود، وأدعية اليهود فى صلواتهم.

أما الصوم، فقد تناولت فيه أنواع الصيام عند اليهود ومدة الصيام، وتناولت بصورة مفصلة أيام الصوم عند اليهود.

أما الحج، فقد تحدثت فيه عن أوقات الحج عند اليهود، واختلاف مكان الحج بين فرقة الربانيين وفرقة القرائين.

أما تقديس يوم السبت، فقد تحدثت فيه عن تقديس اليهود ليوم السبت باعتباره فرضا عليهم من الله سبحانه وتعالى.

وأخيرا تحدثت عن الطهارة أو التطهير، فتناولت الطهارة الخاصة بالصلاة. أى الوضوء، والطهارة الخاصة بالمرأة اليهودية، هذا إلى جانب بعض المواقف التى يجب على اليهودى بعدها أن يتطهر والتى ذكرت بالتوراة.

وبالنسبة للفصل الرابع وهو عن الحياة الاجتماعية لليهود فى مصر، فقد تناولت فيه خمسة موضوعات: الموضوع الأول عن الزواج والطلاق عند اليهود، وقد تحدثت فيه عن الزواج فى الشريعة اليهودية، وأهمية التكافؤ بين الزيجات، وتعرضت لممثل الفتاة ووكيلها والفرق بينهما، وحرية الفتاة فى اختيار زوجها، وزواج البنت الصغيرة، ثم تحدثت عن مراحل الزواج عند اليهود، وعرضت عقود الزواج وما تضمنته هذه العقود. كما تناولت الطلاق فى الشريعة اليهودية، وعادات اليهود عند الطلاق، ووكيل الزوج ووكيل الزوجة عند الطلاق.

والموضوع الثانى عن أعياد اليهود، وقد تناولت فيه خمسة أعياد مذكورة بالتوراة، وعيدين محدثين.

والموضوع الثالث عن الملابس، وقد تحدثت فيه عن أوامر الخلفاء لتمييز ملابس أهل الذمة، وعرضت لملابس الرجال والنساء الخاصة باليهود، ثم تناولت بشىء من التفصيل عادات اليهود الخاصة بالملابس، كما تحدثت عن الملابس الجاهزة والملابس التفصيل.

والموضوع الرابع عن الطعام والشراب، وقد تعرضت فيه لأصناف الطعام، وأشهر الأكلات والأشربة المفضلة لدى اليهود، كما تعرضت لتحريمات الحاكم بأمر الله الفاطمى الخاصة بالطعام والشراب فيما يخص اليهود.

والموضوع الخامس عن عادات الدفن والمواكب الجنائزية عند اليهود، وقد تناولت فيه أماكن مقابر اليهود، وعرضت لمجموعة من وصايا اليهود، وما تضمنته هذه الوصايا من رغبات، كما تحدثت عن مظاهر الحزن وعادات الدفن والمواكب الجنائزية عند اليهود.

وبالنسبة للفصل الخامس وهو عن اليهود والإدارة فى مصر، فقد تعرضت فيه لأسباب تولى أهل الذمة الوظائف الإدارية، فتحدثت عن سياسة الحكم القائم فى مصر، فى كل مرحلة من مراحل الدراسة، وتناولت المؤثرات التى كانت تؤثر على قرارات الحاكم. كما تعرضت لأسماء بعض الموظفين اليهود مع إعطاء نبذة عنهم، سواء أولئك الذين عملوا بالديوان، أو الذين تولوا منصب الوزارة.

أما الفصل السادس، وهو عن الحياة التجارية لليهود فى مصر، فقد تناولت فيه التجار اليهود فى مصر مع إعطاء نبذة عن كل منهم، وتعرضت لمستخدميهم من الصبية وموظفى الحسابات والمراسلات، وانتقلت إلى المعاملات التجارية بين التجار والتى كانت تتمثل فى: التعاون التجارى، ونظام الوكالة، ونظام السمسرة والدلالة، هذا إلى جانب المعاملات المصرفية التى تولاها الصيرفى والجهبذ، والخدمات المصرفية التى كانا يقومان بها. هذا إلى جانب التعرض للمعاملات المالية وهى: نظام البيع والشراء، ونظام الدفع، ونظام إجراء الصفقات، ونظام التسليف والقروض.

أما الفصل السابع والأخير، وهو عن الحياة الفكرية لليهود فى مصر، فقد تناولت فيه أنواع التعليم عند اليهود، ومظاهر اهتمام المجتمع اليهودى بالتعليم، ومراكز التعليم عند اليهود، ومراحل التعليم والمواد الدراسية فى كل مرحلة، ثم تناولت بعض علماء اليهود فى فروع العلوم المختلفة مع إعطاء نبذة عن كل منهم.

وأود أن أشير هنا إلى أنى عنيت عناية كبيرة بضبط الأسماء والمصطلحات اليهودية التى وردت فى هذه الرسالة من ناحية النطق، واستعنت فى ذلك بمتخصصين فى اللغة

العبرية فى المركز الأكاديمى الإسرائيلى، كما استعنت بباحثين مصريين من المتمكنين من اللغة العبرية.

وفى نهاية هذا العرض، أود أن أقدم خالص الشكر والتقدير لأستاذى الجليل الأستاذ الدكتور **سعيد عبدالفتاح عاشور**، أستاذ كرسى العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة القاهرة، والأستاذ الدكتور **حسن حبشى محمد**، أستاذ كرسى التاريخ الإسلامى والوسيط بكلية التربية جامعة عين شمس ـ لما تفضلا به من قبول فحص هذه الرسالة ومناقشتها، جزاهم الله عنى خير الجزاء، وأنى لأتطلع إلى ملاحظاتهما بشوق لاستكمال أى نقص فى الرسالة، وتصحيح أية أخطاء أكون قد وقعت فيها دون قصد.

وأرجو أن أكون قد وفقت فيما قصدت إليه من إلقاء مزيد من الضوء على الحياة الخاصة والعامة لليهود فى مصر، والله ولى التوفيق.

أهم المصادر والمراجع

عرض لأهم مصادر ومراجع الرسالة

تعتمد هذه الدراسة بصفة رئيسية على مصدر أصلى هو وثائق الجنيزة اليهودية. ويرجع ذلك لندرة المصادر العربية التى تعرضت لليهود فى مصر، وتفرق المعلومات التى تناولت حياتهم فى كثير من المصادر، فضلا عن أن هذه المعلومات تعلقت فقط باليهود الذين تولوا الوظائف فى الدولة الإسلامية، أو بالسياسات التى اتبعها بعض الحكام تجاه اليهود.

وبصفة عامة لم تعر المصادر الإسلامية ـ على كثرة عددها وتنوع موضوعاتها ـ اهتماماً كبيراً بحياة اليهود الخاصة، ويرجع ذلك إلى الطبيعة المنعزلة للمجتمع اليهودى.

ومن هنا جاءت وثائق الجنيزة لتسد هذا الفراغ، بما احتوته من السجلات والأحكام القضائية والرسائل المتبادلة وغيرها من الأوراق الرسمية الخاصة بالطائفة اليهودية فى مصر، مما أتاح للباحثين الفرصة للتغلغل فى حياة اليهود الخاصة.

وقد نشر نصوصها وعلّق عليها جويتاين (Goitein)، وتقع فى خمسة أجزاء.

وقد استفدت من هذه الوثائق خاصة فى دراسة الحياة الاجتماعية لليهود فى مصر، إذ احتوت عقود الزواج، والرسائل الشخصية المتبادلة، وسجلات المحاكم القضائية ـ على معلومات غاية فى الأهمية كان من المتعذر معرفتها بدون هذه الوثائق، خاصة فيما يتعلق بعادات وتقاليد اليهود الخاصة بالزواج.

كما أفادتنى فيما يتعلق بعادات الدفن والمواكب الجنائزية، إذ احتوت على الكثير من الوصايا التى كشفت عن الكثير من عادات اليهود الخاصة بالدفن والمواكب الجنائزية، وأوضحت إحدى الرسائل المتبادلة بعض عادات اليهود الخاصة بمظاهر الحزن على المتوفى.

كذلك أوضحت وثائق الجنيزة أسماء بعض الملابس التى كانت تختص باليهود وحدهم، واحتوت بين أوراقها على بعض الرسائل الشخصية التى توضح الكثير من عادات اليهود الخاصة بالملابس، وعادات اليهود الخاصة بالطعام والشراب.

وقد استفدت من وثائق الجنيزة بصفة خاصة فى الفصل الخاص برؤساء المجتمع اليهودى، وخاصة فيما يتعلق بنشأة لقب «النجيد» فى مصر، الذى أطلق على رئيس اليهود فيما بعد، هذا إلى جانب أسماء العديد من الرؤساء اليهود الذين ذكروا فى طيات أوراقها.

أما الفصل الخاص بالحياة التجارية لليهود فى مصر، فقد أوردت الوثائق أسماء العديد من التجار اليهود والصيارفة، كما ألقت الرسائل المتبادلة بين التجار الضوء على طبيعة المعاملات التجارية بينهم، وظهر من خلالها التعاون التجارى بين التجار اليهود والمسلمين.

كذلك كان لهذه الوثائق الفضل فى توضيح نظام التعليم عند اليهود، والمواد الدراسية التى كانوا يدرسونها، كما عرفتنا ببعض السمات التى اتسمت بها المعابد اليهودية.

وقد كان من أهم الكتب الدينية التى استعنت بها فى رسالتى، كتاب اليهود المقدس «التوراة»، الذى أمدتنى آياته بالمعلومات التى وردت فى هذه الدراسة، فيما يتعلق بحياة اليهود الدينية، كما أفادنى بصفة خاصة فى تحديد مواعيد أعياد اليهود، وبعض العادات التى تتعلق بهذه الأعياد، والتى فرضت عليهم. وكذلك تحديد أيام الصيام وأسباب فرض الصيام فيها.

أما المصادر الإسلامية التى استعنت بها واستفدت مما ورد فيها من معلومات خاصة بحياة اليهود فى مصر، فعلى رأسها كتاب «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»

للمقريزى (تقى الدين أبو العباس أحمد بن على المتوفى عام ٨٤٥هـ/١٤٤١م) وهو جزءان. وقد أفادنى فى حصر أسماء معابد اليهود فى مصر ومواقعها، وأسماء حارات اليهود ودورهم وحماماتهم. واعتمدت عليه فى تقسيم فرق اليهود الدينية. وكان المقريزى كما أشار المؤرخ السخاوى فى كتابه «التبر المسبوك» ـ ملماً بمذاهب أهل الكتاب، حتى كان أفاضلهم يترددون عليه للإستفادة منه. وقد استفدت منه كذلك فى الكلام عن كتب اليهود المقدسة ونعنى بها التلمود والتوراة، وفى ذكر أعياد اليهود وأيام صومهم.

ولقد كان من كتب المقريزى أيضا التى استفدت منها كتابه «اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا» ويقع فى ثلاث أجزاء. وهذا الكتاب يؤرخ للدولة الفاطمية كلها فى المغرب وفى مصر، مع ذكر عصر كل خليفة على حدة، وترجمة لحياته. وقد أفادنى فى ذكر أسماء اليهود الذين كانوا على صلة بهؤلاء الخلفاء، سواء الذين خدموا فى الديوان أو فى الوزارة، أو الذين اشتغلوا بمهنة الطب، وعملوا كأطباء خصوصيين لهم، وانفرد بذكره لنص المرسوم الذى كُتب لأحد الأطباء اليهود، فأفادنا فى ملاحظتنا حول الطب والأطباء فى مصر، كذلك أفادنى عند تناولى لسياسات بعض الخلفاء الفاطميين تجاه أهل الذمة وخاصة العزيز بالله والحاكم بأمر الله الفاطمى، وموقف المسلمين فى مصر من هذه السياسة.

ومن الكتب التى أرخت للدولة الفاطمية كذلك، كتاب «النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة» لابن سعيد (على بن سعيد المغربى المتوفى عام ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، وقد انفرد بإعطاء صورة تفصيلية للطريقة التى تم بها تعيين الطبيب اليهودى صقر أو شقير، كطبيب من أطباء الخاص للخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله.

كذلك من الكتب المهمة كتاب «صبح الأعشى فى صناعة الإنشا» للمؤرخ المصرى القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على المتوفى عام ٨٢١هـ/١٤١٨م). وقد أمدنى

بمعلومات مهمة عن فرق اليهود وحاراتهم وأعيادهم، وعن أطباء الخاص. وأفادنى بصفة خاصة عند تناولى لكتّاب اليهود، وخاصة كتّاب ديوان الإنشاء، ومعلوماته فى هذا الصدد مهمة للغاية، إذ التحق القلقشندى بديوان الإنشاء بمصر عام ٧٩١هـ/١٣٨٨م. كما أمدنى بشروح لبعض المصطلحات التى ورد ذكرها فى هذه الدراسة.

ومن المصادر الإسلامية التى استفدت منها فى عدة مواضع من البحث، كتاب «البدء والتاريخ» للمقدسى (مطهر بن طاهر المقدسى المتوفى عام ٥٠٧هـ/١١١٣م)، وكتاب «الآثار الباقية» للبيرونى (أبى الريحان محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمى المتوفى عام ٤٤٠هـ/١٠٤٨م)، وكتاب «تاريخ ابن الوردى» لابن الوردى (زين الدين عمر بن مظفر المتوفى عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م. لقد أمدتنى هذه الكتب بمعلومات مهمة عن أيام الصيام عند اليهود، والأيام التى فرض عليهم الحج فيها، كذلك فى الصلاة عند اليهود ومواقيتها.

كما استفدت من كتاب «المذمة فى استعمال أهل الذمة» لابن النقاش (أبو إمامة محمد بن على المتوفى عام ٧٦٣هـ/١٣٦١م) - فى الفصل الخاص باليهود والإدارة فى مصر، خاصة فيما يتعلق بتعيين أهل الذمة فى الوظائف. فقد تعرض هذا الكتاب لمواقف بعض الخلفاء والسلاطين والملوك من استخدام أهل الذمة فى الوظائف.

وكانت فكرة كتابة هذا الكتاب قد نشأت من أسئلة وجهت إلى ابن النقاش من بعض معاصريه عن فتوى استخدام أهل الذمة فى الوظائف الإدارية، فبدأ كتابه بذكر الآيات القرآنية، وتلاها بالأحاديث النبوية التى تحرم استخدامهم، ثم أخذ فى عرض مواقف بعض الخلفاء والسلاطين والملوك من استخدام أهل الذمة.

ومن المصادر المهمة التى استعنت بها كتاب «إفحام اليهود» للحبر شموائيل بن يهوذا بن آبون، الذى عرف بعد اعتناقه للدين الإسلامى بـ(السموءل بن يحيى المغربى المتوفى عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م). وتكمن أهمية هذا الكتاب فى أن مؤلفه أحد أحبار اليهود الذين

أسلموا، لذلك فقد عكف على إظهار تحريف اليهود لكتبهم، وتوضيح أن التوراة التى بأيدى اليهود، ليست هى التوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام، وشرح كيف ضاعت التوراة. وقد أفادنى عند تناولى لكتّاب التوراة، فأوضح أن عزرا وهو أول كتبة التوراة، ليس هو العزير الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم. ونقلت عنه بعض الأدعية التى استجدت فى صلوات اليهود، ولم تكن أيام النبى موسى عليه السلام.

ومن كتب الطبقات التى حوت فى تراجمها أخباراً تخص الحياة الاجتماعية، والعادات والتقاليد فى الفترة الخاضعة للبحث، كتاب «عيون الأنباء فى طبقات الأطباء» لابن أبى أصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم المتوفى عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، وقد استعنت به فى معرفة الأطباء اليهود الذين سكنوا مصر، والذين هاجروا منها، أو حتى الذين زاروها. وقد قدمت بعض الملاحظات الهامة التى توافرت لى من خلال دراستى لتراجم هؤلاء الأطباء.

كما أفادنى كتاب «الإشارة إلى من نال الوزارة» لابن الصيرفى (تاج الرئاسة أمين الدولة أبو القاسم على بن منجب بن سليمان المتوفى عام ٥٤٢هـ/١١٤٧م) - فى التعرف على اليهود الذين تولوا منصب الوزارة فى الدولة الفاطمية. ويعتبر كتاب «الإشارة» أول كتاب ألف عن الوزراء المصريين، كما أنه الكتاب الوحيد الذى وصل إلينا بين مصادر تاريخ مصر الإسلامية واختص بذكر الوزراء الفاطميين. وقد بدأه بذكر ابن كلس أول وزراء الفاطميين فى مصر، وانتهى فيه إلى وزارة المأمون بن البطائحى (٥١٥-٥١٩هـ/ ١١٢١-١١٢٥م) الذى أهدى له «ابن الصيرفى» هذا الكتاب.

كذلك من الكتب المهمة كتاب «الفهرست» للنديم (أبو الفرج محمد بن أبى يعقوب اسحق المعروف بالوراق المتوفى عام ٣٨٣هـ/٩٩٣م). وقد استفدت منه فى الموضوع الخاص بالتوراة، وكان «النديم» قد نقل عن لسان أحد اليهود وصفاً للتوراة التى

أنزلت على موسى عليه السلام. كما أفادنى عند تعرضى للمشناه وأهميتها، واستعنت به فى ذكر علماء اليهود فى فروع العلوم المختلفة.

وكتاب «طبقات الأمم» لصاعد الأندلسى (أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبدالرحمن بن صاعد التغلبى المتوفى عام ٤٦٢هـ/١٠٦٩م)، وقد أفادنى خاصة عند تناولى لعلماء اليهود سواء فى الدين أو فى الفلسفة أو فى الطب.

ومن كتب الرحلات التى استعنت بها كتاب «سفر نامة» للرحالة الفارسى ناصر خسرو (المتوفى عام ٤٨١هـ/١٠٨٨م). وهى رحلة تقع حوادثها بين عام ٤٣٧هـ/١٠٤٥م وعام ٤٤٤هـ/١٠٥٢م. وكان ناصر خسرو ـ كما يخبرنا ـ قد دخل مصر عام ٤٣٩هـ/١٠٤٧م، وغادرها عام ٤٤١هـ/١٠٤٩م فى خلافة المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م). وقد أفادنى فى أن أمدنى ببعض المعلومات التى حُكيت له عن التاجران اليهوديان أبا سعيد التسترى وأخاه أبا نصر هارون ومدى ثرائهما.

كذلك كتاب «المسالك والممالك» لابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله المتوفى فى حدود عام ٣٠٠هـ/٩١٢م). وقد انفرد بذكر معلومات هامة عن نشاط التجار اليهود الراذانية ـ كما أطلق عليهم ـ فى التجارة الخارجية، والطرق التى كانوا يسلكونها.

ومن المصادر التى أفادتنى كذلك كتاب «الانتصار لواسطة عقد الأمصار» لابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى المتوفى عام ٨٠٩هـ/١٤٠٦م)، وقد أفدت منه فى معرفة أسماء أحياء اليهود وحاراتهم وأسماء دورهم. ويعد هذا الكتاب فى نظرنا موسوعة دقيقة لجغرافية مدينة الفسطاط والقاهرة منذ بنائهما، فهو يذكر كل الأبنية والدور والحارات والشوارع والأزقة الممكن ذكرها، ويحدد أماكنها بدقة.

الدراسات:

تعتبر دراسات الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف على رأس الدراسات التى اعتمدت عليها فى كتابة هذه الرسالة، لصلتها الوثيقة بموضوعها، وخاصة كتب: «مصر الإسلامية وأهل الذمة»، و«مصر فى فجر الإسلام» و«مصر فى عصر الولاة» و«مصر فى عصر الاخشيديين». هذا بالإضافة إلى البحوث القيمة التى نشرت فى المجلات العلمية، وعلى رأسها «دراسات فى المجتمع المصرى الإسلامى قبل العصر الفاطمى» و«العرب والبحار» و«تعريب مجتمع الاسكندرية» و«تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية لساويرس بن المقفع» و«دراسات فى النقود الإسلامية» و«الأرض والفلاح فى مصر الإسلامية».

لقد كانت هذه الدراسات القيمة هديا لى فى معظم فصول الرسالة، خاصة فيما يتعلق بموقف اليهود من الفتح العربى، وشروط معاهدة الاسكندرية، وأعداد اليهود فى مصر بعد الفتح. ومعابد اليهود فى مصر، والحياة التجارية لليهود، وفرق اليهود الدينية، ورئيس اليهود وعلاقته بالحكام فى مصر، وأسماء علماء يهود، والقيود التى فرضت على أهل الذمة ومتى بدأت، وفى الزواج والملابس. هذا إلى جانب تفسير الكثير من المواضيع مثل ما يتعلق بالنقود فى مصر الإسلامية وغير ذلك.

ومن الدراسات التى استعنت بها أيضا دراسات الأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن، وخاصة «تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى» ويقع فى أربعة أجزاء، وكتاب «تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب»، وكتاب «النظم الإسلامية» (وقد ألفه بالإشتراك مع الدكتور على إبراهيم حسن). وقد استفدت بهذه الكتب فى الموضوع الخاص باليهود والإدارة فى مصر، وأطباء اليهود.

ومن الدراسات التى أفدت منها «موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية» للدكتور عبدالوهاب المسيرى، وهى موسوعة شاملة تغطى كل المفاهيم والاصطلاحات الصهيونية.

وقد أفدت منها فى تحديد وإزالة غموض بعض المصطلحات والمفاهيم التى وردت فى دراستى، كما أفادتنى فى الترجمة لبعض الشخصيات اليهودية.

كذلك من الدراسات الهامة التى استعنت بها كتاب «اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى» للدكتور قاسم عبده قاسم. وهو من الدراسات المتخصصة فى تاريخ اليهود، وقد أفادنى عند تناولى لأعداد اليهود فى مصر بعد الفتح العربى وأماكن سكناهم، كما استعنت به فى الموضوع الخاص بالفرق اليهودية، ورؤساء اليهود فى مصر، هذا إلى جانب موضوع الأعياد اليهودية.

وكذلك كتاب «اليهودية واليهود» للدكتور على عبدالواحد وافى. فقد عثرت فيه على معلومات هامة عن طائفة (الحسديم) التى أوردها المقريزى فى كتابه باسم (الجسديم)، وكان المصدر الوحيد ـ فى حدود علمنا ـ الذى ذكر اسم هذه الفرقة لكن بدون ذكر معلومات عنها. كما أفادنى فى الموضوع الخاص بالتوراة والتلمود.

ومن الدراسات التى استعنت بها دراسات الدكتور عطية القوصى، وبخاصة «اليهود فى ظل الحضارة الإسلامية»، و«صلاح الدين واليهود»، و«تجارة مصر فى البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية»، و«أضواء جديدة على تجارة الكارم».

وقد استفدت بهذه الدراسات فى الموضوع الخاص بالحياة الدينية لليهود، واليهود والإدارة فى مصر، والحياة الثقافية لليهود فى مصر، والحياة التجارية لليهود فى مصر، فضلا عن رؤساء اليهود فى مصر، وإن اختلفت مع الدكتور عطية القوصى فى تاريخ نشأة لقب «النجيد» فى مصر، وهو اللقب الذى أطلق على رئيس اليهود.

كذلك من الدراسات التى أفادتنى كتاب «الفكر الدينى الإسرائيلى أطواره ومذاهبه» للدكتور حسن ظاظا. وقد استعنت به فى الموضوع الخاص بكتب اليهود الدينية (التوراة والتلمود)، وفى موضوع الصلاة والفرق الدينية، كذلك استعنت به فى الفصل الخاص بالحياة الاجتماعية لليهود خاصة الأعياد اليهودية، والزواج.

كما استفدت أيضا بكتابه «اليهود ليسوا تجاراً بالنشأة» الذى ألفه بالاشتراك مع الأستاذ السيد محمد عاشور، وخاصة فصل الحياة التجارية لليهود.

وأفادنى كتاب «مركز المرأة فى الشريعة اليهودية» للأستاذ السيد محمد عاشور، فى الموضوع الخاص بالزواج عند اليهود.

ومن الدراسات التى استعنت بها كتاب «اليهودية» للدكتور أحمد شلبى. وذلك فى الموضوع الخاص بوصف التوراة والتلمود، والفرق اليهودية، وفى الموضوع الخاص بالواجبات الدينية لليهود مثل: الحج، وتقديس يوم السبت، وكذلك فى الأعياد، وفى الزواج.

ومن الدراسات المهمة كذلك كتاب «المجتمع اليهودى» للأستاذ زكى شنودة، وترجع أهميته إلى اعتماده أساساً على التوراة. وقد استفدت منه فى تناولى للحياة الدينية لليهود، وبصفة خاصة الوصف التفصيلى لكتاب التوراة، وموضوع الفرق اليهودية، وموضوع الواجبات الدينية لليهود خاصة تقديس يوم السبت، والصلاة، هذا إلى جانب الفصل الخاص بالحياة الاجتماعية وخصوصاً الأعياد، والزواج.

وقد أفادتنى الدراستان اللتان قدمهما الدكتور سلام شافعى وهما بعنوان «أهل الذمة فى العصر الفاطمى الأول»، و«أهل الذمة فى العصر الفاطمى الثانى والعصر الأيوبى»، وخصوصاً فيما يتصل باليهود والإدارة فى مصر، والحياة الدينية لليهود، وكذلك الحياة التجارية، والحياة الاجتماعية.

ومن الدراسات التى استعنت بها أيضا كتاب «النقود العربية والإسلامية وعلم النميات» للأب أنستاس الكرملى. وتتمثل أهمية هذا الكتاب فى تجميعه لكل ما كتبته المصادر الإسلامية والدراسات الحديثة عن النقود مثل: «رسالة فى النقود» للبلاذرى (ت عام ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، وما ورد فى مقدمة ابن خلدون (ت عام ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)،

و«رسالة فى الدنانير المسكوكة مما يضرب بالديار المصرية للقلقشندى (ت عام ٨٢١هـ/١٤١٨م)، وكتاب «النقود القديمة الإسلامية» للمقريزى (ت عام ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، وكتاب «تحرير الدرهم والمثقال والرطل والمكيال وبيان النقود المتداولة بمصر» لمصطفى الذهبى الشافعى، وكتاب «النقود العربية» لعلى باشا مبارك. كما تتمثل أهمية الكتاب فى التعليقات على هذه الكتب، خصوصا فيما يتعلق بتوضيح قيمة النقود فى دراستى.

ومن أهم الكتب المترجمة التى استعنت بها كتاب «المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى» لمارك كوهن، وذلك منذ الفتح الإسلامى حتى أواسط العصر المملوكى. ترجمه إلى العربية نسرين مرار وسمير نقاش، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى اعتماده أصلا على وثائق الجنيزة. وقد استعنت به عند تناول لأعداد اليهود فى مصر وأماكن تواجدهم، وكذلك عند تناولى لمنصب النجيد فى مصر، والفرق الدينية التى انقسموا إليها، وحياتهم الاجتماعية، وكذلك فى الموضوع الخاص بالتجارة.

كذلك كتاب «عادات وتقاليد اليهود» لهارفى لوتسك، ترجمة الأستاذ مصطفى الرز. وقد استعنت به خاصة فى فصل الحياة الاجتماعية لليهود، فى الزواج وعادات اليهود فى حفلات الخطبة والزفاف، وفى موضوع الطعام وتناول أكلات معينة فى مناسبات خاصة، وفى موضوع الصلاة.

ومن الكتب المترجمة كذلك كتاب «الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى» لآدم متز، وقد ترجمه إلى العربية الأستاذ الدكتور محمد عبدالهادى أبو ريدة وهو فى جزءين. وقد استعنت به فى الموضوع الخاص برئيس اليهود ومنصب النجيد فى مصر، ومعابد اليهود، والحمامات، وفى الفصل الخاص باليهود والإدارة فى مصر، كما استعنت به فى الفصل الخاص بالحياة التجارية لليهود خاصة الجهبذ والصرافة.

وكذلك كتاب «أهل الذمة فى الإسلام» للدكتور أ. س. ترتون، وقد ترجمه إلى العربية الأستاذ الدكتور حسن حبشى. وقد أفادنى فى الموضوع الخاص بسلطات رأس الجالوت ونفوذه، وفى الملابس، وفى الأطباء اليهود والمهندسين، كما أفادنى فى الفصل الخاص باليهود والإدارة فى مصر.

كما لم يفوتنى الاستعانة بعدد من الرسائل العلمية المهمة، وعلى رأسها رسالة الدكتورة فاطمة مصطفى عامر بعنوان «تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى». فهى من أوائل رسائل الدكتوراة التى كان لها السبق فى تناول مثل هذا الموضوع، وقد استعنت بها خاصة فيما يتعلق بموقف اليهود من الفتح العربى، وأعدادهم عند الفتح، وحياتهم الدينية، وموظفى الدولة اليهود وخاصة «النجيد» وهو اللقب الذى أطلق على رئيس اليهود فيما بعد، وإن اختلفت معها حول تاريخ نشأة هذا اللقب ومَن تولاه من اليهود فى مصر.

كذلك من الرسائل العلمية رسالة الدكتوراه للدكتور محمد سبعاوى محمد بعنوان «الزواج فى الشريعتين اليهودية والإسلامية» وهى غير منشورة. وكذلك رسالة الماجستير للأستاذة سوزان السعيد بعنوان «المرأة حقوقها وواجباتها فى الشريعة اليهودية» وهى غير منشورة كذلك. وقد استعنت بهما خاصة فى موضوع الزواج عند اليهود.

تمهيد

اليهود فى مصر قبل الفتح العربى

تمهيـــد

اليهود فى مصر قبل الفتح العربى

أكدت المصادر الإسلامية وجود يهود فى مصر عند الفتح العربى عام ٢٠هـ/٦٤١م، وهو ما يثير السؤال عن تاريخ هذا الوجود اليهودى فى مصر، وما هى طبيعته؟

للإجابة على هذا السؤال، نجد أن المصادر التاريخية قد أغفلت الكلام عن اليهود طوال العصر البيزنطى لمصر (٢٨٤-٦٤٠م) ـ إلاّ فى النذر القليل، وهو ما يوحى بأن اليهود لم يكن لهم دور يذكر طوال هذه الفترة من تاريخ مصر.

ومن دراستنا لهذه الفترة نستطيع أن نرجع السبب إلى أن هذه الفترة بالذات قد حفلت بالكثير من الاضطرابات والاضطهادات الدينية والخلافات المذهبية، التى صاحبت انتشار المسيحية فى مصر[1]، والتى شغلت مساحات واسعة من الدراسات التاريخية، الأمر

---

(١) صاحب انتشار المسيحية فى مصر، حركة اضطهاد واسعة للمسيحيين خاصة فى عهد دقلديانوس Di-ocletianus (٢٨٤-٣٠٥م). فقد أصبح المسيحيون يكونون عنصراً نافرا بين مواطنى الامبراطورية الذين كانوا يدينون بالعقيدة الوثنية. فكان هذا الاضطهاد هو أعنف اضطهاد تعرض له المسيحيون. على أن هذا الوضع لم يلبث أن تغير عندما اعترف الامبراطور قسطنطين الأول Constantinus I (٣٢٣-٣٣٧م) بالمسيحية دينا مسموحاً به ضمن الديانات الأخرى فى الإمبراطورية الرومانية. ثم اكتمل هذا التغيير فى عام ٣٨٠م عندما أصدر الامبراطور ثيودوسيوس الأول Theodosius I (٣٧٩-٣٩٥م) مرسوما باعتبار المسيحية هى الدين الرسمى الوحيد فى جميع أنحاء الامبراطورية الرومانية. وبذلك أصبحت الوثنية دينا غير معترف به فى مصر، وبالتالى بدأت مرحلة من الاضطهاد الذى وقع هذه المرة على الوثنيين. على أن المسيحيين أنفسهم ما لبثوا أن وقعوا تحت اضطهاد دينى من نوع آخر، عندما دخلوا فى خلاف دينى حول تفسير طبيعة المسيح عليه السلام وصفته.
(ولمزيد من التفاصيل أنظر، سيدة كاشف: مصر فى فجر الإسلام، ص٣-٧؛ هويدا رمضان: المجتمع فى مصر الإسلامية، ج١، ص٥٢-٥٨ وما ذكروا من مراجع).

الذى حجب الحديث عن اليهود فى مصر فى ذلك العصر، وأدى إلى تقوقع اليهود على أنفسهم ليكونوا بمنأى عن الذين يدينون بالدين الجديد وهو المسيحية، ومن الاضطهاد الذى سوف يلاقونه على أيديهم، خصوصاً بعد أن أصدر الامبراطور ثيودوسيوس الأول Theodosius I (٢٧٩-٣٩٥م) مرسوماً فى عام ٣٨٠م باعتبار المسيحية هى الدين الرسمى الوحيد فى جميع أنحاء الامبراطورية الرومانية.

وفى الواقع أن الوجود اليهودى فى مصر يرجع إلى العصر الفرعونى، فتشير الدراسات التاريخية إلى وفود أفواج كبيرة من اليهود على مصر فى هذا العصر(*)، وقيام جاليات لهم فيها، كان من أهمها جالية منف وطيبة وألفنتين.

وعندما فتح الاسكندر الأكبر Alexandrus مصر فى عام ٣٣٢ ق.م، أنزل فى الاسكندرية عدداً من اليهود. كما نزحت أفواج من يهود فلسطين إلى مصر من تلقاء نفسها، خاصة بعد أن ضُمت فلسطين إلى مصر من عام ٣٠١-١٩٨ ق.م. هذا فضلا عن أن بطلميوس (بطليموس) الأول (٣٢٣-٢٨٤ ق.م)، نقل أفواجا أخرى منهم ليستقروا فى مصر. وقد ازداد توافد اليهود على مصر فى عهد بطلميوس الثانى (٢٨٥-٢٤٦ ق.م)، الذى وُصف بأنه صديق اليهود، حتى قيل إنه افتدى أسراهم من ماله الخاص. كما أنزل بطلميوس الثالث Ptolemaeus III (٢٤٦-٢٢١ ق.م) فى الفيوم عددا من اليهود.

(*) نستخلص ذلك ـ كما يقول د. إبراهيم نصحى ـ من قصة سيدنا يوسف، ومن أشكال الأجناس الأسيوية المصورة على آثار الدولة الوسطى. كما وفدت على مصر أفواج كبيرة خاصة فى خلال القرن السابع ق.م، لأن ملوك إسرائيل كانوا يستبدلون بالجنود خيولا مع ملك مصر، ولأن ملوك مصر فى هذا العصر كانوا يشجعون الأجانب ومن بينهم اليهود على القدوم إلى مصر للاشتغال بالتجارة والجندية، هذا إلى جانب أنه عندما استولى نبوخذ نصر فى عام ٥٨٦ ق.م على بيت المقدس هاجر إلى مصر كثير من اليهود.

وقد انتشر اليهود فى أنحاء مصر طوال عصر البطالمة (٣٢٢-٣٠ ق.م)، كما تشير إلى ذلك النقوش والوثائق البردية. فقد وجدت هياكل لليهود فى اتريبيس (اتريب Athribis (بنها)، وهر موبوليس بارفا (دمنهور)، وأرسينويتيس Arsinoites (الفيوم) وغيرها. على أن أكثرهم كانوا يعيشون فى الاسكندرية، حيث كونوا جالية كبيرة لهم سكنت الحى الرابع المسمى «دلتا» من أحياء الاسكندرية الخمسة.

وكان اليهود من أكبر الجاليات الأجنبية التى وجدت فى مصر البطلمية، حتى إن بعض المؤرخين قدر عدد اليهود فى الاسكندرية فى عهد الامبراطور بطلميوس الثانى (٢٨٥-٢٤٦ ق.م) ـ بمائة وعشرين ألفا، وهو رقم مبالغ فيه كما يرى بعض المؤرخين المحدثين.

وقد منح البطالمة اليهود حق تشكيل جالية لهم (بوليتيوما Polituma)، ينظمون عن طريقها شئونهم الخاصة. وقد أطلقت الوثائق فى هذا العصر على حكام هذه الجالية لقب الشيوخ لأنهم كانوا يختارون من بين مَن هم أكبر سناً.

كما تمتع اليهود بقدر كبير من الاستقلال القضائى طبقا لشرائعهم وقوانين آبائهم. واستناداً إلى مصادر العصر الرومانى، كان لليهود محكمة بالاسكندرية، وكان رئيسهم يرأس المحاكم اليهودية والمجالس القضائية فى جالياتهم التى كانت منتشرة فى أنحاء كثيرة من مصر، فيفصل فى المنازعات والقضايا التى يكون اليهود طرفا فيها.

كما تمتعوا بممارسة دينهم الخاص فى حرية واستقلال، فبنوا كثيراً من المعابد الخاصة بهم.

واستطاع اليهود أن يكسبوا ثقة ملوك البطالمة، كما احتل بعضهم مكانة ممتازة فى البلاط الملكى. فقد استطاع يهودى يدعى دوسيثيوس بن دريمولوس أن يشغل فى عهد الملك بطلميوس الثالث Ptolemaeus III (٢٤٦-٢٢١ ق.م) وظيفة سكرتير الملك، وذلك فى عام ٢٤٠ ق.م.

كما تقلد بعض اليهود وظائف مالية هامة مثل: وظيفة مدير بنك فى بعض مديريات مصر، وعمل بعضهم فى جباية الضرائب.

بل لقد كان يقود جيش الملكة كليوباترا الثالثة اثنان من القادة اليهود هما: خلكياس وأخوه أنانياس.

ويذكر بعض المؤرخين أن بعض اليهود فى مصر البطلمية، كانوا قد تأغرقوا تماما، فاتخذوا الزى اليونانى وتسموا بأسماء اغريقية، حتى إن المؤرخ اليونانى «بوليبيوس» حين حضر إلى الاسكندرية فى منتصف القرن الثانى ق.م، لم يلحظ أى صفة مميزة لليهود فيها، وعدّهم جميعا اغريقا.

وفى العصر الرومانى (٣٠ ق.م-٢٨٤م) ظل اليهود يشكلون أكبر الجاليات فى مصر، حتى إن الفيلسوف الاسكندرى اليهودى فيلون Philo، يذكر أن عدد اليهود فى بداية العصر الرومانى فى الاسكندرية ومصر، من منحدرات ليبيا حتى حدود النوبة، كان لا يقل عن مليون نسمة. ولما كان المؤرخ اليهودى يوسف Josephus (المعاصر للامبراطور فسباسيان ٦٩-٧٩م)، قدر عدد سكان مصر بسبعة ملايين ونصف نسمة، فإن ذلك يعنى أن يهود مصر بلغوا ثمن عدد سكانها تقريبا.

ويرجح د. مصطفى عبدالعليم أن عدد اليهود فى عهد فيلون قد بلغ مائتى ألف نسمة.

ويرى د. مصطفى العبادى أن المبالغة فى ذكر عدد اليهود، يدل على ضخامة الجالية اليهودية فى العصر الرومانى، التى أصبحت تقطن فى حيين من أحياء المدينة بعد أن كانوا يقطنون حياً واحدا على عهد البطالمة. فيقول فيلون الذى عاش فى عصر كاليجولا Cal-igula (٣٧-٤١م): «يوجد بالمدينة خمسة أحياء مسماه بأسماء الحروف الأبجدية الأولى،

ومن بين هذه إثنان يعرفان بالحيين اليهوديين لأن معظم اليهود يسكنون فيهما، ولو أن عددا غير قليل منهم يسكنون متناثرين فى الأحياء الأخرى»[1].

وقد عمل اليهود فى خدمة الحكومة الرومانية مثل: وظيفة مدير الضرائب الجمركية، التى كانت الادارة الحكومية تعهد به إلى أثرياء يهود الاسكندرية. ومن اليهود الذين عملوا بها، وذكرهم المؤرخ اليهودى يوسف، أحد أثرياء يهود الاسكندرية ويدعى ديمتريوس De-metrius. كذلك اسكندر Alexander شقيق الفيلسوف اليهودى الاسكندرى فيلون Philo.

ومنهم كذلك اسكندر والد تيبريوس يوليوس Tiberius Julius الذى عينه الامبراطور نيرون Nero (٥٤-٦٨م) فى مايو عام ٦٦م حاكما على الاسكندرية ومصر، وهو صاحب ثراء عريض.

كذلك كان ليهود الاسكندرية نشاط اقتصادى واضح، فعملوا بالتجارة واقراض الأموال.

وقد استمر اليهود فى مصر الرومانية (٣٠ ق.م-٢٨٤م) فى نفس الوضع الإجتماعى الذى كان لهم فى العصر البطلمى (٣٢٢-٣٠ ق.م)، فقد أقر لهم أغسطس (أكتافيوس Augustus (٣٠ ق.م-١٤م) الامتيازات التى منحها لهم الملوك البطالمة، فكان لهم رئيس جالية عرف فى العصر الرومانى باسم إثنارخيس Ethnarches أو جنارخيس Genarches، ومجلس من المسنين أشبه ما يكون بمجلس الشيوخ عرف باسم جيروسيا Gerousia. كما كان لهم الحق فى تطبيق قوانينهم داخل جالياتهم. وكانت لهم حرية العبادة. كما كان

(١) تشير أوراق البردى إلى أنه بعد ثورة اليهود زمن الامبراطور تراجان ـ كما سنرى فيما بعد ـ وما تبعها من تهدم الحى اليهودى بالاسكندرية، عمل والى مصر من قبل الامبراطور هادريان الذى تولى الحكم من بعده (١١٧-١٣٨م) على إعادة تخطيط المدينة، ويبدو أنه أصدر منشورا خاصاً بتنظيم سكنى اليهود بالاسكندرية، ولا يتضح إن كان قد أمر بتوزيعهم بين أحياء المدينة الخمسة أو بحشدهم فى حى واحد لإحكام الرقابة عليهم ـ كما يقول د. عبداللطيف أحمد على.

لهم بالاسكندرية خزانة لجمع الأموال والتبرعات التى كان يقدمها أبناء الجالية اليهودية لإرسال نصيب منها إلى هيكل أورشليم.

وعلى الرغم من هذه الامتيازات التى أقرها لهم أغسطس Augustus (٣٠ ق.م-١٤م)، إلا أنه فرض عليهم ضريبة الرأس التى كان يدفعها سائر سكان مصر فيما عدا الرومان والاسكندريين الذين كانوا مستثنين منها.

ويذكر د. مصطفى كمال عبدالعليم أن العصر البطلمى لم يعرف ضريبة الرأس، وأن أول مَن فرضها هو الامبراطور أغسطس Augustus.

أما الدكتور إبراهيم نصحى فيرى أن ضريبة الرأس كانت موجودة فى عهد البطالمة، من عهد بطلميوس الثالث Ptolemaeus III (٢٤٦-٢٢١ ق.م)، وذلك استناداً إلى قصر الإحصاء على الرجال فقط منذ بداية عهده، وإلى قائمة حصيلة الضرائب التى ترجع إلى عام ٢٣٥ ق.م، وورد فيها ذكر ضريبة الرأس.

ويرى د. إبراهيم نصحى أن البطالمة قد فرضوا هذه الضريبة على المصريين ما عدا رجال الدين المصريين، كما تشير إلى ذلك إحدى الوثائق التى تذكر أن أفراد الجماعات المقدسة كانوا «من بين المعفيين» من دفع هذه الضريبة، كما أعفى منها كذلك الاغريق تشجيعا لهم للوفود إلى مصر والبقاء فيها.

وربما كان اليهود - فى رأينا - معفين منها كذلك، خاصة إذا علمنا أن اليهود بعدما فرضت عليهم ضريبة الرأس، قد وضعوا نصب أعينهم الحصول على مواطنة الاسكندرية(*)، حتى يظفروا بالإعفاء منها. بل أنهم دخلوا فى نزاعات وصراعات عنيفة مع الاسكندريين حول مواطنة الاسكندرية وحق اليهود فيها.

(*) مواطنة الاسكندرية كانت قاصرة على الفئة الممتازة من الاغريق الذين عاشوا فى الاسكندرية، أما الإغريق الآخرون فلم يتمتعوا بها. وقد أحيطت هذه الفئة بكثير من الامتيازات، منها: الإعفاء من ضريبة الرأس.

على أية حال، فقد كانت صراعات اليهود مع الاسكندريين، وما تبعتها من ثورات هى السبب فى أفول نجمهم فى العصر الرومانى خاصة بعد ما تم سحب جميع امتيازات اليهود فى عام ١١٧م.

وكان الصراع بين اليهود والاسكندريين قد استغرق حوالى قرن من الزمان، وقد ظهرت بوادره منذ نهاية حكم الامبراطور الثانى تيبريوس Tiberius (١٤-٣٧م)، وعندما تولى الامبراطور جايوس Gaius الملقب كاليجولا Caligula (٣٧-٤١م)، نشب صراع مسلح بين اليهود والاسكندريين، فيما يعرف بفتنة عام ٣٨م.

وقد استمر النزاع زمن الامبراطور كلوديوس Claudius (٤١-٥٤م). وكذلك زمن الامبراطور نيرون Nero (٥٤-٦٨م)، وكان الامبراطور نيرون قد عين فى عام ٦٦م واليا على مصر يدعى تيبريوس يوليوس اسكندر، كان من حيث النشأة يهودى مصرى من الاسكندرية، ولكنه ارتد عن دينه، واكتسب المواطنة الرومانية، وأمكنه التدرج فى سلك الوظائف الرومانية، وكان تيبريوس اسكندر عندما اندلع الصراع بين اليهود والاسكندريين - قد حاول أن ينصح رؤساء الجالية اليهودية بالتزام الحكمة، ولكن دون جدوى، فاضطر إلى إرسال قواته إلى منطقة اليهود، حتى ليقال إن خمسين ألفا منهم هلكوا فى تلك الفتنة.

ثم أخذ النزاع بين اليهود والاسكندريين فى الظهور من جديد زمن الامبراطور تراجان Trajanus (٩٨-١١٧م) وذلك فى عام ١١٥م، فدارت معارك عنيفة دمرت فيها بيع لليهود ومعابد للإغريق، ثم زاد الأمر صعوبة عندما زحف ثوار من يهود برقة بزعامة ملكهم «لوقا» إلى مصر فى عام ١١٦م، وعندما عجزوا عن دخول الاسكندرية، انتشروا فى ريف مصر. وقد بذلت الحكومة الرومانية كل ما فى وسعها لتوقف أعمال العنف التى ارتكبها اليهود فى ريف مصر، ولم يتم لهم ذلك إلا بعد وصول فرق رومانية فى أوائل يوليو من عام ١١٦م، واستمر العمل فى اخماد الثورة حتى عام ١١٧م.

وكان هذا النزاع هو آخر الصراعات التى جرت بين اليهود والاسكندريين، فلم نعد نسمع عن اليهود كمثيرى شغب وفتن إلا فى عام ٤٢٥م حين قام كيرلس أسقف الاسكندرية على رأس جماعة من المسيحيين باحتلال جميع بيع اليهود وطردهم من الاسكندرية.

وبعد إخماد الثورة فى عام ١١٧م، ثم سحب جميع امتيازات الجالية اليهودية، كما فقدوا بِيَعهم، وتحطمت قوتهم. ولا أدل على هوان اليهود وضعف شأنهم ـ كما يقول د. مصطفى عبدالعليم ـ من أن القواعد المالية لمراقب الحسابات الحكومية، وهى مجموعة هامة من القوانين واللوائح المتعلقة بالوضع القانونى لمختلف عناصر السكان فى الاسكندرية فى القرن الثانى الميلادى ـ تجاهلت اليهود تجاهلا تاما، ولم تذكر أى شىء بشأنهم.

ويذكر د. مصطفى عبدالعليم أنه بعد عام ١١٧م، تغير المجتمع اليهودى تماماً، إذ ظهر مجتمع يهودى جديد له طابع مخالف تماما للطابع الذى كان عليه فى العصرين البطلمى والرومانى، حيث أخذ أفراده يقبلون على استعمال اللغة العبرية. فهل كانت هذه محاولة من جانبهم لنبذ الحضارة الهلينستية؟ أو أنهم أرادوا أن يعودوا إلى حياتهم القديمة، حتى يصمدوا فى وجه المسيحية، ذلك العدو الجديد الذى لم يعترف بهم وناصبهم العداء منذ أن أصبحت المسيحية هى الدين الرسمى للدولة، كما أشرت إلى ذلك فى بداية هذا الموضوع.

على كل حال، فمن دراسة الوجود اليهودى فى مصر قبل الفتح العربى، نلاحظ أن اليهود لم يكونوا جزءا من الشعب المصرى يدين بالديانة اليهودية، وإنما كانوا جالية أجنبية ـ كما أجمعت على ذلك معظم الدراسات التاريخية ـ استوطنت مصر على مر العصور عن طريق الهجرات المتلاحقة، وأنها استقرت فى مصر، وتميزت عن الشعب المصرى بمميزات كثيرة، خاصة فى عصر البطالمة.

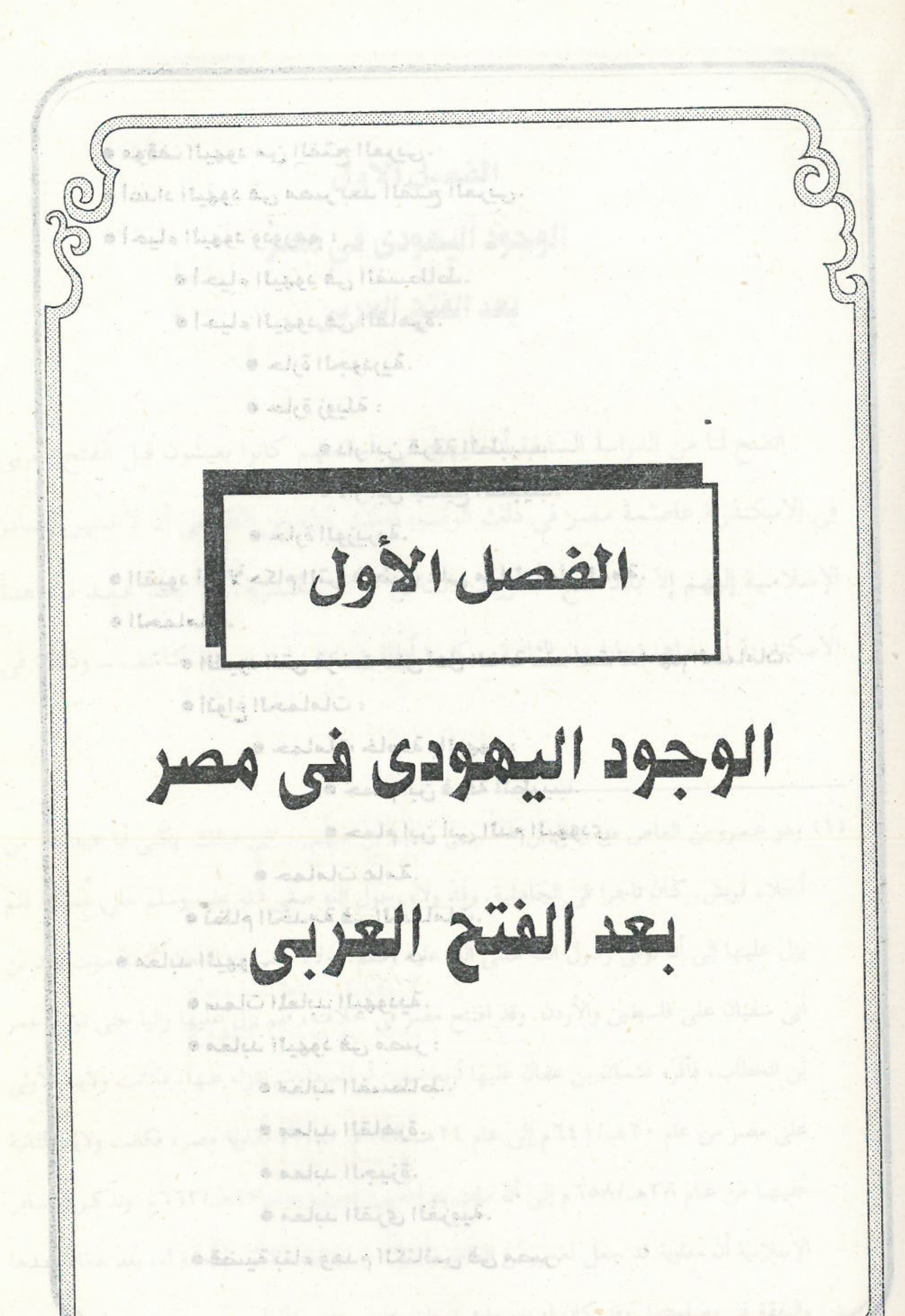
وقد أقر الرومان لهم بهذه الامتيازات، ولكنهم فرضوا عليهم ضريبة الرأس مساواة لهم بسائر المصريين، فأدخلوهم ـ بذلك ـ فى عداد المصريين من الناحية القانونية ـ كما يقول د. مصطفى عبدالعليم.

على أنهم لم يرضوا بهذا الوضع، فقاموا بكثير من الثورات، لإثبات حقهم فى مواطنة الاسكندرية، حتى تسقط عنهم هذه الضريبة، إلا أنهم فشلوا فى الحصول عليها؛ بل ودفعوا ثمناً غاليا لقيامهم بهذه الثورات، فقد سحبت منهم جميع امتيازاتهم فى عام ١١٧م وهى آخر ثورة مؤثرة قاموا بها، فضعفت قوتهم، وفقدوا سطوتهم.

وعندما أصبحت المسيحية دينا رسميا للدولة، اعتنقها معظم المصريين واحتفظ اليهود بديانتهم، وكانوا يعيشون فى أماكن تجمعاتهم، ولهم عاداتهم وتقاليدهم.

لذلك فإننا نختلف فى الرأى مع الدكتور قاسم عبده قاسم الذى حرص على أن يسميهم فى كتابه باسم اليهود المصريين، كما أننا نختلف مع مارك كوهن الذى اعتبرهم شريحة صغيرة من المصريين.

فلم يكونوا مصريين وإنما كانوا جالية مختلفة عن المصريين فى ديانتها وعاداتها وتقاليدها، وهو ما سوف يتضح من دراستنا فيما بعد.



الفصل الأول

الوجود اليهودى فى مصر بعد الفتح العربى

- موقف اليهود من الفتح العربى.
- أعداد اليهود فى مصر بعد الفتح العربى.
- أحياء اليهود ودورهم :
  - أحياء اليهود فى الفسطاط.
  - أحياء اليهود فى القاهرة.
    - حارة الجودرية.
    - حارة زويلة :
      - دار ابن قرقة الطبيب.
      - دار ابن جميع الطبيب.
    - حارة الوزيرية.
- القيود أو الأحكام التى فرضت على منازل أهل الذمة.
- الحمامات.
  - القيود التى فرضت على أهل الذمة عند استخدامهم الحمامات.
  - أنواع الحمامات :
    - حمامات خاصة باليهود :
      - حمام ابن قرقة الطبيب.
      - حمام ابن أبى الدم اليهودى.
    - حمامات عامة.
  - نظام الخدمة في الحمامات.
- معابد اليهود.
  - سمات المعابد اليهودية.
  - معابد اليهود فى مصر :
    - معابد الفسطاط.
    - معابد القاهرة.
    - معابد الجيزة.
    - معابد القرى الغربية.
  - قضية بناء وهدم الكنائس فى مصر.

الفصل الأول

الوجود اليهودى فى مصر بعد الفتح العربى

اتضح لنا من الدراسة السابقة أن اليهود فى معظمهم كانوا يعيشون قبل الفتح العربى فى الاسكندرية عاصمة مصر فى ذلك الوقت، لذلك كان من الطبيعى أن لا تشير المصادر الإسلامية إليهم إلا بعد فتح عمرو بن العاص[1] للاسكندرية، وإلا بعد عقد معاهدة الاسكندرية أو معاهدة بابليون الثانية ـ كما أطلقت عليها د. سيدة كاشف ـ وذلك فى

(١) وهو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم.... ابن مالك. يكنى أبا عبدالله. من أجلاء قريش. كان تاجرا فى الجاهلية. وقد ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على عُمان، فلم يزل عليها إلى أن توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وولاه عمر بن الخطاب بعد موت يزيد بن أبى سفيان على فلسطين والأردن. وقد افتتح مصر فى خلافته، فلم يزل عليها واليا حتى توفى عمر بن الخطاب، فأقرَّه عثمان بن عفان عليها أربع سنين أو نحوها، ثم عزله عنها، فكانت ولايته الأولى على مصر من عام ٢٠هـ/٦٤١م إلى عام ٢٤هـ/٦٤٤م. ثم ولاه معاوية مصر، فكانت ولايته الثانية عليها من عام ٣٨هـ/٦٥٨م إلى أن مات بها أميراً عليها عام ٤٣هـ/٦٦٣م. وتذكر المصادر الإسلامية أن معاوية قد جعل لعمرو بن العاص مصر ـ فى ولايته الثانية ـ طعمة له، بعد عطاء جندها والنفقة فى مصلحتها. وقد كان له يوم مات تسعون عاما. ودفن بالمقطم.

عام ٢٠هـ/٦٤١م، فلقد كان من الشروط التى نصت عليها هذه المعاهدة أن يباح لليهود الإقامة فى الاسكندرية(*).

على أن المصادر الإسلامية لا تشير إطلاقا إلى موقف اليهود من الفتح العربى لمصر، وترى د. فاطمة عامر أن السبب فى ذلك إنما يرجع إلى وقوف اليهود موقفا سلبيا تجاه الفتح العربى، حرصاً منهم على عدم إقحام أنفسهم فى النزاع بين العرب والرومان، لأنهم خشوا النتائج التى تترتب على مساعدتهم السلطات الرومانية الحاكمة، فى حالة تحقق النصر للعرب، وفى الوقت

(*) فتحت الاسكندرية مرتين: المرة الأولى عام ٢٠هـ/٦٤١م وفيها عقدت معاهدة بين الطرفين عرفت باسم معاهدة بابليون الثانية وذلك لانعقادها فى بابليون، وتمييزا لها عن بابليون الأولى، أو معاهدة الاسكندرية، لأنها كانت خاصة بأهل الاسكندرية وحاميتها. وقد نصت هذه المعاهدة على عقد هدنة بين الروم والعرب مدتها أحد عشر شهراً تنتهى فى سبتمبر عام ٦٤٢م وأواخر عام ٢١هـ، يكف فى أثنائها الروم والعرب عن القتال، كما يتم خلالها جلاء حامية الروم عن الاسكندرية حاملين أمتعتهم وأموالهم. واشترط ألاّ يعود جيش رومى ثانية إلى الاسكندرية، وألاّ يستولى المسلمون على كنائس المسيحيين أو يتدخلوا فى أمورهم، وأن يباح لليهود الإقامة فى الاسكندرية. ولضمان نفاذ هذه الشروط نصت المعاهدة على أن يأخذ المسلمون مائة وخمسين من الجند وخمسين من غير الجند رهائن.

أما المرة الثانية فكانت عام ٢٥هـ/٦٤٥م. ففى هذه السنة أرسل الامبراطور قنسطانز الثانى (٢١-٤٨هـ/ ٦٤١-٦٦٨م) حفيد هرقل إلى الاسكندرية أسطولا كبيرا لإجلاء العرب عن مصر إجلاء تاما. وبالفعل نجح الجيش البيزنطى فى الاستيلاء على الاسكندرية، وزحف من بعدها إلى ما يليها من بلاد الوجه البحرى، وتحرج مركز العرب فى مصر، وكان واليها إذ ذاك هو عبدالله بن سعد بن أبى سرح من قبل الخليفة عثمان بن عفان. وقد بعث أهل مصر إلى عثمان يسألونه أن يرسل عمرا لمحاربة الروم لأن له معرفة وخبرة بحربهم. وقد تم إجلاء الروم عن مصر على يديه، واستولى عمرو بن العاص فى هذه المرة على الاسكندرية عنوة.

نفسه خشوا من تأييد الفتح العربى، خوفا من أن يكون النصر للرومان، فيتعرضون لسخطهم واضطهادهم.

وترى د. فاطمة عامر أن العرب قدّروا هذا الموقف من جانب اليهود، وأنه هو السبب فى السماح لهم بالبقاء فى الاسكندرية.

على أية حال، فقد عامل العرب اليهود بصفة عامة كأهل ذمة، وفرضوا عليهم الجزية(*). وكان من المعروف أن العرب يخيرون أهالى البلاد المفتوحة بين ثلاثة أمور هى: الإسلام أو الجزية أو الحرب.

وقد أورد ابن عبدالحكم أن جزية الاسكندرية كانت مختلفة عن جزية مصر، على أساس أنها فتحت عنوةً بغير عهد ولا عقد، وبالتالى فإن اليهود «كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرَى مَن وليَهم».

وربما قصد بذلك الفتح الثانى للاسكندرية فى عام ٢٥هـ/٦٤٥م عندما نقض الروم معاهدة الاسكندرية، فاستولى عليها عمرو بن العاص فى هذه المرة عنوة وقتل قائد جيش الروم.

وتذكر المصادر الإسلامية أن عدد من رحل من مدينة الاسكندرية من اليهود فى الليلة التى دخل فيها عمرو بن العاص الاسكندرية ـ سبعون ألف يهودى.

(*) أجمع الفقهاء على أن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب، ولا تكون إلاّ على الأحرار، لأن الأسير إذا أسترق فلا جزية عليه، ولا تجب أيضا على إمرأة ولا صبى ولا مجنون لأنهم أتباع.

وعن الجزية بالتفصيل أنظر، كتابى: المجتمع فى مصر الإسلامية، ج١، ص١٢٧-١٢٨. وما ذكرت من مراجع.

وإذا صحت هذه الرواية، وصح هذا الرقم، فإنه يكون دليلا على ما ذكرناه من أن اليهود لم يكونوا جزءا من الشعب المصرى، ولم يكونوا يعتبرون أنفسهم كذلك، بدليل أنهم على عكس الأقباط الذين هم أهل مصر، سارعوا بالخروج من الاسكندرية، مثلهم مثل الرومان، فى حين بقى القبط، الذين تعاونوا مع العرب على فتح مصر، وعلى طرد الرومان منها.

أما عدد من بقى بمصر من اليهود، فكان حوالى أربعين ألف يهودى، وهو الرقم الذى ذكره عمرو بن العاص حين أرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب[1] يصف له مدينة الأسكندرية. وهو عدد قليل جدا إذا قورن بعدد أهل مصر من الأقباط حين الفتح ـ كما تقول د. سيدة كاشف.

على أية حال، فقد ظل عدد اليهود فى مصر ـ على امتداد تاريخ مصر الإسلامية ـ ضئيلا على الدوام بالمقارنة بمجموع الأقباط.

ولا توجد لدينا معلومات مؤكدة عن تاريخ اليهود فى عصر الولاة أى طوال القرون الثلاثة الأولى للفتح العربى، أما معلوماتنا عن أعداد اليهود فى العصر الفاطمى (٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٨-١١٧١م) فقد زودنا بها الرحالة اليهودى بنيامين التطيلى، بالإضافة إلى وثائق الجنيزة.

---

(١) وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح.... بن عدنان القرشى. أبو حفص العدوى، الملقب بالفاروق. من أشراف قريش. ولى الخلافة بعد أبى بكر عام ١٣هـ/٦٣٤م، وفتح الله سبحانه وتعالى له الفتوح بالشام والعراق ومصر وغيرها. وهو أول مَن سمى بأمير المؤمنين، وأول مَن دون الدواوين، وأول من أرخ التاريخ على الهجرة، وأول من جمع الناس على التراويح.

وقد توفى عام ٢٣هـ/٦٤٣م شهيدا، طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبه بعد رجوعه من الحج.

وكان بنيامين التطيلى وهو رحالة يهودى من الأندلس قد زار مصر فى عهد الخليفة العاضد[1] آخر الخلفاء الفاطميين (٥٥٥-٥٦٧هـ/ ١١٦٠-١١٧١م)، وأيام وزارة صلاح الدين الأيوبى[2] وذلك فى عام ٥٦٤هـ/١١٦٨م.

وقد عمل بنيامين إحصاء لليهود فى مختلف المدن المصرية، تبين منه ـ كما تقول د. سيدة كاشف ـ أن عدد اليهود فى مصر كان أقل من ٣٣٫٠٠٠ يهودى، أى أقل من عدد يهود الاسكندرية زمن الفتح العربى.

وإن كان مارك كوهن يرى أن أعداد اليهود التى ذكرها بنيامين التطيلى فى عدة مدن مصرية، لا يمكن الاعتماد عليها دون تحفظ شديد، لأننا لا نعرف، مثلا، هل قام بنيامين بإحصاء عدد الأنفس فى الطائفة اليهودية، أم اكتفى بإحصاء الملزمين بدفع الجزية فقط.

---

(١) وهو أبو محمد عبدالله بن يوسف بن الحافظ بن محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى. الملقب العاضد آخر الخلفاء الفاطميين. تولى الخلافة فى مصر بعد موت ابن عمه الفائز بنصر الله عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م، وتوفى عام ٥٦٧هـ/١١٧١م.

ويذكر أبو المحاسن أن صلاح الدين جلس فى عزائه ومشى فى جنازته وتولى غسله وتكفينه. وتذكر المصادر الإسلامية أنه بعد وفاته استولى صلاح الدين على ما فى القصر من الأموال والذخائر والتحف والجواهر والعبيد والخدم والخيل والمتاع وغيره، كما أمر بإقامة الخطبة لبنى العباس بمصر وأعمالها. وكانت الخطبة قد قطعت لبنى العباس من ديار مصر عام ٣٥٩هـ/٩٦٩م فى خلافة المطيع العباسى، حين تغلب الفاطميون على مصر أيام المعز لدين الله الفاطمى.

(٢) وهو أبو المظفر يوسف بن نجم الدين أيوب بن شاذى بن مروان الكردى السلطان الملك الناصر صلاح الدين، تولى الوزارة فى مصر للعاضد عام ٥٦٤هـ/١١٦٨م بعد وفاة عمه الوزير أسد الدين شيركوه وزير العاضد. وعندما توفى العاضد عام ٥٦٧هـ/١١٧١م استبد صلاح الدين بالسلطنة، وأقام الخطبة لبنى العباس ـ كما أشرت فى ترجمة العاضد. وتوفى صلاح الدين الأيوبى عام ٥٨٩هـ/١١٩٣م.

هذا إلى جانب أن بنيامين التطيلى ـ كما يقول مارك كوهن ـ لم يزر أماكن كثيرة عرفت باشتمالها على الطوائف اليهودية، ففى الوقت الذى ذكر لنا خمسة عشر مكانا عاش فيها اليهود فى مختلف أنحاء مصر، أوضحت أوراق الجنيزة أن اليهود عاشوا فى ثمانية عشر مكانا أخرى على الأقل(١).

وقد اختلفت الآراء فى عدد اليهود فى مصر بعد الفتح العربى، بشكل لا يحسم الأمر، فمثلاً ذكر مارك كوهن نقلاً عن بنيامين التطيلى أن عدد اليهود فى الفسطاط كان سبعة آلاف يهودى. فى حين نقلت د. فاطمة عامر عن بنيامين التطيلى أيضا، أن عدد يهود الفسطاط كان ألفين فقط(٢). وفى الوقت نفسه أورد د. قاسم عبده قاسم أن هذا العدد يشمل يهود الفسطاط والقاهرة، وذلك نقلاً عن بنيامين التطيلى أيضاً.

وقد حدد أشتور عدد يهود الفسطاط بألف وخمسمائة، كما حدد عدد يهود الاسكندرية بسبعمائة إلى ثمانمائة. ويرى أن الرقم الذى أورده بنيامين الخاص بعدد يهود الفسطاط، هو فى الحقيقة عدد اليهود بالفسطاط والقاهرة معا.

أما جويتاين، فقد أورد من واقع المعطيات التى استقاها من قوائم حساب الصدقات فى جنيزة القاهرة ـ أن عدد سكان الفسطاط من اليهود الربانيين كان قد بلغ فى فترة قريبة من زيارة الرحالة بنيامين التطيلى حوالى ٣٣٠٠ نسمة.

وقد أرجعت د. سيدة كاشف هذا الاختلاف فى عدد اليهود فى مصر إلى اسلام الكثيرين منهم، وإلى عدم استقرار اليهود فى بلد واحد بسبب أسفارهم التجارية. ولعله يرجع كذلك إلى تدفق أعداد متباينة من اليهود إلى مصر على شكل هجرات، على امتداد القرون التى تلت الفتح العربى لها.

---

(١) وقد أورد د. قاسم الأماكن التى زارها بنيامين وأعداد اليهود فيها بالتفصيل فى كتابه.

(٢) ذكرت د. فاطمة عامر نقلاً عن بنيامين التطيلى أن عدد اليهود فى الاسكندرية كان حوالى ثلاثة آلاف يهودى.

فتكشف أوراق الجنيزة ـ خاصة فى القرن ٥هـ/١١م ـ عن أن عدداً كبيراً من يهود مصر كانوا من المهاجرين أو من سلالتهم(*)، ففى حوالى عام ٤٦٨هـ/١٠٧٥م وردت أسماء عدد كبير من اليهود القادمين إلى مصر من مختلف أنحاء العالم: من العراق وإيران وفلسطين وبلاد الشام، ومناطق آسيا الوسطى مثل نيسابور وسمرقند، إلى جانب الوافدين من تونس وصقلية، فضلا عن أعداد صغيرة قدمت من فرنسا وإيطاليا والامبراطورية البيزنطية(١).

ولكن يلاحظ أنه على الرغم من الهجرات اليهودية الكبيرة إلى مصر، فإن أعدادهم قد ظلت بشكل عام قليلة بالنسبة إلى أعداد كل من المسلمين والمسيحيين، فيقول المقدسى المتوفى عام ٥٠٧هـ/١١١٣م عن اقليم مصر: «وعامة ذمته نصارى يقال لهم: القبط، ويهود قليل.».

وعلى أية حال، فقد ظهر مما ذكره بنيامين التطيلى وأشارت إليه وثائق الجنيزة خاصة خلال الفترة الممتدة من عام ٣٩١هـ/١٠٠٠م إلى عام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م ـ أن اليهود عاشوا فى معظم المدن والقرى المصرية. على أن أكبر الطوائف اليهودية فى فترة الجنيزة، كانوا متجمعين فى ثلاث مدن رئيسية فى شمالى مصر هى: الاسكندرية والفسطاط والقاهرة.

وقد كان اليهود يعيشون فى مصر فى حارات خاصة بهم، تشبه «الجيتو»(٢) فى أوربا، وكانت الحارة اليهودية تضم بين جوانبها أماكن معيشتهم، إلى جانب أماكن إقامة

(*) وسوف تذكر هذه الدراسة أسماء الكثيرين من اليهود الذين وفدوا على مصر من بلاد أخرى.

(١) تذكر بعض الدراسات التاريخية أن أسباب هجرة اليهود من فلسطين إلى مصر، ترجع إلى الحروب المتصلة وأعمال النهب والسلب الناجمة عن غزوات البدو، وعن الاحتلال السلجوقى فى السبعينيات من القرن ٥هـ/١١م، والحملة الصليبية الأولى عام ٤٩٣هـ/١٠٩٩م.

(٢) وكلمة الجيتو Ghetto تستخدم بشكل خاص للإشارة لأحياء اليهود فى أوروبا. ويذكر د. عبدالوهاب المسيرى أن إنشاء الأحياء التى تركز اليهود فيها قد تم طواعية أى برغبتهم هم كأقلية دينية. =

شعائرهم، وهو ما سنراه فيما بعد، ومن هنا فإن مجرد ذكر اسم دار ليهودى، أو كنيسة خاصة باليهود، تعنى أنها تقع فى حارة خاصة باليهود.

وسنعرض فى الصفحات القادمة أسماء أحياء اليهود وأسماء دورهم، خاصة فى مدينتى الفسطاط والقاهرة، باعتبارهما أكبر عاصمتين فى مصر تحت الحكم الإسلامى.

وفى رأينا أن أحياء اليهود التى ذكرتها المصادر الإسلامية فى مدينة الفسطاط لا تعنى أنها كانت موجودة عندما وضع أساس المدينة، فقد كانت ـ كما يظهر من تخطيطها ـ مدينة عربية خالصة يسكنها العرب وقبائلهم فقط. فلما فقدت مركزها كعاصمة لمصر، سكن فيها أيضا أهل الذمة من اليهود والأقباط، ومن هنا أشارت المصادر الإسلامية إلى أسماء أحياء خاصة باليهود فى مدينة الفسطاط.

كذلك الحال بالنسبة للقاهرة، التى بناها جوهر الصقلى[1] فى بادئ الأمر لتكون سكناً للمعز وحاشيته وحريمه وقبائله، فلم يكن بها سوى قصر الخليفة، والجامع الأزهر،

= وعن أصل كلمة (الجيتو) يقول د. عبدالوهاب المسيرى: إنه غير معروف على وجه الدقة، فيقال إنها حى اليهود فى البندقية نسبة إلى (الجيتو) أو مصنع المدافع الذى أقيم بجواره. ويقال أيضا إن الكلمة مشتقة من الكلمة الألمانية (جهكتر) التى تعنى (مكاناً محاطاً بالأسوار)، أو الكلمة العبرية (جت) بمعنى (الإنفصال)، أو (الطلاق) الواردة فى التلمود. ولعل أكثر الافتراضات قربا من الواقع هو ذلك الذى يعود بالكلمة إلى لفظة (بورجيتو) الايطالية التى تعنى (قسماً صغيراً من المدينة).

(1) وهو القائد أبو الحسن جوهر بن عبدالله المعروف بالكاتب الرومى. كان من موالى المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى صاحب افريقية. وقد جهزه إلى الديار المصرية ليأخذها بعد وفاة كافور الإخشيدى، وسير معه العساكر. وكان رحيله من افريقية فى ربيع الأول عام ٣٥٨هـ/٩٦٨م، وفتح مصر فى شعبان من نفس العام ٣٥٨هـ/٩٦٨م. ولما استقر جوهر بمصر شرع فى بناء القاهرة، وأقام بها حتى وصل إليه المعز لدين الله. وفى عام ٣٦٤هـ/٩٧٤م عزله المعز عن دواوين مصر وجباية أموالها. وكان محسناً إلى الناس. وقد توفى بمصر فى ذى القعدة عام ٣٨١هـ/٩٩١م فكفّن فى سبعين ثوباً ما بين مُثْقَل ووَشْى مُذَهَّب، وصلى عليه العزيز بالله الخليفة الفاطمى، وخلع على ابنه الحسين، وجعله فى رتبة أبيه، ولقّبه القائد ابن القائد.

وثكنات الجنود، ودور المغاربة، ورجال الحاشية، وحرس الخليفة، ولم يكن فى تخطيطها أحياء خاصة باليهود، ولكن الأحياء التى ذكرتها المصادر الإسلامية فى القاهرة ظهرت بعد ذلك، وكان ذلك ـ فى رأينا ـ تبعاً لسياسة الدولة الفاطمية التى زاد فيها نفوذ اليهود ووصلوا لأعلى المناصب الحكومية ـ كما سنرى فيما بعد ـ وبالتالى أوجدت لهم مكانا للعيش فيها، لذلك يقول ابن سعيد عن مدينة القاهرة: «وأكثر ما يتعيش بها اليهود والنصارى فى كتابة الخراج والطب».

ويؤيد ما ذكرناه «مارك كوهن» الذى يرى أن اليهود الذين سكنوا القاهرة كانوا فى الأساس من العائلات اليهودية ذات الصلة بالحكومة، وأنه لذلك ظل عدد سكان اليهود فى القاهرة أقل من عددهم فى الفسطاط حتى القرن ٧هـ/١٣م.

أحياء اليهود فى الفسطاط[1]:

يذكر ابن دقماق أن اليهود كانوا يسكنون فى الفسطاط فى زقاق عرف باسمهم وهو «زقاق اليهود»، وكان بداية طريق هذا الزقاق يمين السالك من باب قصر الشمع، بجوار الكنيسة المعلقة.

كما يتضح مما ذكره ابن دقماق أن اليهود سكنوا موضعا آخر كذلك فى الفسطاط، فى المنطقة المعروفة باسم «المصاصة»، وذلك بجوار خوخة خبيصة، فيذكر ابن دقماق أن رئيس اليهود بالمصاصة فتح بابا من داره ـ المقابل للمسجد الأرضى ـ يسلك منه من هذه الخوخة.

---

(1) وعن بناء مدينة الفسطاط أنظر، بتلر: فتح العرب لمصر، ج٢؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى، ج١؛ سيدة كاشف: مصر فى فجر الإسلام؛ مصر فى عصر الولاة؛ ستانلى لينبول: سيرة القاهرة؛ محمد عبدالله عنان: مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية؛ عبدالرحمن زكى: الفسطاط وضاحيتاها العسكر والقطائع؛ هويدا عبدالعظيم رمضان: المجتمع فى مصر الإسلامية، ج٢ وما ذكروا من مصادر.

احياء اليهود فى القاهرة[1]:

تذكر المصادر الإسلامية أن اليهود سكنوا الحارة المعروفة باسم «حارة الجودرية»[2]، وإن لم تذكر الزمن الذى سكن فيه اليهود فى هذه الحارة، ومن ثم اعتبرت حارة خاصة باليهود فقط، فيقول القلقشندى فى سياق حديثه عن هذه الحارة: «ثم سكنها اليهود بعد ذلك»، ويقول المقريزى: «كانت سكن اليهود والمعروفة بهم».

وحارة الجودرية ـ كما يقول القلقشندى ـ تنسب إلى «جودر خادم عبيد الله المهدى أبى الخلفاء الفاطميين، اختطوها وسكنوها حين بنى جوهر القاهرة». أما المقريزى فيقول إنها تنسب «إلى جماعة تعرف بالجودرية اختطوها، وكانوا أربعمائة منهم أبو على منصور الجودرى الذى كان فى أيام العزيز بالله، وزادت مكانته فى أيام الحاكمية».

ويذكر المقريزى نقلا عن المسبحى أنها تنسب إلى إحدى طوائف العسكر فى خلافة الحاكم بأمر الله وهى طائفة الجودرية.

لكن يبدو لنا مما ذكره القلقشندى والمقريزى أنها عرفت بهذا الإسم قبل زمن الحاكم بأمر الله[3]، فالقلقشندى أرجع تخطيطها إلى جوهر عندما بنى القاهرة، والمقريزى

---

(١) وعن بناء مدينة القاهرة أنظر، حسن ابراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، محمد عبدالله عنان: مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية؛ على ابراهيم حسن: جوهر الصقلى؛ حسن الباشا: الآثار الإسلامية؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية فى مصر وما ذكروا من مصادر.

(٢) وعن موقع حارة الجودرية الآن يقول الأستاذ محمد رمزى إنها تقع فى المنطقة التى يخترقها شارع الجودرية وفروعه، وحارة الجودرية الكبيرة، وحارة الجودرية الصغيرة وعطفة الجودرية.

(٣) وهو أبو على منصور بن العزيز بالله بن المعز العبيدى الملقب الحاكم بأمر الله. صاحب مصر والشام والحجاز والمغرب. ولد بالقاهرة عام ٣٧٥هـ/٩٨٥م ولاه أبوه العزيز عهد الخلافة فى شعبان عام ٣٨٣هـ/٩٩٣م، ثم استقل بالأمر بعد وفاة والده عام ٣٨٦هـ/٩٩٦م.

تذكر المصادر الإسلامية أن سيرته كانت من أعجب السير، فكان كثير التلون فى أفعاله وأحكامه وأقواله، يخترع كل وقت أحكاما يحمل الناس على العمل بها، ومنها: أنه أمر بسب الصحابة ثم أمر بقطع ذلك، نهى عن بيع الملوخية والجرجير والسمكة التى لا قشر لها، كما أمر أهل الذمة من =

ذكر أن من الجودرية أبو على المنصور الجودرى الذى كان فى أيام العزيز بالله[1] الـذى سبق الحاكم بأمر الله.

على أية حال، فقد ظل اليهود مقيمين فى حارة الجودرية إلى أن بلغ الحاكم الفاطمى أنهم يجتمعون بها فى أوقات خلواتهم، ويغنون:

وأمة قد ضلوا، ودينهم معتل   قال لهم نبيهم: نعم الإدام الخل

ويسخرون من هذا القول، ويستهزؤن بالمسلمين، ويتعرضون إلى مالا ينبغى سماعه، فحينئذ أمر الحاكم بأمر الله بسد أبوابها ليلا، وأحرقها بمن كان موجودا بها من اليهود ويذكر المقريزى أنه منذ ذلك الوقت «لا يبيت فيها يهودى ولا يسكنها أبدا».

حارة زويلة(*):

بعدما أحرق الحاكم بأمر الله حارة الجودرية، تذكر المصادر الإسلامية أنه أفرد لليهود حارة زويلة، وأسكنهم بها، وكان ذلك فى عام ٣٨٩هـ/٩٩٩م.

= اليهود والأقباط بمجموعة من الأوامر، سنذكرها فى المتن فى حينها سواء فيما يختص بالملابس أو الكنائس أو غيرها. ومنع النساء من الخروج، ومنع من غلق الحوانيت ليلا وغير ذلك الكثير..

وقد مات مقتولا فى شوال عام ٤١١هـ/١٠٢٠م. وهناك بعض المصادر الإسلامية التى تشير بأصابع الاتهام إلى أخته ست الملك بأنها هى التى دبرت قتله.

(١) وهو أبو المنصور نزار بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى العبيدى الملقب العزيز بالله. صاحب مصر وبلاد الشام والمغرب. ولد بالمهدية عام ٣٤٤هـ/٩٥٥م، وقد ولى العهد بمصر فى ربيع الآخر عام ٣٦٥هـ/٩٧٥م واستقل بها بعد وفاة أبيه فى نفس العام.

كان كريما، شجاعا، حسن العفو عند المقدرة، وهو الذى اختط جامع مصر القاهرة، وبنى قصر البحر، وقصر الذهب وجامع القرافة. وزادت مملكته على مملكة أبيه، ففتحت له حمص وحماه وشيزر وحلب وخطب له بالموصل عام ٣٨٢هـ/٩٩٢م.

وقد توفى فى رمضان عام ٣٨٦هـ/٩٩٦م من علة ألمت به، وقام بالأمر من بعده ابنه الحاكم.

(*) مشكّلة فى كتاب ابن إياس (زُوَيْلة) بضم الزاى وفتح الواو. وذكرها المقريزى نقلاً عن ياقوت بفتح الزاى وكسر الواو وياء ساكنة وفتح اللام (زَوِيْلَة).

وترى الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف أن تشكيل المقريزى هو الأصح.

ومن دور اليهود المعروفة، والتى كانت فى حارة زويلة، وذكرتها المصادر الإسلامية:

دار ابن قرقة الطبيب:

وكانت هذه الدار - كما يقول المقريزى نقلا عن ابن عبدالظاهر - بأول حارة زويلة من جهة باب الخوخة على يسرة السالك إلى داخل الحارة، وإلى جانبها حمام ابن قرقة أيضا.

ويذكر أبو المحاسن أن هذه الدار كانت تطل على شاطئ الخليج أمام منظرة الغزالة.

وهذه الدار كانت ملكاً للطبيب اليهودى أبو سعيد بن قرقة، لذلك نسبت إليه، وقد باعها مع الحمام الذى يملكه والذى عرف باسمه عندما تعرض للمصادرة. ويذكر المقريزى أن الدار والحمام قد تعرضا للهدم، وصار موضعهما الجامع المعروف بجامع ابن المغربى(*).

وقد نسب الدرب الذى يقع فيه دار ابن قرقة إليه، فعرف بدرب ابن قرقة.

(*) وهذا الجامع بالقرب من بركة قرموط، مطلّ على الخليج الناصرى، أنشأه صلاح الدين يوسف بن المغربى رئيس الأطباء بديار مصر، وبنى بجانبه قبة دفن فيها، وعمل به درسا وقرّاء ومنبرا يخطب عليه فى يوم الجمعة، وكان عامرا بعمارة ما حوله، فلما خرب خط بركة قرموط تعطل، وهو آيل إلى أن ينقض، ويباع كما بيعت أنقاض غيره.

وعن موقع جامع ابن المغربى الآن يقول الأستاذ محمد رمزى: «وهو الآن خرب، ومحله أرض فضاء يتوصل إليها إما من باب المنزل رقم ٧ بشارع بين السورين، وإما من عطفة بابانى التى بشارع مكسر الخشب الموصل إلى حارة زويلة. ومدخل هذا الشارع فى أول الميدان الفاصل بين شارع الموسكى وشارع السكة الجديدة».

دار ابن جميع الطبيب:

وكانت هذه الدار أيضا بحارة زويلة. ويذكر المقريزى أن دار ابن جميع الطبيب(*) أصبحت فيما بعد المدرسة العاشورية[1]. ويبدو أن هذه الدار كانت تقع فى أول حارة زويلة، لأن المقريزى يذكر أن المدرسة العاشورية - موقع الدار - كانت تقع بالقرب من المدرسة القطبية الجديدة[2] التى كانت فى أول حارة زويلة.

حارة الوزيرية:

هى نسبة إلى الوزير اليهودى يعقوب بن كلس(**) وزير العزيز بالله الفاطمى، وكانت سكناً لعبيده وحاشيته ومماليكه.

(*) وعنه بالتفصيل أنظر، الموضوع الخاص بالأطباء اليهود فى مصر.

(١) هذه المدرسة بحارة زويلة من القاهرة، بالقرب من المدرسة القطبية الجديدة، ورحبة كوكاى. قال ابن عبدالظاهر: كانت دار اليهودى ابن جميع الطبيب، وكان يكتب لقراقوش، فاشترتها منه الست عاشوراء بنت ساروح الأسدى زوجة الأمير أيازكوج الأسدى، ووقفتها على الحنفية. وكانت من الدور الحسنة، وقد تلاشت هذه المدرسة، وصارت طوال الأيام مغلوقة لا تفتح إلا قليلا، فإنها فى زقاق لا يسكنه إلا اليهود، ومن يقرب منهم فى النسب.

(٢) هذه المدرسة فى أول حارة زويلة برحبة كوكاى، عرفت بالست الجليلة الكبرى عصمة الدين مؤنسة خاتون، المعروفة بدار إقبال العلائى ابنة الملك العادل أبى بكر بن أيوب، وشقيقة الملك الأفضل قطب الدين أحمد، وإليه نسبت. وكانت ولادتها فى عام ٦٠٣هـ/١٢٠٦م، ووفاتها عام ٦٩٣هـ/١٢٩٣م. وكانت قد سمعت الحديث، وخرّج لها الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد الظاهرى أحاديث حدثت بها. وكانت عاقلة، ديّنة، فصيحة، لها أدب وصدقات كثيرة، وتركت مالا جزيلا، وأوصت ببناء مدرسة يجعل فيها فقهاء وقرّاء، فبنيت هذه المدرسة، وجعل فيها درس للشافعية ودرس للحنفية وقرّاء وهى إلى اليوم عامرة.

ويبدو أنها عرفت بالمدرسة القطبية الجديدة حتى يفرق بينها وبين المدرسة القطبية التى ذكرها المقريزى فى كتابه وكانت تقع بالقاهرة فى خط سويقة الصاحب بداخل درب الحريرى. وكانت هذه المدرسة قد بنيت قبلها عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م.

(**) وعنه بالتفصيل أنظر، الفصل الخاص باليهود والإدارة فى مصر.

ويقول الأستاذ محمد رمزى عن مكان هذه الحارة: «كانت هذه الحارة فى زمن الدولة الفاطمية حارة كبيرة، تقع فى المنطقة التى تحدّ اليوم من الشمال بسكة اللبودية وشارع الوزير الصاحب (المسمى الآن خطأ شارع السلطان الصاحب)، ومن الغرب شارع درب سعادة، ومن الجنوب بالجزء الغربى من سكة النبوية، والشمالى من حارة الجودرية، ومن الشرق بشارع بلبيس.

وفى عهد الدولة الأيوبية ودولتى المماليك قسمت هذه الحارة إلى جملة أخطاط ودروب، وأصبحت حارة الوزيرية قاصرة على المنطقة الصغيرة التى تحدّ من الشمال اليوم بعطفة الصاوى، ومن الغرب بشارع درب سعادة، ومن الجنوب بالجزء الغربى من سكة النبوية، ومن الشرق بالجزء الغربى من حارة الجودرية».

وقد أوردت بعض الدراسات أن دار يعقوب بن كلس كانت تقع فى حارة الوزيرية، تأسيساً على أن المدرسة الصاحبية التى كانت جزءاً من داره ـ كما سنرى ـ كانت تقع فى حارة الوزيرية.

ووفقا لما أورده المقريزى، فقد حل مكان دار يعقوب بن كلس فيما بعد: درب الحريرى ودرب ابن قطز[١]، والمدرسة السيفية[٢]، والمدرسة الصاحبية[٣].

---

(١) ودرب الحريرى هو من جملة دار الديباج هو ودرب ابن قطز. ودرب الحريرى يتوصل إليه من أول سويقة الصاحب، وفيه المدرسة القطبية، وقد عرف بالقاضى نجم الدين محمد بن القاضى فتح الدين عمر المعروف بابن الحريرى الذى كان ساكنا فيه.

أما درب ابن قطز فكان بجوار مستوقد حمام الصاحب، ورباط الصاحب من خط سويقة الصاحب، وقد عرف بناصر الدين بن بلغاق بن الأمير سيف الدين قطز المنصورى.

(٢) المدرسة السيفية بالقاهرة فيما بين خط البندقانيين وخط الملحيين، وموضعها من جملة دار الديباج. قال ابن عبدالظاهر: كانت داراً وهى من المدرسة القطبية، وهى نسبة إلى سيف الإسلام أى طفتكين بن أيوب وهو ظهير الإسلام، سيف الإسلام الملك المعز بن نجم الدين أيوب بن شادى أخو صلاح الدين الأيوبى، وقد توفى عام ٥٩٣هـ/١١٩٦م باليمن.

=

وقد عرف دار يعقوب بن كلس بعد وفاته، وفى زمن الخلافة الفاطمية باسم دار الديباج، يعنى دار الطراز ينسج فيها الديباج، أى الحرير. وقد نسب إليها الخط، فقيل للموضع كله: خط دار الديباج. وعندما سكن فى هذا الخط الوزير صفى الدين عبدالله بن على بن شكر[١] فى أيام العادل أبى بكر بن أيوب[٢]

= درسة الصاحبية بالقاهرة فى سويقة الصاحب، كان موضعها من جملة دار الوزير يعقوب بن كلس، ومن جملة دار الديباج. أنشأها الصاحب صفى الدين بن على بن شكر وزير العادل أبى بكر بن أيوب.

وعن موقع هذه المدرسة يقول الأستاذ محمد رمزى إنها «كانت واقعة بين المدرسة الزمامية، وبين المدرسة الفخرية. والظاهر أن هذه المدرسة قد اندثرت، واستولى على أرضها أصحاب الدور المجاورة لها، ولم يبق من آثارها إلا بعض جدران قبة قديمة لعلها موضع القبة التى دفن تحتها الوزير يعقوب بن كلس. ويشغل مكان هذه المدرسة اليوم منزلان متجاوران، البحرى منهما وقف الشيخ محمد ونس الفقى رقم ٨ بشارع الوزير الصاحب (المسمى خطأ باسم السلطان الصاحب)، وهذا الشارع هو الذى كان يعرف قديما باسم سويقة الصاحب، وكان فيه باب المدرسة. والقبلى منهما هو ورثة محمد أفندى على حلاوة رقم ٤ بزقاق سعادة بعطفة الست بيرم بشارع درب سعادة، وفى داخل هذا المنزل، توجد بقايا القبة السابق ذكرها».

(١) وهو الوزير صفى الدين أبو محمد عبدالله بن على بن عبدالخالق بن شكر. ولد بالديار المصرية بدميرة بين مصر واسكندرية عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م، ودفن بتربته عند مدرسته بمصر، وقد وزّر للملك العادل، وعمل أشياء فى أيامه منها: تبليط جامع دمشق، وأحاط سور المصلى عليه، وعمل الفوارة ومسجدها. وقد نكب وعزل عام ٦١٥هـ/ ١٢١٨م، وبقى معزولا إلى هذه السنة، فكانت فيها وفاته. وقد كان مشكور السيرة، ومنهم من يقول كان ظالما.

وقد ذكره ابن كثير فى موضع آخر من ضمن الأعيان الذين توفوا عام ٦٣٠هـ/١٢٣٢م.

(٢) وهو أبو بكر محمد بن أبى الشكر أيوب بن شادى بن مروان، الملقب الملك العادل سيف الدين أخو السلطان صلاح الدين. وصل إلى مصر فى صحبة أخيه وعمه أسد الدين شيركوه، ولما ملك صلاح الدين الديار المصرية كان ينوب عنه عندما يسافر إلى الشام. وقد خطب للملك العادل أبى بكر بن أيوب بالقاهرة ومصر يوم الجمعة ٢١ شوال عام ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م، وخطب له بحلب يوم الجمعة ١١ جمادى الآخرة عام ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م، وملك معها البلاد الشامية والشرقية، ثم ملك بلاد اليمن عام ٦١٢هـ/ ١٢١٥م. ولما تمهدت له البلاد قسمها بين أولاده، فأعطى الملك الكامل الديار المصرية، والملك المعظم البلاد الشامية، والملك الأشرف البلاد الشرقية، والملك الأوحد بلاد أرمينية وميّافارقين وتلك النواحى ومدينة خلاط. وقد توفى عام ٦١٥هـ/ ١٢١٨م.

(٥٩٦-٦١٥هـ/ ١١٩٩-١٢١٨م)، وأنشأ به مدرسته التى تعرف باسم المدرسة الصاحبية، وأنشأ به رباطه وحمامه المجاورين للمدرسة - عرفت هذه السويقة بسويقة الصاحب، كما نسب إليها الخط، فقيل للموضع كله: خط سويقة الصاحب.

على كل حال، فبعد أن تعرضنا لأماكن سكنى اليهود، سواء فى الفسطاط أو فى القاهرة، نشير إلى القيود أو الأحكام التى فرضت على منازل أهل الذمة عموما، سواء التى فرضها الخلفاء أو التى فرضها الفقهاء. على أنه من الملاحظ ـ كما تقول د. سيدة كاشف ـ أن التشريعات التى كانت تصدر ضد أهل الذمة، لم تكن تنفذ كاملة، وكان أثرها يخف كثيرا إلى أن تقوم تشريعات جديدة لتأكيدها.

تذكر المصادر الإسلامية أنه فى عام ٢٣٥هـ/٨٤٩م أمر الخليفة المتوكل[١] (٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٦-٨٦١م) بأخذ العشر من منازل أهل الذمة، وأن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب، تفريقاً بين منازلهم ومنازل المسلمين[٢]. ويضيف الطبرى: بأن الموضع إذا كان واسعاً يصير مسجداً، وإن كان لا يصلح أن يكون مسجداً، صيِّر فضاء.

أما فى زمن الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م)، يذكر ابن إياس أنه عندما أفرد لليهود حارة زويلة «أمرهم ألاّ يخالطوا المسلمين فى حاراتهم.».

---

(١) وهو أبو الفضل جعفر بن المعتصم بن المهدى بن المنصور العباسى. ولد عام ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م. وقد بويع له بالخلافة بعد أخيه الواثق فى ذى الحجة عام ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م. وقتل فى شوال عام ٢٤٧هـ/٨٦١م، ودفن فى القصر الجعفرى وهو قصر بناه بسر من رأى. وتذكر المصادر الإسلامية أن ابنه المنتصر هو الذى تآمر على قتله.

(٢) تذكر الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف أن المتوكل عاد عن هذه الأوامر فى أواخر أيامه، ولعل أبلغ مثل لذلك أن ساويرس الذى كان قد اشترك مع مؤرخى الخلافة ومؤرخى مصر الإسلامية فى تفصيل اضطهاد المتوكل لأهل الذمة، عاد بعد ذلك يمتدح المتوكل مدحاً كثيراً، ويقول إنه فى أواخر أيام المتوكل استقامت أمور النصارى وأسبغت عليهم النعم العظيمة.

كما تذكر المصادر الإسلامية أنه عندما أمر الحاكم فى عام ٣٨٨هـ/٩٩٨م بألاّ تغلق أبواب مصر ليلاً، أمر كذلك بأن تشعل المشاعل على أبواب المنازل والحارات. ويفهم من ذلك أن هذا الأمر انطبق على منازل المسلمين، وعلى منازل أهل الذمة على حد سواء.

ووفقـا لآدم متز فإنه فى هـذا العصر ظهر لأول مرة، منع أهل الذمة من تعلية بيوتهم على أبنية المسلمين، فإن ملكوا بيوتاً عالية أقرّوا عليهـا، ومنعوا من الإشراف منها على المسلمين.

ويقول الأبشيهى عن أصحاب الشافعى: «ويمنعون أن يتطاولوا على المسلمين فى البناء، وتجوز المساواة، وقيل لا تجوز، وإن تملكوا داراً عالية أقرّوا عليها».

ويقول القلقشندى فى كتابه تحت عنوان «فى ذكر ما يحتاج الكاتب إلى معرفته فى عقد الذمة»: «أنهم لا يرفعون ما يبنّونه على بنيان جيرانهم من المسلمين، ولا يساوونه به، ولو كان فى غاية الانخفاض، ويمْنع من ذلك، وإن رضى الجار المسلم، لأن الحق للدين دون الجار، وله أن يرفع ما بناه بمحَلّة منفصلة عن أبنية المسلمين. ولو اشترى بناء عاليا بقى على حاله، فلو انهدم فأعاده لم يكن الرّفع على المسلم ولا المساواة».

ويتضح من ذلك اختلاف آراء الفقهاء، فبينما أجاز بعضهم مساواة منازل أهل الذمة مع منازل المسلمين، منعه البعض الآخر، هذا فى الوقت الذى منعوا فيه تطاول منازل أهل الذمة على منازل المسلمين، إلا أنهم إذا كانوا متملكين داراً عالية بالفعل أقروا عليها، أى بقى الوضع على ما هو عليه.

الحمامات:

كانت الحمامات[١] الخاصة باليهود من ضمن العمائر المدنية التى تضمها الحارة اليهودية.

---

(١) قال ابن سيده: الحمام والحَميم والحميمة جميعها تعنى الماء الحار. والجمع حمامات.

وتذكر المصادر الإسلامية الكثير من أسماء الحمامات العامة والخاصة فى مصر[1]، ولكنها بالنسبة لحمامات اليهود، لا تشير إلا إلى اسمين فقط ـ كما سنرى ـ وذلك خلال فترة بحثنا الممتدة من الفتح العربى ٢٠هـ/٦٤١م إلى نهاية الدولة الأيوبية ٦٤٨هـ/١٢٥٠م أى لمدة تبلغ حوالى ستة قرون كاملة.

ويبدو أن السبب فى ذلك ـ فى رأينا ـ يرجع إلى قلة عدد اليهود بالنسبة لعدد المسلمين والأقباط فى مصر، وهو ما يعنى أنهم لم يكونوا فى حاجة إلى حمامات كثيرة، هذا إلى جانب أنه كان فى استطاعة اليهود استخدام بعض الحمامات العامة مع المسلمين، فيما عدا بعض الأوقات التى فرضت عليهم فيها القيود بشأن استخدامهم حمامات المسلمين، والتى أفرد فيها لهم حمامات خاصة.

وقد ركزت المصادر الإسلامية على القيود التى فرضت على أهل الذمة عند استخدامهم للحمامات. ومن خلال دراستنا لهذه القيود لاحظنا أنها انقسمت إلى نوعين: النوع الأول وهى قيود شملت أهل الذمة فقط. والنوع الثانى وهى قيود شملت أهل الذمة مع المسلمين.

وقد وجدنا من الضرورى فى بداية هذا الموضوع أن نعرض هذه القيود أو الأوامر، لأنه من خلال دراستنا لها استطعنا أن نقسم أنواع الحمامات التى كان باستطاعة اليهود الدخول إليها.

وبالنسبة للنوع الأول، وهى القيود التى شملت أهل الذمة فقط، نلاحظ أنها تناولت أمرين:

الأمر الأول: عند دخول الحمام وذلك بتمييز أهل الذمة عن المسلمين.

---

(١) تذكر المصادر الإسلامية أن عمرو بن العاص عندما فتح الاسكندرية وجد بها أربعة آلاف حمام. وكان بالفسطاط كما يذكر المقريزى ألف ومائة وسبعون حماماً. ويقول ابن إياس: إن مدينة تنيس كان بها ثلاثون حماماً.

والأمر الثانى: فصل حمامات أهل الذمة عن حمامات المسلمين، وبمعنى آخر تخصيص حمامات لأهل الذمة.

وبالنسبة للأمر الأول، تذكر المصادر الإسلامية أنه فى عام ٣٩٨هـ/١٠٠٧م أمر الحاكم بأمر الله أهل الذمة[*] «أن يشدوا فى أعناقهم أجراساً عند دخول الحمامات، ليتميزوا بها عن المسلمين».

ويتفق أمر الحاكم فى هذا مع رأى أصحاب الشافعى الذى أورده الأبشيهى فى كتابه، وهو أن «يكون فى رقابهم خاتم من نحاس، أو رصاص، أو جرس يدخلون به الحمام»[2].

ويضيف خواندمير فى كتابه أن من أوامر الحاكم كذلك «أن يرتدوا خارج الحمام قلادة ملونة، ويدخلوا الحمام بالخلخال حتى يميزهم عن المسلمين».

على أنه صدرت بعد ذلك أوامر بتمييز اليهود عن الأقباط، عند دخولهم الحمامات مع المسلمين.

فيذكر ابن خلكان أنه فى عام ٤٠٣هـ/١٠١٢م أمر الحاكم بأمر الله أن يكون فى عنق اليهودى ـ إذا دخل الحمام ـ الجلجل، أما النصرانى فيكون فى عنقه الصليب.

ويبدو أن الحاكم قد أعاد هذا الأمر مرة أخرى فى عام ٤٠٤هـ/١٠١٣م، لأن المقريزى يذكر أنه فى عام ٤٠٤هـ «ألزم اليهود أن يكون فى أعناقهم جرس إذا دخلوا الحمام، وأن يكون فى أعناق النصارى صلبان».

هذا بالنسبة للأمر الأول من الأوامر التى فرضت على أهل الذمة عند دخول الحمامات مع المسلمين، أما بالنسبة للأمر الثانى وهو إفراد حمامات خاصة لأهل الذمة.

(*) تذكر أ. د. سيدة كاشف أن أوامر الحاكم الفاطمى كانت أوامر استثنائية وفى فترات محدودة جداً، فقد امتاز عهده بالتقلب مع جميع المذاهب.

فتذكر المصادر الإسلامية أن المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٦-٨٦١م) منع أهل الذمة من دخول حمامات المسلمين، وبالتالى أفرد لهم حمامات خاصة بهم يكون خدمها منهم.

أما فى زمن الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م) تذكر المصادر الإسلامية أنه بعد عام ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م، وبالتحديد فى عام ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م أفرد حمامات للنصارى، وحمامات لليهود، ووضع على حمامات النصارى الصلبان، وعلى حمامات اليهود القرامى[1] الخشب.

ويذكر أبو المحاسن أن تخصيص الحاكم حمامات لأهل الذمة جاء بعد قراره بمنعهم من دخول الحمامات مع المسلمين.

هذا على كل حال فيما يتصل بالنوع الأول من القيود وهى التى شملت أهل الذمة وحدهم عند دخول الحمامات، وسنتناول الآن النوع الثانى من القيود الذى أوردته لنا المصادر الإسلامية، واشترك فيه أهل الذمة مع المسلمين.

تذكر المصادر الإسلامية أنه فى عام ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م أمر الحاكم بأمر الله كل من يدخل الحمام أن يدخله بمئزر[2](*).

وكان يتم التفتيش على الحمامات للتأكد من سريان هذا الأمر. فيقول المقريزى: «وقبض على جماعة، وجدوا فى الحمام بغير مئزر، فضربوا وشهروا».

ويبدو أن هذا الأمر قد استمر من عام ٣٩٥هـ/١٠٠٤م إلى عام ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م لأن المقريزى يذكر أنه فى عام ٣٩٧هـ/١٠٠٦م «كبست الحمامات، فأخذ عدة ممن وجد

---

(١) قُرْمَة الشجرة: ما بقى من أسفل جذعها إذا قطعت.

(٢) الإزار أو المئزر كما يسمى أحيانا عبارة عن قطعة قماش كبيرة تلف على الجسم، تعقد على وسطه من تحت السرة، وربما فيها أزرار. وأنظر عن الإزار اليهودى فى الموضوع الخاص بالملابس.

(*) وترى أ. د. سيدة كاشف أن أمر الحاكم هذا لمراعاة الآداب العامة، وأنه لا دخل له بأهل الذمة.

بغير مئزر، فضرب الجميع، لمخالفتهم الأمر، وشهروا». كما يذكر فى كتابه (اتعاظ الحنفا): «ونودى ألا يدخل أحد الحمام إلاّ بمئزر... وكبست الحمامات وأخذ منها جماعة وشَهّروا من أجل أنهم وجدوا بغير مئزر».

ونلاحظ من تاريخ إصدار هذه الأوامر أو القيود أنها سبقت الأوامر الخاصة بإفراد حمامات لأهل الذمة.

كما يدخل فى هذا النوع من القيود التى شملت أهل الذمة مع المسلمين القيود التى شملت السيدات عند دخول الحمام، فواضح أنها شملت كل السيدات، ولم تفصل بين المسلمة أو الذمية.

وكانت هذه القيود أو الأوامر تقتصر على منع النساء من الخروج من بيوتهن، والتوجه إلى الحمامات، كما حدث فى ولاية أيوب بن شرحبيل (٩٩-١٠١هـ/ ٧١٧-٧١٩م) من قبل عمر بن عبدالعزيز، فقد منع النساء من دخول الحمامات. وكذلك الحال فى ولاية مزاحم بن خاقان من قبل المعتز (٢٥٣-٢٥٤هـ/ ٨٦٧-٨٦٨م) فقد منع النساء من الخروج من بيوتهن والتوجه إلى الحمامات.

كذلك تذكر المصادر الإسلامية أن الحاكم بأمر الله منع سائر النساء من دخول الحمامات، حتى إنه مر يوماً بحمام الذهب الذى كان بمصر، فسمع فيها ضجيج النساء، فأمر بأن يسد عليهن باب الحمام، فسدّوه عليهن من الوقت والساعة وهو واقف عليه، فأقمن داخل الحمام حتى متن به!

وقد وضع أصحاب الشافعى قيوداً على المرأة الذمية عند دخولها الحمام، ليميزها عن المرأة المسلمة وهى أنه «يجب أن يكون فى عنقها خاتم تدخل به الحمام».

أما الشيخ الغزالى فيتضح من رأيه، أنه يجب أن يفصل بين حمامات السيدات المسلمات، وحمامات الذميات فهو يقول: «إن المرأة المسلمة يجب ألاّ تكشف جسمها للذمية فى الحمام».

وعلى كل حال، فيلاحظ من خلال عرضنا لهذه القيود أو الأوامر أن الحمامات التى كان باستطاعة اليهود الدخول إليها انقسمت إلى نوعين:

النوع الأول: وهى الحمامات الخاصة باليهود وتنقسم إلى:

١ ـ حمامات خاصة بالرجال.

٢ ـ حمامات خاصة بالسيدات.

النوع الثانى: وهو الحمامات العامة.

وبالنسبة للنوع الأول، فالمصادر الإسلامية لا تشير إلى أسماء الحمامات الخاصة باليهود إلا إلى اسمين فقط ـ فى حدود علمى. ويتضح من موقعى هذين الحمامين أنهما كانا يقعان فى حارة اليهود، وهذا أمر طبيعى كما ذكرت آنفا.

ومن الحمامات الخاصة باليهود، وذكرتها المصادر الإسلامية:

١. حمام الطبيب (أبو سعيد بن قرقة):

وهذا الحمام ـ كما يتضح من اسمه ـ أنشأه الطبيب ابن قرقة اليهودى بجوار داره التى سبق الإشارة إليها، والموجودة فى حارة زويلة بخط سويقة المسعودى.

وقد باع ابن قرقة هذا الحمام من داره التى يملكها ـ كما ذكرت سابقا ـ عندما تعرض للمصادرة.

ويذكر المقريزى أن هذا الحمام قد نسب فى الدولة الأيوبية إلى الأمير صارم الدين المسعودى[1]، كما نسبت إليه السويقة فعرفت بسويقة المسعودى.

---

(١) وهو الأمير صارم الدين قايماز المسعودى مملوك الملك المسعود ابن الملك الكامل. وقد ولى المسعودى ولاية القاهرة، وكان ظالما غاشما جبارا ـ كما يقول المقريزى. وتوفى يوم الاثنين النصف من ذى الحجة عام ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م فى ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، ضربه شخص فى دار العدل بسكين كان يريد أن يقتل بها الأمير عز الدين الحلى نائب السلطنة، فوقعت فى فؤاد المسعودى فمات لوقته.

ثم تعرض هذا الحمام والدار فيما بعد للهدم. وان كان المقريزى لم يحدد لنا بدقة الموضع الذى صار إليه الحمام والدار بعد الهدم، فبينما يذكر أن موضعهما صار فندقاً يعرف باسم فندق عماد (أو عمار) الحمّامى بجوار جامع ابن المغربى من جانبه الغربى. يذكر فى موضع آخر أن موضعهما صار الجامع المعروف بجامع ابن المغربى.

٢. حمام ابن أبى الدم اليهودى:

وهذا الحمام كذلك وكما يتضح من اسمه أنشأه ابن أبى الدم اليهودى، أحد كتّاب الإنشاء فى أيام الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م).

وعن موقع هذا الحمام يقول المقريزى: إنه كان فيما بين سويقة المسعودى وباب الخوخة[*]. وقد خرب هذا الحمام، ورأى المقريزى بعض آثاره ـ كما يقول هو فى كتابه.

هذا بالنسبة للحمامات الخاصة بالرجال، أما بالنسبة للحمامات الخاصة بالنساء اليهوديات، فالمصادر الإسلامية لا تشير إليها نهائيا ـ فى حدود علمى كما إنها لا تشير إلى حمامات النساء عموماً إلا نادراً، فطوال فترة بحثنا لم تشر المصادر الإسلامية إلا إلى حمامين للسيدات فقط وهما: حمام سهل، وحمام الذهب[**].

ومع ذلك، فربما كان للسيدات اليهوديات حمامات خاصة بهن فى حارة اليهود كما كان للرجال، وإن لم تذكرها المصادر الإسلامية. ومن المنطقى أن القرارات التى تصدر

(*) باب الخوخة: هو أحد أبواب القاهرة مما يلى الخليج فى حدّ القاهرة البحرى، يسلك إليه من سويقة الصاحب ومن سويقة المسعودى. وكان هذا الباب يعرف أولا بخوخة ميمون دبه، ويخرج منه إلى الخليج الكبير. وميمون دبه يكنى بأبى سعيد أحد خدام العزيز بالله.

(**) يقول المقريزى عن حمام الذهب: هذه الحمام كانت بدار الذهب أحد مناظر الخلفاء الفاطميين، وقد خربت هذه الحمام، ولم يبق لها أثر.

بفصل حمامات أهل الذمة عن حمامات المسلمين ـ كانت تنطبق بالضرورة على حمامات النساء والرجال لأهل الذمة، خاصة أن المصادر الإسلامية لم تذكر أن هذه القرارات كانت تنطبق على حمامات الرجال فقط.

على كل، فبعد أن تناولنا النوع الأول من الحمامات، وهى الحمامات الخاصة باليهود، نتناول النوع الثانى وهى الحمامات العامة.

وبداية نقول إنه من البديهى ـ فى رأينا ـ أن يكون العرب قد استخدموا حمامات أهل الذمة بعد فتحهم لمصر، ولمدة سنوات طويلة حتى ظهرت القرارات التى تفصل بين حمامات المسلمين وحمامات أهل الذمة ـ (صدر أول هذه القرارات كما يتضح من المصادر الإسلامية زمن المتوكل ٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٦-٨٦١م ومعنى ذلك أن المسلمين وأهل الذمة ظلوا يشتركون فى استخدام الحمامات لمدة قرنين من الزمان) ـ خاصة إذا علمنا أن الحمامات ليست من ابتكار المسلمين، ولكنها أخذت من الشعوب التى كانت قبلهم، وبخاصة اليونان.

بل نستطيع أن نقول إن اشتراك المسلمين مع أهل الذمة من الأقباط واليهود فى استخدام الحمامات فى مصر، قد استمر طوال فترة دراستنا الممتدة من الفتح العربى إلى نهاية الدولة الأيوبية، ما عدا الأوقات التى كانت تظهر فيها قرارات الفصل بينهما، فقد لاحظنا من دراستنا للمصادر الإسلامية، وخاصة للقرارات التى فرضت على أهل الذمة عموماً فى دخول الحمامات ـ أنه كان باستطاعة أهل الذمة من الأقباط واليهود دخول الحمامات مع المسلمين، وإلا فما الداعى لظهور قرارات لتمييز أهل الذمة فى الحمامات عن المسلمين، إذا كان لكل منهم حماماتهم الخاصة؟

هذا إلى جانب أن هذه الأوامر أو القيود لم تكن ذات أثر يذكر، فلم تظهر طوال فترة بحثنا إلا فى زمنين فقط: الأول، زمن المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٦-٨٦١م) الذى فصل بين حمامات المسلمين، وحمامات أهل الذمة. والثانى، زمن الحاكم بأمر الله

(٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م) الذى ميز أهل الذمة عند دخولهم الحمامات عن المسلمين، ثم أفرد لهم حمامات خاصة بعد ذلك. وبالطبع نلاحظ الفرق الزمنى الهائل بينهما (حوالى قرنين من الزمان) وما عداهما فلا تذكر المصادر أية قيود (أو أوامر) على أهل الذمة سواء عند دخولهم الحمامات أو حتى تخصيص حمامات خاصة بهم.

كذلك لاحظنا من المصادر الإسلامية أنه لم يكن باستطاعة أهل الذمة دخول جميع الحمامات، فيبدو أنه كانت هناك حمامات محرمة عليهم، وحمامات مسموح لهم بالدخول فيها. فيقول المقريزى عن حمام الصوفية الموجود بجوار الخانقاة الصلاحية ـ والتى أنشأها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لصوفية الخانقاه[1] ـ أنه كان «لا يدخلها يهودى ولا نصرانى».

أما عن نظام الخدمة فى هذه الحمامات، فيبدو كذلك أنها كانت واحدة فى جميع أنواع الحمامات، سواء الخاصة بالمسلمين، أو بأهل الذمة، لذلك سنعرض بعض الأمثلة من المصادر الإسلامية التى توضح نظام الخدمة فى الحمامات عموماً.

---

(١) الخوانك جمع خانكاه وهى كلمة فارسية معناها بيت، وقيل أصلها خونقاه. وقد حدثت فى الإسلام فى حدود الأربعمائة من سنى الهجرة، وجُعلت ليتعبد فيها المتصوفة.

والخانكاه الصلاحية بخط رحبة باب العيد من القاهرة، كانت تعرف أولاً فى الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء وهو الأستاذ قنبر أو عنبر أو بيان، ولقبه سعيد السعداء أحد الأستاذين المحنكين خدّام القصر زمن الخليفة المستنصر، وقد قتل عام ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م.

وكانت هذه الدار مقابل دار الوزارة، ثم ضمت لها، وأصبحت سكناً للوزراء منذ وزارة العادل رزيك بن الصالح. وعندما تولى مصر السلطان صلاح الدين الأيوبى، وقّف هذه الدار على الفقراء الصوفية الواردين من كل البلاد وذلك فى عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م، ورتب لهم فى كل يوم طعاما ولحما وخبزا، وبنى لهم حماماً بجوارهم، فكانت أول خانكاه عملت بديار مصر، وعرفت بدويرة الصوفية.

يذكر ابن دقماق أنه كان يقوم بالخدمة فى الحمامات عمال أو (بلأن)(*). ويورد لنا قصة عن دخول أحد الأشخاص أحد الحمامات فى زمن خمارويه[1] بن أحمد بن طولون (٢٧٠-٢٨٢هـ/ ٨٨٣-٨٩٥م)، يظهر منها أن عدد العمال المشتغلين فى أحد الحمامات فى مصر فى تلك الفترة، قد بلغ سبعين عاملاً، كما يظهر لنا نظام الخدمة فى الحمامات والتى توضح ضغط العمل، حتى إن العامل يضطر إلى خدمة اثنين أو ثلاثة معا، فيقول:

كان بالفسطاط فى جهته الشرقية حمام من بناء الروم، أدركتها عاملة زمن أحمد ابن طولون[2]، وكانت ملكاً لنجح الطولونى أحد قواد خمارويه، وعندما توفى سنة

(*) البلأن: المغسّل فى الحمّام.

(١) وهو الأمير أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون. ملك مصر والشام والثغور بعد موت أبيه بمبايعة الجند له فى يوم الأحد ١٠ ذى القعدة عام ٢٧٠هـ/٨٨٣م، وعندما ولى إمرة مصر أمر بقتل أخيه العباس الذى كان فى حبس أبيه أحمد بن طولون لامتناع العباس من مبايعته.

وعندما تولى الخلافة المعتضد أبو العباس بعد عمه المعتمد عام ٢٧٩هـ/٨٩٢م، بادر إليه خمارويه بالهدايا، وسأله أن يزوج ابنته قطر الندى لولده المكتفى بالله، فقال المعتضد: بل أنا أتزوجها. فتزوجها فى عام ٢٨١هـ/٨٩٤م، وجهزها خمارويه بجهاز عظيم الوصف، حتى قيل إن المعتضد أراد بزواجها أن يفقر أباها خمارويه فى جهازها.

وقد قتل خمارويه عام ٢٨٢هـ/٨٩٥م فى دمشق، وحمل إلى مصر، فصلى عليه ابنه جيش ودفن بها.

وكانت مدة ملكة على مصر والشام ١٢ سنة و١٨ يوما، وتولى مصر بعده ابنه أبو العساكر جيش بن خمارويه.

وخمارويه: بضم الخاء الموحدة وفتح الميم وبعدها ألف ثم راء مفتوحة وواو ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة.

(٢) وهو أحمد بن طولون الأمير أبو العباس التركى أمير مصر. ولد فى عام ٢١٤هـ/٨٢٩م. ولى مصر من قبل المعتز عام ٢٥٤هـ/٨٦٨م. وقد ملك مصر والشام والثغور الشامية. بنى الجامع المنسوب إليه فى عام ٢٥٩هـ/٨٧٢م، وفرغ منه فى عام ٢٦٦هـ/٨٧٩م، وأنفق على عمارته ١٢٠ ألف دينار. كما بنى البيمارستان، وبنى مدينة القطائع. وكانت له مائدة يحضرها كل يوم الخاص والعام، وألف دينار فى كل شهر للصدقة.

وتوفى بمصر عام ٢٧٠هـ/٨٨٣م من علة أصابته، وتذكر المصادر الإسلامية أنه عندما مرض خرج المسلمون بالمصاحف واليهود بالتوراة، والنصارى بالانجيل يدعون له. وقام بالأمر من بعده ابنه خمارويه.

٣١٧هـ/٩٢٩م انتقلت لديوان خمارويه. قال: فدخلتها فى زمن خمارويه، وطلبت بها صانعاً يخدمنى أى بلأنا، فلم أجد فيها صانعاً متفرغا لخدمتى، وقيل لى: إن كل صانع معه اثنان يخدمهم وثلاثة، فسألت: كم فيها من صانع؟ فأخبرت أن بها سبعين، أقل مَن معه ثلاثة، سوى مَن قضى حاجته وخرج، قال: فخرجت، ولم أدخلها لعدم مَن يخدمنى بها، ثم طفت غيرها، فلم أقدر على من أجده فارغاً إلا بعد أربعة حمامات، وكان الذى يخدمنى معه ثان، وإنها ألف ومائة وسبعون حماماً.

كما كان يقوم بالخدمة فى الحمامات إلى جانب هؤلاء العمال ـ حراس الملابس، فيذكر الكندى أن أبا صالح يحيى بن داؤود الشهير بابن ممدود، عندما تولى مصر من قبل المهدى (١٦٢-١٦٤هـ/ ٧٧٨-٧٨٠م) «مَنع حراس الحمامات أن يجلسوا فيها وقال: من ضاع له شئ فعلى أداؤه. فكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه، ويقول: يا أبا صالح احفظها. فكانت الأمور على هذا مدة ولايته».

وقد ذكر آدم متز فى كتابه أنه كان يقوم بخدمة الحمام خمسة نفر على الأقل، وإن لم يفسر دور كل منهم. وهم كما يقول: حمّامى، وقيّم، وزبّال (لأن الوقود فى الحمامات كان فى الغالب من الزبل اليابس)، ووقاد، وسقاء.

معابد اليهود:

جرى العرف على إطلاق اسم «معبد» على مكان عبادة اليهود، واسم «كنيسة» على مكان عبادة المسيحيين، وهو ما يجرى فى المصطلحات الأجنبية، إذ يطلق على كنيسة النصارى اسم «Church»، ويطلق على معبد اليهود اسم «Synagogue»، على أن المقريزى كان يطلق على معابد اليهود اسم كنائس، وهو ما يعنى أن اسم كنيسة كان يطلق على معبد اليهود فى زمنه. ومن هنا فسوف نستخدم المصطلحين معاً فى هذا البحث للدلالة على معابد اليهود.

وقد لاحظنا من خلال دراستنا لمواقع معابد اليهود أنها كانت جميعاً تقع فى نفس الحارة اليهودية.

كما لاحظنا أنه على الرغم من أن اليهود على اختلاف طوائفهم الدينية، كانوا يعيشون فى حارة واحدة ـ فإن كل طائفة كانت تبنى لها معبداً خاصاً بها لإقامة شعائرها الخاصة. لذلك وجدنا المصادر الإسلامية تشير إلى عدة معابد مختلفة لليهود فى الحارة الواحدة، يخص كل منها طائفة بعينها.

وقد اتسمت المعابد اليهودية ببعض السمات التى أوردها جويتاين فى كتابه، نذكر منها:

«الأبواب الثلاثية» التى تميزت بها عمارة المعبد اليهودى، فقد كان للمعبد اليهودى باب رئيسى، واثنان جانبيان.

«تابوت العهد المقدس» وهو عبارة عن صندوق خشبى، يوضع بين بوابتى المدخل، يشتمل على لفائف التوراة. وفى خطاب مؤرخ فى عام ٤٢٥هـ/١٠٣٣م نقرأ عن رجل ساهم بعشرة دنانير لإقامة تابوت العهد المقدس للمعبد اليهودى للفلسطينيين بالاسكندرية.

ويذكر جويتاين أن لفائف التوراة كانت من أكثر ممتلكات المعبد اليهودى أهمية وقدراً، وأن المعبد اليهودى للفلسطينيين كان يوجد فيه فى عام ٤٦٨هـ/١٠٧٥م ثمانية عشر مخطوطة توراة.

كذلك تميز المعبد اليهودى بتخصيص مكان لصلاة النساء، فكانت المعابد اليهودية للفلسطينيين والعراقيين بالفسطاط توجد بها شرفة عليا للنساء كانت تدعى «بيت النساء» bayt al-nisa، يتم الوصول إليها عن طريق سلم مدخل خاص يسمى «باب السر» bab al-sir أو «باب النساء» bab al-nisa، وكان هذا المدخل يقع على شارع جانبى يصل إلى الطريق العام، وكانت البوابة الرئيسية للمعبد تفتح عليه. وهذا الوصف شبيه بالمكان المخصص للسيدات فى جامع المسلمين فى عصرنا الحالى.

وكانت المعابد تضاء بالمصابيح الكثيرة، فيذكر جويتاين أنه فى عام ٤٦٨هـ/١٠٧٥م كان المعبد اليهودى للفلسطينيين مضاء بواحد وخمسين مصباحاً ما بين صغير وكبير.

وكان المعبد اليهودى للبابليين فى عام ٤٧٣هـ/١٠٨٠م به خمس وعشرون مصباحاً.

كذلك كانت المعابد اليهودية تزين جدرانها بقماش من الحرير السميك. وقد ظهر من خلال قوائم جرد المعابد أن هذا القماش كان يتركب من لونين فقط، فإما أن يتكون من الأخضر الفاتح مع أسود أو أزرق، أو يتكون من الأبيض مع أسود أو أحمر، وأحيانا كان يتم زخرفته بأقلام من الذهب والفضة.

كذلك كان المعبد يغطى بالحصير والسجاد، إلى جانب أن الأفراد كانوا يجلبون لأنفسهم وسائد للجلوس عليها، نظرا لأن صلاة اليهود الجماعية كانت تستغرق وقتا طويلا، وتتطلب منهم الجلوس معظم الوقت.

وكانت المعابد اليهودية تزخر بكثير من المخطوطات القديمة والمكتوبة بواسطة المفكرين المشهورين، التى كانت تعيرها إلى المدرسين والقضاة وغيرهم كما ظهر ذلك من سجلات الجنيزة، وهو ما يعنى أنه كان فى هذه المعابد مكتبات أو نحوها.

وفى الصفحات القادمة نتناول أسماء معابد اليهود ومواقعها كما وردت فى المصادر الإسلامية، كما نتناول قضية بناء وهدم الكنائس فى مصر، وكيف أفلتت المعابد اليهودية من عمليات الهدم لمدة أربعة قرون تقريبا.

على أنه وقبل الخوض فى أسماء معابد اليهود ومواقعها يجدر بنا أولا أن نشير إلى ما ذكره المقريزى فى كتابه من أن جميع كنائس اليهود الموجودة فى القاهرة محدثة فى الإسلام «بلا خلاف» ـ على حد قوله ـ أى باتفاق جميع الروايات. مما يجعلنا نعتقد أن معابد اليهود الأخرى كانت قد بنيت قبل دخول العرب مصر عام ٢٠هـ/٦٤١م.

وعن معابد اليهود فى مصر ومواقعها، يذكر المقريزى أن لليهود عدة كنائس بديار مصر، ففى الفسطاط توجد ثلاث كنائس: كنيسة بالمصاصة فى درب الكرمة، وكنيستان بقصر الشمع. أما فى القاهرة فتوجد لهم ست كنائس: كنيسة بحارة الجودرية، وخمسة كنائس بحارة زويلة. وفى الجيزة توجد فى قرية تابعة لها تعرف بقرية دموة كنيسة لليهود. أما فى القرى الغربية(*) فتوجد كنيسة لليهود عرفت باسم كنيسة جوجر.

وترى د. فاطمة عامر أن قلة عدد المعابد اليهودية بالنسبة لكنائس الأقباط، يرجع إلى قلة عددهم فى المجتمع المصرى، وهو رأى نوافقها عليه.

وسنتناول هذه المعابد بشئ من التفصيل، كما أوردها المقريزى فى كتابه.

أولا: معابد الفسطاط:

كنيسة المصاصة:

هذه الكنيسة ـ كما يقول المقريزى ـ يجلّها اليهود، وهى بخط المصاصة من مدينة مصر، وموضعها يعرف بدرب الكرمة، وإن كان ابن دقماق قد ذكر فى كتابه أنها بزقاق من أزقة درب الكرمة.

على أية حال، فقد بنيت هذه الكنيسة قبل ظهور الإسلام بنحو ستمائة وإحدى وعشرين سنة.

ويعتقد اليهود أن هذه الكنيسة كانت مجلساً لنبى الله إلياس، كما يزعمون أنها رممت فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

كذلك كان فى الفسطاط فى منطقة قصر الشمع كنيستان لليهود وهما:

(*) هكذا وردت فى المقريزى، ولا ندرى ما هو المقصود بالقرى الغربية، هل هى قرى مديرية الغربية؟

١ ـ كنيسة الشامين:

هذه الكنيسة بخط الشمع من مدينة مصر أى بقصر الروم، ويذكر ابن دقماق أنها بجوار خوخة خبيصة. أما السنة التى بنيت فيها فيذكر المقريزى أنه كتب على بابها بالخط العبرانى حفراً فى الخشب أنها بنيت قبل الهجرة بنحو ستمائة سنة.

وبهذه الكنيسة ـ كما يقول المقريزى ـ نسخة من التوراة لا يختلفون فى أنها «بخط عزرا النبى الذى يقال له بالعربية العزير»(١).

٢ ـ كنيسة العراقيين:

وهذه الكنيسة أيضا بقصر الشمع (الروم) بزقاق اليهود بجوار الكنيسة المعلقة.

وهكذا وتبعا لما أورده المقريزى فى كتابه، فقد كان بقصر الشمع كنيستان وهما: كنيسة الشاميين، وكنيسة العراقيين. وإن كان ابن دقماق لم يشر فى كتابه إلى أسماء كنائس اليهود بقصر الشمع، فنجد أنه قد ذكر أنه كان لليهود كنيسة بقصر الشمع فى بداية زقاق اليهود، كما ذكر فى موضع آخر عند الحديث على المسجد الأرضى الموجود بقصر الشمع أنه كان بجوار كنيسة اليهود. ولم يذكر ابن دقماق أسماء هذه الكنائس، وإلى أى طائفة تنتمى، كما لم يوضح هل كانت الكنيستان مختلفتان أو هما كنيسة واحدة!!؟

ثانيا: معابد القاهرة:

أما بالنسبة لعدد كنائس اليهود الموجودة فى القاهرة، يذكر المقريزى أنها كانت ست كنائس: كنيسة بحارة الجودرية، وخمس كنائس بحارة زويلة.

---

(١) ذكرت فى الفصل الخاص بالحياة الدينية لليهود نقلاً عن السموءل ابن يحيى الذى كان يهوديا ثم أسلم: أن عزرا هذا ليس هو العزير الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم. أنظر فى ذلك الموضوع الخاص بكتاب التوراة.

كنيسة بالجودرية:

هذه الكنيسة بحارة الجودرية، وقد خربت عندما أحرق الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م) حارة الجودرية على اليهود.

وكنائس اليهود بحارة زويلة هى:

١ ـ كنيسة القرّائين:

وهى كنيسة تختص بطائفة اليهود القرّائين، ويذكر المقريزى أن هذه الكنيسة كان يتوصل إليها من تجاه باب سرّ المارستان المنصورى فى حدرة ينتهى إليها بحارة زويلة، لكن عندما سدت الخوخة التى كانت هناك، صار لا يتوصل إليها إلاّ من حارة زويلة.

٢ ـ كنيسة ابن شميخ:

وهذه الكنيسة تختص أيضا بطائفة القرائين، وهى بجوار المدرسة العاشورية من حارة زويلة.

٣ ـ كنيسة الربانيين:

وهى كنيسة تختص بطائفة الربانيين من اليهود. وعن موقعها يقول المقريزى: «هذه الكنيسة بحارة زويلة، بدرب يعرف الآن بدرب البناءين يسلك منه إلى اتجاه السبع قاعات، وإلى سويقة المسعودى وغيرها».

٤ ـ كنيسة السامرة:

وهى كنيسة تختص بطائفة السامرة، وتقع بحارة زويلة فى خط درب ابن الكورانىّ.

٥ ـ كنيسة دار الحدرة:

وهى بحارة زويلة، يذكر المقريزى أنها فى درب يعرف الآن بدرب الرايض. وقد ذكرت سابقا أن المقريزى ربما كان قد أشار إلى ما تختص به هذه الكنيسة من طوائف اليهود، إلاّ أنها لم تظهر فى النص المحقق.

هذا بالنسبة للكنائس الخمسة الخاصة باليهود، والموجودة بحارة زويلة فى القاهرة، وفقا لما أورده المقريزى فى كتابه. إلا أن المقريزى كان قد أشار فى موضع آخر من كتابه إلى كنيسة لليهود (موجودة فى زمانه) بزقاق القابلة الموجود فى حارة زويلة. وذكر أن زقاق القابلة عرف بزقاق العسل، ثم بزقاق المعصرة، ثم عرف «اليوم» (أى فى زمانه) بزقاق الكنيسة، نسبة إلى كنيسة اليهود الموجودة به كما يتضح مما ذكره.

إلا أن المقريزى لم يذكر اسم كنيسة اليهود هذه، كما لم يوضح موقع هذه الكنيسة من كنائس اليهود الخمس الأخرى الموجودة فى حارة زويلة والتى ذكرها بعد ذلك. فهل هى كنيسة من ضمن هذه الكنائس الخمس وإن كان موقعها مختلف عنهم؟ أو هى كنيسة استحدثت بعد هذه الكنائس الخمس وكانت موجودة فى زمانه حتى إن الزقاق الموجودة به عرف فى زمانه بها أى بزقاق الكنيسة ولم يكن يعرف به من قبل؟

ثالثاً: معابد الجيزة:

وكان يوجد فى قرية (دموه)[1] التابعة لها كنيسة عرفت بها وهى:

كنيسة دموه:

وهى أعظم معبد لليهود بأرض مصر ـ كما يقول المقريزى ـ لأنها ـ كما اتفق اليهود ـ الموضع الذى كان يأوى إليه موسى بن عمران صلوات الله عليه حين كان يبلغ رسالات

---

(١) وعن موقع قرية (دمّوه) الآن يقول الأستاذ محمد رمزى: إن قرية دموه هذه مكانها اليوم القرية التى تعرف بمنيل شيحة، لأنها هى التى تقع أرضها فى الحد الشرقى لأراضى ناحية أبو النمرس، وفى الحد القبلى لأراضى جزيرة الذهب، ويحدّها النيل من الشرق.

ولا يوجد الآن بأراضى منيل شيحة أثر لديرها الذى ذكره المقريزى، وإنما يوجد بالقرب من حدّها القبلى، وفى أراضى ناحية طموه المجاورة لها من الجهة القبلية، دير قديم للقبط يعرف بدير أبو سيفين، وهو الذى ذكره المقريزى بدير طمويه.

وقد عرفت دموه باسم منيل شيحة فى العهد العثمانى، ووردت باسمها الحالى فى تاريخ سنة ١٢٢٨هـ.

الله عز وجل إلى فرعون مدة مقامة بمصر منذ قدم من مَدْين إلى أن خرج بنى إسرائيل من مصر.

ويعتقد اليهود ـ كما يقول المقريزى ـ أنها بنيت هذا البناء الموجود بعد خراب بيت المقدس الخراب الثانى على يد طيطس(*) ببضع وأربعين سنة، وذلك قبل ظهور الإسلام بما ينيف على خمسمائة سنة.

ولهذه الكنيسة عيد يرحل اليهود بأهاليهم إليها فى عيد الخطاب(**) وهو فى شهر سيوان (آخر مايو-يونيو)، ويجعلون ذلك بدل حجهم إلى القدس.

ويذكر المقريزى فى موضع آخر أن كنيسة دموه التى بأيدى اليهود الآن كانت ديراً من ديارات النصارى، فابتاعته منهم اليهود فى ضائقة نزلت بهم. ومعنى ذلك أن اليهود كانوا حريصين على شراء هذا الدير من النصارى، أو بمعنى آخر استرداده منهم، على اعتبار أنه موضع مقدس عندهم منذ القدم.

رابعاً: معابد القرى الغربية:

وبها كنيسة لليهود وهى:

كنيسة جوجر:

وهى من أجل كنائس اليهود. ويعتقدون أنها تنسب لنبى الله (إلياس) عليه السلام، وأنه ولد بها، وكان يتعاهدها فى طول إقامته بالأرض إلى أن رفعه الله إليه.

قضية بناء وهدم الكنائس فى مصر:

ربما كانت الملاحظة الجديرة بالنظر هى أن المعابد اليهودية فى مصر أتيح لها من الحرية قسطا لم يتح للكنائس القبطية، فالمعابد اليهودية بالذات من بين أماكن عبادة أهل

(*) وعن طيطس وخراب القدس أنظر ترجمته فى فصل الحياة الدينية لليهود.

(**) ويسمى كذلك عيد الأسابيع وعيد العنصرة، وعنه بالتفصيل أنظر، الموضوع الخاص بأعياد اليهود.

الذمة، قد أفلتت من عمليات الهدم لمدة أربعة قرون تقريبا، وبالتحديد من الفتح العربى لمصر عام ٢٠هـ/٦٤١م، وحتى زمن الحاكم بأمر الله الفاطمى (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م).

وهذا ما يذكره Mann، نقلا عن بعض الوثائق اليهودية، فيقول إن معابد اليهود فى مصر لم تتعرض لأى تخريب أو هدم حتى عام ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م، حينما أصدر الحاكم بأمر الله الفاطمى أوامره بهدم جميع معابد اليهود، وخاصة معبدهم الكبير بالفسطاط.

وفى هذا الصدد، فإن المصادر الإسلامية التى تعرضت لبناء وهدم الكنائس فى مصر، قد تناولتها بوجه عام، ولم تفصل بين كنائس الأقباط وكنائس اليهود، وإنما كان الحديث يدور حول كنائس أهل الذمة عموما، وكان المضمون يقصد به كنائس الأقباط(*).

على أننا لاحظنا من خلال دراستنا لهذه القضية أن قضية بناء وهدم الكنائس الخاصة باليهود اختلفت اختلافاً كبيراً عن قضية بناء وهدم الكنائس الخاصة بالأقباط، ويرجع ذلك فى رأينا إلى أن قضية بناء وهدم الكنائس كانت ترتبط بعضها ببعض، فقرارات هدم الكنائس بصفة عامة كانت لا تظهر إلاّ مع بناء كنائس جديدة، فقرارات الهدم مبنية على البناء.

وقد اعتمدنا فى رأينا هذا على مقولة المقريزى ـ السابق ذكرها ـ بأن كنائس اليهود الموجودة فى القاهرة مستحدثة فى الإسلام مما يوحى بأن الكنائس الخاصة باليهود الأخرى كانت قبل الفتح العربى لمصر عام ٢٠هـ/٦٤١م.

وهو ما دعا الدكتورة فاطمة عامر إلى القول: بأن أكثر معابد اليهود فى مصر كانت قديمة، وبنيت قبل الفتح العربى، ولم يستحدث منها فى الإسلام إلاّ المعابد التى أقيمت لهم فى القاهرة الفاطمية.

(*) ذكرت القرارات التى صدرت بهدم وبناء الكنائس عموما فى مصر، عند تناولى قضية بناء وهدم كنائس الأقباط فى كتابى: المجتمع فى مصر الإسلامية، ج٢، ص٢٨٨-٢٩٣.

من هنا اختلف وضع المعابد اليهودية عن الكنائس القبطية فى مصر الإسلامية، ففى حين بدأ الأقباط فى بناء كنائس جديدة لهم منذ وقت مبكر أى فى ولاية مسلمة بن مخلد على مصر (٤٧-٦٢هـ/ ٦٦٧-٦٨١م)، فلم يبدأ اليهود ببناء كنائس جديدة إلا فى فترة متأخرة، أى بعد بناء القاهرة فى عهد الخلافة الفاطمية على مصر، حسب مقولة المقريزى السابق ذكرها.

ومن هنا أفلتت الكنائس اليهودية من قرارات هدمها على مدى حوالى ثلاثة قرون، امتدت بعد ذلك إلى أربعة قرون كاملة بسبب تسامح الفاطميين مع أهل الذمة ـ كما سنرى فيما بعد.

وإذا كانت المصادر الإسلامية قد استخدمت مصطلح كنائس أهل الذمة، دون تفرقة بين أقباط ويهود، فلأنه فى عصر الولاة، لم يكن هناك فصل بين قبطى ويهودى، وإنما كان يطلق عليهما معاً إسم أهل الذمة.

وقد وجدنا أن تناول قضية بناء وهدم الكنائس اليهودية بالأخص، يستلزم منا تقسيمها خاصة فى فترة دراستنا إلى مرحلتين:

١ ـ المرحلة الأولى: وهى الممتدة من الفتح العربى إلى العصر الفاطمى. وفى هذه المرحلة لم يحدث بناء كنائس جديدة لليهود، وإنما هى كنائس قديمة بنيت فى عصور سابقة.

٢ ـ المرحلة الثانية: وهى من العصر الفاطمى حتى نهاية الدولة الأيوبية. أى منذ الفترة التى بدأ فيها بناء كنائس جديدة لليهود خاصة فى مدينة القاهرة وذلك فى حارتين خاصتين بهما ـ كما ذكرت سابقاً ـ الأولى: فى حارة الجودرية، ثم عندما أحرقت انتقل بناء كنائس جديدة لليهود إلى حارة زويلة التى خصصت لهم بعد ذلك.

أولاً: بالنسبة للمرحلة الأولى:

نلاحظ أن المصادر الإسلامية فى هذه المرحلة لا تشير إلى قرارات بناء أو هدم المعابد الخاصة باليهود، وإنما هذه القرارات تخص فى مضمونها الكنائس الخاصة بالأقباط فقط، وإن تناولتها المصادر باسم الكنائس دون تمييز، وقد سبق توضيح ذلك[١].

فالمصادر الإسلامية ـ حسب المصادر المتاحة لنا ـ لم تشر فى هذه الفترة إلى بناء كنائس جديدة لليهود، وبالتالى لم تشر إلى قرارات هدم. وتفسير ذلك فى رأينا يعود إلى ما ذكره آدم متز فى كتابه من أن القانون الرومانى فى العصر الرومانى المتأخر كان يحرّم على اليهود أن ينشئوا معابد جديدة لهم، ولا يسمح لهم إلاّ بإصلاح ما تهدّم منها.

---

(١) أول كنيسة بنيت بفسطاط مصر كانت هى الكنيسة التى خلف القنطرة وذلك فى ولاية مسلمة من مخلد على مصر (٤٧-٦٢هـ/ ٦٦٧-٦٨١م) من قبل الخليفة معاوية.

وفى ولاية الوليد بن رفاعة (١٠٩-١١٧هـ/ ٧٢٧-٧٣٥م) من قبل هشام بن عبدالملك، أذن للنصارى عام ١١٧هـ/ ٧٣٥م فى بناء كنيسة «يومنا» أو «أبو مينا».

وفى ولاية موسى بن عيسى الأولى (١٧١-١٧٢هـ/ ٧٨٧-٧٨٨م) من قبل هارون الرشيد، أذن للنصارى فى بنيان الكنائس التى هدمها الوالى على بن سليمان.

أما بالنسبة لقرارات هدم الكنائس فى مصر، فيذكر ابن النقاش أن عمر بن عبدالعزيز أرسل إلى حيان بن سريج عامله على مصر يأمره بهدم بيع النصارى المستجدة.

وفى سنة ١٠٤هـ/٧٢٢م هدم أسامة بن زيد التنوخى «الكنائس».

وفى ولاية على بن سليمان على مصر (١٦٩-١٧١هـ/ ٧٨٥-٧٨٧م) من قبل الهادى أصدر قرارا بهدم «الكنائس» المحدثة بمصر.

وفى عام ١٩١هـ/٨٠٦م أمر الخليفة الرشيد بهدم «الكنائس» والديور.

وأنظر، بالتفصيل قضية بناء وهدم كنائس الأقباط فى كتابى: المجتمع فى مصر الإسلامية، ج٢، ص٢٨٨-٢٩٣.

أى أن اليهود قد تعودوا على عدم إنشاء معابد جديدة لهم منذ زمن بعيد، لذلك استمروا على ذلك بعد مجئ العرب إلى مصر. ولم يحاولوا إنشاء معابد جديدة.

وفى تصورنا أن اليهود لم يكونوا فى هذه الفترة فى حاجة إلى بناء كنائس جديدة، فقد كانوا يسكنون أحياء خاصة بهم، ولم تذكر المصادر الإسلامية ـ فى حدود علمى ـ شيئا عن بناء أحياء جديدة لهم، حتى يكون هناك داع لبناء معابد جديدة لهم تبعاً لذلك.

وهذا هو السبب فى عدم ظهور قرارات بهدم الكنائس الخاصة باليهود.

بل نستطيع أن نقول إن هدم كنيسة لليهود كان يستلزم هدم الحارة اليهودية كلها، كما حدث عندما احرقت حارة الجودرية الخاصة باليهود فى العصر الفاطمى، وانتقل اليهود على أثرها إلى حارة جديدة هى حارة زويلة وبالتالى اضطر اليهود إلى بناء كنائس جديدة لهم فيها. وهو ما سنراه فى المرحلة الثانية.

كذلك لاحظنا أن آراء أصحاب المذاهب الأربعة، أو بعض الفقهاء، بشأن قضية هدم أو بناء كنائس أهل الذمة، ترجع إلى هذه الفترة كذلك، حتى إن المؤرخين الذين ظهروا فى فترة متأخرة مثل: الماوردى (ت عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، وابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ/ ١٣٤٩م)، اعتمدوا فى أقوالهم على آراء الفقهاء القدامى، وعلى بعض الروايات التى تخص المرحلة الأولى التى نحن بصدد الحديث عنها.

وبالطبع ـ وكما ذكرت سابقاً ـ فإن هذه الآراء لم تظهر إلا بعد قرارات السماح ببناء كنائس جديدة لأهل الذمة. مع تسليمنا بأن هذه الكنائس الجديدة كانت تخص الأقباط فقط لاقتصار المصادر الإسلامية على ذلك من دون كنائس اليهود.

وسنعرض فى الصفحات القادمة بعض هذه الآراء: فقد اتفق كل من أبى يوسف وأبى عبيد ومن بعدهم الماوردى فى وقت متأخر (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) ـ على عدم استحداث

كنائس فى دار الإسلام(*). فيقول أبو يوسف: «ويمنعوا من أن يحدثوا بناء بيعة أو كنيسة فى المدينة، إلا ما كانوا صولحوا عليه، وصاروا ذمة، وهى بيعة لهم أو كنيسة، فما كان كذلك تركت لهم ولم تهدم».

ويقول أبو عبيد عن توبة بن النمر الحضرمى قاضى مصر (١١٥-١٢٠هـ/ ٧٣٣-٧٣٧م) عن غيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لاخصاء فى الإسلام ولا كنيسة». كما يقول هذا الحديث أيضا عن عمر بن الخطاب.

ويقول الماوردى: «ولا يجوز أن يحدثوا فى دار الإسلام بيعة ولا كنيسة، فإن أحدثوها هدمت عليهم، ويجوز أن يبنوا ما استهدم من بيعهم وكنائسهم العتيقة».

أما بالنسبة للمذاهب الأربعة فيقول ترتون:

إن الأئمة يتفقون على عدم استحداث بيع أو كنائس فى دار الإسلام، ويرى مالك والشافعى وابن حنبل أنه لا يجوز إحداث كنيسة فيما قارب المدن والأمصار بدار الإسلام، أما أبو حنيفة فيقول بالمنع إذا كان المكان قريبا من المدينة، ولا يبعد عنها بأكثر من ميل، فإن زاد عن ذلك جاز للذميين البناء، أما إذا انهدم شئ من كنائسهم وبيعهم فى دار الإسلام وأرادوا ترميمه أو تجديده جاز لهم ذلك فى رأى ابن حنبل والشافعى ومالك، أما أبو حنيفة فيجيزه لهم إذا كانت الكنيسة أو البيعة فى أرض فتحت صلحاً، أما إذا كانت قد فتحت عنوة فإنه لا يجوز لهم ذلك، وقد ذهب بعض أصحاب أحمد وجماعة من أعلام الشافعية كأبى سعيد الاصطخرى وأبى على بن أبى هريرة إلى أنه لا يجوز للذميين ترميم ما تشعث، ولا تجديد بناء على الإطلاق، ولأحمد رواية ثانية أنه يجوز ترميم ما تشعث دون ما استولى عليه الخراب، أما الرواية الثالثة، فهى تجيز ذلك لهم على الإطلاق.

وإذا كان كتاب الأم للشافعى يورد آراء الشافعى وليس آراء تلاميذه ـ كما يقول ترتون ـ فقد كان المفهوم سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م عدم استحداث كنائس فى أمصار مصرّها

(*) ترى أ. د. سيدة كاشف أن كلام الفقهاء كان نظريا، وأحيانا كان يبعد عن الحقيقة.

المسلمون، أما إن كانوا فى قرية يملكونها منفردين، فلم يكن هناك ما يمنعهم من إحداث الكنائس.

ومن هذه الآراء سواء كانت آراء أصحاب المذاهب الأربعة، أو آراء بعض الفقهاء ـ يتضح لنا أن قرارات بناء أو هدم الكنائس كانت تتوقف على طبيعة الفتح العربى للبلد، لذلك يقول القلقشندى فى كتابه تحت عنوان: (فى ذكر ما يحتاج الكاتب إلى معرفته فى عقد الذمة). «ومنها ـ أنهم لا يُحدثون كنيسة ولا بيعة فيما أحدثه المسلمون من البلاد: كالبصرة، والكوفة، وبغداد، والقاهرة، ولا فى بلد أسلم أهلها عليها: كالمدينة واليمن. فإن أحدثوا فيها شيئاً من ذلك نُقض، نعم يترك ما وجد منها، ولم يُعلم حاله لاحتمال اتصال العمارات به. وكذلك لا يجوز إحداث الكنائس والبيع فيما فتح عَنْوَة، ولا إبقاء القديم منها لحصول الملك بالاستيلاء. أما ما فتح صُلحاً بخراج على أن تكون الرقبة لهم، فيجوز فيها إحداث الكنائس وإبقاء القديمة منها، فإن الأرض لهم. وإن فتحت صلحاً على أن تكون لنا: فإن شُرط إبقاء القديمة بقيت وكأنهم استثنوها، ويجوز لهم إعادة المتهدمة منها، وتَطْيين خارجها دون توسيعها».

على أية حال، فقد كانت هذه الآراء الفقهية بشأن بناء أو هدم الكنائس فى حقيقتها تخص الأقباط وليس اليهود، لانتفاء سبب بناء معابد جديدة عند اليهود بعكس الأقباط ـ كما ذكرت سابقاً.

هذا بالنسبة للمرحلة الأولى فى قضية بناء وهدم المعابد الخاصة باليهود وذلك تبعا للفترة التى يتناولها بحثنا. وسنتناول الآن المرحلة الثانية وهى من العصر الفاطمى حتى نهاية الدولة الأيوبية.

ثانيا: المرحلة الثانية: من العصر الفاطمى حتى نهاية الدولة الأيوبية.

اتسمت هذه المرحلة ببناء معابد جديدة أو مستحدثة لليهود فى مدينة القاهرة ـ كما نوه إلى ذلك المقريزى فى كتابه.

ويرجع بناء هذه المعابد الجديدة لليهود فى القاهرة كما أشرنا إلى تخصيص حارات لهم فيها مما استلزم بناء أماكن لعبادتهم فى هذه الحارات، لذلك نجد كنيسة خاصة بهم فى حارة الجودرية التى خصصت فى البداية لتكون سكناً لهم، ثم عندما أحرقت، وخصصت لهم حارة زويلة نجد فيها خمس كنائس خاصة بهم، كما ذكرت آنفا.

وتبعا لما ذكرته سابقاً من ارتباط قرارات الهدم ببناء كنائس جديدة فإن المصادر الإسلامية لم تشر إطلاقا ـ فى حدود علمى ـ إلى قرارات هدم كنائس إلاّ فى زمن الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م) أما فى زمن من سبقوه المعز[١] (٣٦٢-٣٦٥هـ/ ٩٧٢-٩٧٥م) وابنه العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م) أو من جاءوا بعده، فلا تشير إلى ذلك، ويرجع هذا فى تقديرنا إلى سياسة التسامح الدينى التى اتبعها الخلفاء الفاطميون لمحاولة التقرب من أهل الذمة من اليهود والأقباط.

وهكذا اتفقت المصادر الإسلامية مع بعض الوثائق اليهودية التى نقل عنها جويتاين ومان ـ وسبق الإشارة إليها ـ على أن معابد اليهود فى مصر لم تتعرض لأى تخريب أو هدم حتى عام ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م حينما أصدر الحاكم بأمر الله الفاطمى أوامره بهدم جميع معابد اليهود وخاصة معبدهم الكبير بالفسطاط.

---

(١) وهو أبو تميم معد بن المنصور بن القائم بن المهدى عبيد الله. الملقب المعز لدين الله. ولد بالمهدية عام ٣١٩هـ/٩٣١م. بويع بولاية العهد فى حياة أبيه المنصور إسماعيل، ثم جددت له البيعة بعد وفاته عام ٣٤١هـ/٩٥٢م. جهز جوهر للخروج إلى مصر، خاصة بعد وفاة كافور الإخشيدى وذلك فى عام ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م، وعندما وصلت البشارة إلى المعز بفتح مصر، استخلف على أفريقية بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى، وخرج المعز إلى مصر عام ٣٦٢هـ/٩٧٢م، ودخلها فى نفس السنة ومعه توابيت أبائه. وهو أول من ملك مصر من الفاطميين، وكان المعز فيه شهامة وقوة وحزم. وتنسب إليه القاهرة، فيقال القاهرة المعزية. وتوفى بالقاهرة عام ٣٦٥هـ/٩٧٥م. معَدّ: بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الدال المهملة.

على أية حال، فمن الملاحظ أنه فى الوقت الذى ذكرت فيه معظم المصادر الإسلامية قرارات الهدم أو البناء التى اتخذها الحاكم بأمر الله بشأن الكنائس بصورة عامة بحيث لا يظهر فيها هل هى كنائس اليهود أو كنائس الأقباط ـ انفرد ابن إياس والقرمانى (فى حدود علمى) بأن هذه القرارات شملت كذلك كنائس اليهود.

فيقول ابن إياس: إن الحاكم بأمر الله أمر بهدم كنائس اليهود، فهدمت، ثم أمر بإعادتها إلى ما كانت عليه أولاً.

ويقول القرمانى فى سياق حديثه عن اليهود: إن الحاكم بأمر الله «خرّب كنائسهم ثم أعادها».

وسنعرض فيما يلى ما أورده المؤرخون المسلمون عند تناولهم لقرار الحاكم بأمر الله فى كتبهم ليظهر تعميم القرار على كنائس أهل الذمة بعكس ابن إياس والقرمانى كما ذكرت.

يقول ابن الجوزى: «فكتب بنقض جميع البيع والكنائس وبنى مساجد مكانها، فهدمت ألوف». وكان ذلك فى عام ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م.

ويقول ابن الأثير فى حوادث عام ٣٩٨هـ/١٠٠٧م: «وأمر بهدم البيع فى جميع مملكته فهدمت»، «ثم أمر بعمارة البيع».

ويقول ابن سعيد: «وأمر بهدم جميع الكنائس بمصر وأعمالها، ونهب جميع ما فيها، وجميع مالها من الرباع[1]، والأحباس[*]».

---

(١) وعن الربّاع يقول ابن مماتى: «هذه الرباع منها ما أنشئ من مال الديوان السلطانى قديما، ومنها ما قُبض عمن يوجبه عليه حق السلطان، ومنها ما قبِض من الإسماعيلية والأُجناد المصريين. وقد خرج أكثرها بالوقف على السور والخانقاه والبيمارستان والبيَع والديور، ولم يبق بعد ذلك إلاّ ما لم يرغَب فيه، ولم يحصل منه إلاّ النزر اليسير، وربما أنفق أكثره على عمارة ما استُهدِم، وسنتها هلالية إثنا عشر شهرا».

(*) الأحباس أى الأوقاف. وهى جمع حبس.

أما النويرى فيقول فى كتابه: «وفى العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة (١٠١٢م) أمر الحاكم بهدم جميع الكنائس بالديار المصرية، فسأل جماعة من النصارى أن يتولوا هدم كنائسهم بأيديهم، وأن يبنوها مساجد، فوهب الحاكم جميع الكنائس بجميع ما فيها من أوانى الذهب والفضة وغيرها... وما لها من رباع وأملاك لجماعة من الصقالبة[1] والفرّاشين[2] والسعدية[3]، ولم يردَّ من سأله شيئا منها. وكُوتب كل متصرِّف فى عمل من الأعمال بهدم ما فى عمله من الكنائس، فهدمت من جميع أعمال الديار المصرية».

ويقول الذهبى: «وهدم الكنائس»، ويقول ابن كثير فى حوادث عام ٤١١هـ/ ١٠٢٠م: «وخرب كنائسهم ثم عمرها، وخرب القمامة[*] ثم أعادها».

أما المقريزى فقد أشار إلى هدم الحاكم بأمر الله كنائس أهل الذمة فى مواضع كثيرة من كتابه فيقول فى حوادث عام ٤٠٣هـ/١٠١٢م: «وهدمت الكنائس وأخذ جميع ما فيها، ومالها من الرباع، وكتب بذلك إلى الأعمال فهدمت بها»[**].

---

(١) الصقالبة: بفتح الصاد المهملة وفتح القاف وألف بعدها لام مكسورة وباء موحدة مفتوحة وهاء فى الآخر. وهم عند الإسرائيليين من بنى بازان بن يافث بن نوح، وقيل هم من بنى اشكتاز بن توغرما بن كومر بن يافث.

وهم جماعة حمر الألوان، صهب الشعور، تجاور بلادهم بلاد الخزر (عند بحر قزوين ـ الخرز) وبعض بلاد الروم. كانوا يصلون إلى مصر مع النخاسين تجار الرقيق. وقد تكاثر عددهم أيام الفاطميين، حتى عرفت إحدى طوائف العسكر فى زمن الفاطميين بطائفة الصقالبة، كما عرف أحد دروب حارة زويلة بهم.

(٢) الفرّاشون: وهم الذين يقومون بخدمة الخليفة الفاطمى، وخدمة قصوره وتنظيفها من الداخل والخارج. ويكونون فى حراسة أبواب القصر ليلا إذا أغلقت الأبواب. ولكل منهم فى الشهر ثلاثون دينارا، أو ما يقرب من ذلك.

(٣) السعدية: يذكر المقريزى أن السعدية كانوا يختصون بركاب السلطان فى الدولة الفاطمية، ويحملون سيوفا محلاّة بين يديه، ويعرفون لأجلها بأصحاب سيوف الحلى. وقد جرت عادتهم فى أيام الحاكم الفاطمى بأن يتولوا قتل من يومر بقتله.

(*) هكذا فى الأصل، ويقصد كنيسة القيامة.

(**) ترى أ. د. سيدة كاشف أن عهد الحاكم الفاطمى كان عهدا استثنائيا فى الدولة الفاطمية.

ويقول فى موضع آخر: «وأخذ فى هدم الكنائس كلها، وأباح ما فيها، وما هو محبس عليها للناس نهبا واقطاعا، فهدمت بأسرها، ونهب جميع أمتعتها، وأقطع أحباسها، وبنى فى مواضعها مساجد، وأذن بالصلاة فى كنيسة شنودة بمصر، وأحيط بكنيسة المعلقة فى قصر الشمع، وأكثر الناس من رفع القصص بطلب كنائس أعمال مصر ودياراتها، فلم يرّد قصة منها إلاّ وقد وقّع عليها بإجابة رافعها لما سأل، فأخذوا أمتعة الكنائس والديارات، وباعوا بأسواق مصر ما وجدوا من أوانى الذهب والفضة وغير ذلك، وتصرفوا فى أحباسها. ووجد بكنيسة شنودة مال جليل، ووجد فى المعلقة من المصاغ وثياب الديباج أمر كثير جداً إلى الغاية. وكتب إلى ولاة الأعمال بتمكين المسلمين من هدم الكنائس والديارات، فعمّ الهدم فيها من سنة ثلاث وأربعمائة حتى ذَكَر من يوثق به فى ذلك أن الذى هُدم إلى آخر سنة خمس وأربعمائة بمصر والشام وأعمالهما من الهياكل التى بناها الروم نيف وثلاثون ألف بيعة، ونهب ما فيها من آلات الذهب والفضة، وقبض على أوقافها، وكانت أوقافاً جليلة على مبان عجيبة».

ويقول السيوطى: «وأمر (الحاكم) بهدم جميع الكنائس التى بمصر».

وأخيرا يقول ابن أيبك: «أمر (الحاكم) بهدم كنيسة القمامة، وجميع الكنائس بمصر وأعمالها، ونهب ما كان فيها من الآلات والمتاع».

ونستخلص من هذه الروايات التاريخية المختلفة ـ كما تقول الدكتورة فاطمة عامر ـ أن عصر الحاكم شهد فى مختلف أنحاء البلاد المصرية، تخريب جميع الكنائس والأديرة والمعابد المسيحية واليهودية على حد سواء، ونهب محتوياتها». وبعد عصر الحاكم حتى نهاية الدولة الأيوبية، لا تذكر لنا المصادر العربية شيئا ـ فى حدود علمى ـ عن هدم معابد يهودية.

الفصل الثانى

رؤساء المجتمع اليهودى

● رأس الجالوت	Rosh ha-Gola
● الجاؤون	Gaon
● رئيس اليهود أو النجيد	Ra'is al Yahud or Nagid
● المقدم	Mugaddam
● البرناس	Parnas
● أمين المحكمة أو النعمان	Ne'eman
● الحبـر	Haber
● الحزان أو المنشد	Hazzan
● الشليح صبور	Sheliah Sibbur
● شماش المعبد أو الشماس	Shammash or Shammas
● الناسى	Nasi

الفصل الثانى

رؤساء المجتمع اليهودى

تميز المجتمع اليهودى ـ كأى مجتمع طائفى ـ بالتنظيم الدقيق الذى يتيح له ممارسة شرائعه الدينية والاجتماعية. وعندما جاءت الحكومة الإسلامية تعاملت مع الأقباط واليهود فى مصر باعتبارهم أهل ذمة ـ كما ذكرنا فى موضع سابق ـ وبالتالى سمحت لهم بالاحتفاظ بما كانوا يتمتعون به من صلاحيات فى التشريع والقضاء والدين والعادات والتعليم وغيرها.

ولما كان عليها أن تتعامل مع هذه الطائفة كمجتمع وليس كأفراد، فقد أقرت لحد كبير من كانت تنتخبه هذه الطائفة من قيادات، وكانت تصدر المراسيم لتعيين هذه القيادات، تؤكد فيها من جديد الحقوق الإدارية والدينية التى بلورتها وأقرتها التقاليد المتوارثة فى حياة الطائفة اليهودية، وهو ما سوف نفصله فى الصفحات التالية.

رأس الجالوت (Rosh ha-Gola):

وهو رئيس الطائفة اليهودية فى العالم الإسلامى، ومقره فى بغداد.

ورأس الجـالوت (rosh ha-Gola) أو (Resh Galutha) كما ورد فى جويتاين، هو مصطلح عبرى. والجالوت هم الجالية، أى الذين جلوا عن أوطانهم ببيت المقدس، لذلك فقد عرف كذلك برئيس الدياسبورا[1]، ورئيس المغتربين (Exilarch).

---

(١) الدياسبورا: تعنى اليهود المشتتون فى أرجاء العالم بعد الأسر البابلى. ويذكر د. عبدالوهاب المسيرى أنها كلمة يونانية تعنى التشتت، وتستخدم للإشارة للأقليات اليهودية فى العالم، الموجودة فى المنفى حسب التصور اليهودى.

ولقب رأس الجالوت هو لقب قديم معروف عند اليهود، وكان يطلق على رئيسهم قبل الإسلام، فيروى الطبرى أن لقب رأس الجالوت يرجع تاريخه إلى عهد عيسى المسيح، وأن رياسة الجالوت كانت فى أيام المسيح لرجل يدعى يونن بن بهبوثن. ولما جاء الإسلام، جدد الخليفة عمر بن الخطاب منح اللقب لرئيس اليهود وحاخامهم الأكبر، وأقره عليه، واعترف بسيادته على بنى جلدته.

ولما كان رأس الجالوت يختار من سلالة النبى داود عليه السلام، فقد كان تولى هذا المنصب يواجه الكثير من التنافس بين أمراء بيت داود.

وقد أبقى الخليفة لنفسه على حق التصديق على تعيينه واختياره. على أنه من الطبيعى ـ كما يقول جويتاين ـ أن الأمراء وكبار موظفى الدولة من اليهود، كان لهم رأى وتأثير فى اختيار رأس الجالوت.

يتضح ذلك من إحدى المخطوطات التى كتبها أحد المسلمين، والتى أوردها جويتاين فى كتابه، وذلك فى عام ٤٦٢هـ/ فبراير ١٠٦٩م، فقد ذكر أنه فى خلال هذا الشهر «ارتفع النزاع إلى أقصى درجة بين اليهود، فهم يريدون تعيين شخص معين من بين أبناء داود، لكن ابن فضلان (Ibn Fadlan) (وهو من الموظفين اليهود الكبار فى ذلك الوقت) قد عارضهم، فهو يريد أن يولى شخصا آخر، وهم مازالوا يتنازعون حول ذلك».

وقد جرت عادة رأس الجالوت عند تعيينه ـ كما يقول ترتون ـ أن يجزل العطاء للخليفة والأمراء وكبار رجال الدولة.

ولقد ظل منصب رأس الجالوت منصباً دينياً قبل أن يكون سياسياً فى العصر العباسى، واستمر أصحابه فى بغداد يورثونه لأبنائهم من بعدهم، طالما كانوا يقدمون الهدايا للخلفاء، ويرسلون إليهم الجزية المقررة على بنى جلدتهم.

أما عن سلطات رأس الجالوت، فقد كان له حق الإشراف على كل اليهود المقيمين فى الدولة، والنظر فى أحوالهم. كما كان يقوم بعملية تنظيم دفع الجزية المقررة من الدولة على اليهود. كذلك كان من اختصاص رأس الجالوت اختيار ممثلين دينيين ينوبون عنه فى

المراكز الدينية المختلفة. كذلك كان رأس الجالوت بحكم وظيفته رئيساً لقضاة اليهود، وهو الذى يختارهم، كما كان يقوم بنفسه بالنظر فى قضايا اليهود الهامه والحكم فيها. على أن حكمه كان يقتصر على التغريم بالمال لأنه لم يكن فى سلطته الحبس أو الضرب، كما لم يكن فى سلطته أن يصدر حكمه بجلد أحد أو قتله فى دار الإسلام(*).

ويذكر جويتاين أن رأس الجالوت قد مارس سلطاته على المجتمعات اليهودية الموجودة فقط فى الأراضى الشرقية للخلافة، أما فى البلاد الأخرى، فقد كانوا يدينون له ويقبلون سلطته كطاعة شرفية فقط.

ويرى جويتاين أن سلطات رأس الجالوت كانت محدودة، بالقياس لسلطة اليشيفا الممثلة فى الجاؤون فى ذلك الوقت ـ كما سنرى ـ لذلك فإن رأس الجالوت لم يكن ليستطع أن يحقق أية سلطة عالمية، إلا إذا تولى رئاسة اليشيفا بنفسه.

ومن رؤساء الجالوت الذين تولوا رئاسة اليشيفا العراقية رئيس الدياسبورا «حزقيا بن داود» (Hezekiah b. David) وذلك فى عام ٤٣٠هـ/١٠٣٨م خلفاً للجاؤون «هاى» (hay). وعنه يقول جويتاين إنه لم يحصل على لقب جاؤون، إلا أنه كان يقوم بأعماله، مثل الإجابة على الأسئلة القانونية التى ترد إليه.

كذلك رئيس الدياسبورا «دانيال بن حسداى» (Daniel B. Hisday)، الذى تولى رئاسة اليشيفا عام ٥١٤هـ/ ١١٢٠م.

ويعطينا بنيامين التطيلى اليهودى صورة واضحة ـ كما يقول ترتون ـ عن نفوذ دانيال بن حسداى، فيذكر أنه كان رأس الجالوت فى زمن الخليفة المقتفى (٥٣٠-٥٥٥هـ/

(*) تذكر الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف أن سلطات رأس الجالوت هى نفسها سلطات بطرك الأقباط فى مصر، كما تذكر أن الأحكام الخاصة بالجلد أو القتل كانت كلها من اختصاصات رئيس الدولة المسلم، ومن الأحكام الخاصة بالدولة الإسلامية ككل.

١١٣٥-١١٦٠م[1]، وكان يشغل وظيفة قاضى اليهود عامة بالاستعانة بمعاونيه العشرة، وأنه كان له السلطان على جميع أبناء ملته الساكنين فى كافة البلاد الخاضعة للخليفة. وعلى حد قوله فإن المقتفى هو الذى مكّن له الأمر فيهم، وبوأه الرياسة عليهم. وكان المسلمون ينعتونه بلقب سيدنا ابن داود، ويسميه اليهود سيدنا رأس الجالوت، حتى لقد أصبح من الفرائض على المسلمين واليهود على السواء الوقوف إجلالاً له إذا كانوا بحضرته، ومَن لم يقف له ضرب مائة سوط! وكان يذهب للقاء الخليفة مساء كل خميس، وإذ ذاك يصيح أمامه الفرسان من اليهود والمسلمين «اعملوا الطريق لسيدنا ابن داود». وكان «دانيال» يتعمم ويمتطى حصانه، فإذا جاء إلى الخليفة قبّل يده واقتعد مكانه، كل ذلك وأمراء المسلمين وكبارهم وقوف بين يديه. وكان دخله من الضرائب المفروضة على اليهود مائتى ألف دينار[2].

على أن هذا الاحترام الغريب من المسلمين لرأس الجالوت، ربما يفسره ما ذكره جويتاين من أن المسلمين قد كانوا يضعونه فى منزلة عالية، باعتباره من سلالة النبى داود عليه السلام[*].

---

(١) وهو أبو عبدالله محمد بن المستظهر بالله أحمد بن المقتدى بالله عبدالله بن الأمير محمد بن القائم العباسى، أمير المؤمنين. الملقب المقتفى. ولقب بالمقتفى لأنه يقال إنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى المنام، وهو يقول له سيصل هذا الأمر إليك فاقتفِ بى، فصار إليه بعد ستة أيام فلقّب به. وقد بويع له بالخلافة عام ٥٣٠هـ/١١٣٥م بعد خلع الراشد بالله بيومين وعمره أربعون سنة. كان عالما، فاضلا، دينا، حليما، شجاعا. توفى عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م وعقدت البيعة لولده المستنجد بالله.

(٢) ذكر د. عطية القوصى فى كتابه أن الخليفة هو المتقى بن المقتدر العباسى الذى تولى الخلافة عام (٣٢٩-٣٣٣هـ/ ٩٤٠-٩٤٤م). والصحيح ما أوردناه فى المتن، وأثبتناه من كتاب ترتون.

(*) تذكر الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف أن احترام المسلمون لأبناء الديانات الأخرى، كان راجعاً إلى تسامح المسلمين الذى كان مظهراً من مظاهر الحضارة الإسلامية.

ولقد أشار جويتاين فى كتابه إلى محاولة تأسيس رئاسة للجالوت فى مصر على يد داود بن دانيال بن عزاريا (David B. Daniel B. Azarya)[1]، وهو من سلالة النبى داود عليه السلام، الذى لقّب «بالناسى العظيم»، فى وثيقة رسمية كتبت بالفسطاط عام ٤٨١هـ/١٠٨٨م.

ويذكر جويتاين أن من الملاحظات التى يجب أن تُذْكر، أن الوثائق الصادرة فى الفسطاط حوالى عام ٤٨٣هـ/١٠٩٠م باسم «المحكمة العليا لرأس الجالوت»، لا تشير إلى رأس الجالوت فى بغداد، ولكن إلى داود بن دانيال بن عزاريا.

الجاؤون (Gaon) :

بداية نذكر أن الجاؤون كلمة عبرية، وجمعها الجاؤونيم، وتعنى: نيافة، أو سمو، أو الأفخم، أو المعظم.

ولقد أطلقت على رئيس اليشيفا (yeshivas) أو «الأكاديمية» كما تعرف عادة فى اللغة الإنجليزية[*].

ولما كانت اليشيفا هى أعلى سلطة فى المجتمع اليهودى، فإن متولى هذه الوظيفة الدينية الكبرى كان لا يقل فى أهميته عن متولى وظيفة رأس الجالوت، إن لم يكن يأتى فى المرتبة الأولى عند شعب اليهود.

ويذكر جويتاين أن اللقب الرسمى لصاحب هذه الوظيفة هو «رئيس المثيبة» (ra's al-mathiba).

---

(١) وكان والده دانيال بن عزاريا قد تولى رئاسة اليشيفا الفلسطينية فى عام ٤٤٣هـ/١٠٥١م حتى وفاته فى عام ٤٥٤هـ/١٠٦٢م. وكان دانيال سليل أسرة أحد رؤساء الجالوت فى العراق، وقد تلقى علومه الدينية فى مسقط رأسه بالعراق، وفى معهد بومبيديتا بالذات. ويدل تنصيبه على ضعف الزعامة الشرقية فى فلسطين كما يقول مارك كوهن.

(*) وأنظر بالتفصيل عن اليشيفا ونظام التعليم بها، الفصل الخاص بالحياة الثقافية لليهود فى مصر.

أما عن مهمة صاحب هذه الوظيفة، فقد كانت هى الإجابة على أسئلة اليهود الشرعية والقانونية التى ترد إليه من مختلف البلاد التى يوجد بها اليهود، كما كان يقوم بملاحظة كل الشئون الإجتماعية المتعلقة بالزواج والطلاق، مما يعنى أن الجاؤون كانت له إلى جانب السلطة الدينية، سلطة قضائية وشرعية على الطائفة اليهودية[1].

ويفهم من جويتاين أن التعيين فى منصب الجاؤون لم يكن يتم عن طريق الانتخاب، وإنما عن طريق نظام الدور. ومع ذلك ففى أحيان كثيرة، كان يحدث نزاع شديد على منصب الجاؤون عندما يخلو.

بل إن سجلات الجنيزة أظهرت أن الطائفة اليهودية كانت أحيانا ترفض أحد الجاؤونات فى الوقت الذى تعضد فيه شخصاً آخر، وتطلب تعيينه بدلاً منه، كما فى حالة جاؤون القدس سليمان بن يهودا (Solomon b. Judah)، الذى فضل اليهود عليه ناثان بن إبراهيم (Nathan b. Abraham)، وذلك فى عام ٤٣٠هـ/١٠٣٨م.

وكان على الجاؤون أن يحصل على تأييد من الحكومة الإسلامية لتعضيد مركزه، فتشير سجلات الجنيزة إلى رسالة موجهة من جاؤون القدس (لم يذكر جويتاين اسمه) إلى أصدقائه فى الفسطاط، يطلب منهم الحصول على خطاب من الخليفة لتنصيبه، وكان الخليفة الظاهر قد تولى الحكم (٤١١-٤٢٨هـ/ ١٠٢٠-١٠٣٦م).

ويذكر جويتاين أن الفاطميين عندما تولوا الحكم فى مصر، أخذوا يدفعون هبة مالية بانتظام إلى اليشيفا الفلسطينية، ولكنها توقفت فى خلافة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م)، عندما أخذ فى التضييق على أهل الذمة(*)، فقد جاء فى رسالة من جاؤون القدس جوشيا (Joshiah) إلى الحاكم بأمر الله أنه «فى الوقت الذى نستمد فيه سبل معيشتنا من الحكومة، فنحن لن نزعجك بطلباتنا».

---

(١) ذكر جويتاين أن الإجابة على أسئلة اليهود، كانت من الممكن أن ترسل بالبريد، أو مع التجار، ويرى أن هذه الإجابات كانت تؤدى نفس عمل قرارات المحاكم العليا.

(*) تذكر الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف أن الحاكم بأمر الله أخذ فى التضييق على كل الطوائف فى الأمة من مسلمين ومسيحيين ويهود.

وكان الجاؤون يرسل نوابا عنه إلى البلاد، مهمتهم تفسير أحكامه، وجمع تبرعات شعب اليهود للجاؤونية.

وكانت مهمة إرسال هذه التبرعات من اختصاص رئيس اليهود، بأمر من الجاؤونيم. فهو المسئول عن الإقليم أو البلد، كما أن الخطابات المرسلة إلى اليشيفا لابد أن توجه من خلاله فقط.

وقد ظهر من خلال الخطابات المرسلة إلى اليشيفا، والتى وردت فى وثائق الجنيزة، أن مصادر دخل اليشيفا كانت، فى أغلبها، التبرعات التى تمثلت فى الاشتراكات السنوية الثابتة، التى كان يتم جمعها بواسطة كل مجتمع، والتبرعات الخاصة بحالات الكوارث، وفى المناسبات مثل الأعياد أو الاحتفالات العائلية، هذا إلى جانب ما كان يوصى به البعض من أموالهم بعد وفاتهم لليشيفا، كما كان من المعتاد أن تشترط غرامات فى بعض العقود تئول لصالح اليشيفا.

على أن هذه الهبات لم تمنح فقط لليشيفا، وإنما لمعظم أعضائها البارزين، كما لم تتكون فقط من النقود، وإنما أحيانا من الأقمشة الفاخرة والتوابل وغيرها من الهدايا العينية.

وكان مقر الجاؤون فى اليشيفا أو الأكاديمية، باعتباره رئيسا لها ـ كما ذكرت آنفاً. ولما كانت اليشيفا منذ القرن ٣م توجد فى ثلاثة أماكن: اثنتان فى العراق فى بلدتى سورا وبومبيديتا[1] (Sura and Pumbedita)، وواحدة فى فلسطين، وكان على رأس كل يشيفا جاؤون، لذلك لم يكن يوجد جاؤون واحد، وإنما ثلاثة جاؤونيم ـ كما يقول جويتاين(*).

---

(١) سورا وبومبيديتا تقعان فى مملكة بابل. وقد أطلق اسم «بابل» فى تاريخ العبرانيين على منطقة ما بين النهرين بصفة عامة، وعلى المنطقة التى تشمل وسط وجنوب العراق الحالى بصفة خاصة. وقد بدأت إقامة اليهود فى بابل بعد التهجير الإجبارى أو النفى ونقصد به السبى الأشورى الأول =

ووفقا لجويتاين فإن مقر اليشيفا الفلسطينية انتقل من القدس إلى القاهرة عام ٥٢١هـ/١١٢٧م، زمن الخليفة الفاطمى الآمر (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩م)[1].

وتوجد رسالة مؤرخة عام ٥٧٧هـ/١١٦١م زمن الخليفة الفاطمى العاضد (٥٥٥-٥٦٧هـ/ ١١٦٠-١١٧١م) موجهة من رأس الجالوت فى بغداد دانيال بن

عام ٧٢٢ ق.م، والنفى البابلى الذى تم على يد ملك بابل نبوخذ نصر أعوام ٥٩٧ ق.م و٥٨٦ ق.م و٥٨١ ق.م. على أية حال، فقد نمى عدد منفى بابل، واتخذوا منها وطناً ثانيا، هاجر إليها طوعاً مئات الألوف من اليهود. وقد وجد اليهود فى بابل الرعاية من الفرس بصفة عامة ثم من العرب. وقد زاد عددهم بها إلى حوالى المليون بعد سقوط أورشليم فى أيدى الرومان وتخريب الهيكل عام ٧٠م على يد «تيتوس» ـ كما ذكرت فى الفصل الخاص بالحياة الدينية لليهود ـ وغدت بابل قلعة لليهودية، وأنشئت بها أكاديميتا سورا وبومبيديتا الدينيتان اللتان استمرتا قرونا. وفى القرن الأول الهجرى/ السابع الميلادى كانت بابل مركز الحياة والعلم اليهودى، وأصبحت ترسل من أحبارها رؤساء للأكاديميات الدينية فى فلسطين. ولم تنته زعامة اليهودية فى بابل إلا فى القرن ٤هـ/١٠م. وإن استمر اليهود يعيشون فيها قرونا بعد ذلك.

(*) وقد ذكر جويتاين أنه كان يوجد اختلافات فى الطقوس الدينية والشرعية بين أكاديميتى العراق وأكاديمية فلسطين. وعلى سبيل المثال فإن القانون الفلسطينى كان يقضى بأن يئول نصف مهر المرأة التى ماتت بدون ذرية إلى عائلتها، فى الوقت الذى لم يوافق على ذلك البابليون. لذلك ظهرت جماعتان: جماعة عرفت بالبابليين أو العراقيين، وجماعة عرفت بالفلسطينيين أو الشاميين.

(١) وهو أبو على المنصور بن المستعلى بالله أبى القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبى تميم معد. الملقب الآمر بأحكام الله. ولد بالقاهرة عام ٤٩٠هـ/١٠٩٦م. وبويع له بالخلافة يوم مات والده عام ٤٩٥هـ/ ١١٠١م وهو طفل له من العمر خمس سنين وشهر وأيام. وقام بتدبير دولته الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى وكان وزير والده، وقد قتل وزيره الأفضل، كما قتل وزيره الذى جاء بعده وهو البطائحى المأمون. وكان قبيح السيرة، ظالم للناس، مسفك للدماء. ويذكر ابن خلكان أنه كان يرتدى ملابس مخصوصة من الصوف الأبيض، معلمة بالذهب، كانت تعمل له بتنيس ودمياط، وكان يتطيب من المسك بعدة من المثاقيل كل يوم، فكان يشم رائحة طيبه من مكان بعيد، وكان يركب الحمر بالسروج المحلاة بالذهب والفضة. وقد قتل عام ٥٢٤هـ/١١٢٩م.

حسداى (Daniel b. Hisday) إلى الجاؤون المصرى نثانئيل ها-ليفى (Nathanel ha-levi) لتدعيم مركزه.

ونرجح أن سقوط القدس فى يد الصليبيين عام ٤٩٢هـ/١٠٩٨م، وخروجها بالتالى من سيطرة الفاطميين، هو الذى أدى إلى انتقال اليشيفا مؤقتاً إلى القاهرة[1].

---

(١) فتح الفاطميون القدس عام ٩٧٢م وذلك فى خلافة المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين على مصر (٣٦٢-٣٦٥هـ/ ٩٧٢-٩٧٥م)، وقد عين المعز أبو اليمن قزمان بن مينا القبطى والياً عليها. ويبدو أن ولاة فلسطين من قبل الخلفاء الفاطميين قد أقاموا بالرملة، التى اعتبرت عاصمة جند فلسطين فى ذلك الوقت. على أية حال، فقد سقطت القدس فى يد السلاجقة عام ١٠٧١م، عندما استطاع الأتابك أتسز بن أوق أن يستولى من الفاطميين على الرملة وبيت المقدس وفلسطين بأكملها، بإسم السلطان ألب أرسلان. وقد ظل «أتسز» هذا يحكم فلسطين من تلك السنة حتى عام ١٠٧٩م عندما آلت فلسطين إلى تتش بن السلطان ألب أرسلان، فقتل «أتسز» وعين بدلاً منه أحد رجاله التركمان وهو أرتق بن أكسب ـ مؤسس بيت الأراتقة ـ حاكما على بيت المقدس. وعندما توفى «أرتق» عام ١٠٩١م حل محله ابنه سكمان (سقمان) الأول تحت سيادة «تتش»، ثم تحت سيادة ابنه دقاق بن تتش ملك دمشق.

وفى عام ١٠٩٨م انتهز الأفضل فرصة الفوضى التى أصابت العالم الإسلامى فى الشرق الأدنى فى أواخر القرن ١١م، نتيجة لوصول الصليبيين، وخرج على رأس جيوشه لمحاصرة بيت المقدس «ونصب عليها المناجيق»، حتى اضطر الأراتقة إلى الإنسحاب من المدينة. وهكذا استطاع الأفضل أن يسترد بيت المقدس من سكمان (سقمان) الأرتقى وأخيه ايلغازى (إيل غازى) فى ٢٦ أغسطس عام ١٠٩٨م، ولم تلبث بقية فلسطين أن سقطت بعد ذلك فى أيدى الفاطميين. على أنه وفى عام ١٠٩٩م قرر الصليبيون الزحف على بيت المقدس، وفى تلك الأثناء كان افتخار الدولة ـ حاكم بيت المقدس من قبل الوزير الأفضل ـ قد اتخذ كافة الاستعدادات لمواجهة الصليبيين، فسمم الآبار، وقطع موارد الماء، وأخفى المواشى، وطرد جميع مَن بالمدينة من المسيحيين فضلا عن اهتمامه بتقوية التحصينات والتأكد من سلامة الأسوار، معتمدا فى الدفاع عن بيت المقدس على حامية كبيرة من الجند المصريين والسودان. وقد حاصر الصليبيون بيت المقدس فى ٧ يونية عام ١٠٩٩م، وفى ليلة ١٤ يوليو عام ١٠٩٩م قام الصليبيون بهجوم على بيت المقدس، اتخذ طابعا عنيفا صباح اليوم التالى أى الجمعة ١٥ يوليو، وهو اليوم الذى استطاعوا فيه اقتحام المدينة بعد حصار دام نيفا وأربعين يوما. وقد فر الجند المدافعون عن بيت المقدس من المسلمين للاحتماء بالمسجد الأقصى، فتبعهم الصليبيون واقتحموا المسجد وأحدثوا بداخله مذبحة وحشية رهيبة. أما افتخار الدولة ـ حاكم المدينة الفاطمى ـ فقد احتمى مع طائفة من الجند بمحراب داود، حيث اعتصموا به، وقاتلوا فيه ثلاثة أيام، ولكنهم لم يلبثوا أن ألقوا السلاح بعد أن بذل لهم الفرنج الأمان، وفعلا أطلق الصليبيون سراحهم، وسمحوا لهم بالخروج إلى عسقلان.

ويذكر د. عطية القوصى أن جاؤون أكاديمية سورا كان يحل محل رأس الجالوت عند وفاتـه، وحتـى يتم اختيـار خليفـة له. وأن لقب الجاؤون كان يطلق فقط ـ ولمدة طويلة ـ على رئيس أكاديمية سورا، فى حين كان يطلق على زميله فى بومبيديتا لقب رئيس اليشيفا (Res-yeshivah)، وأن حكومة بغداد كانت تمنح بعض الإمتيازات لجاؤونية سورا زيادة عن جاؤونية بومبيديتا، ولم تتم المساواة بين الجاؤونيتين فى الإمتيازات والألقاب إلا مؤخراً[1].

وكـان مـن يهـود مصر الذين تولوا منصب الجاؤونية فى بغداد **سعديا بن يوسف** (Saadya b. Joseph)، وهـو مـن الفيـوم، وقـد تولى هذا المنصب عام ٣١٦هـ/ ٩٢٨م، فى ولاية تكين الثالثة على مصر[2] من قبل الخليفة العباسى المقتدر بالله[3].

كـما تولى منصب الجاؤونيه ابنه **دوزا** (Dosa) بعـد ٧١ سنة من تولى والده هذا المنصب أى حوالى عام ٣٨٧هـ/٩٩٧م زمن الحاكم بأمر الله الفاطمى.

---

(١) ترجم د. عطية القوصى كلمة (Res-yeshivah) إلى رأس الشفعة، والصحيح ما ورد فى المتن.

(٢) وهو تكين الخزرى أبو منصور. تولى مصر ثلاث مرات، المرة الأولى من قبل المقتدر بالله العباسى على صلاتها وذلك فى عام ٢٩٧هـ/٩٠٩م، ثم صرف عنها فى ذى القعدة عام ٣٠٢هـ/ ٩١٤م. والمرة الثانية من قبل المقتدر بالله أيضا وذلك عام ٣٠٧هـ/٩١٩م، وصرف عنها فى ٣٠٩هـ/٩٢١م. وذكر الكندى أنه تولى ولاية مصر مرة أخرى فى عام ٣٠٩هـ/٩٢١م، لمدة أربعة أيام فقط صرف بعدها، لكنها لم تحسب من ضمن مدة ولاياته على مصر. أما المرة الثالثة فكانت من قبل المقتدر بالله أيضا على صلاتها وذلك من عام ٣١١هـ/٩٢٣م، حتى وفاته عام ٣٢١هـ/٩٣٣م. فكانت إمرته هذه تسع سنين وشهرين وخمسة أيام.

(٣) وهو أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله العباسى الملقب المقتدر بالله. ولد فى عام ٢٨٢هـ/٨٩٥م، وبويع له بالخلافة بعد أخيه المكتفى عام ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م، خلع المقتدر فيها مرتين وأعيد. وفى أيامه اضمحلت دولة الخلافة العباسية، فقد كان مؤثرا للعب والشهوات غير ناهض بالخلافة ـ كما تقول المصادر الإسلامية. وقد قتل عام ٣٢٠هـ/٩٣٢م، فكانت مدة خلافته ٢٤ سنة و١١ شهرا و١٤ يوما.

رئيس اليهود (أو النجيد (Nagid)[*]:

عرف زعيم الجماعة اليهودية فى الوثائق الرسمية بالإسم العربى «رئيس اليهود» (Ra'is al-Yahud)، ثم استبدل بهذا الاسم اللقب العبرى «نجيد» (Nagid)، الذى يعنى الأمير أو القـائد[1]، منذ تولى إبراهام بن موسى رئاسة اليهود فى مصر ـ كما سنرى فى الصفحات القادمة.

وقد أطلقت وثائق الجنيزة ألقاباً عديدة على رئيس اليهـود أو النجيد، فقد عرف بـ«مردخاى العصر» (ومردخاى تعنى بطل اليهود)، أو «أمير شعب الرب»، أو «أمير إسرائيل ويهودا»، أو «أمير الدياسبورا»، أو «سرهاسريم» (أى أمير الأمراء).

وقد جرت العادة فى مصر ـ كما يقول القلقشندى ـ على أن يكون الرئيس من طائفة اليهود الربانيين دون غيرهم، ويكون له الحكم على طوائف اليهود الثلاث: الربانيين والقرائين والسامرة.

كمـا كـان يشـترط أن يكون من أكبر الكهنة، وأكثر الأحبار علماً، وأن يكون متعمقاً فـى الدين اليهـودى، وأن يكـون سياسياً محنكاً، فيقـول القلقشندى: «وكان الذى يختار لذلك، ينبغى أن لا يكون إلا من أكبر الكهنة، وأعلم الأحبار، وممن عرف من دينهم ما لأجله يصطفى، ولمثله يختار، وممن فيه سياسة تحجزه عن المضار، وتحجبه عن الاستنفار».

وكان رئيس اليهود يعين من قبل الخليفة، ولكن بعد موافقة الطائفة اليهودية عليه.

فيذكر جويتاين أنه لكى يعين رئيس اليهود فى وظيفته كان عليه أن يحصل على التأييد من ثلاثة:

(*) ذكر جويتاين أنها تنطق «نجيد» (nagheed)، وليست «ناجد».

(١) ذكر جويتاين أن لقب «نجيد» لم يكن لقباً جديداً، وإنما منح إلى عضو بارز من عائلة الجاؤونات (لم يذكر اسمه)، وذلك فى حوالى عام ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م.

الأول: اليهود المحليون، باعتباره سيكون رئيسا عليهم.

الثاني: السلطات اليهودية العالمية والممثلة فى اليشيفا، والتى كان لابد أن تعترف به، وأحيانا كانت تنعم عليه باسم جديد، وبعض الألقاب الشرفية.

الثالث: الحكومة الإسلامية، التى كان تأييدها له يعطيه الطابع الرسمى لممارسة مهام منصبه.

وقد أورد القلقشندى مهام رئيس اليهود وواجباته إزاء اليهود، فذكر أنه كان هو الذى يرعى مصالح اليهود، ويحرص على الوحدة والألفة بينهم، والحكم بينهم طبقا لقوانين دينهم. كما كان يقوم بعقود الزواج والطلاق بما يتفق مع عقيدتهم، ويحرم ما حرمه دينهم عليهم، ويراعى أن تكون قِبْلة اليهود فى الصلاة إلى القدس.

وإلى جانب ذلك كان عليه أن يقوم بإلزام اليهود بمراعاة أحكام الإسلام بشأنهم، والالتزام بها باعتبارهم أهل ذمة، إذ كان عليهم ألا يضايقوا المسلمين، وأن يتميزوا عنهم عند دخولهم الحمامات، وأن يلبسوا العمائم الصفر شعارهم. كما كان عليهم ألا يذكروا الله سبحانه وتعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم بسوء، ولا يظهروا الخمر وغير ذلك. كما يقوم رئيسهم أيضا بتنظيم المجتمع اليهودى كل حسب درجته وطبقته.

كما كان يقوم بتعيين أحبار اليهود، والقضاة فى المقاطعات، ويشرف على المحاكم اليهودية وغير ذلك.

وقد اعتبرت الدولة الإسلامية «رئيس اليهود» من الموظفين الرسميين بها، التابعين للحاكم الإسلامى، بدليل أن خطاب تعيينه، والوصايا التى تصدر بعد التعيين لما يجب أن يقوم به أثناء توليه المنصب ـ كانت تصدر من ديوان الإنشاء ويحتفظ بها فيه.

وكان رئيس اليهود يقيم غالباً فى القاهرة، وبصفة خاصة فى قصر الشمع[1]. على أنه فى بعض الأحيان، كان يجد نفسه مضطراً للإقامة فى الفيوم والاسكندرية لفترة محدودة، فتذكر بعض الروايات أن النجيد مبارك (ميفوراخ) بن سعديا (Mevorakh b. Saadya) المعاصر لخلافة الأمر لأحكام الله الفاطمى (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩م)، اضطر إلى الإقامة بعض الوقت فى الفيوم والاسكندرية، هربا من بعض المضايقات التى تعرض لها فى القاهرة، نتيجة لسعاية بعض خصومه به.

نشأة لقب «نجيد» Nagid:

ذكرت فى بداية هذا الموضوع أن اللقب العبرى «نجيد» قد أطلق على رئيس اليهود، ويهمنا أن نوضح أن لقب «نجيد» ـ كما ظهر من قراءتنا ـ إنما أطلق على رئيس اليهود المستقل عن رأس الجالوت واليشيفا العراقية، كما أن هذا اللقب لم يظهر ـ كما أجمعت على ذلك المراجع ـ إلا فى فترة الخلافة الفاطمية (٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٨-١١٧١م) التى هى خلافة مستقلة عن الخلافة العباسية كما هو معروف.

وقد لقى لقب «نجيد» الكثير من الجدال فى المراجع حول تاريخ نشأته زمن الخلافة الفاطمية وأسباب هذه النشأة؟

---

(١) قصر الشمع: وهو قصر كان فى موضع الفسطاط من مصر قبل تمصير المسلمين لها، وكانت الفرس عندما تملكت الشام ومصر قد بدأت ببناء هذا القصر، وجعلت فيه هيكلا لبيت النار، فلم يتم بناؤه على أيديهم، فلما ظهرت الروم تمّمت بناءه، وحصنته، وجعلته حصناً مانعا، ولم تزل فيه إلى أن نازله المسلمون مع عمرو بن العاص، ففتحه، وهيكل النار هو القبة المعروفة فيه بقبة الدخان اليوم، وتحته مسجد معلق أحدثه المسلمون، وهذا القصر يعرف ببابليون، «ولا أدرى لم سُمى بالشمع».

وتذكر د. سيدة كاشف أن حصن بابليون هو الحصن الذى بناه الامبراطور تراجان (٩٨-١١٧م)، وكان يسميه العرب قصر الشمع أو الحصن.

ولمناقشة الآراء التى وردت حول ظهور النجيد فى الدولة الفاطمية، نود فى البداية أن نشير إلى أن السبب فى اختلاف الآراء وتضاربها، كان راجعاً إلى ندرة المعلومات عن التنظيم الطائفى لليهود فى مصر، خلال الفترة الممتدة من الفتح العربى عام ٢٠هـ/٦٤١م إلى بداية دخول الفاطميين مصر عام ٣٥٨هـ/٩٦٨م.

فتاريخ اليهود فى مصر خلال القرون الثلاثة الأولى من الفتح العربى غامض ـ كما يقول Mann. وأقدم مرجع لليهود فى الفسطاط هو وثيقة ترجع إلى عام ١٣٣هـ/٧٥٠م فى عصر الولاة زمن الدولة العباسية، ومن هنا فالقليل فقط هو الذى نعرفه عن طبيعة حياة اليهود فى مصر خلال تلك الفترة.

ونلاحظ أن المعلومات التى بدأت تتوافر عن اليهود فى مصر مع بداية دخول الفاطميين مصر، حدث فيها خلط كثير بين رئيس اليهود ولقب النجيد الذى أطلق عليه فيما بعد.

ويمكن القول إن المراجع العربية فى هذا الشأن قد انقسمت إلى فريقين: فريق يرى أن النجيد ظهر فى مصر بعد دخول الفاطميين إليها مباشرة. وفريق يرى أن النجيد لم يظهر فى مصر إلا بعد مرور مائة عام من دخول الفاطميين إليها.

وبالنسبة للفريق الأول، فقد رأى أن ظهور منصب النجيد فى مصر بعد دخول الفاطميين إليها يعد أمرا ضروريا. فمع قيام الخلافة الفاطمية فى مصر (٣٥٨هـ/٩٦٨م)، وانقسام الدولة الإسلامية إلى خلافة ببغداد وأخرى بالقاهرة، انفصل يهود المشرق ـ بالتالى ـ عن يهود المغرب، وقامت رئاسة جديدة ليهود المغرب فى مصر وفلسطين، عرف متوليها باسم النجيد، مستقلا عن رأس الجالوت فى بغداد.

ومن هنا رأى هذا الفريق أن الفاطميين قد استحدثوا هذه الوظيفة بغرض إبطال ولاء يهود دولتهم لرئيس الدياسبورا ـ أى رأس الجالوت ـ الذى كان يعينه العباسيون فى بغداد.

أما الفريق الثانى، فقد ذكر أن لقب النجيد ـ تبعا لما ورد فى وثائق الجنيزة ـ لم يظهر فى مصر إلا حوالى عام ٤٥٨هـ/١٠٦٥م زمن الخليفة الفاطمى المستنصر بالله (٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م)[1]، أى بعد حوالى مائة عام تقريبا من الفتح الفاطمى. كما أنه لم يستخدم باستمرار، إلا مع بداية القرن ٧هـ/١٣م الذى أصبح فيه لقب «نجيد» يعنى رئيس اليهود (Ra'is al-yahud).

وبالنسبة لحجة الفريق الأول، وهى أن إنشاء وظيفة النجيد إنما كان بغرض الاستقلال عن رأس الجالوت واليشيفا العراقية، فإن جويتاين يرى أن وثائق الجنيزة تشير إلى العكس، وهو أنه كانت هناك روابط وثيقة تربط بين اليهود الذين يعيشون داخل حدود الدولة الفاطمية، والأكاديمية اليهودية فى بغداد. بل إن تعيين رؤساء المجتمع اليهودى فى مصر، وتلقى ألقابهم الشرفية، كان يتم عن طريق رأس الجالوت فى بغداد، واليشيفا العراقية فى ذلك الوقت.

أما بخصوص ما أثبتته وثائق الجنيزة من أن الفاطميين عندما دخلوا مصر، اعترفوا برئيس اليشيفا الفلسطينية رئيسا على يهود دولتهم. فيرى مارك كوهن أن السبب فى ذلك إنما يرجع إلى تطلّع الخليفة الفاطمى ـ بعد قيام دولته المستقلة فى مصر وفلسطين ـ إلى ممارسة صلاحيات الخليفة، بما فيها العادة التى جرى عليها العباسيون فى تنصيب شخصيات مرموقة من غير المسلمين، ومن ذوى النفوذ على طوائفهم ومعابدهم، ومن هنا

---

(١) وهو أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بن العزيز بن المعز. الملقب المستنصر بالله. ولد بالقاهرة عام ٤٢٠هـ/١٠٢٩م. وبويع له بالخلافة بعد موت والده الظاهر عام ٤٢٨هـ/١٠٣٦م. وفى أيامه قطع البساسيرى خطبة الإمام القائم وخطب للمستنصر بالله وذلك فى عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، ودعا له على منابرها مدة سنة، كما حدث فى أيامه الغلاء العظيم الذى أقام سبع سنين. والمستنصر بالله أقام حاكما للبلاد مدة ٦٠ سنة، وكان قد ولى الأمر وهو ابن سبع سنين. وقد توفى المستنصر بالله عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م.

كان من الطبيعى أن يقع اختيار الخليفة عند بحثه فى نطاق دولته عن سلطة تماثل سلطة رؤساء المعاهد ورأس الجالوت ببغداد ـ على رئيس الأكاديمية الفلسطينية.

وهكذا فإن رئيس اليشيفا الفلسطينية قد حكم ـ بمعاضدة الفاطميين ـ على يهود مصر، إسمياً على الأقل، طوال المائة عام الأولى من الحكم الفاطمى.

على أنه من الواضح أن يهود مصر ـ كما يقول مارك كوهن ـ لم يسلّموا تماماً بخضوعهم لسلطة اليشيفا الفلسطينية. فقد عهد ـ مثلاً ـ إلى التاجر المعروف يوسف بن عوكل(*) بنقل أسئلة فى الشريعة من يهود مصر والمغرب إلى رؤساء معاهد العراق، والعودة بالردود إلى السائلين، ولم يتوجه يهود مصر بأسئلتهم فى هذه الفترة إلى رؤساء المعهد الفلسطينى.

ولقد استمرت الرئاسة العليا لليهود فى مصر ممثلة فى الجاؤون أو رئيس اليشيفا قائمة حتى عام ٤٥٢هـ/١٠٦٠م زمن المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م)، كما تشير إلى ذلك وثائق الجنيزة، اللهم إلا فى زمن الخليفة الفاطمى الحاكم (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م) عندما ظهرت رئاسة جديدة لليهود فى مصر، حاولت الاستقلال عن سلطة اليشيفا الفلسطينية، وقام بها شمريا بن الحنان (ت عام ٤٠٢هـ/١٠١١م)، وابنه الحنان بن شمريا (ت عام ٤١٦هـ/١٠٢٥م)، اللذان تلقيا تعاليمهما فى أكاديمية العراق، وكانت الخلافة الفاطمية قد اعترفت بهما كرؤساء لليهود فى مصر.

بل إن شمريا بن الحنان أسس مدرسة للتعليم العالى فى الفسطاط، حتى ينافس بها اليشيفا الفلسطينية ـ كما ذكرت فى موضع سابق ـ وإن كان قد عاد وأعلن خطأه، واعترف بسلطة اليشيفا الفلسطينية، خاصة عندما صدرت ضده مجموعة من الإدانات.

(*) وعنه أنظر الفصل الخاص بالحياة التجارية لليهود فى مصر.

وبعد وفاة الحنان بن شمريا عام ٤١٦هـ/١٠٢٥م زمن الخليفة الفاطمى الظاهر (٤١١-٤٢٧هـ/ ١٠٢٠-١٠٣٥م)(١)، عاد يهود مصر إلى الخضوع مرة أخرى لسلطة رؤساء اليشيفا الفلسطينية، فلم تشر وثائق الجنيزة إطلاقا إلى رئيس رسمى لليهود فى الدولة الفاطمية، فالجاؤون كان هو الذى يقوم بتعيين الموظفين الرسميين للمجتمع اليهودى فى القاهرة أو فى المدن الأخرى، حتى الأماكن الصغيرة كان يراسلها فى كل ما يتعلق بشئونها العامة، فهو المسئول عن كل ما يتعلق باليهود أمام الدولة الفاطمية.

وقد استمر هذا الوضع قائما فى مصر حتى عام ٤٥٢هـ/١٠٦٠م زمن الخليفة الفاطمى المستنصر بالله (٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م) ـ كما ذكرت آنفاً، فهذا التاريخ هو فى الحقيقة بداية لظهور رؤساء لليهود فى مصر فى وثائق الجنيزة. والسبب فى ذلك يرجع ـ كما يقول جويتاين ـ إلى ضعف سلطة اليشيفا الفلسطينية الممثلة فى الجاؤون، وتعرض القدس عام ٤٥٣هـ/١٠٦١م لغزو السلاجقة، مما أدى إلى انتقال مقر اليشيفا الفلسطينية إلى صور(٢) على الساحل اللبنانى أولا، ثم فيما بعد إلى دمشق.

هذا إلى جانب ظهور أسرة يهودية فى مصر لها نفوذ كبير، وتأثير على الطائفة اليهودية، وهى أسرة «سعديا»، التى تولى أفرادها رئاسة اليهود فى مصر، ومنهم: يهودا وأخوه مبارك بن سعديا وابنه موسى بن مبارك، وذلك من خلافة المستنصر بالله الفاطمى

(١) وهو أبو الحسن (ذكره ابن خلكان باسم أبو هاشم) على بن الحاكم بن العزيز بن المعز. الملقب الظاهر لإعزاز دين الله. ولد بالقاهرة عام ٣٩٥هـ/١٠٠٤م. بويع له بالخلافة بعد مقتل والده عام ٤١١هـ/١٠٢٠م. وتوفى الظاهر عام ٤٢٧هـ/١٠٣٥م ويقول ابن خلكان: إنه سمع أنه توفى ببستان الدكة وهو بالمقس فى الموضع المعروف بالدكة. وكانت مدة خلافته ١٥ سنة و٨ أشهر و٥ أيام.

(٢) صُور: بضم أوله، وسكون ثانيه، وآخره راء. مدينة مشهورة كانت من ثغور المسلمين، وهى مشرفة على بحر الشام، وهى حصينة جداً. افتتحها المسلمون فى أيام عمر بن الخطاب، وقد نسب إليها طائفة من العلماء.

(٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م)، إلى خلافة الآمر بأحكام الله الفاطمى (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩م) ـ كما سنرى فيما بعد.

ويذكر جويتاين أنهم إلى جانب حصولهم على أعلى الألقاب من اليشيفا سواء الموجودة فى فلسطين أو الموجودة فى العراق، فقد منحوا كذلك لقب «نجيد» ـ كما سنرى ـ وكان ذلك هو بداية ظهور هذا اللقب فى مصر، كما ظهر ذلك من وثائق الجنيزة.

على أن لقب «نجيد» الذى أطلق على رئيس اليهود فى أسرة «سعديا»، اختفى بعد ذلك، ولم يطلق فى الدولة الفاطمية إلا على واحد فقط ـ كما تشير إلى ذلك وثائق الجنيزة ـ وهو صمويل بن حنانيا وذلك فى عام ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م، زمن الحافظ الفاطمى (٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٢٩-١١٤٩م)[١].

أما فى الدولة الأيوبية (٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م)، فلم يظهر لقب «نجيد» فى وثائق الجنيزة إلا مرتبطا باسم إبراهيم بن موسى بن ميمون ـ كما سنرى فيما بعد ـ الذى تبع والده فى رئاسة اليهود فى مصر وذلك فى عام ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م زمن العادل أبى بكر بن أيوب (٥٩٦-٦١٥هـ/ ١١٩٩-١٢١٨م)، ثم ما لبث أن أطلق عليه لقب «نجيد» فى عام ٦١٠هـ/ ديسمبر ١٢١٣م كما ظهر من الوثائق، وسبب إطلاق هذا اللقب عليه فى رأى جويتاين، هو أنه عندما تولى وظيفة رئيس اليهود كان صغيراً فى السن، فقوبل بمعارضة كثيرة، مما دفع أنصاره إلى إسباغ هذا اللقب عليه حتى يقووا مركزه.

---

(١) وهو أبو الميمون عبدالمجيد بن الأمير أبى القاسم محمد بن المستنصر بالله أبى تميم معد. الملقب الحافظ لدين الله. ولد بعسقلان عام ٤٦٦هـ/١٠٧٣م وقيل عام ٤٦٧هـ/١٠٧٤م وقيل عام ٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م، وذلك عندما أخرج المستنصر ابنه أبا القاسم مع بقية أولاده فى أيام الشدة من مصر إلى عسقلان، فكان يقال له الأمير عبدالمجيد العسقلانى. وقد بويع له بالخلافة عام ٥٢٤هـ/١١٢٩م، يوم مقتل ابن عمه الآمر بأحكام الله. وكان الحافظ حازم الرأى، الغالب على أخلاقه الحُلم، يميل إلى علم النجوم. وقد توفى عام ٥٤٤هـ/١١٤٩م.

ومنذ إطلاق لقب «نجيد» على إبراهيم بن موسى، أصبح لقب «نجيد» يصدر بصورة رسمية فى كل الوثائق الخاصة بمصر، والمؤرخة من عام ٦١٠هـ/١٢١٣م زمن العادل أبى بكر بن أيوب (٥٩٦-٦١٥هـ/١١٩٩-١٢١٨م)، كإشارة إلى رئيس اليهود فى مصر، حتى ألغى هذا المنصب فى القرن ١٠هـ/١٦م، وبالتحديد عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م فى أعقاب احتلال العثمانيين لمصر، فى ظروف لم تتضح لنا بعد ـ كما يقول مارك كوهن.

رؤساء اليهود فى مصر:

عرضنا سابقا لآراء كل من الفريقين حول ظهور منصب «النجيد» فى الدولة الفاطمية، وأسباب ظهوره، وسنتناول الآن عرضاً لأسماء رؤساء اليهود فى مصر زمن الخلافة الفاطمية والدولة الأيوبية، كما ذكرها كل من الفريقين.

وسوف نلاحظ الإختلاف الواضح بينهما، ليس فقط فى ذكر مَن تولى رئاسة اليهود فى تلك الفترة، وإنما كذلك فى إطلاق لقب «نجيد» عليه، وهو اللقب الذى لم يظهر فى مصر ـ كما سبق أن ذكرنا ـ إلا بعد حوالى مائة عام تقريبا من بداية دخول الفاطميين مصر، كما أنه لم يستخدم باستمرار إلا مع بداية ق ٧هـ/١٣م الذى أصبح فيه لقب «نجيد» يعنى رئيس اليهود، كما اتضح ذلك من وثائق الجنيزة.

وقد ذكرت سابقا أنه قد ثبت من وثائق الجنيزة أن الفاطميين عندما دخلوا مصر، اعترفوا برئيس اليشيفا الفلسطينية رئيسا على يهود دولتهم، فيذكر جويتاين أن أول رجل كان مسئولا عن شئون المجتمع اليهودى فى مصر كان الحبر (hávér) أو عضو الأكاديمية الفلسطينية.

أما «مان» Mann فيذكر أن أول من تولى منصب النجيد فى مصر هو بلطيال (Pal-tiel)[١]، الذى لعب دورا هاماً فى الفتح الفاطمى لمصر[٢]. وقد تولى رئاسة اليهود فى مصر فى الدولة الفاطمية. وتقول عنه د. فاطمة عامر إنه كان رئيس اليهود فى المغرب وشمال أفريقية ومصر.

ويذكر مارك كوهن أن السبب الذى جعل معظم المؤرخين يرون أن بلطيال هو «نجيد» اليهود فى مصر ـ يرجع إلى «احيماعص» كاتب سيرة بلطيال فى القرن ٥هـ/١١م، فقد التبس عليه الأمر، بسبب منصب بلطيال المزدوج، إذ كان طبيب الخليفة، وزعيم يهود مصر فى الوقت نفسه، وذلك ما جعل المؤلف يتوهم أنه «نجيد»، شأنه فى ذلك شأن أطباء الحكام «النجيديم» فى تونس على عهد المؤلف «احيماعص». وقد أحدث استخدام «احيماعص» للقب «النجيد» انطباعا خاطئاً، بأن هذا المنصب قد استحدث فى مصر، بعد أن احتلها الفاطميون مباشرة.

على أن أول مَن تولى منصب رئيس اليهود فى مصر ـ كما يقول جويتاين ـ هو **شمريا بن الحنان** (Shemarya b. Elhanan)[٣]، زمن الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م).

(١) عربه الدكتور عطية القوصى فى كتابه باسم «بلطيل»، وعربته الدكتورة فاطمة عامر باسم «بالتيل». والاسم الذى أوردته فى المتن هو من تعريب مترجم كتاب مارك كوهن: المجتمع اليهودى. أما جويتاين فلم يشر إليه فى كتابه.

(٢) ذكر Mann أن بلطيال هو الذى رتب لاحتلال مصر، وأضاف أنه ظل وزيرا يوثق به من قبل المعز وابنه العزيز من بعده، وهذا يخالف ما اتفقت عليه معظم المصادر والمراجع من أن يعقوب بن كلس هو أول من تولى منصب الوزارة للدولة الفاطمية فى مصر وذلك زمن العزيز بالله.
وأنظر عن ذلك الفصل الخاص باليهود والحياة الإدارية فى مصر.

(٣) يذكر جويتاين أن شمريا (Shemarya) اسم عبرى بمعنى «محمى بواسطة الله»، وهو يقابل اسم «مأمون» فى اللغة العربية.

فقد ورد اللقب العربى «رئيس اليهود» منسوباً إلى شمريا فى إحدى رسائله. ويرى مارك كوهن أن السلطة الفاطمية ربما كانت قد اعترفت به اعترافا رسميا بشكل ما، وذلك إدراكاً منها بأنه شغل فى الواقع كثيراً من المهام التى اقتصرت ممارستها على رئيس الأكاديمية الفلسطينية، خاصة وأن هذا اللقب لم يستعمل باعتباره لقبا رسميا للسلطة المركزية على يهود الدولة الفاطمية، إلا فى نهاية القرن ٥هـ/١١م.

على أية حال، فقد نال «شمريا» شهرة فى البلاد: من الأندلس فى الغرب، إلى العراق فى الشرق، وكانت له منزلة عالية فى اليشيفا العراقية، فقد لقّب «برئيس المحكمة العليا لكل إسرائيل»، كما لقب «بالمفتى العظيم» بسبب آرائه الشرعية والقانونية.

وقد توفى شمريا بن الحنان فى عام ٤٠٢هـ/٣١ ديسمبر ١٠١١م، زمن الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م).

ويذكر جويتاين أن جنازته هوجمت من قبل المسلمين، ونهب مشيعوها، وألقى فى السجن بثلاثة وعشرين من أعضاء اليهود البارزين، وحكم عليهم بالموت، ثم تدخل الخليفة الحاكم وأعفى عنهم[١].

وقد تبع شمريا بن الحنان ابنه **الحنان بن شمريا** فى رئاسة اليهود فى مصر. وقد عرف أولا باسم «رئيس أدباء كل الإسرائيليين»، ثم عرف «بكبير الدياسبورا». وقد توفى عام ٤١٦هـ/١٠٢٥م.

ووفقا لـ Mann فإن الذى تولى منصب «النجيد» خلفاً للنجيد بلطيال كان هو ابنه صمويل (Samuel).

(١) يفسر جويتاين مهاجمة المسلمين جنازته، بالعدد الكبير من المشيعيين الذى استفز المسلمين، وتزامن ذلك مع اضطهاد الحاكم بالله الفاطمى لأهل الذمة، وهو سبب غير مقنع فى رأينا.

وتذكر د. فاطمة عامر أن صمويل هذا باشر هذه المهمة عدة سنين، وتمكن من الحصول لليهود على تصريح يسمح لهم بالسير فى الطرقات ليلا، وهم يحملون الفوانيس، كما أنه اشترى مقبرة لدفن موتى اليهود فيها[١].

كما ذكر Mann أن ابنه يوسف (Yohosef or Joseph) قد تولى منصب النجيد من بعده[٢].

على أن جويتاين لم يشر فى كتابه إلى تولى صمويل أو ابنه يوسف منصب النجيد فى مصر، وإنما ذكر نجيدا باسم «صمويل بن نجريلا» (Samuel b. Nagrela)، قال عنه: إنه كان وزيرا فى الأندلس، وأنه حمل لقب النجيد فى حوالى عام ٤١٨هـ/١٠٢٧م غالباً من قبل الجاؤون هاى (hay) رئيس أكاديمية بغداد. كما ذكر أن لقب «نجيد» قد أصبح جزءاً من اسمه، فقد عرف فى التاريخ اليهودى باسم «النجيد صمويل» (Samuel ha-Nagid).

وقد حمل اللقب من بعده ابنه يوسف (Joseph)، الذى قتل عام ٤٥٩هـ/١٠٦٦م.

على أية حال، فإن اختلاف الفريقين فى ذكر مَن تولى رئاسة اليهود فى مصر زمن الدولة الفاطمية حتى أسرة سعديا (Saadya)، لم يرجع فقط إلى إختلاف رأى كل منهما فى أسباب ظهور وظيفة «النجيد» فى مصر، وإنما يرجع كذلك إلى اختلافهما حول المقر الذى ظهرت فيه وظيفة «النجيد» عموماً فى الدولة الفاطمية. ففى حين رأى الفريق الأول أن هذه الوظيفة كانت مقرها مصر أولا، ثم القيروان[٣]، رأى الفريق الثانى أن مقرها كان

(١) وقد عربه د. عطية القوصى إلى إسماعيل والصحيح ما ورد فى المتن.

(٢) وقد ذكره د. عطية القوصى باسم «يوشع».

(٣) ذكر Mann أنه بعد موت النجيد صمويل بن بلطيال (لم يذكر تاريخ وفاته)، انقسم المنصب إلى نجيد فى مصر، ونجيد فى تونس مقره القيروان.

تونس أولا، ثم بعد ذلك ظهرت فى مصر مع تولى أسرة سعديا منصب رئيس اليهود[١].

والحقيقة أن الفريقين قد اتفقا ليس فقط على تولى أسرة «سعديا» (Saadya) (والممثلة فى يهودا وأخيه مبارك وابنه موسى) ـ منصب رئيس اليهود فى مصر، وإنما كذلك على منحهم لقب نجيد.

وأسرة «سعديا» كما يظهر من وثائق الجنيزة كانت بداية استقلال يهود مصر عن كل من بغداد وفلسطين، فظهر أسماء رؤساء لليهود فى مصر بإنتظام فى الوثائق الرسمية.

(١) ذكر جويتاين أن أول من حمل لقب نجيد هو ابراهام بن عطا أو ناثان (بمعنى هبة من الله الأول بالعربى والثانى بالعبرى) (Abraham b. Ata or Nathan)، وذلك فى تونس فى عهد باديس (٣٨٦-٤٠٦هـ/ ٩٩٦-١٠١٥م). وابنه المعز (٤٠٦-٤٥٤هـ/ ١٠١٥-١٠٦٢م). وكان الجاؤون هاى (hay) جاؤون بغداد، قد أنعم به عليه فى عام ٤٠٦هـ/١٠١٥م.
وتولى بعده يعقوب بن عمرام (Jacob b. Amram)، وكان قد لقب فى وثيقة رسمية كتبت بالفسطاط حوالى عام ٤٣٣-٤٣٤هـ/ ١٠٤١-١٠٤٢م «بأمير الدياسبورا»، ثم لقب «بالنجيد» فى خطابات رسمية أرسلت إليه من صقلية أو من رأس الجالوت ببغداد.
وقد اتضح من خلال خطابات الجنيزة أنه كان يقوم بمهام رئيس اليهود، فكان حاميا قويا لجماعته، محافظا للقانون واخلاقيات المجتمع، يفصل شخصيا فى الدعاوى القضائية بين أعضاء اليهود البارزين.
ويذكر جويتاين أنه قد نُفى حوالى عام ٤٥٢هـ/١٠٦٠م بعد حدوث خلاف بينه وبين الخليفة الفاطمى الحاكم، وأن التجار التوانسة فى مصر قد ظلوا على ولائهم له، بل إنهم جمعوا أموالاً له، ولكنها فقدت فى حطام سفينة.وهكذا يتضح مما ذكره جويتاين أن يعقوب بن عمرام قد تولى منصب «النجيد» فى تونس، وأن ورود اسمه فى وثائق الفسطاط يرجع إلى العلاقة التى ربطت بينه وبين التجار التوانسة اليهود المقيمين فى مصر.

وأول مَن تولى منصب رئيس اليهود من هذه الأسرة هو: **يهودا بن سعديا** (Judah b. Saadya)، وذلك من عام ٤٥٨هـ/١٠٦٥م إلى عام ٤٧٢هـ/١٠٧٩م، زمن الخليفة الفاطمى المستنصر بالله (٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م).

ثم **أبو الفضل مبارك (ميفوراخ) بن سعديا** (Abu'l-Fadl Mevorakh b. Saadya) الذى تولى منصب النجيد بعد أخيه يهودا عام ٤٧٢هـ/١٠٧٩م[١].

وقد أوضحت الوثائق أن مبارك قد عين نجيدا من قبل الحكومة، وأنه كان على صلة وثيقة بالملك الأفضل[*].

وقد توفى مبارك - كما ذكرت بعض الخطابات الخاصة - فى عام ٥٠٦هـ/ مارس ١١١٢م[٢]، زمن الخليفة الفاطمى الآمر (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩م).

---

(١) وقد أورد د. عطية القوصى أنه تولى المنصب من عام ٤٧٢هـ/١٠٧٩م إلى عام ٥٠٤هـ/١١١٠م، على أن جويتاين ذكر أن آخر الوثائق التى أشارت إلى مبارك كنجيد كانت مؤرخة عام ٥٠٥هـ/١١١١م.

(*) وهو أبو القاسم شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى. الملقب الملك الأفضل. كان والده بدر أرمنى الجنس، اشتراه جمال الدولة بن عمار، وتربى عنده وتقدم بسببه. وقد استنابه المستنصر صاحب مصر بمدينة صور وقيل عكا، فلما ضعف حال المستنصر، استدعاه إليه، فوصل إلى القاهرة عام ٤٦٦هـ/١٠٧٣م فولاه المستنصر تدبير أموره، فتولى الوزارة وقضاء القضاة. وكان يلقب أمير الجيوش، ولم يزل كذلك إلى أن توفى عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م، ولما مرض واشتد مرضه عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م وزّر ولده الأفضل موضعه فى حياته.

واستمر الأفضل متولياً الوزارة فى خلافه المستعلى وولده الآمر، وتذكر المصادر الإسلامية أنه هو الذى أقام المستعلى وولده الآمر فى الخلافة وأنه كان - فى الحقيقة - صاحب الديار المصرية. وقد حجر على الآمر ومنعه من ارتكاب الشهوات، فحمله ذلك على تدبير قتله، وكان يسكن بمصر فى دار الملك التى على النيل وهى اليوم دار الوكالة، فلما ركب من داره المذكورة، وتقدم إلى ساحل البحر، وثبوا عليه فقتلوه وكان ذلك فى عام ٥١٥هـ/١١٢١م.

وتذكر المصادر الإسلامية أنه خلف من الأموال ما لم يسمع بمثله، فانتقل ذلك كله إلى الخليفة الفاطمى فجعل فى خزانته، وإليه تنسب قيسرية أمير الجيوش بمصر، وأبوه بانى الجامع الذى بثغر الاسكندرية بسوق العطارين.

(٢) وقد ذكر مارك كوهن أنه توفى فى ديسمبر من عام ١١١١م.

ويذكر مارك كوهن أن مبارك بن سعديا، باعتباره رئيسا رسمياً ليهود مصر، قد تولى المناصب والمهام التى اقتصرت سابقا على رئيس المعهد الفلسطينى. فقد كان مبارك أعلى سلطة قضائية يهودية فى البلاد، وكان يقوم بتعيين القضاة الشرعيين للطوائف المحلية. كما لعب دوراً هاما فى تنظيم الحياة الدينية، وقام بدور الوسيط لكافة اليهود عند حكامهم الفاطميين. ولم يكن رؤساء المعهد الفلسطينى سابقا قادرين على أداء هذه المهمة، نظرا للمسافة الشاسعة بينهم وبين مركز الخلافة فى القاهرة.

وكان مبارك قد أقيل من منصبه من عام ٤٧٥هـ/١٠٨٢م إلى عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م زمن الخليفة الفاطمى المستنصر بالله (٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م)، فتولى رئاسة اليهود فى مصر بدلا منه **داود بن دانيال بن عزريا** (David b. Daniel). ويوجد العديد من الوثائق - كما يقول جويتاين - التى صدرت حوالى عام ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م باسم داود بن دانيال.

وتولى منصب «النجيد» بعد مبارك ابنه **موسى** (Moses)، فتشير الوثائق التى صدرت أثناء توليه منصبه أنه تولى منصب النجيد فيما بين عام ٥٠٩هـ/ مارس ١١١٥م وعام ٥١٨هـ/ ديسمبر ١١٢٤م، زمن الخليفة الفاطمى الآمر (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩م) وإن كان مارك كوهن قد أورد فى كتابه أنه ظل فى منصبه حتى عام ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م تقريبا.

وبعد أسرة «سعديا» (Saadya) تولى رئاسة اليهود فى مصر، الجاؤون الفلسطينى **مصليح ها-كوهين بن شلومو** (Masliah)، من عام ٥٢١هـ/١١٢٧م إلى عام ٥٣٤هـ/١١٣٩م، وذلك فى زمن الخليفة الفاطمى الآمر (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩م) وكذلك الحافظ (٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٢٩-١١٤٩م).

ويذكر مارك كوهن أنه لقّب «برئيس معهد مفخرة يعقوب». ويعرف فى التاريخ اليهودى باعتباره مؤسس «جاؤونة الفسطاط»، ويرى أن انتقال «مصليح» من دمشق إلى القاهرة حوالى عام ٥٢١هـ/١١٢٧م، كان نتيجة لإدراكه أن إحياء السلطة الجاؤونية على يهود مصر، منوطة بنقل المؤسسة الجاؤونية إلى مصر، التى تمثلت فى توليها منصب رئيس اليهود.

وقد خلف مصليح فى منصب رئيس اليهود النجيد **أبو منصور صمويل**[*] (**شموئيل**) **ابن حنانيا** (الطبيب) (Abu Mansur Samuel b. Hananya).

ووفقا لجويتاين فإنه تولى منصب النجيد فى مصر من عام ٥٣٥هـ/١١٤٠م (أى زمن الخليفة الفاطمى الحافظ) إلى عام ٥٥٤هـ/١١٥٩م[١]، (زمن الخليفة الفاطمى الظافر ٥٤٤-٥٤٩هـ/ ١١٤٩-١١٥٤م)[٢]، وهو العام الذى توفى فيه.

(*) ذكره د. عطية القوصى باسم إسماعيل بن حنانيا، ثم عاد وذكره فى سياق حديثه باسم صمويل. ويذكر جويتاين أن اسمه أحيانا يختلط مع اسم النجيد الأسبانى المشهور صمويل بن نجريلا (النجيد صمويل).

(١) ذكر د. عطية القوصى أنه استمر متوليا لمنصب النجيد حتى وفاته فى عهد الأيوبيين عام ٥٩٢هـ/١١٩٥م. والصحيح ما ورد فى المتن.

(٢) وهو أبو المنصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله أبو الميمون عبدالمجيد بن الأمير أبو القاسم محمد بن المستنصر بالله. الملقب الظافر بأمر الله. ولد عام ٥٢٧هـ/١١٣٢م وبويع فى اليوم الذى مات فيه والده الحافظ لدين الله عام ٥٤٤هـ/١١٤٩م بوصية أبيه وكان أصغر أولاد أبيه سناً. وفى أيامه أخذ الفرنج عسقلان واستولوا عليها، وظهر الوهن والخلل فى الدولة، فإنه كان كثير اللهو واللعب مع جواريه، مقبلاً على سماع المغنى. وهو الذى أنشأ الجامع المنسوب إليه (جامع الظافر) وذلك فى عام ٥٤٣هـ/١١٤٨م والمعروف الآن بجامع الفاكهيين (الفكاهين) فى خط الشوّايين من القاهرة. وقد قتل عام ٥٤٩هـ/١١٥٤م ودفن فى تربة القصر مع آبائه، وكانت مدة خلافته ٤ سنين و٧ أشهر و١٤ يوما.

وقد تعرض لمؤامرة فى أثناء توليه منصبه دبرت له من يهودى اسمه زوطا (Zutta)، أدت إلى أنه حل محله فى المنصب، ولكن لمدة ٦٦ يوماً فقط، أعيد بعدها صمويل للمنصب[*].

وقد خلف صمويل فى منصبه الجاؤون **هبة الله نثانئيل**[**] **ها ـ ليفى** (Hibat Allah Nethanel ha-Levi) فى رئاسة اليهود وذلك فى عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م زمن الخليفة الفاطمى العاضد (٥٥٥-٥٦٧هـ/ ١١٦٠-١١٧١م)، ويذكر Mann أنه استمر متوليا لرئاسة اليهود حتى عام ٥٦١هـ/١١٦٥م، ولكن جويتاين يذكر أنه تخلى عن مركزه عام ٥٦٥هـ/١١٦٩م، ويذكر مارك كوهن أنه كان فى عام ٥٦٤هـ/١١٦٨م.

ويرى Mann أنه لم يحصل على لقب «نجيد»، لذلك أطلق عليه بنيامين التطيلى لقب «سرها سريم» أى أمير الأمراء، الذى كان يطلق عادة على النجيد.

وقد تولى منصب رئيس اليهود بعد نثانئيل أخوه الجاؤون **سارشالوم ها ـ ليفى** (Sar-shalom ha-Levi). ووفقا لجويتاين فإن سارشالوم تولى رئاسة اليهود عام ٥٦٦هـ/١١٧٠م، وفى عام ٥٦٧هـ/١١٧١م تم استبدال موسى بن ميمون به، ثم تولاها مرة ثانية عام ٥٧٣هـ/١١٧٧م، واستمر متوليا لها حتى عام ٥٩٢هـ/١١٩٥م.

أما Mann فيذكر أنه تولى رئاسة اليهود من عام ٥٦٦هـ/١١٧٠م إلى عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م.

وعلى أية حال، ففى أثناء توليه المنصب تعرض لمحاولة جديدة من زوطا (Zutta) للسيطرة على هذا المنصب، وبالفعل تمكن من تنصيب نفسه رئيسا لليهود، مستغلا الاضطرابات التى حدثت فى نهاية الدولة الفاطمية.

(*) يشير جويتاين إلى أن وظيفة رئيس اليهود كانت إلى جانب كونها وظيفة إجتماعية، كانت وظيفة سياسية، لذلك كانت تتعرض لما تتعرض له أية وظيفة سياسية من مؤامرات ومكائد سواء من الحكام أو من اليهود أنفسهم.

(**) يذكر جويتاين أن اسمه العربى والعبرى يعنى «هبة من الله».
وذكر مارك كوهن أنه توفى بعد عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م.

على أنه من الملاحظ ـ كما يقول Mann ـ أن الوثائق قد تجاهلت تماماً فترة رئاسة زوطا، فلم تذكره تماما. وكان Mann قد أشار فى كتابه إلى أنه قد تولى منصب رئيس اليهود لمدة أربع سنوات، ثم عزل، ثم تولاه مرة ثانية لمدة سنتين، وإن لم يذكر السنوات.

وقد جانب الدكتور عطية القوصى الصواب عندما خلط بين زوطا والجاؤون سارشالوم، فقد ذكر فى كتابه أن سارشالوم عرفه المسلمون باسم زوطا، وذلك نقلا عن Mann.

مع أن Mann ذكر فى كتابه صراحة أن زوطا قد عرف باسم سارشالوم، وهو نفس الإسم المطابق للجاؤون المصرى سارشالوم ها ـ ليفى. وقال: إن زوطا هو اسمه العبرى، أما إسمه العربى فهو يحيى (yahya)، وأنه أطلق على نفسه اللقب الرنان سارشالوم.

وقد خلف الجاؤون سارشالوم **موسى بن ميمون** فى رئاسة اليهود، وكان قد تولى هذا المنصب عام ٥٦٧هـ/١١٧١م ـ كما ذكرت سابقا.

ويذكر مارك كوهن أنه تولى منصب رئيس اليهود من عام ٥٩٢هـ/١١٩٥م زمن الملك العزيز عثمان (٥٨٩-٥٩٥هـ/ ١١٩٣-١١٩٨م)(١) إلى عام ٦٠١هـ/١٢٠٤م أى إلى وفاته(٢)، زمن الملك العادل أبو بكر بن أيوب (٥٩٦-٦١٥هـ/ ١١٩٩-١٢١٨م).

(١) وهو عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، الملك العزيز، أبو الفتح، عماد الدين بن الناصر. ولد بالقاهرة عام ٥٦٧هـ/١١٧١م. وقد تولى السلطنة بعد وفاة أبيه عام ٥٨٩هـ/١١٩٣م، وكان قد سُلطن قبل ذلك عام ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م فكان نائبا عن أبيه فى الديار المصرية عندما كان أبوه بالشام، ولما توفى أبوه بدمشق، استقل بملك مصر. كان ملكاً مباركاً، كثير الخير، واسع الكرم، محسناً إلى الناس. توفى بمصر عام ٥٩٥هـ/١١٩٨م، ودفن بالقرافة الصغرى فى قبة الإمام الشافعى رضى الله عنه، وقبره معروف هناك.

(٢) ذكر د. عطية القوصى أنه توفى عام ٦٠٥هـ/١٢٠٨م، ثم عاد وذكر فى نفس الصفحة أن ابنه إبراهيم تولى المنصب عام ٦٠١هـ/١٢٠٤م.

وقد عين بواسطة الحكومة المصرية فى ذلك الوقت كرئيس لليهود، ولم يحمل أبدا لقب «نجيد»، وإنما لقب «رئيس» (Ra'is)، ويرى جويتاين أن ذلك ربما كان راجعا إلى أنه لم يكن يهتم بحمل هذا اللقب، أو أن السلطة رفضت الإنعام به عليه.

وكان د. عطية القوصى قد أورد فى كتابه أن موسى بن ميمون قد خلف نثانئيل ها ـ ليفى فى منصب النجيد، كما ذكر فى موضع آخر أن رأس الجالوت دانيال بن حسداى أرسل خطابا إلى نثانئيل رئيس يهود الفسطاط عام ٥٦٧هـ/١١٧١م يقر فيه تعيينه نجيدا على يهود مصر.

وهو ما يخالف ما ذكرناه من أن الذى خلف نثانئيل هو أخوه سارشالوم ها ـ ليفى، وربما رجع هذا الخطأ إلى الخلط بين اسم الجاؤون سارشالوم وزوطا الذى اغتصب السلطة ـ كما ذكرت سابقاً، فلم يذكره. هذا إلى جانب أن الخطاب الذى أرسل إلى نثانئيل من رأس الجالوت دانيال ـ وكنت قد أشرت إليه سابقا ـ قد أرسل عام ٥٥٧هـ/١١٦١م، وليس العام الذى ذكره كما هو ثابت من الوثائق.

على أية حال، فإن فترة حكم موسى بن ميمون (٥٩٢-٦٠١هـ/ ١١٩٥-١٢٠٤م) كانت بداية للأسرة الميمونية فى رئاسة اليهود التى استمرت لمدة ٢٠٠ عام، حتى نهاية القرن ٨هـ/١٤م(١).

وقد تولى **إبراهم بن موسى** (Abraham) رئاسة اليهود خلفاً لأبيه موسى بن ميمون فى عام ٦٠١هـ/١٢٠٤م زمن الملك العادل أبى بكر بن أيوب (٥٩٦-٦١٥هـ/ ١١٩٩-١٢١٨م).

وقد عرف فى البداية بلقب رئيس (Ra'is)، ثم أطلق عليه لقب «نجيد» فى عام ٦١٠هـ/ ديسمبر ١٢١٣م، كما ظهر ذلك من الوثائق.

(١) ذكر جويتاين أن آخر نجيد تولى المنصب من عائلة موسى بن ميمون هو داود الثانى ابن يهوشواع (David II b. Joshua)، فآخر وثيقة باسمه كانت مؤرخة عام ٨١٢هـ/١٤٠٩م.

وبرى جويتاين أن السبب فى إطلاق لقب «نجيد» عليه، يرجع إلى رغبة الموالين له من حزبه فى تقوية مركزه، خاصة أنه، بسبب صغر سنه، قد قوبل بمعارضة شديدة عندما تولى رئاسة اليهود[1].

على أية حال، فمنذ ذلك الحين، أصبح لقب «نجيد» يعنى رئيس اليهود، كما أصبح يصدر بصورة رسمية فى كل الوثائق الخاصة بمصر.

وقد توفى إبراهيم بن موسى عام ٦٣٦هـ/١٢٣٨م[2] زمن الملك العادل الصغير أبى بكر ابن أيوب (٦٣٥-٦٣٧هـ/ ١٢٣٧-١٢٣٩م)[3] ـ عن عمر يناهز ٥١ عاماً.

---

(١) ذكر جويتاين فى موضع آخر أن إبراهم قد قوبل بمعارضة من إخوان ها ـ ليفى الطامعين فى تولى رئاسة اليهود.

(٢) وكان ابن أبى أصيبعة قد ذكر أنه توفى فى الثلاثينيات من سنة ستمائة للهجرة.

(٣) وهو أبو بكر بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب، سيف الدين، أبو الفتح. لقب بالعادل على لقب جده. ولد بالمنصورة عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م. تذكر المصادر الإسلامية أنه لما مات والده الملك الكامل محمد بقلعة دمشق عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م، كان ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب ـ وهو الأكبر ـ نائبه على الشرق واقليم ديار بكر، وكان ابنه الملك العادل أبو بكر هذا ـ وهو الأصغر ـ نائب أبيه بديار مصر. فلما مات الكامل قعد الأمراء يتشاورون فيمن يولون من أولاده، فوقع الاتفاق على إقامة العادل هذا فى سلطنة مصر والشام، وأن يكون أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب على ممالك الشرق على حاله، فتم ذلك. وتسلطن الملك العادل هذا فى أواخر عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م. على أن الملك الصالح نجم الدين أيوب قد عظم عليه ذلك كونه كان هو الأكبر، فأخذ يعمل على عزله من سلطنة مصر، فى الوقت الذى قبض فيه أمراء مصر على العادل الصغير بظاهر بلبيس وطلبوا أخاه نجم الدين، على أية حال، فقد عزل الملك الصالح نجم الدين أيوب العادل من السلطنة، عام ٦٣٧هـ/١٢٣٩م، بل وقبض عليه وحبس بقلعة القاهرة (يذكر ابن العماد أنها قلعة دمشق)، ثم أمر بقتله، فمات مخنوقاً، وأظهروا أنه شنق نفسه وذلك فى عام ٦٤٥هـ/١٢٤٧م.

وخلفه ابنه **داود بن إبراهم** (David) فى تولى منصب النجيد فى مصر، فى عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م، وهو فى سن السادسة عشر. واستمر فى هذا المنصب حتى وفاته عام ٧٠٠هـ/١٣٠٠م.

المقدم (Mugaddam):

والمقدم مصطلح عربى استخدم للدلالة على المسئول عن إدارة شئون الطائفة المحلية.

على أن إطلاق هذا الاسم على مَن كان يتولى هذه الوظيفة، قد ظهر متأخراً، فعلى الرغم من ظهور هذه الوظيفة منذ وقت مبكر، فإن إطلاق هذا الإسم على مَن تولاها لم يظهر إلاّ مع نهاية القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، فمنذ هذا التاريخ نجد الوثائق الصادرة فى عهد النجيد مبارك (Mevorakh) قد أشارت إلى الاسم «مقدم» باعتباره يعنى الشخص الذى يقوم بخدمة المجتمع اليهودى المحلى.

وقد شغل وظيفة «مقدم» أفراد من مختلف المهن مثل: القاضى أو الكاتب، أو أى إنسان عادى يتمتع ببعض من الثقافة والمعرفة اليهودية.

وكان يتم تعيين «المقدم» بعد اعتماد السلطة المركزية اليهودية المتمثلة فى الجاؤون أو النجيد، وكذلك بعد اعتماد الخليفة. وإذا جاء خليفة جديد كان لابد من صدور شهادة اعتماد جديدة منه كما هو الحال فى الوظائف الأخرى.

فتشير وثيقة كتبت عام ٤٢٨هـ/١٠٣٦م عن تعيين **يوسف ها ـ كوهين** (Joseph ha-kohen) فى منصب «المقدم» لمدينة الإسكندرية ـ إلى ضرورة حصوله على توصية من ثلاثة من الجاؤونات السابقين، إلى جانب توصية الجاؤون الحالى «سليمان بن يهودا» (Solomon b. Juda). هذا إلى جانب ضرورة حصوله على اعتماد الخليفة الفاطمى المستنصر (٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م).

وكانت سلطات «المقدم» سلطات دينية واجتماعية، فهو يقوم بإمامة جماعة المصلين، والإجابة على الأسئلة الدينية أو الاستعانة بالسلطة اليهودية العليا للاستفسار. أما أهم واجباته الاجتماعية، فكانت رئاسته للمحكمة المحلية، وإتمام الإجراءات المتعلقة بالزواج أو الطلاق، هذا إلى جانب القيام بتعليم الكبار، والإشراف على تعليم الصغار، وإعانة الفقراء واليتامى والأرامل والمرضى والعجزة، والقيام بمراسم دفن الموتى. وفوق كل هذا كان على «المقدم» القيام كذلك بوظيفة الكاتب المحلى، فيحرر الوثائق والمستندات القانونية والخطابات الرسمية.

ومن واجبات «المقدم» كذلك توفير أموال للطائفة اليهودية، وفى الوقت نفسه معاونة الحكومة الإسلامية على جمع الضرائب المستحقة على الطائفة اليهودية.

ومن ناحية أخرى، لم يكن لأحد الحق فى تعديل أى من قراراته إلا الجاؤون الذى قام بتعيينه، فلم تكن للحكومة الإسلامية أى دخل به، لأن اختصاصاته كانت دينية واجتماعية، ولم يكن له أى نشاط سياسى.

ويظهر من وثائق الجنيزة أن أجور «المقدمين» كانت ضعيفة، حتى إن كثيراً منهم استقالوا من مناصبهم لضعف أجورهم، أو لعدم تقاضيهم أجوراً أصلاً.

ففى إحدى الخطابات المرسلة من «مقدم» (لم يذكر جويتاين اسمه إلى النجيد «مبارك» (Mevorakh)، عبّر «المقدم» فيه عن عرفانه للطائفة اليهودية، وأوضح أنه كان يفضل البقاء فى وظيفته حتى إرسال بديل عنه، ولكنه عاجز عن ذلك، لأن دخله من هذه الوظيفة يكاد يكفيه وحده، مع أن عنده أسرة.

البرناس (Parnas):

وهو الموظف المسئول عن أملاك اليهود الخاصة، وما يتعلق بشئونهم الاجتماعية.

ووظيفة «البرناس» من الوظائف الشائعة، التى ورد ذكرها فى أكثر من موضع فى أوراق الجنيزة، وقد عرفها العرب بإسمها المعرب وهو «فرناس» (Firnas).

وقد تولى هذه الوظيفة خاصة مَن ينتمى إلى الطبقة المتوسطة العليا. ويرى جويتاين أن مجال هذه الوظيفة وهو المجال الاجتماعى، قد أعطى الفرصة لبعض أعضاء اليهود الذين لم يبرزوا فى العلم ـ لكى يعملوا بها، ويساهموا بنشاطهم لخدمة الطائفة اليهودية.

ويظهر من الوثائق أن تعيين «البرناس» فى وظيفته كان يتم عن طريق الحبر (عضو اليشيفا)، وذلك بالتشاور مع ممثلى المجتمع اليهودى.

وقد أدى تعدد الواجبات المفروضة على «البرناس» إلى وجود عدد من البرناسيم (Parnasim) الذين يعملون معاً. فيذكر جويتاين أن اليهود الفلسطينيين فى الفسطاط، كان لديهم فى وقت ما سبعة برناسيم، وفى وقت آخر أكثر من أربعة، كما أن القاضى كان يعاونه العديد من البرناسيم.

وكان كثرة عدد «البرناسيم» فى المدن الكبيرة مثل القاهرة، يرجع كذلك إلى وجود «برناسيم» ينتمون إلى دول مختلفة، مثل: روما، أو جزيرة كريت، أو من القدس، وذلك لتلبية احتياجات المجتمع الدولى اليهودى.

وكان الذى يقوم بتوزيع أنشطة الخدمات العامة بين «البرناسيم» إما «القاضى» أو «المقدم» أو «رئيس البرناسيم».

ومن الواجبات المفروضة على «البرناس»، يذكر جويتاين أنه كان عليه إدارة وصيانة المنازل التابعة للطائفة اليهودية، كذلك خدمة أى زائر يهودى خاصة إذا كان عالماً أو من أسرة معروفة. كما كان «البرناس» الموجود فى المدن مثل: الفسطاط، يوكل إليه القيام بأى عمل خاص باليهود المقيمين فى مناطق وقرى نائية. وكان على «البرناس» كذلك أن يسافر لكى يجمع أموال فدية الأسرى.

ومن مهمات «البرناس» ـ كما تقول د. فاطمة عامر ـ جمع الصدقات والإشراف على أموال المعابد وأملاكها. وحفظ كتب الشريعة، والحجج الدينية الخاصة بالمعبد.

وقد حوت أوراق الجنيزة على عشرات الرسائل، والتقارير الرسمية الخاصة بإثنين ممن تولوا هذه الوظيفة وهما:

إيلى ها ـ كوهين بن يحيى (Eli ha-Kohen b. Yahya)، الذى عرف عند العرب(*) باسم: **علان بن يعيش** (Allun b. Ya'ish). **وأولاه ها ـ ليفى بن يوسف** (Ulla ha-Levi b. Joseph)، الذى عرف عند العرب باسم: **سعيد بن المَنَجّى** (Sa'aid b. Munajja).

ويقول جويتاين إن كليهما كانا يعيشان فى القاهرة فى نفس الفترة، فالوثائق التى أشارت إلى «إيلى ها ـ كوهين» ترجع إلى عام ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م حتى عام ٥٠١هـ/ ١١٠٧م، أما بالنسبة لـ «سعيد بن المنجى»، فترجع إلى عام ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م حتى عام ٥١١هـ/ ١١١٧م. أى فى خلافة المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م)، والمستعلى بالله الفاطمى (٤٨٧-٤٩٥هـ/ ١٠٩٤-١١٠١م)، والآمر الفاطمى (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩م).

كما كانا يعملان مع بعضهما، ففى إحدى المناسبات ورد إسمهما بقرآن قائمة طويلة من المحتاجين إلى الخبز لتوزيعه عليهم، وذلك لمدة شهر.

أمين المحكمة أو النعمان (Ne'eman):

يذكر جويتاين أن البرناس وأمين المحكمة كانا فى الغالب يؤديان نفس الواجبات، على الرغم من أن أمين المحكمة هو موظف قضائى، أما البرناس فهو موظف إجتماعى.

فكان البرناس أحيانا يقوم ببعض المهام الموكلة إلى أمين المحكمة مثل: سداد نفقة المرأة المطلقة.

ومن الواجبات التى كان على أمين المحكمة القيام بها: رعاية ودائع المدين الثمينة، سواء كانت أوعية فضية أو ذهبية، وذلك تحت إشراف المحكمة. ومنح القروض للمحتاجين

(*) يذكر جويتاين أن الإسم العربى من المفترض أنه ترجمة لمعنى الاسم العبرى.

مقابل ضمان. كما أن عليه سداد نفقة الأرامل والمطلقات. وهو مسئول كذلك عن رعاية الأيتام أو الأجانب الذين توفوا بعيدا عن عائلاتهم. كما أن المسافرين إلى الخارج كانوا يوكلون إليه مهمة تحصيل مستحقاتهم المالية، وأحيانا كانوا يتركون عنده أموالا لرعاية مصالح عائلاتهم.

وكانت وظيفة أمين المحكمة من الوظائف التى يحظى متوليها بالإحترام من قبل الطائفة اليهودية، حتى إن ابنه كان يعرف باسم «ابن الأمين».

الحبر (Haber):

الحبر هو الرئيس الدينى لكل جماعة من جماعات اليهود المنقسمة إليها، فكل طائفة من طوائف اليهود الثلاث: الربانيون والقراءون والسامرة، كانت تنقسم بدورها ـ كما تقول د. فاطمة عامر ـ إلى فرق أو مذاهب، مثل: جماعة البابليين وجماعة الفلسطينيين، ولكل فريق من هذه الجماعات رئيسها الدينى ويسمى «حبر (Haber)»، ويشترط فيه أن يكون متبحراً فى العلوم، ومتمكنا من التلمود.

ومن الأمثلة على ذلك أن رئيس جماعة البابليين فى مصر فى منتصف القرن ٥هـ/١١م كان يسمى إبراهيم بن سهلان (Abraham b. Sahlan)، وكان يحمل لقب حبر الوف (Heber, Alluf)، بينما كان رئيس جماعة الفلسطينيين فى ذلك الوقت هو إبراهيم بن شمريا (Ephraim b. Shemarya)، الذى كان يسكن الفسطاط، ويباشر مهامه كرئيس روحى لجماعة الفلسطينيين، وقد جاء اسمه فى كثير من الوثائق التى يرجع تاريخها إلى النصف الأول من القرن ٥هـ/١١م، كما كان اسمه يذكر فى المعابد فى أيام السبت والأعياد.

وقد أشار إليه جويتاين باسم (Haver) ويعنى عضو الأكاديمية، وهو يشبه «الربى» (Rab-bi)(*)، فهو لا يخدم فقط كرئيس دينى، ولكن أيضا كرئيس للمجتمع اليهودى.

(*) الربى Rabbi أو الرابى: كلمة عبرية تترجم حرفياً بكلمة «سيدى»، وهى تعنى حاخام.

ومهمة الحبر هى أن يتولى القضاء اليهودى، ويفصل فى المنازعات بين أفراد الطائفة، كما يصدر الفتاوى. وكان له الأمر والنهى فى كل الأمور الدينية. ولم يكن يتقاضى أجرا، ومن ثم كان من حقه أن يرتزق بالتجارة أو غيرها، وإن لم تكن له مهنة أو حرفة عينوا له راتبا.

وربما يكون حبر الجماعة قاضيا سابقا متمرسا، أو واحداً من علماء التلمود، ومع ذلك قد لا تكون لديه ملكة الوعظ.

الحزّان (Hazzan) أو المنشد:

يقول القلقشندى عن صاحبها إنه كان فيهم بمثابة الخطيب، يصعد المنبر ويعظهم.

ويشترط فيه كما تقول د. فاطمة عامر: «أن يكون متعمقاً فى العلم، وخاصة العلوم الدينية، وأن يكون حسن الصوت، لديه القدرة على المخاطبة وجذب انتباه مستمعيه، وكان من أهم واجباته القراءة الملحنة (المجوّدة) أثناء أدائهم الصلاة فى أحد المعابد».

ويذكر جويتاين أن «المنشدين» كانوا يهيئون لهذه الوظيفة منذ طفولتهم، كما أن الوصول إلى المستوى المطلوب من «الحزان» أو «المنشد» كان يتطلب منه أن يدرس لمدة ثلاث سنوات كاملة.

وكان يأتى فى المقام الأول من الشروط الواجب توافرها فى المنشد، قبل إمكانياته ومواهبه ـ سلوكه الأخلاقى وتدينه.

وقد أورد جويتاين ملخص خطاب توصية لتعيين أحد «الحزانيم» (hazzanim) وفيه أن الرجل قد امتحن فى أيام السبت وأيام العمل وأيام العطلات (بهذا الترتيب)، ووجد أنه تنطبق عليه كل المتطلبات المطلوبة لوظيفة المنشد وهى: جمال ودقة قراءة النصوص المقدسة، وبالتالى فقد أوصى بتعيينه لـ «حبه للرب، وتقواه، وفضائله، وأخلاقه اللطيفة، وشغفه وراء المعرفة والتفوق، ولأنه كان محبوباً من الناس لسلوكه الذى لا تشوبه شائبة، كما هو معروف للكل».

وكان «للمنشد» أو «الحزان» مكانته فى المجتمع اليهودى، حتى إن الرجل الذى كان يرغب فى تأكيد إخلاصه للسلطات اليهودية كان يكتب: «لم أخالف المحكمة (ربما يعنى القانون) أبدا، ولم أخالف حتى منشدا فى قرية».

وقد احتوت أوراق الجنيزة على العديد من التفاصيل عن أجر المنشد أو الحزان، وكان مصدر دخلهم الرئيسى يأتى من إقامة صلوات الزفاف أو الجنائز أو بعض المناسبات الأخرى.

ومن المنشدين الذين تولوا هذه الوظيفة: المنشد **«هيليل بن إيلى»** (Hillel b. Eli)، الذى تولاها لفترة طويلة وذلك من عام ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م إلى عام ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م على الأقل، أى فى خلافة المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م)، والمستعلى بالله الفاطمى (٤٨٧-٤٩٥هـ/ ١٠٩٤-١١٠١م)، والآمر الفاطمى (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩م). وترينا بعض الرسائل ـ كما يقول جويتاين ـ أنه كان يتمتع بمكانة مشرفة.

الشليَح صبّور (Sheliah Sibbur):

ويقول القلقشندى عن صاحبها إنه الإمام الذى يصلى بهم، وعرفها Mann بأنه القارئ (the Reader).

شماش المعبد (Shammash):

وقد عرفها العرب باسمها المعرب شماس(*) (Shammas)، وتعنى «خادم» باللغة العربية.

ويتضح من بعض الوثائق الخاصة بخطابات تعيين الشمامسة، أن واجبات «الشماس» لم تكن تقتصر على نظافة المعبد فقط، وإنما تعدتها إلى خدمة اليهود سواء الذين من داخل المعبد كموظفى المعبد ونعنى بهم الموظفين الدينيين مثل: المقدم، والبرناس، أو الذين من خارج المعبد ونعنى بهم طائفة اليهود من الرجال والنساء.

(*) تذكر الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف أن هذا اللقب موجود أيضا لدى الأقباط «شماس الكنيسة».

فالشماس كان من مهام وظيفته خدمة المجتمع اليهودى فى شتى المجالات، لذلك أطلق عليه اسم «خادم المجتمع».

فهو يقوم بمهام مساعد كاتب المحكمة، ومهام رسول المحكمة، فيقوم بتسليم المذكرات والإعلانات إلى الأطراف المتنازعة، وتكون بيده أثناء الجلسات، ففى إحدى الوثائق الصادرة من القاهرة فى عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م(*)، كان «الشماس» مكلفاً بالسفر وتسليم إعلان طلاق إلى سيدة فى فلسطين، إلا أنه انتظر ثلاث سنوات، ولم يسلم الإعلان إليها، وقد برر ذلك أمام المحكمة، بأنه كان يريد أن يترك فرصة للزوج وللزوجة لكى يتصالحا!

وكان «الشمامسة» ـ كما ذكرت سابقاً ـ يعاونون موظفى المعبد، وأحياناً كانوا يقومون بمهامهم. ففى إحدى الرسائل لتعيين أحد «الشمامسة» البابليين، طُلب منه معاونة «البرناس» إيلى ها ـ كوهين (Eli ha-Kohen)، خاصة عند توزيع الخبز على الفقراء.

كما تشير عدة وثائق إلى قيام «الشمامسة» بجمع القيمة الإيجارية للمنازل.

وأحيانا كان «الشماس» يقوم بمهام الشرطة، وقد ظهر ذلك من خلال حالة واحدة ـ كما يقول جويتاين ـ ذكرت فى الوثائق وكانت فى عام ٤١٩هـ/١٠٢٨م زمن الخليفة الفاطمى الظاهر (٤١١-٤٢٨هـ/١٠٢٠-١٠٣٦م)، وهى عن «شماس» معبد البابليين فى القاهرة، الذى ألقى القبض على رجل، واعتقله فى داره، لأنه كان أسبوع عيد الفصح حيث لا تنعقد المحكمة، إلا أن إنشغال «الشماس» فى عمله خاصة فى هذا الأسبوع، ساعدت الرجل على الفرار.

ويرى جويتاين أن اليهود البابليين كانت لهم تقاليدهم الخاصة فى هذا الشأن، فقد كان مسموحاً لسلطات المجموعات الأقلية أن تعتقل وتفرض العقوبة على أعضائها(**).

(*) وذلك فى خلافة المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م) أو فى خلافة المستعلى بالله الفاطمى (٤٨٧-٤٩٥هـ/ ١٠٩٤-١١٠١م).

(**) تذكر الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف أن هذه العقوبة يجب أن لا تتعارض مع العقوبات التى تفرضها الدولة.

على أن أهم واجبات «الشماس» عموماً ـ كما يتضح من إحدى الوثائق ـ هى توفير الإضاءة الكافية داخل المعبد فى الليل، حتى يتمكن الدارسون من استذكار دروسهم.

ويذكر جويتاين أنه عند تعيين «الشماس» كان يتم إعداد قائمة بمحتويات المعبد، تتضمن أثاث المعبد من النجف والسجاجيد والستائر النفيسة والزينة الذهبية أو الفضية، خاصة وأن «الشماس» كان مسئولاً عن حمايتها، كما هو مسئول عن تنظيفها، وإجراء الإصلاحات البسيطة لها، وتقديم تقارير شهرية بقيمة نفقات الإصلاح.

على أية حال، فقد أدى تعدد مهام «الشماس» وواجباته إلى تمكنه من معرفة تفاصيل المسائل الشخصية المتعلقة بأعضاء الطائفة اليهودية، وبالتالى التعرف على كل ما يحدث داخل المجتمع اليهودى، مما كان يجعله بعد فترة يصبح سيداً للمعبد بدلاً من أن يكون خادماً له ـ كما يقول جويتاين.

ففى إحدى خطابات الجنيزة المرسلة إلى النجيد «مبارك» فى عام ٤٩٩هـ/١١٠٥م فى خلافة الآمر الفاطمى (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩م) ـ شكوى ضد «شماس» معبد العراقيين فى الفسطاط، يذكر فيها كاتب الشكوى: «أن الشماس ليس له مظهر الخادم، بل مظهر وهيئة الرئيس أو القائد». «وأنه قد أصبح معتدا بمكانته حتى إنه يرفض طاعة الأوامر، وإن كانت صادرة من النجيد نفسه». «وأن القاضى لا يمكنه أن يصدر حكماً إلا بعد الرجوع إلى الشماس والتشاور معه».

ويرى جويتاين أن مكانة «الشماس» كانت تقوى إذا ظل فى منصبه مدة طويلة، فشماس البابليين (العراقيين) السابق ذكره قد عين عام ٤٩٣هـ/١٠٩٩م، وذلك فى خلافة المستعلى بالله الفاطمى (٤٨٧-٤٩٥هـ/ ١٠٩٤-١١٠١م)، وظل فى منصبه حتى عام ٥٢١هـ/ يونيو ١١٢٧م، أى حتى خلافة الآمر الفاطمى (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩م).

وتشير إحدى الوثائق إلى أن أحد الشمامسة الفلسطينيين قد عين عام ٥٥٤هـ/١١٥٩م زمن الخليفة الفاطمى الفائز (٥٤٩-٥٥٥هـ/ ١١٥٤-١١٦٠م)[١]، واستمر فى منصبه حتى عام ٥٨٤هـ/ ديسمبر ١١٨٨م زمن السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى (٥٦٧-٥٨٩هـ/ ١١٧١-١١٩٣م).

كما تشير الوثائق إلى أن ابنه الذى خدم فى معبد البابليين، قد استمر فى وظيفته من عام ٥٨٢هـ/١١٨٦م إلى عام ٦٢٠هـ/١٢٢٣م، زمن الملك الكامل محمد[٢] (٦١٥-٦٣٥هـ/ ١٢١٨-١٢٣٧م)، وربما - كما يقول جويتاين - من عام ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م إلى عام ٦٢٥هـ/١٢٢٧م.

على كل حال، فقد كانت وظيفة «شماس المعبد» تحظى بمزيد من الاحترام والتوقير لدى الطائفة اليهودية.

(١) وهو أبو القاسم عيسى بن الظافر بأمر الله أبى المنصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله أبى الميمون عبدالمجيد. الملقب الفائز بنصر الله. ولد عام ٥٤٤هـ/١١٤٩م، وبويع له عند قتل أبيه عام ٥٤٩هـ/١١٥٤م وعمره يومئذ خمس سنين وعشرون يوما. وتوفى عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م وكانت مدة خلافته ٦ سنين و٥ أشهر و١٦ يوم.

(٢) وهو محمد بن أبى بكر بن أيوب، أبو المعالى - ابن الملك العادل - الملقب بالملك الكامل ناصر الدين. تولى السلطنة بعهد من أبيه فى حياته، ثم استقل بها بعد وفاته عام ٦١٥هـ/١٢١٨م. كان سلطانا عظيم القدر، جميل الذكر، محباً للعلماء، متمسكا بالسنة النبوية، وكانت تبيت عنده كل ليلة جمعة جماعة من الفضلاء، ليشاركهم فى مباحثاتهم. وقد بنى بالقاهرة دار حديث، ورتب لها وقفاً جيداً، وبنى على ضريح الإمام الشافعى قبة، وهو صاحب المدرسة الكاملية. وقد توفى عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م ودفن بالقلعة بمدينة دمشق حتى كملت تربته التى بالحائط الشمالى من الجامع ذات الشباك، قريبا من مقصورة ابن سنان، وهى الكندية التى عند الحلبية، وقد نقل إليها فى نفس السنة.

ويتضح من الوثائق الخاصة بتعيين «الشمامسة»، أن «الشماس» كان يعيش فى المعبد، بل إن إحدى هذه الخطابات، قد اشترطت عليه أن يقيم فى المعبد مع أولاده.

وفى الشكوى السالفة الذكر المقدمة إلى النجيد «مبارك»، يذكر كاتب الشكوى أن شماس البابليين كان يعيش فى المعبد مع أخواته وعائلاتهم الذين يقدرون بأكثر من خمسة عشر شخصاً، وأنهم يتصرفون داخله كما لو كان ملكية خاصة بهم، لدرجة أنهم (يُرَبّون) الحَمَام على سطح المعبد.

الناسى (Nasi):

الناسى (Nasi) كلمة عبرية، تعنى أمراء بيت داود، والجمع نسييم (Nesiim)، وهم مثل الأشراف من سلالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم عند المسلمين - كما يقول جويتاين.

وكان يعرف بأمير الدياسبورا(*)، وربما ذلك ليفرق بينه وبين رئيس الدياسبورا أى رأس الجالوت الذى كان يختار من بينهم - كما ذكرت فى موضع سابق.

وأحيانا كان يخلف النجيد القائم.

على أن «الناسى» (Nasi) لم تكن وظيفة رسمية، وإنما هى وظيفة شرفية، فلم يكن له مقام رسمى فى المجتمع اليهودى فى مصر، ولم يكن له أى تأثير، إلاّ إذا كان أحدا من الأدباء المشهورين.

ويذكر جويتاين أنهم فى أحيان كثيرة كانوا يتلقون رواتب من المجتمع اليهودى.

(*) وأنظر ما المقصود بالدياسبورا فى بداية هذا الفصل.

وقـــد أورد Mann أن كل يهودى عندما كان يدفع الضريبة، كان نصفها يذهب للحاكم، والنصف الثانى يذهب للنسييم (Nesiim). مما يعنى أنهم كانوا يدفعون لهم مقدار ما يدفعونه للدولة.

وقد ظهر لقب «ناسى» عام ٤٨١هـ/١٠٨٨م فى خلافة المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م) مقترنا باسم **داود ابن دانيـال** (David b. Daniel)، وذلك فى وثيقة رسمية بالفسطاط صدرت فى هذا العام، فقد لقب فيها «بالناسى الأعظم» (the great nasi).

ثم ظهر اللقب بعد ذلك بحوالى ١٥٠ عاما، فى الوثائق اليهودية والخطابات مقترنا باسم **سليمان بن إيشاى** (Solomon b. Yishay)، وذلك فى عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م زمن الملك العادل الصغير (٦٣٥-٦٣٧هـ/ ١٢٣٧-١٢٣٩م).

ويذكر جويتاين أن عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م كان هو بداية ظهور هذا اللقب بإنتظام مقترنا بأسماء أمراء بيت داود.

الفصل الثالث

الحيـاة الدينيـة لليهـود فـى مصـر

الحياة الدينية لليهود فى مصر :

[١] فـرق اليهـود الدينيـة.

[٢] كتب اليهـود الدينيـة.

[٣] واجبات اليهود الدينية.

[١] فـرق اليهـود الدينيـة:

- **فرق يهودية منذ القدم واختفت :**
  - البيروشيم (الفروشيم).
  - الصدوقيون (الصدوفية).
  - الحسديم (الجسديم).
- **فرق يهودية عند ظهور الإسلام:**
  - الربانيون.
  - القراء.
  - السامرة.

[١]

فـرق اليهـود الدينيـة

يبدو أن كثرة ظهور فرق دينية لليهود ثم اختفائها، وظهور فرق أخرى قد أوجد نوعاً من البلبلة فى المراجع والمصادر العربية على حد سواء، فلم تتفق المصادر أو المراجع العربية على أسماء الفرق التى انقسم إليها اليهود، وإنما وجدنا أسماء فرق تختلف من مرجع إلى مرجع، ومن مصدر إلى مصدر.

لذلك سنحاول فى تقسيمنا لفرق اليهود الدينية أن نعتمد على كتاب المقريزى (الخطط) خاصة وأنه ذكر أسماء نوعين من الفرق اليهودية هى فى الواقع أساس لفرق دينية يهودية كثيرة ظهرت بعد ذلك:

النوع الأول: وهى الفرق التى ظهرت منذ القدم ثم اختفت وهى:

طائفة البيروشيم أو (الفروشيم)، وطائفة الصدوقيون (الصدوفية)، وطائفة الحسديم أو (الجسديم).

والنوع الثانى: وهى الفرق التى كان عليها اليهود عندما ظهر الإسلام وهى: الربانيون، وطائفة القراء، وطائفة السامرة.

وفى الصفحات القادمة سنحاول أن نقدم موجزاً عن كل فرقة دينية على حدة: من أين اشتق اسمها؟ وتأسيسها، وأهم من كل هذا مذهبها الدينى الذى انفردت به عن الفرقة أو الطائفة الدينية الأخرى.

أولاً: النوع الأول من الفرق الدينية وهى الفرق التى ظهرت منذ القدم ثم اختفت:

١ ـ طائفة أو فرقة (الفروشيم) أو الفريسيون:

وقد ذكرها المقريزى فى كتابه باسم (الفروشيم)، وذكرها الدكتور عبدالوهاب المسيرى باسم (البيروشيم) ويقول: إنها كلمة عبرية تعنى المنعزلون. وكانوا يلقبون أيضا بلقب (حبيريم) أى الرفاق أو الزملاء، وكذلك بلقب الحاخاميم[١] أو الفقهاء.

وذكرتهم المراجع العربية باسم (الفريسيين) Pharisiens.

والفريسيون ـ كما يقول الدكتور عبدالوهاب المسيرى ـ حزب دينى وسياسى كان موجوداً أيام المسيح عليه السلام، وكان مقصوراً على جماعة من المثقفين أو المتعلمين المتفقهين فى الدين، ومن هنا كانت تسميتهم بالمنعزلين.

ويذكر المقريزى أن «من مذهبهم القول بما فى التوراة على معنى ما فسره الحكماء من أسلافهم». ويعنى بذلك الشريعة الشفوية أى التلمود، فهم من كبار المدافعين عن الشريعة الشفوية التى لا تقل فى قيمتها ـ حسب تصورهم ـ عن الشريعة المكتوبة أى التوراة أو العهد القديم. ويرى الدكتور عبدالوهاب المسيرى أن دفاعهم عن الشريعة الشفوية هو دفاع عن حقوقهم الطبقية باعتبار أن الشريعة المكتوبة كانت حكراً على الصدوقيين.

---

(١) من الكلمة العبرية (حاخام) أى الرجل الحكيم أو العاقل، وكانت تطلق فى الأصل على المعلم الفريسى إذ كان هؤلاء يعرفون بالاسم الجماعى (حاخاميم)، وهم الفقهاء المحافظون غير المحترفين الذين أقاموا أنفسهم محافظين على الشريعة اليهودية المكتوبة والشفوية.

وكان الفريسيون كذلك يدافعون عن تفسير مَرِنْ للشريعة[١] فى مقابل تفسير الصدوقيين الحرفى، كذلك كان الفريسيون على عكس الصدوقيين يؤمنون بفكرة الماشيح[٢]، والحياة الآخرة والملائكة.

كما حاولوا فرض نفوذهم على الهيكل ذاته على حساب الصدوقيين، وذلك عن طريق تعميم بعض الطقوس الخاصة بالهيكل وحده.

وقد كان الفريسيون أقوى الطوائف الدينية اليهودية، وكان لهم على اليهود نفوذ عظيم، فكانوا يحملون كبير الكهنة على القسم بأنه سيقوم بطقوس عيد يوم الغفران حسب التعاليم الفريسية، كما وسعوا نطاق الدين اليهودى من دين مرتبط بالهيكل وعبادته الطقوسية، إلى دين يغطى كل جوانب الحياة المختلفة.

٢ ـ فرقة أو طائفة (الصدوقيون) Saduceens:

ذكرهم المقريزى باسم (الصدوفية) بالفاء، والصحيح طائفة الصدوقيون بالقاف. وهم ينسبون إلى (صادوق) كبير الكهنة فى عهد سليمان، والذى توارث أحفاده مهمته حتى

---

(١) تطلق كلمة الشريعة على أسفار موسى الخمسة وعلى العهد القديم ككل، وعلى القوانين اليهودية والأوامر والنواهى.

(٢) مشتقة من الكلمة العبرية (مشح) أى مسح بالزيت المقدس، وكان اليهود على عادة الشعوب القديمة يمسحون رأس الملك والكاهن بالزيت قبل تنصيبهما، علامة على أنه قد أصبحت لهما مكانة خاصة وأن الروح الإلهى تسرى فيهما. ولم تستخدم كلمة الماشيح فى العهد القديم بالمعنى الخاص والمحدد الذى اكتسبته فيما بعد، وإنما كانت كلمة ذات دلالة عامة تشير إلى كل الملوك اليهود والأنبياء. ولكن معنى الكلمة تطور وتحدد فيما بعد فأصبحت تشير إلى ملك من نسل داود سيأتى بعد ظهور النبىّ إلياهو، ليجمع شتات المنفيين ويعود بهم إلى صهيون ويحطم أعداء إسرائيل ويتخذ أورشليم عاصمة له، ويعيد بناء الهيكل ويحكم بالشريعة المكتوبة والشفوية، ثم يبدأ الفردوس الذى سيدوم ألف عام.

عام ١٦٢م، وذكره زكى شنوده فى كتابه باسم صديق بن أخيطوب سليل اليعازر بن هارون، ويقول عنه: إنه كان أحد الكاهنين العظيمين فى عهد الملك داود، ثم انفرد بالكهنوت فى عهد الملك سليمان.

أما الدكتور أحمد شلبى فقد ذكر رأيا فى كتابه ينفى نسبتهم إلى هذا الكاهن، على اعتبار أن أتباع هذه الفرقة لم يدّعوا أبداً الارتباط بهذا الكاهن، ويرى هذا الرأى ـ الذى أورده فى كتابه ـ أن هذه التسمية كانت من صنع أعدائهم، وأنها من نوع التسمية المضادة لأن الصدوقيين عرفوا بالإنكار، فسمّاهم أعداؤهم الصدوقيين.

والصدوقيون ـ كما يقول الدكتور عبدالوهاب المسيرى ـ هم جماعة أو فرقة بل وطبقة دينية، تعود أصولها إلى قرون عدة سابقة على ظهور المسيح عليه السلام، وهم طبقة الكهنة المرتبطين بالهيكل وعباداته.

أما عن مذهبهم، فيذكر المقريزى أن «مذهبهم القول بنص التوراة، وما دلّ عليه القول الإلهى فيها دون ما عداه من الأقوال».

ومعنى هذا أن الصدوقيين كانوا لا يؤمنون إلا بالشريعة المكتوبة فقط على عكس الفريسيين الذين كانوا يدافعون عن الشريعة الشفوية. فأنكروا كل الشريعة الشفوية التى كان اليهود يؤمنون بصحتها ويعملون بمقتضاها، كما أنكروا صحة كل الأسفار الدينية الواردة فى العهد القديم ما عدا أسفار موسى الخمسة. وكانوا يقدمون تفسيراً حرفياً للعهد القديم ويحرمون تفسيره على الآخرين. هذا إلى جانب أنهم كانوا لا يؤمنون بالعالم الآخر ويرون أنه لا توجد سوى الحياة الدنيا.

وكانوا يدافعون عن الطقوس الخاصة بالهيكل، ويرون أن فيها الكفاية.

والصدوقيون طبقة ارستقراطية عريضة الثراء، لذلك كانت حريصة على الاحتفاظ بمزاياها الاقتصادية، وبنمط العبادة المرتبطة بهذه المزايا، فقد كانوا يقومون بتحصيل ضرائب

الهيكل، ويحصلون على ضرائب عينية، وهدايا من الجماهير اليهودية. فتعاونوا مع اليونانيين ثم الرومان ليحتفظوا بمكانتهم الاجتماعية، وبما لهم من ثروة ونفوذ. وبذا أصبح نفوذهم السياسى ـ كما يقول زكى شنودة ـ يفوق نفوذهم الدينى ويسانده فى نفس الوقت.

وبتحطيم الهيكل اختفت طبقة «الصدوقيون» نظراً لارتباطها به.

وقد أدى تزايد نفوذ كل من الفريسيين والصدوقيين إلى دخولهم فى صراع دائم بينهما على النفوذ والمكانة والامتيازات، فكان بينهما كما يقول المقريزى «عداوة شديدة»، خاصة وأنهم كانوا يخالفون بعضهما فى المعتقدات كما ذكرت عند الحديث على كل طائفة.

٣ـ فرقة أو طائفة الحسديم أو (الجسديم):

وقد ذكرها المقريزى فى كتابه باسم (الجسديم)، وذكر أنها بمعنى الصلحاء. ومذهبهم «الاشتغال بالنسك وعبادة الله سبحانه، والأخذ بالأفضل والأسلم فى الدين».

ولم نجد ذكراً لهذه الطائفة فى المصادر الإسلامية ـ فى حدود المتاح لنا ـ إلا فى خطط المقريزى، والذى عرف بثقافته العريضة فيما يخص أهل الذمة. وذكر السخاوى ـ كما تقول الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف ـ أن المؤرخ المقريزى كان ملماً بمذاهب أهل الكتاب، حتى كان أفاضلهم يترددون عليه للاستفادة منه.

على أننا عثرنا على ذكر لهذه الطائفة فى كتاب الدكتور على عبدالواحد وافى «اليهودية واليهود»، الذى أوردها باسم فرقة (الحسديم) بالحاء وليس بالجيم، وذكر أنها بمعنى المشفقين. وقد نوه إلى أن المعلومات التى أوردها عن هذه الفرقة قد نقلها عن كتابات الفيلسوف اليونانى فيلون والمؤرخ اليهودى يوسيفيوس.

وكانت هذه الفرقة قد ظهرت حوالى القرن الثانى قبل الميلاد. وهى تختلف عن بقية فرق اليهود اختلافا جوهريا فى عقائدها وعباداتها ونظمها وتقاليدها. فمن أهم ما تمتاز به عن بقية فرق اليهود فيما يتعلق بالعبادات أنها تحرم الأضحية والقرابين، مع أنها عند الفرق الأخرى تعتبر من أهم العبادات. كما تنكر التفرقة العنصرية وتقرر مبدأ المساواة بين الناس، لذلك فهى تحرم نظام الرق، وتحرم الملكية الفردية. وتحرص على التعايش السلمى بين جميع الشعوب، لذلك فهى تحرم صناعة الأسلحة والذخيرة وسائر آلات الحرب. ومن أهم ما تمتاز به كذلك أنها تحرم الاشتغال بالتجارة، لذلك اقتصرت أعمالهم على الزراعة. كذلك تختلف عن الفرق اليهودية الأخرى فى أنها تحرم الزواج، وشرب الخمور.

ومن هذا يظهر ـ كما يقول د. عبدالواحد وافى ـ أن هذه الفرقة تخالف فى معظم ما تذهب إليه تعاليم العهد القديم والتلمود.

ولم تعمر هذه الفرقة طويلا، فقد انقرضت فى أواخر القرن الأول الميلادى، أى أنها لم تعش إلا نحو قرنين أو ثلاثة قرون.

هذا بالنسبة للنوع الأول من الفرق اليهودية التى أشار إليها المقريزى فى كتابه (الخطط)، وكانت قد ظهرت منذ القدم ثم اختفت.

أما النوع الثانى من الفرق اليهودية والتى أشار إليها المقريزى فهى الفرق التى كان عليها اليهود عندما جاء الإسلام. وقد حددها المقريزى بثلاث فرق وهى: الربانيون، والقراء، والسامرة.

وسنتناول فى الصفحات القادمة تاريخ هذه الفرق الثلاث:

١ـ فرقة (الربانيين):

إسم هذه الفرقة مشتق من كلمة (ربى) أو (ربانى) المأخوذة من كلمة (ربانيم) العبرية، ومعناها: الإمام أو الحبر أو الفقيه. ويذكر الدكتور قاسم عبده قاسم أن هذه الكلمة قد وردت فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ، يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ، فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ، وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً. وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾(*).

ويذكر الدكتور قاسم عبده قاسم أن طائفة الربانيين كانت تؤمن بالعهد القديم والتلمود. وإن كان يفهم مما ذكره المقريزى أن هذه الفرقة كانت تؤمن بالتلمود فقط وتعمل به ولا تؤمن بالعهد القديم. فيقول المقريزى: «وهذه الفرقة هى التى كانت تعمل بما فى المشنا الذى كتب بطبرية بعد تخريب طيطش القدس، وتعوّل فى أحكام الشريعة على ما فى التلمود إلى هذا الوقت الذى نحن فيه (٩هـ/١٥م)، وهى بعيدة عن العمل بالنصوص الإلهية، متبعة لآراء من تقدّمها من الأحبار». كذلك يقول فى موضع آخر: «والطائفة الربانيون ومن وافقهم لا يعوّلون من التوراة التى بأيديهم إلا على ما فى هذا التلمود، وما خالف ما فى التلمود لا يعبأون به، ولا يعولون عليه».

وكان اليهود الربانيون أكثر طوائف اليهود المصريين عدداً، ولعل هذا ـ كما يقول الدكتور قاسم عبده قاسم ـ ما جعل الحكومة فى مصر تختار رئيس اليهود من الربانيين ـ كما ذكرت فى موضع سابق ـ ليكون مسئولاً عن أتباع الطوائف اليهودية الثلاث من الربانيين والقراءين والسامرة.

(*) سورة المائدة، آية رقم (٤٤).

ويدلل الدكتور قاسم عبده قاسم على أغلبية طائفة الربانيين بين يهود مصر، بما جاء بإحدى الوثائق العربية التى أوردها القلقشندى فى كتابه عن مهام رئيس اليهود، فيقول إن الوثيقة تذكر ما نصه: «.... وجماعة الربانيين فهم الشعب الأكبر، والحزب الأكثر، فعاملهم بالرفق الأجدى، والسر الأجدر، ولكونك منهم لا تَمِلْ معهم على غيرهم فيما به من النفس الأمارة تؤمر».

وكانت طائفة الربانيين تنقسم إلى قسمين: فلسطينيون وهم الذين قدموا فى الأصل من فلسطين، ويتبعون التعاليم الموجودة فى فلسطين. وعراقيون وهم الذين كانوا على صلة بالأكاديمية العراقية.

٢- فرقة (القرائين):

واسم هذه الفرقة مشتق من (المقرا) وهى التسمية التى كانت تطلق على التوراة ويعنى بها المقروءة.

وقد عرفوا بهذا الاسم لتمسكهم الحرفى بالتوراة، فقد جعلوا النص المقدس المكتوب ـ أى العهد القديم ـ هو المرجع الأول والأخير، والمنبع لكل عقيدة أو قانون، ورفضوا ما عداه من كتب التشريع اليهودى.

فيقول المقريزى عن مذهبهم: «وهم يحكمون نصوص التوراة، ولا يلتفتون إلى قول من خالفها، ويقفون مع النص دون تقليد من سلف».

وكان يقال لهم كذلك «أصحاب الدعوة» أو «أهل الدعوة» لأنهم كانوا يدعون إلى طريقتهم، كما كان يقال لهم «المبادية» ـ كما يقول المقريزى ـ لأنهم كانوا يعملون مبادئ الشهور من الإجتماع الكائن بين الشمس والقمر، ويقال لهم أيضا (الأسمعية) لأنهم يراعون العمل بنصوص التوراة دون العمل بالقياس والتقليد(*).

(*) ذكرهم البيرونى باسم «الميلادية» و«الأشمعية».

وقد اختلفت المصادر الإسلامية فيمن تنسب إليه هذه الفرقة ـ أى فرقة القرائين ـ فبينما اتفق البعض إلى نسبتها إلى عانان بن داود، ذكر البعض الآخر أن عانان بن داود عرفت فرقته باسم (العانانية) أى أنها فرقة أخرى تختلف عن فرقة القرائين.

ومن المصادر الإسلامية التى نسبت هذه الفرقة إلى «عانان بن داود» ابن حزم الذى ذكر فى كتابه أن فرقة العانانية تسميهم اليهود القرائين، وكذلك السموءل بن يحيى الذى ذكر أن فرقة القرائين هم أصحاب عانان بن داود.

أما المصادر العربية التى لم تنسب فرقة القرائين إلى عانان (توفى فيما بين أعوام ١٧٤هـ/٧٩٠م و١٨٤هـ/٨٠٠م وكان فى خلافة أبى جعفر المنصور)، فمنهم الشهرستانى وابن الوردى والمقريزى الذين اعتبروا فرقة القرائين فرقة مختلفة عن فرقة عانان بن داود التى أسماها باسم «العانانية».

وفى الحقيقة فإن المقريزى كان قد ذكر فى مستهل حديثه عن الفرق اليهودية التى كانت موجودة قبل ظهور الإسلام أن عددها ثلاث فرق، وحدد أسمائها وهى: الربانيون والقراء والسامرة، إلاّ أنه وفى أثناء سرْده لهذه الفرق، أضاف فرقة «العانانية» السالفة الذكر. وإن كان يفهم مما ذكره البيرونى أن فرقة «العانانية» هى فرقة منشقة من فرقة القرائين.

على أية حال، فقد أدى اختلاف مذهب فرقة الربانيين عن فرقة القرائين إلى حدوث عداوة بينهما. فكما ذكرت سابقا فإن فرقة القرائين كانت تتمسك بالتفسير الحرفى للتوراة، بعكس فرقة الربانيين التى كانت تؤمن بالتلمود فقط. وهذا ما يجعلنا نشبه فرقة القرائين بطائفة الصدوقيين، ونشبه فرقة الربانيين بطائفة الفريسيين اللتين سبق الحديث عنهما، وربما كانا امتدادا لهما.

وكان من طائفة القراء فى مصر، الطبيب أبو البيان بن المدور الملقب بالسديد، والطبيب أبو البركات بن شعيا، والطبيب الشيخ السديد بن أبى البيان.

٣ـ فرقة السامرة:

وقد اشتق اسمهم من السامرة عاصمة مملكة إسرائيل. ويبدو ـ كما يقول الدكتور عبدالوهاب المسيرى ـ أنهم البقية الباقية من يهود هذه المملكة، الذين أصبحت لهم عبادة يهودية خاصة لها مركز مستقل عن أورشليم والهيكل، وذلك فى مدينة نابلس التى بنيت على أنقاض مدينة السامرة، والتى تقع على بعد ١٨ ميلا من بيت المقدس. ويذكر ابن حزم أنه كان من نتيجة تقديسهم لهذه المدينة أنهم «لا يعرفون حرمة لبيت المقدس، ولا يعظمونه».

وقد نشأت هذه المملكة ـ كما يذكر المقريزى ـ بعد وفاة سليمان بن داود عليه السلام، عندما إفترق ملك بنى إسرائيل من بعده. فبعد وفاة سليمان حوالى عام ٩٣٥ق.م أعلن (رحبعام) نفسه ملكا على دولة اليهود، ولم يبايعه إلا سبطا يهودا وبنيامين فى أورشليم، وبايعت الأسباط العشرة الأخرى[1] أخاه (يربعام)، وبذا انقسمت المملكة العبرانية الموحدة إلى مملكتين:

المملكة الشمالية وتسمى إسرائيل أو أفرايم أو السامرة نسبة إلى عاصمتها.

---

(١) كان العبرانيون القدامى خاصة فى العصور الأولى من تاريخهم ينقسمون إلى اثنتى عشرة قبيلة أو سبطا، وتسمى هذه الأسباط بأسماء أبناء يعقوب: روبين (رؤبان)، وشمعون، ولاوى، ويهودا، ويساكر (يساخار)، وزيلن (زابلون)، ويوسف، وبنيامين، ودان، ونفتالى (نفثالى)، وجاد (غاد)، وأشير (أشار).
ولقد أشار الله سبحانه وتعالى إليهم فى كتابه الكريم بقوله: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ، فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا، قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ، وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ، وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى، كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ، وَمَا ظَلَمُونَا، وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾. (سورة الأعراف، آية رقم ١٦٠).

ومملكة يهودا فى الجنوب وعاصمتها أورشليم.

ويذكر المقريزى أن (يربعام) اتخذ عجلين للعبادة، ودعا الأسباط العشرة إلى عبادتهما من دون الله سبحانه وتعالى، واستمر من تولى الملك بعده على مثل طريقته فى الكفر بالله سبحانه وتعالى وعبادة الأوثان. كذلك يذكر القلقشندى أن السامرة هم أتباع السامرى الذى أخبر الله تعالى عنه بقوله فى سورة طه آيات (٨٥-٩٧): ﴿ ... وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِىُّ ﴾.

على أية حال، فقد كانت مملكة إسرائيل هذه خاضعة لنفوذ الآشوريين، وعندما حاولت التمرد هاجمها الملك سرجون الثانى عام ٧٢١ق.م، ونفى قيادات الإسرائيليين إلى أشور، ثم أتى بشعوب من مختلف البلاد الأشورية، ليسكنوا فى السامرة، فامتزجوا مع من بقى من شعب مملكة إسرائيل.

ويذكر المقريزى أنه كان من أثر مساعدة كبير السامرة، وهو «سنبلاط السامرى»، للاسكندر فى أثناء غزوه للفرس ـ أن سمح له الاسكندر ببناء هيكل لله على جبل طور بريك (جريزيم فى المراجع العربية) عندما استأذنه فى بنائه. وبعد بناء الهيكل (حوالى عام ٤٣٢ق.م) صار اليهود يحجون إليه فى الأعياد، ويقربون قرابينهم إليه، ويحملون إليه نذورهم، وتركوا قدس الله، وعدّلوا عنه، فكثرت الأموال فى هذا الهيكل وصار منافساً لبيت المقدس، واستمر هذا الوضع حتى غزاهم هورقانوس بن شمعون الكاهن (يوحنا هركانس رئيس كهنة اليهود فى حوالى عام ١٢٨ق.م)، وخرب الهيكل. ولكن السامريين أعادوا بناءه فى مكانه الأول، فظل قائما حتى هدمه الرومان مرة أخرى بعد ثورة السامريين فى القرن الخامس بعد الميلاد. وقد أصبح السامريون

يقدسون جبل جريزيم بسبب هيكلهم الذى أقاموه عليه، وهو الذى يسمى اليوم جبل الطور[*].

والسامريون متصلون تاريخيا باليهود ـ كما يقول الدكتور عبدالوهاب المسيرى ـ ولكن تفصل بينهم هوة عميقة من الخلافات الدينية، فهم يؤمنون بأسفار موسى عليه السلام الخمسة، يضاف إليها أحيانا سفر يوشع بن نون، وسفر القضاة، وينكرون بقية أسفار العهد القديم، وأسفار التلمود، ويعتبرونها من صنع البشر، كما ينكرون بنوة كل من أتى بعد موسى عليه السلام، باستثناء هارون ويوشع وإبراهيم.

فيذكر القلقشندى أن السامرة «يوافقون القرائين فى الوقوف مع ظواهر نصوص التوراة، ويمنعون القول بالتأويل الذاهب إليه الربانيون من اليهود (أى التلمود)، وينكرون صحة توراة القرائين والربانيين، ويجعلون الاعتماد على توراتهم».

لذلك يختلف كتابهم المقدس اختلافا واضحا عن التوراة التى بين القرائين والربانيين[1]. وقد سبق الإشارة إلى ذلك فى الموضوع الخاص بأسفار العهد القديم.

(*) الطور: بالضم ثم السكون، وآخره راء، والطور فى كلام العرب: الجبل. وقال بعض أهل اللغة: لا يسمى طورا حتى يكون ذا شجر، ولا يقال للأجرد طور، وقيل: سمى طورا ببطور بن إسماعيل عليه السلام، أسقطت باؤه للاستثقال، ويقال لجميع بلاد الشام الطور. وقال أهل السير: سميت بطور بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، وكان يملكها فنسبت إليه. وقد ذكر بعض العلماء أن الطور، هذا الجبل المشرف على نابلس ولهذا يحجه السامرة، وأما اليهود فلهم فيه اعتقاد عظيم ويزعمون أن إبراهيم أمر بذبح إسماعيل فيه، وعندهم فى التوراة أن الذبيح إسحاق عليه السلام.

(1) يرى القلقشندى أن اتفاق القرائين والسامرة فى التوراة وفى الأصل اليهودى (ذكرت سابقا أن السامرة خليط من اليهود والشعوب التى سكنت معهم) جعلهم كالفرقة الواحدة، وإن كانوا فرقتين.

ويذكر الدكتور قاسم عبده قاسم أن عدد السامرة فى مصر كان قليلاً، إذ لم يكن لهم سوى معبد واحد بالقاهرة ذكره المقريزى فى خططه، وتكشف بعض وثائق الجنيزة عن أن السامرة كانوا بمعزل عن بقية اليهود على حين كان القراؤون والربانيون يتقاربون فى الأزمات.

[٢] كتب اليهود الدينية المقدسة :

- **التـــوراة :**
  - **ضياع التوراة.**
  - **كتاب التوراة.**
  - **موقف الإسلام من التوراة.**
  - **أسفار التوراة (العهد القديم):**
    - **الأسفار التشريعية.**
    - **الأسفار التاريخية.**
    - **الأسفار الشعرية.**
    - **الأسفار النبوية.**
    - **الأسفار التعليمية.**
- **التلمود:**
  - **المراحل التى تكون منها التلمود:**
    - **المشناه.**
    - **الجماراه.**
    - **التلمود.**
  - **أقسام التلمود.**
  - **قداسة التلمود.**

[٢]

كتب اليهود الدينية المقدسة

عند دراستنا لكتب اليهود الدينية المقدسة فى المراجع العربية، وجدنا أن الأسطورة الدينية اليهودية تقول: إن هناك توراتين أو شريعتين: واحدة مكتوبة أعطاها الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام عند جبل سيناء، والأخرى شفوية يتناقلها الحاخامات عن موسى عليه السلام، ولها نفس قداسة التوراة المكتوبة.

لذلك تنقسم كتب اليهود الدينية المقدسة تبعاً لهذه الأسطورة الدينية إلى نوعين: النوع الأول ويتمثل فى الشريعة المكتوبة، ونعنى بها كتاب التوراة أو العهد القديم The Old Testament.

والنوع الثانى ويتمثل فى الشريعة الشفوية، ونعنى بها التلمود Talmud.

أولا: التوراة أو العهد القديم[١]

التوراة (Torah) هى كتاب اليهود المقدس، وهى أول ما أنزل على بنى إسرائيل وسُمى كتاباً، فما قبلها كان مواعظ ونحوها وكانت تسمى صحفاً.

---

(١) والعهد القديم (Old Testament) كما يذكر الدكتور عبدالوهاب المسيرى هو إصطلاح يستخدمه المسيحيون للإشارة لكتاب اليهود المقدس.

وقد أنزلت على موسى عليه السلام، ويذكر النديم نقلا عن لسان أحد اليهود، أنها كانت تتكون من «خمسة أخماس»، وينقسم كل خمس إلى سفرين، وينقسم السفر إلى عدة فراسات، ومعناها السورة، وينقسم كل فراسة إلى عدة أبسوقات ومعناها الآيات.

وعن لفظ «التوراة» يذكر القلقشندى أن أبا جعفر النحاس فى كتابه «صناعة الكتاب» كان يجنح إلى أن لفظ التوراة عربى، فهو عِبْرانى مُعَرَّب، لأن لغة موسى عليه السلام كانت العبرانية، فناسب أن تكون من لغته التى يفهمها قومه.

أما عن معنى كلمة التوراة، فيذكر د. عبدالوهاب المسيرى أن كلمة التوراة فى الأصل لم تكن ذات معنى محدد، إذ كانت تستخدم بمعنى «وصايا» أو «شريعة»، أو «علم»، أو «أوامر»، ولكنها فى القرن السادس قبل الميلاد صارت تعنى الشريعة بشكل عام، ثم أصبحت تشير إلى شريعة موسى، ثم أصبحت تعنى العهد القديم.

إلا أن الدكتور أحمد شلبى يرى أن التسمية العلمية لأسفار اليهود أو كتاب اليهود المقدس هى العهد القديم، ويرى أن التوراة إذا كانت تطلق كذلك على العهد القديم فهو من باب إطلاق الجزء على الكل، أو لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى عليه السلام.

وهكذا أصبحت التوراة بعد إطلاقها على العهد القديم لا تشتمل على التعاليم والأحكام الدينية فحسب، بل تشتمل أيضا على قواعد السلوك بين الناس، وعلى مجموعة من القوانين والعادات والتقاليد وأنماط الحياة، كما أنها كتاب تاريخ وتشريع وإنشاد.

ضياع التوراة:

إلا أن هذه التوراة التى بأيدى اليهود ليست هى التوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام، فموسى عليه السلام ـ كما يذكر السموءل بن يحيى ـ لم يعلم بنى إسرائيل من

التوراة إلا نصف سورة فقط يقال لها «ها أزينو»[١]، أما بقية التوراة فقد سلمها إلى أولاد هارون. وهؤلاء الأئمة الهارونيون، الذين كانوا يعرفون التوراة، ويحفظون أكثرها قد قتلهم «نبوخد نصر»[٢] يوم فتح بيت المقدس. ويذكر السموءل بن يحيى أن حفظ التوراة لم يكن فرضا ولا سنة، بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة، فلما رأى عزرا[٣] خادم ملك الفرس أن القوم قد أُحرق هيكلهم، وزالت دولتهم وتفرق جمعهم، ورُفع كتابهم، جمع من محفوظاته، ومن الفصول التى يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التى بأيديهم الآن، فهذه التوراة ـ على الحقيقة ـ كتاب عزرا وليس كتاب الله.

كتاب التوراة (و العهد القديم):

لذلك يعتبر الكاهن عزرا من أبرز كتّاب التوراة، فقد بدأ تدوين التوراة على يديه، وقد بالغ اليهود فى تعظيمه ـ كما يقول السموءل بن يحيى ـ غاية المبالغة، وزعموا أن النور ـ

(١) تناول ابن حزم فى كتابه الفصل فى الملل والأهواء والنحل ـ نص هذه السورة بالتفصيل وبالحرف الواحد.

(٢) نبوخد نصر (Nebuchad Nezzar) اسم أطلق على ثلاثة ملوك لبابل: الأول حكم عام (١١٢٤-١١٠٣ق.م)، والثانى حكم عام (٦٣٠-٥٦٢ق.م)، أما د. محمد بيومى مهران فيذكر أنه حكم عام (٦٠٥-٥٦٢ق.م)، والثالث حكم فى القرن السادس قبل الميلاد. وقد كان نبوخد نصر الثانى هو الذى اجتاح مملكة يهودا ودمر أورشليم وسبى عددا كبيرا من اليهود وأخذهم إلى بابل، وكان ذلك عام ٥٨٦ق.م.

(٣) وعزرا هذا ليس هو العزير الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم وذكره الدكتور أحمد شلبى فى كتابه، لأن العزير ـ كما يقول السموءل بن يحيى ـ هو تعريب العازار (وهو كاهن إسرائيلى يقوم على خدمة الرب وحراسة خيمة الاجتماع)، فأما عزرا، فإنه إذا عُرِّب لم يتغير عن حاله، لأنه اسم خفيف الحركات والحروف، ولأن عزرا عندهم ليس بنبى، وإنما يسمونه (عزرا هوفير) وتفسيره الناسخ.

إلى الآن ـ يظهر على قبره الذى عند بطائح العراق[1]، لأنه عمل لهم كتابا يحفظ دينهم، كما أطلقوا عليه اسم «ابن الله».

ويذكر الإمام أبو المعالى الجوينى أن السبب الحامل لعزرا على تبديل التوراة هو «الرياسة»، ويذكر أن رياسة بنى إسرائيل كان شأنها عظيما.

وهكذا يعتبر (عزرا) هو أول (الكَتَبَة)، الذين هم هيئة من المعلمين كانت مهمتهم تفسير الشريعة للشعب، وكان عزرا رئيسهم، وهؤلاء الكتبة كانوا أول من علم التوراة وهم واضعو الشريعة الشفهية، وكان للكتبة هؤلاء حزب منظم هو حزب (الفريسيين)، وهم الذين حملوا فيما بعد اسم (الحاخاميم)، أى معلمى الشريعة.

والغريب أن أسفار العهد القديم إذا كان قد قام بتدوينها أو تأليفها أشخاص عديدون عاشوا فى أزمنة متفاوتة على مدى نحو ألف عام، إلا أن أكثر الأسفار نسبت إلى غير مؤلفيها الحقيقيين ـ كما يرى الدكتور أحمد شلبى ـ وتواريخ تأليفها بعيدة عن الدقة، وبها كثير من المتناقضات، وبعض الأسفار ليست فى الحقيقة إلا أساطير وأغنيات شعبية لصقها الكُتّاب ببعض الأنبياء أو المتنبئين من اليهود[2].

والتوراة مكتوبة فى الأصل باللغة العبرية، وإن كانت بعض فصولها مكتوبة باللغة الأرامية التى أصبح اليهود يتكلمون بها أثناء السبى فى بابل، وظلوا يتكلمون بها بعد عودتهم من السبى إلى أورشليم.

---

(١) البَطِيحة: بالفتح ثم الكسر، وجمعها البطائح، والبطيحة والبطحاء واحد، وتبطّح السيل إذا اتسع فى الأرض، وبذلك سميت بطائح واسط لأن المياه تبطحت فيها أى سالت واتسعت فى الأرض. والبطيحة أرض واسعة بين واسط والبصرة. وهى أراضى المستنقعات ـ كما تقول الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف.

(٢) وأنظر بعض النماذج من أسفار توراة موسى التى أوردها الدكتور أحمد شلبى فى كتابه، والتى تبين أنها لا تنتمى لموسى عليه السلام، ثم أنظر بعض الآراء التى قيلت على بعض من الأسفار الأخرى وكيف أنها لا تنتمى للأشخاص أو للأسماء التى نسبت لها.

موقف الإسلام من التوراة:

والإسلام يعترف بالتوراة التى أنزلها الله سبحانه وتعالى على موسى عليه السلام، ولا يعترف بسواها من أسفار العهد القديم. قال تعالى فى سورة آل عمران آيات ٢-٤: ﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لما بين يَدَيْهِ، وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ، مِن قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ، وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ ويقول الله سبحانه وتعالى أيضا فى سورة هود الآية رقم ١٧: ﴿ .... وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى... ﴾.

وفيما عدا ما أنزله الله سبحانه وتعالى على موسى عليه السلام، فإن الإسلام لا يعترف به(*).

هذا وقد أشار الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم إلى ضياع التوراة وتحريف اليهود لها فيقول الله سبحانه وتعالى فى سورة المائدة الآية رقم ١٣: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ... ﴾.

ويقول تعالى كذلك فى سورة المائدة الآية رقم ٦٨: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ... ﴾.

ويقول تعالى فى سورة الجمعة الآية الخامسة: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾.

(*) وأنظر، كذلك سورة غافر آية رقم (٥٣)، وسورة التوبة آية رقم (١١١) ـ كما تقول الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف.

أسفار العهد القديم:

وأسفار العهد القديم غير متفق عليها سواء لدى اليهود أو لدى المسيحيين.

فيذكر القلقشندى أن فرقة السامرة اليهودية لهم توراة تخصهم غير التوراة التى بيد فرقة القرائين وفرقة الربانيين. فهم ـ أى فرقة السامرة ـ لا يؤمنون إلا بأسفار موسى الخمسة، ولا يرون غيرها كتابا مقدساً، ويضيف بعض السامريين سفرى (يوشع) و(القضاة) لأسفار موسى الخمسة، ويرون فى هذه الأسفار السبعة كتابهم المقدس. فالسامرة ـ كما يقول المقريزى ـ تعتقد أن التوراة التى فى أيدى اليهود ليست التوراة التى أوردها موسى عليه السلام، ويقولون توراة موسى حرّفت وغيّرت وبدّلت وأن التوراة هى ما بأيديهم دون غيرهم.

أما بالنسبة للمسيحيين فقد اختلفت كذلك أسفار العهد القديم بين البروتستانت والكاثوليك، فبينما يعتبر البروتستانت أن أسفار العهد القديم عددها تسع وثلاثون سفراً، يعتبر الكاثوليك أن عددها ستة وأربعون سفراً.

ولم يختلف البروتستانت والكاثوليك فى عدد أسفار العهد القديم فقط، وإنما اختلفوا كذلك فى تقسيم هذه الأسفار، فالبروتستانت قسموا أسفار العهد القديم إلى ثلاثة أقسام، بينما قسمها الكاثوليك إلى خمسة أقسام.

وبالنسبة لأسفار العهد القديم التى يعترف بها البروتستانت وقسموها إلى ثلاثة أقسام فهى كما ذكرها الدكتور أحمد شلبى:

القسم الأول: (التوراة)

ويشمل أسفاراً خمسة هى: التكوين ـ الخروج ـ اللاويون (الأحبار) ـ العدد ـ التثنية. وتلك هى التى يطلق عليها أسفار موسى.

القسم الثانى: (أسفار الأنبياء) وهى نوعان:

١ ـ أسفار الأنبياء المتقدمين: وتشمل الأسفار الآتية: يشوع (يوشع بن نون) ـ قضاة ـ صموئيل الأول ـ صموئيل الثانى ـ الملوك الأول ـ الملوك الثانى.

٢ ـ أسفار الأنبياء المتأخرين: وتشمل الأسفار الآتية: إشعيا ـ إرميا ـ حزقيال ـ هوشع ـ يوئيل ـ عاموس ـ عوبديا ـ يونان (يونس) ـ ميخا ـ ناحوم ـ حبقوق ـ حجى ـ زكريا ـ ملاخى.

القسم الثالث: (الكتابات) وهذا القسم يتشعب إلى أنواع ثلاثة:

١ ـ الكتب العظيمة وتشمل الأسفار الآتية: المزامير (الزبور) ـ الأمثال (أمثال سليمان) ـ أيوب.

٢ ـ المجلات الخمس تشمل الأسفار الآتية: نشيد الانشاد ـ راعوث ـ المراثى (مراثى إرميا) ـ الجامعة ـ أستير.

٣ ـ الكتب وتشمل الأسفار الآتية: دانيال ـ عزّرا ـ نحميا ـ أخبار الأيام الأول ـ أخبار الأيام الثانى.

أما بالنسبة لأسفار العهد القديم التى يعترف بها الكاثوليك وقسموها إلى خمسة أقسام فهى كما ذكرها الدكتور أحمد شلبى:

القسم الأول: (أسفار موسى الخمسة) والتى تتضمن شريعته.

القسم الثانى: (أسفار تاريخية) وعددها ١٦ وهى:

يشوع ـ القضاة ـ راعوث ـ الملوك الأول والثانى والثالث والرابع ـ أخبار الأيام الأول ـ أخبار الأيام الثانى ـ عزرا ـ نحميا ـ طوبيا ـ أستير ـ يهوديت ـ المكابيون لأول والثانى.

القسم الثالث: (أسفار شعرية) وعددها ستة وهى:

أيوب ـ المزامير ـ أسفار سليمان الثلاثة (الأمثال ـ الجامعة ـ نشيد الإنشاد) ـ مراثى إرميا.

القسم الرابع: (أسفار نبوية) وعددها ١٧ وهى:

إشعيا ـ إرميا ـ باروخ ـ حزقيال ـ دانيال ـ هوشع ـ يوئيل ـ عاموس ـ عُوبَدْيا ـ يونان ـ ميخا ـ ناحوم ـ حبقُّوق ـ صفَنيا ـ حجّى ـ زكريا ـ ملاخى.

القسم الخامس: (أسفار تعليمية) وعددها اثنان وهما:

سفر الحكمة ـ يسوع بن سيراخ.

ويعلق الدكتور أحمد شلبى على أسفار العهد القديم فيقول: إن من الأسفار ما هو طويل كثير الإصحاحات كسفر المزامير الذى يصل إلى مائة وخمسين مزموراً، وإشعيا الذى يحوى ستة وستين إصحاحاً، وإرميا وهو يتكون من اثنين وخمسين إصحاحاً، والتكوين وبه خمسون إصحاحاً. ومنها ما هو قصير كسفر عُوبَديا وبه إصحاح واحد، وحجى وبه إصحاحات، وصفَنيا وحبَقُّوق وناحوم وكل منها يتكون من ثلاثة إصحاحات.

والعهد القديم على العموم ـ على حد قول الدكتور أحمد شلبى ـ سِجلّ فيه شعر ونثر، وحكم وأمثال، وقصص وأساطير، وفلسفة وتشريع، وغزل ورثاء مع بلاغة أسلوب وفصاحة عبارات فى كثير من الحالات.

وصف تفصيلى لمحتويات الأسفار:

وسنتناول فى الصفحات القادمة وصفاً تفصيلياً لمحتويات أسفار العهد القديم مقسمة تبعا للكنيسة الكاثوليكية.

أولا: الأسفار التشريعية:

ويقصد بها أسفار موسى الخمسة، وهى الحجر الأساسى فى الشريعة اليهودية وهى أسفار: التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية. وتدل كثير من العبارات التى وردت فى هذه الأسفار ـ كما يقول زكى شنودة ـ على أن موسى النبى عليه السلام هو الذى كتبها بوحى من الله سبحانه وتعالى.

وقد أشير إلى أسفار موسى الخمسة فى أسفار العهد القديم بأسماء مختلفة فعرفت: «بسفر موسى»، و«سفر شريعة موسى»، و«سفر شريعة الرب بيد موسى»، «سفر الشريعة»، و«سفر العهد»، و«شريعة موسى»، و«توراة موسى».

وقد تضمنت أسفار موسى الخمسة ـ كما يقول زكى شنودة ـ الأحكام الأساسية للشريعة اليهودية، وهى تشمل أحكام الشريعة الطقسية والشريعة الأدبية، والشريعة الجنائية، والشريعة الدينية، متداخلة بعضها فى البعض الآخر، وان كان كل سفر منها يعالج موضوعا أو بضعة موضوعات رئيسية.

وقد لاحظت المصادر العربية أنه ليس فى التوراة ذكر القيامة ولا الدار الآخرة ولا بَعْث ولا جنة ولا نار، وكل وعيد يقع فيها إنما هو بمجازاة دنيوية، فيوعدون على مجازاة الطاعة بالنصر على الأعداء، وطول العمر، وسعة الرزق ونحو ذلك، ويوعدون على الكفر والمعصية بالموت والحرب، وأن ينزل عليهم بدل المطر الغبار والظلمة، ونحو ذلك. لذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ففبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ...﴾(*). فجعل الظلم سبباً للتحريم، وليس فيها أيضا ذم الدنيا، ولا طلب الزهد فيها.

ذكرت سابقا أن أسفار موسى الخمسة (the Pentateuc) هى: التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية. وسنعرض لمحتويات هذه الأسفار بشئ من التفصيل.

(*) سورة النساء آية رقم ١٦٠.

السفر الأول (الخلق Genesis) أو التكوين:

كما يسمى فى اللغة العربية. وقد سمى بهذا الاسم ـ كما يقول الدكتور أحمد شلبى ـ لاشتماله على قصة خلق العالم وخلق الإنسان الأول. كما يشتمل على قصة الخطيئة التى ارتكبها آدم، ونزوله إلى الأرض عقاباً له، ثم حياة أولاده وما جرى بينهم، وقصة الطوفان، وقصة إبراهيم واسحق ويعقوب ويوسف عليه السلام، ونزوح بنى يعقوب إلى مصر مع أبيهم وبقائهم فيها تحت حكم المصريين. وبموت يوسف عليه السلام ينتهى هذا السفر.

السفر الثانى (الخروج Exodus):

وسمى بذلك لتناوله خروج بنى إسرائيل من مصر، وفيه قصة بنى إسرائيل بعد يوسف عليه السلام، وما عانوه من الفراعنة، وظهور موسى، واختيار الله له ليقود اليهود ويخرجهم من مصر، وهلاك فرعون، وأحوال التيه، وإمامة هارون عليه السلام وما حدث من بنى إسرائيل فى غيبة موسى. وفى هذا السفر الوصايا العشر التى أعطاها الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام، وهى شبه مختصر لما فى التوراة، وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِى الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَىْءٍ... ﴾[*].

وفيه كذلك كثير من المسائل التشريعية، والتعاليم الدينية الخاصة بيهوه إله بنى إسرائيل، ومنها وصف خيمة الاجتماع وتابوت العهد. وما صنعه موسى من المعجزات ليؤمن اليهود بالله سبحانه وتعالى ويخضعوا لشريعته[1].

(*) سورة الأعراف آية رقم ١٤٥.

(١) وقد ذكر القلقشندى فى كتابه أن الفقهاء المسلمين كانوا قد اختلفوا فى نوعية هذه الألواح، فذكر (مجاهد) أنها كانت من زمردة خضراء، وقال ابن جبير: من ياقوتة حمراء، وقال أبو العالية: من زبرجد، وقال (الحسن) من خشب نزلت من السماء.

السفر الثالث (اللاويين Leviticus) :

نسبة إلى أسرة لاوى[1]. ويحتوى هذا السفر على كثير من التشريعات والوصايا والأحكام مثل: طقوس العبادة، وطرائق تقديم القرابين والذبائح إلى الله، والأعياد، والطهارة؛ وتخصيص اللاويين للخدمة الدينية فى خيمة الاجتماع، ووصف ما يرتدونه أثناء الخدمة من ملابس، وما يقومون به من إجراءات لتطهير أنفسهم، والاستعداد لأداء واجباتهم وممارسة الطقوس المنصوص عليها فى هذا السفر لعبادة الله سبحانه وتعالى.

السفر الرابع (العدد Numbers):

وسمى بذلك لأن فيه عدد القوم، وتقسيم الأرض بين أسباط بنى إسرائيل وترتيب منازلهم حسب أسباطهم، وإحصاء القادرين منهم على القتال، وهم الذين تجاوزوا سن العشرين من الذكور، وأحوال الرسل الذين بعثهم موسى عليه السلام من الشام، وأخبار المَن والسلوى. فضلا عن تفصيل بعض الحوادث التى جاءت مجملة فى سفر الخروج، وإضافة شرائع جديدة إلى الشرائع التى سبق ورودها فى سفرى الخروج واللاويين.

السفر الخامس (التَّثْنِيَة Deuteronomy) :

أو تثنية الشرائع، ومعناه الإعادة والتكرار لتثبيت التشريعات والتعليمات. وفى هذا السفر عرضت الوصايا العشر عرضا جديدا، كما أعيد الكلام عن الأطعمة الحلال والحرام، وعن نظام القضاء والملك عند بنى إسرائيل. وتحدث هذا السفر عن الكهنة والنبوة، كما ذكر وفاة هارون ثم موسى عليه السلام، وخلافة يوشع بن نون عليه السلام بعدهما.

---

(١) لاوى هو أحد أولاد إسرائيل (يعقوب بن اسحق بن إبراهيم) ويُعرف اللاويون أنهم من بنى لاوى فقط.

ثانيا: الأسفار التاريخية:

ويذكر زكى شنودة أن الأسفار التاريخية تتضمن فصولاً من تاريخ اليهود منذ استيلائهم على أرض كنعان بقيادة يشوع بن نون إلى عهد المكابيين، وهى تشتمل على أربعة عشر سفراً، منها أربعة أسفار ينقسم كل منها إلى جزأين. والأسفار التاريخية هى:

١ ـ سفر يَشُوع: وهو أول الأسفار التاريخية، وينسب إلى يشوع بن نون الذى كان خادماً لموسى عليه السلام، وكان اسمه آنذاك هوشع فدعاه موسى يشوع، وكان موسى عليه السلام قد عرف فيه الإخلاص والكفاءة فاستخلفه. وهو يشتمل على وصف مفصل لاستيلاء اليهود على أرض كنعان[١] وتقسيمها بين أسباطهم. وقد تناولت الاصحاحات الأولى من هذا السفر أخبار التجسس التى كانت من حيل (يشوع) لينتصر بها على سكان البلاد الأصليين، ثم أخبار الغزو. أما الاصحاحات الأخيرة فتتحدث عن تنظيم البلاد المفتوحة وتوزيعها على الأسباط واستيطانها. والراجح ـ كما يقول زكى شنودة ـ أن يشوع بن نون هو الذى كتب هذا السفر ثم ألحقه بالأسفار التى كتبها موسى عليه السلام، أما الآيات الأخيرة من هذا السفر والتى تتكلم عن موت يشوع بن نون فقد كتبها كاتب آخر كحاشية للسفر.

٢ ـ سفر القضاة: وقد سمى بذلك نسبة إلى رؤساء بنى إسرائيل فى الفترة التى تبدأ من يشوع إلى صموئيل، فقد كانوا يسمون القضاة. ويشتمل على وصف الكيفية التى احتل بها اليهود بعض أرض كنعان التى لم يكن يشوع قد احتلها. كما تحدث هذا السفر

(١) أرض كنعان: وتعنى «الأرض المنخفضة» من «قنع» أو «خنع» نسبة لأبناء كنعان بن حام بن نوح، وهم أول الشعوب التى سكنت فلسطين. وثمة رأى قائل بأن الكنعانيين كانوا فى بادئ الأمر قبائل سامية نزحت من الجزيرة العربية. وأرض كنعان هى الأرض التى غزاها اليهود الأول حينما كانوا يبحثون لهم عن وطن، وهى أيضا الأرض التى وعد الرب بها نسل إبراهيم، وكان على اليهود أن يخوضوا معارك ضارية ضد الكنعانيين ليستوطنوا بلدهم.

عن بعض القضاة العظام، وبعض القضاة الذين لم يكن لهم تأثير يذكر فى حياة بنى إسرائيل، وتحدث عن غارات الشعوب المحيطة بهم، وقيام زعمائهم بتوحيد صفوفهم لصد هذه الغارات. كما يشتمل هذا السفر على بعض القصص التى تدل على تمرد اليهود على الله سبحانه وتعالى وفساد أخلاقهم. ويبين كيف انتقم الله سبحانه وتعالى منهم فسلط عليهم أعداءهم، وأنزل كثيراً من النوائب عليهم، وآل أمر القضاء إلى صموئيل، فلما شاخ جعل بنيه القضاة، ولكنهم أخذوا الرشوة وظلموا، فطلب شيوخ بنى إسرائيل من صموئيل أن يعين لهم ملكاً ففعل، وبدأ عهد المُلك فى بنى إسرائيل. ويرجح بعض العلماء أن كاتب هذا السفر هو صموئيل النبى.

٣ ـ سفر راعوث: وهو يتضمن قصة الفتاة (راعوث)[*] التى تزوجها (بُوعَز) فجاء من ذريتها منه الملك داود.

ويرى الدكتور أحمد شلبى أنه كان من الطبيعى أن تَرِد الأسفار التى تحدثت عن الملوك بعد سفر القضاة، ولكن لما كان داود أشهر هؤلاء الملوك، فقد أورد كاتبو العهد القديم سفر راعوث كتمهيد لأسفار الملوك، لأن هذا السفر يبين لنا نسب داود.

وينسب البعض ـ كما يذكر زكى شنودة ـ كتابة هذا السفر إلى كاتب سفر القضاة وهو على الأرجح صموئيل النبى.

٤ ـ سفر صموئيل: وهو فى جزأين، ويتضمن تاريخ اليهود أثناء حياة صموئيل النبى الذى كان قاضى اليهود وزعيمهم ونبيهم. ويشتمل هذا السفر بجزأيه على تاريخ حياة الملك شَاوُل الذى اختاره صموئيل ملكاً لهم، وتاريخ حياة الملك داود. ويرجح البعض ـ

(*) راعوث: هى جدة داود من جهة أبيه.

كما يقول زكى شنودة ـ أن صموئيل النبى هو الذى كتب هذا السفر ما عدا الجزء الأخير منه الذى يتضمن الأحداث التى وقعت بعد موت صموئيل، بينما يرجح البعض الآخر أن الذى كتب هذا السفر هو الملك داود.

٥ ـ **سفر الملوك**: وهو فى جزأين ويتضمن تاريخ اليهود منذ أواخر عهد الملك داود فى نحو عام ٩٧٢ق.م إلى أن سبى البابليون اليهود وأخرجوهم من بلادهم إلى بابل فى نحو عام ٥٨٩ق.م. وفى خلال هذه المدة تم بناء هيكل أورشليم، كما أنه فى خلالها انقسمت مملكة اليهود بعد موت سليمان إلى مملكتين هما مملكة «يهوذا» . ومملكة «إسرائيل» . ويعتقد بعض العلماء ـ كما يذكر زكى شنودة ـ أن كاتب هذا السفر هو أرميا النبى، فى حين يعتقد بعضهم الآخر أن كاتبه هو عزرا أوباروخ.

٦ ـ **سفر أخبار الأيام (الأول والثانى)**: وهو فى جزأين، ومحتوياتهما لا تختلف كثيراً عن المحتويات التى وردت فى أسفار موسى عليه السلام، وفى أسفار الملوك، فهذين السفرين ـ كما يذكر الدكتور أحمد شلبى ـ اقتبسا أكثر ما بهما من مادة من الأسفار السابقة التى ذكرناها سابقاً. ويرجح العلماء ـ كما يذكر زكى شنودة ـ أن كاتب هذا السفر هو عزرا، معتقدين أنه كتب هذا السفر فى كتاب واحد مع سفرى عزرا ونحميا، لأن هذين السفرين الأخيرين يكملان سفر أخبار الأيام من الناحية التاريخية، ولأن الثلاثة أسفار مكتوبة كلها بطريقة واحدة وبأسلوب واحد.

٧ ـ **سفر عَزْرَا**: ويُنسب هذا السفر إلى عَزْرَا الكاهن، ويتضمن تاريخ اليهود فى فترة خضوعهم لحكم الفرس، وعودة بعضهم من السبى إلى أورشليم، وكان قد تم فى هذه الفترة ترميم هيكل أورشليم. وقد كان هذا السفر فى الأصل ـ كما يقول زكى شنودة ـ مكتوباً بعضه باللغة العبرية والبعض الآخر باللغة الأرامية.

٨ ـ **سفر نَحَمْيَا**: ويتضمن تكملة لتاريخ اليهود فى فترة خضوعهم لحكم الفرس، ومن أبرز الأحداث التى أشار إليها هذا السفر ـ كما يقول زكى شنودة ـ هو عودة نحميا إلى أورشليم ليعيد بناء أسوارها، والاصلاحات الدينية التى قام بها هو وعزرا.

ويذكر زكى شنودة فى كتابه أن بعض العلماء تعتقد أن كاتب هذا السفر هو عزرا، فى حين يعتقد البعض الآخر أن كاتبه هو نحميا مدللين على ذلك بكثير من العبارات التى يشير فيها إلى نفسه بصيغة المتكلم. أما الدكتور أحمد شلبى فيرى أن شخصاً واحداً هو الذى ألف سفر أخبار الأيام بقسميه، وكذلك الأسفار المنسوبة لعزرا ونحميا، خاصة وأننا لو تتبعنا الأحداث التاريخية ـ كما يقول الدكتور أحمد شلبى ـ لكان سفر نحميا جديراً بالتقدم على سفر عزرا، لأن نحميا سبق عزرا فى الحضور إلى أورشليم، هذا إلى جانب أنه فى بعض النسخ يوجد سفر يحمل الاسمين معاً «عزرا ونحميا» ويلى ذلك سفر نحميا. ويرى أن هذا الشخص قد ألف هذه الأسفار حوالى سنة ٣٠٠ق.م أى بعد عزرا ونحميا بأكثر من قرنين، وذلك على الرغم من أن فى سفر نحميا عبارات كثيرة يتحدث فيها الكاتب عن نفسه متقمصاً شخصية نحميا. وقد قدَّم سفر عزرا لأهمية هذا الكاهن فى التاريخ، ولأنه بعد أن حضر، سبَق نحميا فى المكانة، كما كان له السبق فى إعادة بناء الهيكل.

٩ ـ **سفر أسْتِير** (Esther): سمى هذا السفر باسم إمرأة يهودية تدعى استير، رآها ملك الفرس واتخذها زوجة له. ومن أبرز أحداث هذه القصة أن الملك كان قد أصدر قرارا بالتنكيل باليهود فى اليوم الثالث عشر من آذار إلا أن أستير وابن عم لها يدعى (مُرْدَخَاى) استطاعا أن يرسما خطة يظهران بها للملك خيانة ضده يدبرها له وزيره هامان، فأصدر الملك أمره بقتل هامان وأتباعه، وصار اليوم التالى عيدا لليهود إلى اليوم. وقد كتب هذا السفر باللغة العبرية، ولكن تتخلله كثير من الألفاظ الفارسية، أما كاتبه فغير معروف.

ويحتل سفر استير مكانة ممتازة عند اليهود لأنهم يعتبرونه رمزاً لخلاصهم. وتدخل بعض فصوله ضمن أسفار «الأبوكريفا»(*) أى الأسفار السرية أو المخفاة.

١٠ ـ سفر طوبيا (Tobit): أسطورة طوبيا كما وردت فى العهد القديم تتلخص فى أن رجلاً اسمه طوبيا كان أسيراً فى نينوى وفقد بصره هناك، وكان له ابن اسمه طوبيا أيضا، وفى مدين كانت هناك امرأة جميلة اسمها سارا، كان يعشقها عفريت يقتل كل من يتقدم للزواج منها حتى قتل سبعة من خطابها، ثم أرسل الرب رسولاً إلى طوبيا الأب أن يزوج ابنه من سارا، وأعلمه أنه سيقضى على العفريت، ورحل طوبيا الابن إلى نينوى وتم الزواج. وفى السفر وصف لحفلة الزفاف وبه كذلك خطب وصلوات ونبوءات. ويرجع العلماء ـ كما يقول زكى شنودة ـ أن طوبيا وابنه قد كتبا هذا السفر باللغة الكلدانية أو اللغة العبرانية. وقد ورد هذا السفر ضمن الترجمة اليونانية للعهد القديم التى تسمى الترجمة السبعينية، والتى قام بها علماء اليهود فى الاسكندرية بتكليف من بطليموس فيلادلفوس، ولكن المتأخرين من علماء اليهود استبعدوها ضمن أسفار أخرى تسمى الأبوكريفا.

١١ ـ سفر يهوديت (Judith): تشبه أسطورة يهوديت أسطورة أستير ـ كما يقول الدكتور أحمد شلبى. وتتلخص فى أن (بنوخد نصر) ملك آشور هاجم اليهود، واستولى على المنابع التى تمد مُدُنَهم بالماء، فأوشكوا على الاستسلام، لولا أن أرملة يهودية اسمها

(*) الأبوكريفا (Apocrypha) كلمة يونانية تعنى «الخفية أو غير الموثوق بها»، وهى مصطلح يشير إلى الكتب التى لا يعترف اليهود بها ضمن أسفار العهد القديم المنزلة، ولذلك يسميها بعض الباحثين من اليهود «الكتابات الخارجة». والأبوكريفا اسم لـ١٤ سفرا من أسفار العهد القديم تضمنها الانجيل الكاثوليكى الرومانى، ولم ترد فى الأناجيل البروتستانتينية واليهودية، فلم يعترف بها البروتستانت أو اليهود، وان كانت تظهر أحيانا فى الأناجيل اللوثرية والأسقفية البروتستانتينية. وأشهر أسفار الأبوكريفا سفر المكابيين الأول والثانى، وسفر أستير، وسفر يهوديت، وسفر دانيال.

يهوديت استطاعت أن تتصل بالقائد (بنوخد نصر) وتفتنه بجمالها ثم تقتله، وبالتالى تُنجّى قومها منه. ويرى الدكتور أحمد شلبى أن هذا السفر ما هو إلا أسطورة تصور آمال بنى إسرائيل وكثرة حيلهم. وكاتب هذا السفر غير معروف، وهو يدخل ضمن أسفار الأبوكريفا.

١٢ ـ سفر المكابيين (الأول والثانى): وهو فى جزأين، ويتضمن تاريخ اليهود تحت حكم المكابيين أبناء الكاهن اليهودى متاتيا، والسفران يشيدان ببطولة الأسرة المكابية. وقد كتب بعضه فى الأصل باللغة العبرية، وبعضه الآخر باللغة اليونانية، أما كاتبه فهو غير معروف، وهو يدخل ضمن أسفار الأبوكريفا.

١٣ ـ سفر سوسنة: وهو من أسفار الأبوكريفا الملحقة بسفر دانيال ـ كما يقول الدكتور زكى شنودة. ويتضمن امرأة يهودية اسمها (سوسنة) أراد شيخان من قضاة اليهود إغراءها، فلما رفضت ألصقا بها تهمة كاذبة وحكما عليها بالموت، فأنقذها دانيال النبى. وقد كتب هذا السفر فى الأصل باللغة الآرامية أو العبرية، أما كاتبه فغير معروف.

ثالثا: الأسفار الشعرية:

وهى ـ كما يقول زكى شنودة ـ تتضمن قصصاً وتراتيل وابتهالات وأمثال وأناشيد ومراثى منظومة كلها بأسلوب شعرى. وهى تشتمل على ستة أسفار وهى:

١ ـ سفر أيوب: يذكر الدكتور أحمد شلبى أن قصة أيوب الواردة فى العهد القديم فيها عناصر قصة أيوب التى أوردها القرآن الكريم، ولكن العهد القديم يصور أيوب حائراً بين الرضا والثورة، فهو أحيانا يرضى بما نزل به، وأحيانا يثور ويتساءل: لماذا نزل بى كل هذا؟ فأيوب مؤمن بالله سبحانه وتعالى راض بما قسم له، ولكن كان هناك ـ على حد تعبير السفر ـ رهان بين الله سبحانه وتعالى والشيطان.

وقد كتبت القصة فى قصيدة شعرية يتخللها كثير من الحوار حول السبب الذى من أجله يسمح الله سبحانه وتعالى بأن يتألم البار. ويعتبر الدارسون الغربيون سفر أيوب من أمتع الأسفار من الناحية الفلسفية والأدبية، ويعتقد بعض العلماء أن كاتب هذا السفر هو موسى النبى، بينما يعتقد البعض الآخر أن أيوب نفسه هو الذى كتبه بالسريانية، ثم ترجمه موسى إلى العبرية.

٢ ـ سفر المزامير (Psalm): وقد سمى بهذا الاسم لأنه يحوى مجموعة من الأغانى تنشد بمصاحبة المزامير. فهذا السفر يناظر ـ كما يقول الدكتور أحمد شلبى ـ ما يُعرف فى العربية بالتهليل والتواشيح والتسابيح. ويشتمل هذا السفر على مائة وخمسين ترنيمة تسمى مزموراً، وهى تسمى (مزامير داود) لأن الملك داود وضع وحده ثلاثة وسبعين مزموراً، وقد كان هو رئيس المرنمين فى بلاد اليهود. أما باقى المزامير، فقد وضع موسى عليه السلام واحداً منها. ووضع سليمان اثنين، ووضع المرنم أساف بن برخيا اللاوى اثنى عشرا، ووضع المرنمون أبناء قورح أحد عشرا. وأما باقى المزامير فإن واضعها غير معروف. وقد استمر تأليف هذه المزامير منذ عهد موسى عليه السلام إلى عهد عودة اليهود من السبى فى بابل، أى نحو ألف عام.

٣ ـ سفر الأمثال (Proverbs): وهو يحوى مجموعة من الأمثال موضوعاتها متعددة، فمنها أمثال دينية، ومنها دنيوية، ومنها أمثال للتحذير والإنذار، ومنها ألغاز وهجاء. ويعتبر هذا السفر ـ كما يرى زكى شنودة ـ هو القانون الأدبى لليهود، ويقول إن هذه الأسفار تنسب إلى سليمان لأنه كتب معظم عباراته، إلا أن هناك عدداً من عبارات هذا السفر منسوب صراحة إلى مؤلفين آخرين. أما الدكتور أحمد شلبى فيرى أنها لا تنسب إلى سليمان، ويعتقد أن هذا السفر ليس من فعل شخص واحد، ولا نتاج عصر واحد، وإنما هو من الآداب الشعبية التى تتناقلها الأجيال، وتُدْخل عليها كثيراً من الزيادة والنقصان. ويذكر

أن بعض الأمثال تَرد باسم سليمان كنصائح يوجهها لولده، وبعضها تنسب لسليمان أيضا ولكنها عامة ليست موجهة إلى أحد، وبعضها تنسب إلى حكماء حُددت أسماؤهم أو لم تحدد.

٤ ـ سفر الجامعة: وينسب هذا السفر إلى الجامعة ابن داود ملك أورشليم. ويرى الدكتور أحمد شلبى أن سفر الجامعة هو نوع من الشعر الذى يطلق عليه شعر الحكمة، ويرى أنه قريب الشبه بالاصحاحات الأولى من سفر الأمثال، حيث يتحدث حكيم له خبرة ومعرفة يسميه السفر «الجامعة».

أما زكى شنودة فيرى أن كاتب هذا السفر هو الملك سليمان مفرغاً فيها خلاصة تجاربه فى الحياة، وخبرة ما وجده فيها من خير أو شر.

٥ ـ سفر نشيد الأنْشَاد: ويتضمن قصائد غزل صوفى بين يهوه[1] وبين إسرائيل بأسلوب الرمز والمجاز، ويرتله اليهود حتى اليوم فى عيد الفصح، وقد ورد فى مقدمته، أن الذى كتبه هو الملك سليمان، إلا أن الدكتور أحمد شلبى يرى أنه ليس كاتبه، فهذا السفر فى رأيه أغان شعبية من وضع اليهود، ويرددها الشعب فى عصور متعددة، خاصة فى مناسبات الزواج والزفاف[2].

٦ ـ سفر مراثى إرْمِيَا: ويتضمن عبارات شعرية يرثى بها إرميا النبى أورشليم، والمصير السيىء الذى آلت له دولتهم بعد خرابها على يد البابليين.

---

(١) ويهوه هو أكثر أسماء الخالق سبحانه وتعالى قداسة حسب التصور اليهودى.

(٢) سفر نشيد الأنشاد وقد ذكره الدكتور أحمد شلبى فى كتابه باسم «سفر نشيد الأناشيد» والصحيح ما أوردناه فى المتن نقلا عن التوراة.

رابعا: الأسفار النبوية:

وتتضمن كلها ـ كما يقول زكى شنودة ـ نبوءات أنبياء اليهود عن الحوادث المستقبلة التى ستحل ببلاد اليهود وبلاد العالم كله، كما تتضمن عبارات التوبيخ لليهود على ما ارتكبوه طوال تاريخهم من شرور وآثام، ومن تمرد على الله سبحانه وتعالى وعصيان لأحكامه ووصاياه. ويرى زكى شنودة أن كل نبى كتب السفر الذى يحمل اسمه إلا أن الدكتور أحمد شلبى يرى أن نسبة هذه الأسفار للأنبياء ليست دقيقة، كما أن وضع الأنبياء فى هذه الأسفار ليس متسلسلاً تاريخياً، فعاموس الذى عاش فى القرن الثامن قبل الميلاد يجئ بعد إرميا الذى عاش فى القرن السابع قبل الميلاد. كما يذكر الدكتور أحمد شلبى أن عدد أسفار الأنبياء فى النسخة الكاثوليكية ستة عشر سفراً، أما زكى شنودة فيذكر أن عدد هذه الأسفار بلغ سبعة عشر سفراً وهى أسفار: إشَعْيَاء، وإرْمِيا، وباروخ، وحَزْقِيَال، ودَانِيآل، وهُوشَع، ويُوئِيل، وعَامُوس، وعُوبَدْيَا، ويونان، ومِيخَا، وناحوم، وحَبَقُّوق، وصَفَنْيا، وحَجّى، وزكريا، ومَلاخى.

خامسا: الأسفار التعليمية:

وأما الأسفار التعليمية ـ كما يذكر زكى شنودة ـ فتتضمن مجموعة من المواعظ وآداب السلوك، قريبة فى موضوعها من سفرى الأمثال والجامعة، وإن كانت تختلف فى أسلوبها وصياغتها، وهى تنحصر فى سفرين من أسفار الأبوكريفا وهى:

١ ـ سفر الحكمة: وقد نسبه البعض إلى الملك سليمان، ولكن الراجح ـ كما يذكر زكى شنودة ـ أنه كتب فى وقت متأخر كثيراً عن وقت الملك سليمان، وباللغة اليونانية. ويتجه مؤلف السفر إلى ملوك الأرض ليراعوا العدالة مع من يحكمون، كما يتحدث السفر عن أثر الحكمة فى الأحداث التاريخية منذ آدم حتى موسى عليه السلام.

٢ ـ سفر حكمة يشوع بن سيراخ: ويشوع هذا ـ كما يذكر الدكتور أحمد شلبى ـ رجل يهودى من أورشليم كثير التجول والترحال، له أسلوب رائع يصوغ به أفكاره عن الحكمة والرشد، ويقرر يشوع أن مصدر الحكمة هو الله سبحانه وتعالى، وأن الله سبحانه وتعالى يمنحها لبعض أحبائه. وفى السفر تعاليم أخلاقية وصور من السلوك، وهو ينصح من يريد الكلام أن يستعد له، ويرى من الحكمة ألا يستشير الإنسان حسوداً، وألا يعطى الجسد ما يضره. والراجح ـ كما يذكر زكى شنودة ـ أنه مكتوب فى الأصل باللغة العبرية.

ثانيا: التلمود

تناولنا فى الصفحات السابقة كتاب اليهود المقدس وهو التوراة أو العهد القديم، الذى هو تبعا للأسطورة الدينية اليهودية يعتبر الشريعة المكتوبة التى تلقاها موسى عليه السلام عند جبل سيناء ـ كما ذكرنا سابقاً، وسنتناول فى الصفحات القادمة الكتاب الثانى المقدس لليهود وهو التلمود الذى يعتبر الشريعة الشفوية التى تلقاها موسى عليه السلام كما تقول الأسطورة الدينية اليهودية.

بداية نحب أن نوضح أن التلمود بصورته النهائية التى وصلت إلينا لم يكن موجوداً بهذا الشكل من البداية ـ كما ظهر من دراستنا للمراجع العربية ـ وإنما مر بمراحل عديدة حتى وصل إلى هذا الشكل النهائى. كما لم يعرف التلمود بهذا الاسم إلا فى وقت متأخر. ففى البداية ظهر ما يعرف باسم المشناه، ثم اضيفت إليه بعض الشروح والتعليقات التى عرفت باسم الجماراه، ومن المشناه والجماراه تكوّن ما يعرف بالتلمود.

وفى الصفحات القادمة سنتناول بشئ من التفصيل المراحل التى تكون منها التلمود بدءاً بالمشناه ومروراً بالجماراه وانتهاء بالتلمود.

١ ـ المشناه: (Mishnah)

اختلفت الآراء حول المقصود بمعنى المشناه، فيذكر المقريزى أن المشناه معناه استخراج الأحكام من النص الإلهى، ويرى أن ذلك يعنى أنه تفسير لما فى التوراة من الكلام الإلهى.

ويأخذ بهذا الرأى الأستاذ زكى شنودة الذى يرى أن المشناه هى مجموعة الشروح والتفسيرات والتطبيقات للتوراة أو العهد القديم، وهى تشتمل على بعض التفاسير والأحكام التى يعتقد اليهود أنها من عهد موسى عليه السلام.

أما الدكتور أحمد شلبى فيذهب إلى القول بأن معنى كلمة (المشناه) الشريعة المكررة لأن المشناه تكرار لما ورد فى توراة موسى عليه السلام، وليس المشناه إيضاحاً وتفسيراً وتكميلاً لهذه الشريعة، بل هو تكرار لما ورد بها.

وربما يكون رأى الدكتور أحمد شلبى هذا مبنى على الرأى القائل بأن كلمة المشناه هى كلمة عبرية معناها الترديد أو التكرار. كما يذكر الدكتور عبدالوهاب المسيرى أن المشناه مشتقة من فعل (شانا) العبرى بمعنى يثنى أى (يعاد مرتين)، والفعل الأرامى (تانا) بمعنى يدرس.

اهمية المشناه:

وتعد المشناه مصدراً من مصادر الشريعة الأساسية، وتأتى فى المقام الثانى بعد العهد القديم الذى تطلق عليه لفظ (المقرا) من (قرا) أى قرأ باعتبار أن العهد القديم هو الشريعة المكتوبة التى تقرأ، أما المشناه فهى الشريعة الشفوية التى تتناقلها الألسن، فهى تكرار شفوى لشريعة موسى عليه السلام لابد من دراسته مع توضيح وتفسير ما التبس منها.

وهكذا أصبحت المشناه بهذا المعنى يستخرج منها اليهود علم الفقه والشرائع والأحكام.

مراحل تدوين المشناه:

وعن مراحل تدوين المشناه يذكر المقريزى أن موسى عليه السلام كتب (مشناه)، فلما مات موسى عليه السلام، قام يوشع بن نون(١) الذى تولى أمر بنى إسرائيل، ومن جاء بعده بكتابة مشناه ينقلونها من مشناه موسى عليه السلام، وذلك إلى كل ملك من ملوك بنى إسرائيل، واستمر هذا الوضع حتى غزاهم نبوخد نصر وجلاهم من بيت المقدس، فخرجوا ومعهم نسخ المشناه التى كتبت لسائر ملوك بنى إسرائيل إلى بلاد المشرق، وعندما عمّروا القدس وجدّدوا بناء البيت ثانيا رجعوا ومعهم جميع نسخ المشناه التى خرجوا بها، إلا أن الإسرائيليين قد اختلفوا فى دينهم ـ كما يقول المقريزى ـ اختلافاً كثيراً، فخرج طائفة من آل داود عليه السلام من بيت المقدس، وساروا إلى الشرق، وأخذوا معهم نسخاً من المشناه التى كتبت للملوك من مشناه موسى التى بخطه، وعملوا بما فيها ببلاد المشرق. وأما الذين أقاموا بالقدس من بنى إسرائيل فقد اختلفوا هم أيضا كذلك، وظلوا هكذا حتى غزاهم طيطس (تيتوس)(٢) وخرب القدس الخراب الثانى، فغابت نسخ المشناه التى كانت عندهم بحيث لم يبق معهم من كتب الشريعة سوى التوراة وكتب الأنبياء.

---

(١) يوشع بن نون (يهو شواع) Joshua. وهو من سبط أفرايم، كان فى بادئ الأمر خادما لموسى عليه السلام، ثم عينه موسى لقيادة بنى إسرائيل، ثم انتهى الأمر بأن اختاره موسى خليفة له وقائدا لبنى إسرائيل من بعده. وقد غير موسى اسمه إلى «يشوع». والتوراة خاصة فى سفر يشوع تحاول أن تضعه فى مكانة لا تقل عن مكانة موسى عليه السلام نفسه، فكما كلم الرب موسى من قبل، فقد كلم يشوع من بعد، وكما أجرى «يهوه» رب إسرائيل المعجزات على يدى موسى، فإنه قد آثر يشوع بمثلها. ومن أهم أعماله أنه قاد العبرانيين فى عبورهم نهر الأردن، وفى غزوهم لأرض كنعان.

(٢) وهو طيطس (تيتوس أو تيطُس) ابن الامبراطور الرومانى فسباسيان (٦٩–٧٩م) (Titus Flavius Sabinus Vespasianus). وهو امبراطور رومانى حكم من عام ٧٩م إلى عام ٨١م. وكان والده قد عهد إليه بمهمة القضاء على ثورة اليهود فى أورشليم التى كانت قد بدأت من عام ٦٦م. وبعد حصاره لها، نجح تيتوس فى دخول أورشليم عام ٧٠م، وقتل عدد كبير من اليهود هذا فضلا عن مَن أسر أو بيع كرقيق منهم، وتهدم المعبد اليهودى حتى ضاعت آثاره تماما، وخيم الخراب على أورشليم. وعندما =

ويذكر المقريزى أنه وقبل خراب القدس كان هناك رجلين يقال لهما شماى[1]، وهلال[2] نزلا مدينة طَبَرِيَّة[3]، وكتبا كتاباً سمياه باسم مشناه موسى عليه السلام، وقد ضما فى هذا المشفاه الذى وضعاه أحكام الشريعة ووافقهما على وضع ذلك عدّة من اليهود. وكان شماى وهلال فى زمن واحد، إلا أنهما ماتا ولم يكملا المشفاه فأكمله رجل منهم يعرف بيهودا من ذرية هلال، حمل اليهود على العمل بما فى هذا المشناه، ويرى المقريزى أن هذا المشفاه كان يتضمن كثيراً مما كان فى مشفاه النبى موسى عليه السلام وكثيراً من آراء أكابرهم.

ويذكر الدكتور عبدالوهاب المسيرى فى كتابه أن الحاخام الذى جاء بعد هليل أو هلال كما يدعوه المقريزى هو الحاخام «عقيبا»(*).

= عاد تيتوس إلى روما، قام هو ووالده بموكب كبير عرضت فيه كنوز المعبد، وأخصها الشمعدان الذهبى. وتخليدا لذكرى انتصار تيتوس هذا على أورشليم، أقام القائد الرومانى فى ساحة روما «قوس نصر»، سجل عليه كثيراً من المناظر لعل أهمها، منظر موكب الأسلاب التى جئ بها من أورشليم، فضلاً عن مقصورة الشمعدان. والمصادر الإسلامية تذكره باسم «طيطش».

(١) شماى (القرن الأول ق.م) وهو أحد الحاخامات اليهود المشهورين بتشددهم فى الأحكام الدينية، ويعود تشدده إلى خوفه على اليهود من الاندماج مع الشعوب الأخرى، وخاصة أنه كان يعيش فى وقت كانت الحضارة الرومانية فيه آخذة فى الانتشار بين شعوب الشرق الأوسط. وتوجد مدرسة للتفسير والفقه تنتسب إلى شماى وهى كثيراً ما تقارن بمدرسة الحاخام هليل المعاصر له.

(٢) ذكره د. عبدالوهاب المسيرى باسم هليل ويقول عنه: هليل (القرن الأول قبل الميلاد) وهو من أشهر الحاخامات اليهود، ومؤسس ما يعرف باسم «بيت هليل»، انتخب رئيساً للسنهدرين (ذكرت معناها عند تناول التلمود)، واشتهر بأحكامه الدينية المرنة، على عكس أحكام شماى المتعنتة.

(٣) طَبَرِيَّة: وهى بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية، وهى فى طرف جبل، وجبل الطور مطلّ عليها، وهى من أعمال الأردن فى طرف الغور، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وكذلك بينها وبين بيت المقدس. وهى مستطيلة على البحيرة، عرضها قليل، حتى تنتهى إلى جبل صغير فعنده آخر العمارة.

(*) والحاخام عقيبا هو عقيبا بن يوسف (٤٠-١٣٥م)، عالم دينى يهودى، أحرز شهرة كبيرة، ومكانة عالية بين اليهود، وكان يطلق عليه اسم أبو المشناه، لأن شروحه للتوراة كانت مقبولة من الجميع.

ويبدو أنه جاء بعد الحاخام «عقيبا» حاخام آخر ذكره الدكتور أحمد شلبى، فهو يذكر أن بعد المسيح بمائة وخمسين سنة خاف أحد الحاخامات المسمى «يوضاس» أن تلعب أيدى الضياع بهذه التعاليم الشفوية، وتلك الروايات المتناقلة، فجمعها فى كتاب سماه المشناه.

أما بالنسبة للحاخام «يهودا» الذى ذكره المقريزى أنه أكمل المشناه، فيذكره الدكتور عبدالوهاب المسيرى باسم يهودا هاناش ويقول إنه هو الذى قيدها كتابة فى وضعها الحالى، وقد دونها بعد أن زاد عليها إضافات من عنده، وإن كان يقال إنه لم يدونها رغم إقترانها باسمه، وأن الأجيال قد ظلت تتناقلها حتى القرن الثامن الميلادى[1].

ويرى زكى شنودة أن بعض أحكام هذه الشريعة الغير مكتوبة أو الشفهية، يرجع إلى العصر الذى أنشأ فيه اليهود المجامع فى فترة سبيهم فى بلاد البابليين والآشوريين، وقد نسوا اللغة العبرية، وأصبحوا يتكلمون باللغة الأرامية فكانت مهمة شيوخ المجامع أن يفسروا لليهود الشريعة المكتوبة باللغة العبرية، وأن يشرحوها حتى يفهموها، فكانت هذه التفاسير والشروح هى نواة التلمود.

فالمشناه كتاب يتضمن مجموعة من الشرائع اليهودية التى جمعها التنائيون أو معلمو الشريعة[2] على مدى ستة أجيال (١٠-٢٢٠م).

ولغة المشناه ـ كما يقول الدكتور عبدالوهاب المسيرى ـ هى العبرية الجديدة، التى تحتوى على كلمات يونانية ولاتينية وصيغ لغوية يظهر فيها أثر الأرامية.

---

(١) ذكره الدكتور عبدالوهاب المسيرى مرتبطاً بتاريخ (١٨٩م)، وذكره الدكتور أحمد شلبى مرتبطا بتاريخ (٢١٦م)، وربما كانا التاريخين مرتبطان بالميلاد والوفاة أو ربما كان التاريخ الأول مرتبطاً بالميلاد والتاريخ الثانى مرتبطا باتمامه لكتابه المشناه.

(٢) التنائيون (القرنان الأول والثانى الميلادى). كلمة عبرية تعنى معلمو الشريعة، وهم الحاخامات اليهود الذين قاموا بتفسير العهد القديم وسجلت أقوالهم فى المشناه.

أقسام المشناه:

وتنقسم المشناه إلى ستة أسفار تشتمل على فقه التوراة، يذكر المقريزى أن الذى رتبها على هذا الشكل هو (النوسى) من ولد داود النبى بعد تخريب طيطس للقدس بمائة وخمسين سنة.

وأقسام أو أسفار المشناه الستة كما ذكرها د. عبدالوهاب المسيرى فى كتابه هى:

١ ـ كتاب زراعيم أى البذر أو الإنتاج الزراعى: ويعنى بالزراعة والحاصلات الزراعية ونصيب الحاخام من الثمار والمحصول.

٢ ـ كتاب موعد أى العيد: ويعنى بالأعياد والسبت والأحكام الخاصة بها.

٣ ـ كتاب ناشيم أى النساء: وفيه النظم والأحكام الخاصة بالزواج والطلاق.

٤ ـ كتاب نزيقين أى الأضرار: ويتناول الأحكام المتعلقة بالأشياء المفقودة والبيع والمبادلة والربا والغش والاحتيال، كما يعنى هذا الكتاب بالحديث عن عصر المسيح ومحاكمته وصلبه.

٥ ـ كتاب قداشيم أى المقدسات: ويحتوى على الشرائع الخاصة بالطقس القربانى، وخدمة الهيكل.

٦ ـ كتاب طهاروت أى الطهارة: يعالج أحكام الطهارة والنجاسة.

وهذه الكتب الستة التى تسمى (سداريم) جمع (سدر)، تنقسم بدورها إلى أقسام فرعية أخرى تسمى (ماسيكتوت) التى تنقسم بدورها إلى فصول أو (براقيم).

هذا بالنسبة للمرحلة الأولى من المراحل التى تكوّن منها التلمود وهى المشناه، وسنتناول الآن المرحلة الثانية وهى الجماراه.

٢ ـ الجماراه: (Gemara)

والجماراه هى تفسير المشناه، فعندما استعصت المشناه على بعض القراء، أخذ علماء اليهود يكتبون عليها حواشى كثيرة وشروحاً مسهبة، وسميت هذه الحواشى وتلك الشروح باسم (الجماراه). فالجماراه هى عبارة عن التعليقات والشروح والتفسيرات التى وضعها على المشناه الحاخامات أو الفقهاء اليهود المسمين بالأموراثين[١] (٢٢٠-٥٠٠م).

ولما كانت الجماراه هى تفسير للمشناه، لذلك فهى تعد جزءاً من الشريعة الشفوية.

والجماراه كلمة أرامية تعنى (الاكمال) أو (دراسة). ويرى الدكتور عبدالوهاب المسيرى أن تسمية التعليقات والشروح التى كتبت على المشناه باسم الجماراه أى الاكمال ـ هو من قبيل المجاز، فالأموراثيون لم يكتفوا بالتفسير والتوضيح فحسب، بل قاموا بالتعديل حتى تطابق المشناه ظروف الزمان والمكان، أى أنهم فعلوا بالمشناه ما فعله الحاخامات التنائيون (أى معلمو الشريعة) بالعهد القديم. وكما أن المشناه أطول من العهد القديم فالجماراه أطول من المشناه، وتوجد جمارتان واحدة فلسطينية والأخرى بابلية.

ولغة الجماراه ـ كما يقول الدكتور عبدالوهاب المسيرى ـ هى الأرامية.

وبعد أن تناولنا المراحل الأولى التى تكون منها التلمود وهى المشناه والجماراه، سنتناول الآن المرحلة الأخيرة والتى عرفت باسمه النهائى وهى التلمود.

(١) الأموراثيون: كلمة عبرية تعنى (المتكلمون)، وهى لقب يستخدم للاشارة إلى حاخامات اليهود فى فلسطين وبابل بين القرنين الثالث والسادس الميلادى. وكان الأموراثيون يشرحون المشناه فحسب، ثم تطور بهم الأمر بحيث أصبحت شروحهم فى منزلة المتن نفسه، وقد سجلت أقوالهم فيما يعرف بالجماراه. فالأموراثيون هم استمرار للتنائيين.

٣ ـ التلمود: (Talmud)

والتلمود كلمة مشتقة من كلمة (لوميد) العبرية التى تعنى (دراسة)، وهى شبيهة ـ كما يقول الدكتور عبدالوهاب المسيرى ـ بكلمة تلميذ العربية.

وقد أشار المقريزى فى كتابه إلى نشأة التلمود أو كتاب التلمود، فيقول: «وبعد وضع هذا المشنا بنحو خمسين سنة قام طائفة من اليهود يقال لهم السنهدرين(١) ومعنى ذلك الأكابر، وتصرفوا فى تفسير هذا المشنا برأيهم، وعملوا عليه كتابا اسمه (التلمود)، أخفوا فيه كثيراً مما كان فى ذلك المشنا، وزادوا فيه أحكاماً من رأيهم، وصاروا منذ وضع هذا التلمود الذى كتبوه بأيديهم، وضمنوه ما هو من رأيهم ـ ينسبون ما فيه إلى الله تعالى، ولذلك ذمّهم الله فى القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾»(*).

وهكذا فقد تكون التلمود من المشناه (Mishnah) وبالتالى من الجماراه (Gemara) باعتبارها تفسيراً لما فى المشناه.

---

(١) ذكرهم المقريزى باسم (السنهدوين). والسنهدرين (Sanhedrin) كلمة يونانية تعنى (مجلس) كانت تطلق على الهيئة العليا المختصة بالنظر فى القضايا السياسية والجنائية والدينية الهامة فى فلسطين، وهى نوع من المحاكم تمارس تطبيق العدالة واصدار الأحكام طبقاً للقوانين اليهودية فى ذلك الوقت، وأكبر الظن أن هذا المجلس قد نشأ أثناء حكم السلوقيين حوالى عام ٢٠٠ق.م. وثمة رأى يقول إن السنهدرين كان هيئة سياسية يترأسها الكاهن الأكبر، وان كان بعض الباحثين يرى أنه كان يوجد سنهدرين للأمور الدينية، وآخر للأمور السياسية، وقد اختفى السنهدرين تماما فى القرن الرابع الميلادى.

(*) سورة البقرة أية رقم ٧٩.

وقد استغرق تأليف التلمود ما يقرب من خمسمائة سنة ـ كما يقول الدكتور عبدالوهاب المسيرى ـ فقد بدأ تدوينه مع بداية العصر المسيحى، وتم الانتهاء منه فى القرن الخامس، وان كان يقال فى القرن الثانى عشر.

ويوجد تلمودان، التلمود البابلى والتلمود الفلسطينى (الأورشليمى)، وكلاهما مكون من المشناه والجماراه، ووجه الاختلاف بينهما هو فى الجماراه وليس فى المشناه، لأنها واحدة فى الاثنين، أما الجماراه فاثنتان احداهما كتبت فى فلسطين والأخرى فى بابل. ولما كان الجماراه البابلية أكمل وأشمل من الجماراه الفلسطينية، ويبلغ حجمها أضعاف الفلسطينية، فإننا نجد أن التلمود البابلى هو الأكثر تداولاً، وهو الكتاب القياسى عند اليهود.

أقسام التلمود:

ولما كان التلمود يتكوّن من المشناه والجماراه، فقد تكوّن من ستة أقسام هى نفس أقسام المشناه، على اعتبار أن الجماراه تعليق على المشناه وشرح لها. ويبلغ عدد صفحات التلمود (مشناه وجماراه) حوالى ستة آلاف صفحة، فى كل منها ٤٠٠ كلمة.

وقد أصبح التلمود باحتوائه على المشناه والجماراه موسوعة تتضمن الدين والشريعة والتاريخ والآداب وعلوم الطبيعة، كما يتضمن علاوة على ذلك فصولاً فى الزراعة وفلاحة البساتين والصناعة والمهن والتجارة والربا والضرائب وقوانين الملكية والرق والميراث وأسرار الأعداد والفلك والتنجيم والقصص الشعبى، بل أنه ليغطى ـ كما يقول الدكتور عبدالوهاب المسيرى ـ كل جوانب الحياة الخاصة لليهودى، إذ يتناول فى جملة ما يتناول كل دقائق اعداد الطعام وتناوله، والعلاقات الخاصة بين الرجل وزوجته والطمث، وحتى الدعوات التى يقولها الإنسان بعد الذهاب إلى دورة المياه، أى أنه كتاب جامع مانع بشكل لا يكاد يدع للفرد اليهودى حرية الاختيار فى أى وجه من وجوه النشاط فى حياته العامة والخاصة.

قداسة التلمود:

واليهود يقدسون التلمود، خاصة وأنه تبعاً للأسطورة الدينية اليهودية التى ذكرتها سابقاً يمثل الشريعة الشفوية التى تلقاها موسى عليه السلام مع الشريعة المكتوبة عند جبل سيناء.

لذلك فالتلمود باعتباره الشريعة الشفوية صار مساوياً لتوراة موسى فى المرتبة، ولم يعد فى وسع أى يهودى مخالفته، غير أن درجة قداسته أخذت فى الازدياد مع مرور الزمن حتى أصبح أكثر قداسة من التوراة ذاتها. حتى إن أحد الحاخامات قال: «يا بنى كن حريصا على مراعاة أقوال الكتبة أى الحاخامات مؤلفى التلمود، أكثر من حرصك على أقوال التوراة، لأن أحكام التوراة تحوى الأوامر والنواهى، أما شرائع الكتبة فإن من ينتهك واحدة منها يجلب لنفسه عقوبة الرب».

ويظهر التقديس للتلمود والايمان المطلق بكل ما دونه الحاخامات مما ورد فى التلمود، فقد ذكر فيه: أن خلافاً قد وقع بين الله سبحانه وتعالى وعلماء اليهود حول أمر ما، وبعد أن طال الجدل تقرر إحالة الأمر موضع الخلاف إلى أحد الحاخامات الذى حكم (والعياذ بالله) بخطأ الخالق سبحانه وتعالى، فاضطر إلى الاعتراف بخطئه.

وفى هذا المقام أيضا ردد بعض الحاخامات أن الله تعالى يستشير الحاخامات على الأرض (ونحن نستغفر الله العظيم) إذا صادفته مسألة معضلة يتعذر عليه حلها فى السماء!

لكل هذا ـ كما يقول الدكتور عبدالوهاب المسيرى ـ كان من المنطقى أن يحل التلمود محل العهد القديم فى العصور الوسطى، حتى إن كثيراً من الحاخامات كانوا لا يعرفون سواه.

[٣] واجبات اليهود الدينية :

- **الصلاة :**
  - صلوات اليهود ومواقيتها:
    - صلاة الخزانة.
    - صلاة «كل النذور».
  - أنواع الصلاة.
  - قِبلة الصلاة عند اليهود.
  - ملابس الصلاة عند اليهود
  - أدعية اليهود فى صلواتهم
- **الصوم:**
  - أنواع الصوم عند اليهود.
  - مدة الصوم.
  - أيام الصوم عند اليهود.
- **الحج:**
  - تقديس يوم السبت.
  - الطهارة أو التطهير:
    - الطهارة للصلاة أو الوضوء.
    - طهارة المرأة اليهودية.
    - ما يجب فيه الطهارة وذكر بالتوراة.

[٣]

واجبات اليهود الدينية

من الواجبات الدينية لليهود: الصلاة، والصوم، والحج إلى بيت المقدس، وتقديس يوم السبت، والطهارة أو التطهير.

الصلاة عند اليهود

صلوات اليهود ومواقيتها:

قبل البدء فى ذكر صلوات اليهود، يجب أن ننوه إلى ما ذكره القلقشندى وابن الوردى من أن التوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام لم يكن فيها «وظيفة صلوات معلومة». وهكذا يبدو لنا أن الصلوات التى ذكرتها بعض المصادر الإسلامية ـ وخاصة المقدسى ـ كانت قد استجدت بعد ذلك.

فيذكر المقدسى أن عدد صلوات اليهود فى اليوم الواحد ثلاثة صلوات:

الصلاة الأولى: «عند الصبح». وهى صلاة الفجر، وتعرف باسم (شحاريت).

والثانية: «بعد الزوال[1] إلى غروب الشمس» على حد قوله. وهى صلاة نصف النهار، وتعرف باسم (منحة).

---

(١) زوال الشمس بمعنى مالت عن كبد السماء. (الشيرازى: القاموس المحيط، ج٣، ص٣٧٩).

والثالثة: «فى وقت العتمة إلى أن يمضى من الليل ثلثه». وهى صلاة العشاء. وتعرف باسم (معاريف).

ويرتفع هذا العدد ـ كما يشير المقدسى ـ إلى ثمانى صلوات فى اليوم الواحد، أيام السبت والأعياد. فيقول: «ويزيدون يوم السبت، وأيام الأعياد خمس صلوات سوى ما كانوا يصلّونها».

ويضيف المقدسى أن اليهود كانوا يطيلون السجود فى الركعة الأخيرة من كل صلاة.

صلاة «الخزانة»:

إلا أن هذه الصلوات المتعارف عليها كانت قد استبدلت ـ خاصة فى أيام الفرس ـ بصلاة عرفت باسم «صلاة الخزانة»، كان اليهود يصلونها فى نفس أوقات صلواتهم. وعن سبب إيجاد اليهود لهذه الصلاة، يذكر السموءل بن يحيى فى كتابه أن الفرس كانوا كثيرا ما يمنعون اليهود عن الصلاة، لدعائهم فيها على جميع الأمم بالبوار! فاخترع اليهود أدعية مزجوا فيها فصولا من صلواتهم وسمّوها «الخزانة»، وصاغوا لها ألحانا عديدة، وصاروا يجتمعون فى أوقات صلواتهم على تلحينها وتلاوتها. وقد استمرت صلاة الخزانة يصلى بها اليهود فى الدولة الإسلامية «من غير ضرورة تبعثهم على ذلك» على حد قوله، خاصة وأن المسلمين قد أباحوا صلاة أهل الذمة.

ويذكر السموءل كذلك عن هذه الصلاة «أى صلاة الخزانة» أنها قد صارت من السنن المستحبة فى الأعياد والمواسم والأفراح عند اليهود، يجعلونها عوضا عن الصلاة، ويستغنون بها عنها.

صلاة «كل النذور»:

هى أشهر صلاة عند اليهود ـ كما يقول الدكتور عبدالوهاب المسيرى ـ وتفتتح بها الطقوس الدينية فى مساء عيد يوم الغفران، ويبدأ ترتيلها قبل الغروب وتستمر إلى أن تغرب

الشمس. وقد بدأت ممارسة هذه الصلاة منذ القرن ٢هـ/٨م، وهى ليست صلاة رسمية، فمصادرها وأصولها غير معروفة، ومع ذلك فقد أصبحت الصلاة المفضلة لدى اليهود، واكتسبت قدسية خاصة. وهى عبارة عن إعلان بإلغاء جميع النذور والعهود التى كان اليهود قد قطعوها على أنفسهم، ولم يتمكنوا من الوفاء بها طوال السنة. وتتلى هذه الصلاة ثلاث مرات حتى تتأكد دلالتها، وحتى لا يفوت أحد سماعها، وهكذا يتخلصون من عبء الشعور بالذنب فيبدءون الاحتفال بأقدس يوم عندهم مرتاحى الضمير تماما.

أنواع الصلاة:

والصلاة عند اليهود نوعان: النوع الأول، وهى صلاة الفرد، وهى صلاة ارتجالية، تتلى حسب الظروف والاحتياجات الشخصية، ولا علاقة لها بالطقوس. والنوع الثانى، صلاة الجماعة، وهى تؤدى باشتراك عشرة أشخاص على الأقل، يطلق عليهم اصطلاح الجماعة (المنيان)، ويردد الصلوات كل المشتركين فى الصلاة، إلا أجزاء قليلة يرددها الإمام بمفرده.

ويفهم من ذلك أن صلاة الفرد ليس لها طقوس، وأن الصلاة الوحيدة التى لها طقوس هى صلاة الجماعة.

قبلة الصلاة عند اليهود:

وقد اختلفت قبلة الصلاة عند طوائف اليهود الثلاث، فبينما اتفق الربانيون والقراءون على القبلة، اختلف السامرة. فيذكر القلقشندى أن قبلة الربانيين والقرائيين كانت صخرة بيت المقدس، أما قبلة السامرة فهى طور نابُلُس[1].

---

(١) نابُلُس: بضم الباء الموحدة واللام، والسين مهملة. وهى مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين، مستطيلة لا عرض لها، كثيرة المياه لأنها لصيقة فى جبل، أرضها حجر، بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ. وبظاهر نابلس جبل ذكروا أن آدم عليه السلام، سجد فيه، وبها الجبل الذى تعتقد اليهود أن الذبح كان عليه، وعندهم أن الذبيح إسحاق عليه السلام. والسامرة تصلى إليه. وبه عين تحت كهف يعظمونها، ويزورها السامرة، ولأجل ذلك كثرت السامرة بهذه المدينة.

وسبب هذا الاختلاف يرجع إلى نظرة كل منهم لموقع الجبل الذى كلم الله سبحانه وتعالى عليه موسى عليه السلام، ففى حين اعتقد الربانيون والقراءون أنه جبل صهيون ببيت المقدس، اعتقدت السامرة أنه جبل نابلس.

ملابس الصلاة عند اليهود:

ومن الوثائق التى وردت بالجنيزة يتضح ـ كما يقول جويتاين ـ أنه لم يكن لليهود ملابس خاصة بالصلاة، فقد كانت الشيلان ذات الشراشيب تلبس غالبا أثناء تأدية الصلاة، كما كانت تلبس فى الولائم ذات الطابع الدينى.

ويفهم مما ذكره المقدسى أن اليهود كانوا يلبسون ملابس خاصة للصلاة، فيذكر أن ملابس الصلاة للرجال كانت تتكون من ثلاثة أثواب ـ لا يجوز أن تقل عنها ـ وهذه الأثواب الثلاث هى: قميص وسراويل وملاءة يتردى بها، فإن لم يجد الملاءة صلى جالسا، وإن لم يجد القميص والسراويل صلى بقلبه.

أما المرأة فيذكر المقدسى أنه لا يجوز الصلاة للمرأة فى أقل من أربعة أثواب، ولكنه لم يذكرها.

ويشير الدكتور عبدالوهاب المسيرى إلى ملابس الصلاة لليهود الخاصة بالرجال، فيقول إنها كانت تتكون من: الطاليت والتيفيلين وغطاء الرأس.

وبالنسبة للطاليت: فهو شال الصلاة. وهى ترجمة حرفية للكلمة. وكان الطاليت يرتديه اليهودى عند صلاة الصبح فقط، وفى صلاة الظهيرة فى التاسع من آب (يوليو ـ أغسطس)، وفى كل الصلوات فى عيد يوم الغفران خاصة صلاة النذور. وهو يوضع على الرأس والأكتاف بطريقة معينة، مع قراءة بعض الصلوات.

أما التيفيلين: فهو عبارة عن صندوقين صغيرين من الجلد الأسود، يثبتهما اليهودى البالغ، بشرائط من الجلد على زراعه الأيسر مقابل القلب، وعلى جبهته مقابل المخ، وذلك

أثناء الصلوات الصباحية كل يوم، فيما عدا أيام السبت والأعياد. ويحتوى كل من الصندوقين على فقرات من التوراة من بينها (الشماع) أو شهادة التوحيد عند اليهود. ويكون ارتداء التيفيلين عادة بعد ارتداء الطاليت، فتوضع تفيلاه الذراع أولا، ثم تفيلاه الرأس، وتتلى الصلوات أثناء وضعهما.

وقد اعتمد الفقه اليهودى فى فرضه لهذين التيفيلين على فهم حرفى ظاهرى للآية التى تقول عن كلمات الله سبحانه وتعالى: ﴿ واربطها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك ﴾. ومن الواضح ـ كما يقول د. عبدالوهاب المسيرى ـ أن الأمر هنا مجازى، ولكن الاتجاه العام نحو التفسير الحرفى فى اليهودية، هو الذى أدى إلى ظهور مثل هذه الطقوس.

ويعطى اليهود أهمية كبرى للتيفيلين، فيعتبرونها عاصما من الخطأ، ومحصناً ضد الخطايا، أما إذا حدث ووقع التيفيلين على الأرض، فينبغى على الشخص أن يصوم اليوم كاملا[1].

أدعية اليهود فى صلواتهم:

كانت الأدعية والبركات التى كان يتلوها اليهود فى كل صلاة واحدة تقريبا. وكان يعقب ذلك قراءة من أسفار موسى الخمسة فى أيام معينة من الأسبوع، كما تقرأ بعض البركات والدعوات قبل وبعد الصلاة. وتتكون الصلاة نفسها من الشماع والشمونة عسرة أو العاميدا، وهى عبارة عن تسع عشرة بركة، وقد عرفت باسم الشمونة عسرة لأنها كانت فى الأصل ثمانى عشر بركة. وأحيانا تختصر العاميدا عند كثرة المشغولية.

---

(١) والتيفيلين: كلمة أرامية تعنى (ربط).

وقد ذكر السموءل بن يحيى فى كتابه «إفحام اليهود»، بعض الأدعية التى استجدت فى صلوات اليهود، خاصة بعد ذهاب دولتهم وتفرق شملهم، ولم تكن أيام النبى موسى عليه السلام، ومن هذه الأدعية التى ترجمها فى كتابه ما تفسيره:

«اللهم إضرب ببوق عظيم لعتقنا، واقبضنا جميعا من أقطار الأرض إلى قدسك، سبحانك يا جامع تشتيت قومه إسرائيل».

كذلك من الأدعية التى كان يرددها اليهود كل يوم فى صلواتهم والتى تعنى أنهم أبناء الله وأحباؤه ما تفسيره:

«أرُدْنا يا أبانا إلى شريعتك»، أو يقولون: «يا أبانا، يا مَلِكنا، يا إلهنا»، أو يقولون: «أنت اللهم أبونا ومنقذنا».

كما يشير السموءل أيضا إلى الأدعية التى يدعون بها خاصة فى العشر أيام الأولى من كل سنة، فيقولون ما تفسيره:

«يا إلهنا، وإله آبائنا، املُك على جميع أهل الأرض، ليقول كل ذى نسمة: الله إله إسرائيل، قد ملَكَ، ومملكته فى الكل متسلطة».

وفى هذه الصلاة يقولون أيضا:

«وسيكون لله الملْك، وفى ذلك اليوم يكون الله واحد». ويعنون بذلك ـ كما يرى السموءل ـ أنه لا يظهر أن الملك لله، إلا إذا صارت الدولة إلى اليهود الذين هم أمته وصفوته.

الصوم

يصوم اليهود عدة أيام فى كل شهر[١]، ترتبط عندهم بحوادث تاريخية معينة، تتضح من اسمها أو من أسباب صومها، ومعظم هذه الأيام لم يُفرض على اليهود الصيام فيها، وإنما فرضها اليهود على أنفسهم.

لذلك أصبح الصيام عند اليهود ثلاثة أنواع: النوع الأول، وهو ما يسمى بالصيام العلنى، أى المنصوص عليه فى التوراة. والنوع الثانى، وهو صيام الحاخامات، أى الذى أمر به الحاخامات. أما النوع الثالث، فهو الصيام التطوعى الاختيارى، مثل صيام العريس والعروس فى يوم الزفاف وأعياد الزواج.

ومن أيام الصيام العلنى المنصوص عليه فى التوراة ـ كما يقول هارفى لوتسك: يوم الغفران، والسابع عشر من تموز، والعاشر من طيبت، وصيام جيداليا(*).

(١) شهور السنة اليهودية:

١ ـ تشرى: ٣٠ يوما	أكتوبر
٢ ـ حشوان: ٢٩ أو ٣٠ يوما	آخر أكتوبر ـ نوفمبر
٣ ـ كسلو: ٢٩ أو ٣٠ يوما	آخر نوفمبر ـ ديسمبر
٤ ـ طيبت: ٢٩ يوما	آخر ديسمبر ـ يناير
٥ ـ شباط: ٣٠ يوما	آخر يناير ـ فبراير
٦ ـ آذار: ٢٩ يوما	آخر فبراير ـ مارس
٧ ـ نيسان: ٣٠ يوما	آخر مارس ـ أبريل
٨ ـ آيار: ٢٩ يوما	آخر أبريل ـ مايو
٩ ـ سيوان: ٣٠ يوما	آخر مايو ـ يونيو
١٠ ـ تموز: ٢٩ يوما	آخر يونيو ـ يوليو
١١ ـ آب: ٣٠ يوما	آخر يوليو ـ أغسطس
١٢ ـ أيلول: ٢٩ يوما	آخر أغسطس ـ سبتمبر

(*) سنتناول أيام الصيام عند اليهود بشئ من التفصيل فى الصفحات القادمة.

أما السموءل بن يحيى فيذكر أن صوم يوم صلب هامان (ويعنى به اليوم الثالث عشر من آذار)، وصوم كدليا، هما من الأيام التى أوجب اليهود الصيام فيها، ولم تذكر بالتوراة.

ويرى البيرونى وابن الوردى أن صوم يوم كيبور أى يوم الغفران (١٠ تشرى «أكتوبر») هو المفروض عليهم، وليس فى صومهم غيره، فالباقى نوافل.

ويقول المقدسى إن الأيام التى يجب على اليهود الصيام فيها هى: اليوم السابع عشر من تموز (يونيو ـ يوليو)، والعاشر من آب (يوليو ـ أغسطس)، والثالث عشر من آذار (فبراير ـ مارس)، والعاشر من كانون. على أنه لا يوجد فى الشهور اليهودية شهر باسم كانون الأول، ولست أدرى من أين أتى المقدسى بصيام يوم هذا الشهر؟

وإلى جانب الأيام التى يصومها اليهود، سواء التى فرضت عليهم، أو التى فرضوها على أنفسهم، يذكر الدكتور عبدالوهاب المسيرى أن اليهود كانوا يصومون يومان اضافيان وهما: يوما الاثنين والخميس، لأنهما اليومان اللذان تقرأ فيهما التوراة فى المعبد.

على أية حال، وكما هو الحال عند المسلمين تقريبا، فإن يوم الصيام عند اليهود يمتد من الشروق إلى الغروب، ما عدا صيام يوم الكيبور الذى يستغرق صيامه ٢٥ ساعة تقريبا، ويبدأ الصوم فيه من اليوم التاسع قبل الغروب بنصف ساعة إلى بعد العشاء من اليوم العاشر بنصف ساعة.

ويقول المقدسى إن صيام اليوم السابع عشر من تموز (يونيو ـ يوليو) يكون من غروب الشمس إلى غروب الشمس.

ولم يكن اليهود فى فترة الصيام يمتنعون فقط عن الشراب والأكل، وإنما كانوا يمتنعون أيضا عن ارتداء الأحذية، خاصة فى صيام يوم الكيبور، ولا يقوم اليهود فيه بأى عمل آخر سوى التعبد. كما كان الصائمون يرتدون الخيش، ويضعون الرماد على رؤوسهم تعبيرا عن الحزن.

وفى الصفحات القادمة سنتناول بشئ من التفصيل الأيام التى يصومها اليهود، وأسباب صيامها وفقا لما ذكرته المصادر والمراجع العربية.

صوم كدليا (جداليا)[1]: ويكون فى اليوم الرابع (الثالث فى رواية البيرونى) من شهر تشرى (أكتوبر). وذلك لإحياء ذكرى حاكم فلسطين اليهودى الذى قتل بعد خراب الهيكل، وهو ابن أحيقام خليفة نبوخذ نصر على بيت المقدس، فقد قتل فى هذا اليوم مع اثنين وثمانين نفرا، فاغتم بنو إسرائيل، وصاموا يوم مقتله[2].

صوم عقيبا: ويكون فى اليوم الخامس من تشرى (أكتوبر). وذلك لإحياء ذكرى (عقيبا)[*] الذى أُكره على عبادة الصنم، فأبى، فجلس فى صندوق حتى مات جوعا، وحوله أصحابه عشرون نفرا محبوسون.

صوم العذاب: ويكون فى اليوم السابع من تشرى (أكتوبر). وسببه وفقا لما أورده البيرونى أن داود لما عدّ بنى إسرائيل، أعجب بعدّتهم، فغضب الله عليهم، وأرسل ناثان النبى إلى داود، وجماعة الشعوب، ينذرهم بالسيف والقحط، وموت الفُجاءة، وظهر إنذاره، فخافوا وصاموا هذا اليوم.

(١) وهو جداليا بن أخيقام بن شافان. والده موظف يهودى كبير، معروف منذ أيام الملكين يوشيا ويهوياكين. وقد عينه نبوخذ نصر حاكما على يهوذا نائبا له فى عام ٥٨٧ق.م وذلك بعد الغزو البابلى لأورشليم. وقد اتخذ «جداليا» من المصفاة على بعد خمسة أميال من الشمال الشرقى لأورشليم ـ مركزا له. وتمتع «جداليا» بإخلاص جزء من السكان، على أن مؤامرة قد دبرت ضده، انتهت بمقتله وذلك أثناء وليمة عامة، وأصبح هذا اليوم كارثة قومية رئيسية، واعتبر من أيام الصيام الرئيسية عند اليهود.

(٢) ويرجع اختلاف تاريخ صوم جداليا (اليوم الثالث أو الرابع)، إلى اختلاف احتفال طوائف اليهود به، فالقراءون يحتفلون به فى اليوم الرابع، والربانيون يحتفلون به فى اليوم الثالث. ولقد أخطأ المقريزى عندما ذكر أن الاحتفال به يكون فى اليوم الرابع والعشرين من شهر تشرى.

(*) وأنظر ترجمته فى الموضوع الخاص بالمشناه.

صوم كيبور: أى يوم الغفران، ويدعى العاشوراء. ويذكر البيرونى وابن الوردى أن صوم هذا اليوم هو المفروض عليهم، وليس فى صومهم غيره، فالباقى نوافل، وهو الأكثر شيوعا عند اليهود. ويكون فى اليوم العاشر من تشرى (أكتوبر). ففى هذا اليوم كلم الله سبحانه وتعالى موسى بن عمران. وصومه كفَّارة لكل ذنب، ويستحق مَن لم يصُمْه من اليهود القتل عندهم. وهو اليوم الوحيد الذى يمكن الصيام فيه فى يوم السبت. وفيه يصلى خمس صلوات، ويُسجد فيها، وليس ذلك فى سائر الأعياد. وفى هذا اليوم أيضا لا يقوم اليهود بأى عمل آخر سوى التعبد. ويعتقد اليهود أن الله سبحانه وتعالى يغفر لهم جميع ذنوبهم وخطاياهم فى هذا اليوم إلا ثلاثا: الزنا بالمحصنة، وظلم الرجل أخاه، وجحده ربوبية الله.

صوم صدقيا[1]: ويكون فى اليوم السادس من حشوان (آخر أكتوبر ـ نوفمبر). ومن اليهود مَن يصومه يوم الاثنين الذى يقع بين اليوم الثامن واليوم الثالث عشر. وسبب الصيام فيه هو أن نبوخذ نصر قتل أولاد صدقيا أمامه، فصبر ولم يبكِ، ففقئت عيناه، فاغتم بنو إسرائيل، فصاموا.

(١) وهو «متنيا» وكان نبوخذ نصر قد غيّر اسمه إلى «صدقيا»، عندما أصدر أوامره بتعيينه ملكاً على يهوذا عام ٥٩٧ق.م بدلا من «يهو ياكين» كما تروى التوراة. وهو عم يهو ياكين على رأى نص توراتى، وأخوه على رأى نص آخر. وأما «يهو ياكين» فقد بقى أسيرا فى بابل حوالى أربعين عاما. وقد استمر صدقيا ملك يهوذا فترة من حكمه على إخلاصه لبابل، ثم قام بثورة على بابل مما أدى إلى السبى البابلى عام ٥٨٦ق.م، فقد دفع ذلك نبوخذ نصر إلى إرسال حملة إلى فلسطين، وبدأ يحتل مدن يهوذا الواحدة تلو الأخرى، ما عدا أورشليم التى بقيت وحدها تقاوم الغزاة، واتجه البابليون إليها بكل قوتهم وفرضوا الحصار عليها، ولكنها ظلت تقاوم قرابة ثمانية عشر شهرا، وعندما نجح البابليون، هرب صدقيا، ولكنه أسر وهو يعبر وادى الأردن قرب «أريحا»، وأخذ أسيرا إلى نبوخذ نصر، وهناك ذبح أبناؤه أمام عينيه، وسملت عيناه، وقيد مسلسلا فى الأغلال إلى بابل، حيث مات هناك بعد فترة قصيرة.

كذلك يصوم اليهود فى اليوم الثامن من شهر كسلو (آخر نوفمبر ـ ديسمبر). ومنهم مَن يجعله يوم الخميس الواقع بين اليوم التاسع من الشهر والخامس عشر منه. وسببه إحراق يهوياقيم[1] القراطيس التى فيها وعدُ الله سبحانه وتعالى، ووصف حال بنى إسرائيل فى المستقبل، وما يصيبهم من المكاره.

ويصوم اليهود فى اليوم الثامن والتاسع والعاشر من شهر طيبت (آخر ديسمبر ـ يناير). فاليوم الثامن هو آخر الأيام الثلاثة التى أظلمت فيها الدنيا بسبب أخذ ملك الروم للتوراة ومحاولة نقلها إلى اليونانية. واليوم التاسع يذكر البيرونى أنه لا يُعرف سبب الصوم فيه. أما اليوم العاشر فسببه حصار نبوخذ نصر لبيت المقدس.

كذلك يصوم اليهود اليوم الخامس من شباط (آخر يناير ـ فبراير)، ومنهم مَن يجعله يوم الاثنين الذى يقع بين اليوم العاشر واليوم الخامس عشر من الشهر. ويذكر البيرونى أن سبب صيامه أن فى هذا اليوم كان موت الصدّيقين أيام يوشع بن نون(*).

صوم الفتنة: ويكون فى اليوم الثالث والعشرين من شهر شباط (آخر يناير ـ فبراير). والسبب أن سبط بنيامين طغوا وبغوا وعملوا عَمل قوم لوط، فاجتمع جميع الأسباط لمحاربتهم، فلم يقووا عليهم، فصاموا هذا اليوم، ودعوا الله حتى نصرهم عليهم، وقتل من سبط بنيامين أربعون ألفا، ومن سائر الأسباط سبعون ألفا.

(١) يهوياقيم (٦٠٩-٥٩٨ق.م): وقد جاء يهوياقيم إلى عرش يهوذا ـ بأمر من الفرعون المصرى نخاو الثانى ـ بعد أخيه غير الشقيق «يهوأحاز». وكان الفرعون المصرى قد غير اسمه من «الياقيم» إلى «يهوياقيم». ويرى د. محمد مهران أن هذا ربما يعنى إشارة ما إلى السيادة المصرية. وقد قام بثورة ضد نبوخذ نصر ملك بابل وذلك عام ٥٩٨ق.م، على أن نبوخذ نصر لم يتدخل فى بادئ الأمر، ولكنه سرعان ما غير رأيه وأسرع بنفسه إلى يهوذا، وبينما كان فى الطريق إليها مات «يهوياقيم» وخلفه ولده «يهوياكين» على عرش يهوذا.

(*) (لم يبين لنا البيرونى مَن هما الصديقان).

كذلك يصوم اليهود فى اليوم التاسع من شهر آذار (آخر فبراير – مارس)، ومنهم مَن يجعل صومه الاثنين الواقع بين العاشر والخامس عشر من الشهر. وقد فرض بنو إسرائيل على أنفسهم صيام هذا اليوم، حين وقعت المنازعة بين أهل شمّاى وأهل بيت هلال، وقتل منهم ثمانية وعشرون ألف رجل. وقد ذكر البيرونى اسم الشهر باسم (آذار الثانى)، ولم نجده فى أسماء الشهور اليهودية التى ذكرتها سابقا، فهو يعرف باسم (آذار) فقط. ويرجع ذلك – كما أشار المقريزى – إلى أن شهر آذار عند الربانيين يكون مرتين فى السنة آذار الأول وعدد أيامه ثلاثون يوما لو كانت السنة كبيسة، وإن كانت بسيطة فأيامه تسعة وعشرون يوما، وليس فيه عيد عندهم، وآذار الثانى وعدد أيامه تسعة وعشرون يوما. أما القراءون فليس عندهم فى السنة شهر آذار سوى مرة واحدة.

صوم البورى أو الفوز فى رواية المقريزى: ومعناه المُساهَمة، ويكون فى اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من آذار (آخر فبراير – مارس). وفيه الفرح بقتل وصلب هامان وأصحابه.

كذلك يصوم اليهود اليوم الأول والعاشر والسادس والعشرين من شهر نيسان (آخر مارس – أبريل). فاليوم الأول كان بسبب موت ابنى هارون ناداب وأبيهوا. واليوم العاشر كان بسبب موت مريم بنت عمران، ومنهم مَن يجعله يوم الاثنين الواقع بين الخامس والعاشر من الشهر. واليوم السادس والعشرون يصومه اليهود لأنه اليوم الذى توفى فيه يوشع بن نون عليه السلام.

صوم التابوت: ويكون فى اليوم العاشر من شهر آيار (آخر أبريل – مايو)، ومنهم مَن يجعله يوم الخميس الواقع بين السادس والحادى عشر. وفى هذا اليوم قتل من بنى إسرائيل ثلاثون نفرا.

ويصوم اليهود كذلك فى اليوم الثامن والعشرين من شهر آيار (آخر أبريل – مايو)، لأن فيه موت اشمويل (إسماعيل) النبى عليه السلام.

ويصوم اليهود فى يوم الاثنين الذى يقع بين اليوم التاسع والرابع عشر من شهر سيوان (آخر مايو – يونيو)، كذلك يصومون اليوم الخامس والعشرين من نفس الشهر بسبب قتل شمعون وحنينا، واليوم السابع والعشرين من نفس الشهر صيام كذلك.

اليوم السابع عشر من شهر تموز (آخر يونيو – يوليو): وهو اليوم الذى دخل فيه نبوخذ نصر القدس (أورشليم) بعد حصاره لها، وهدم سورها. وفى رواية المقريزى أن اليهود يصومون فى تاسعه لهدم سور بيت المقدس عند محاصرة نبوخذ نصر له، والربانيون خاصة يصومون اليوم السابع عشر منه لأن فيه هدم طيطس سور بيت المقدس وخرّب البيت الخراب الثانى. ويذكر البيرونى أن اليوم السابع عشر من تموز كان فيه كذلك حرق التوراة، واتخاذ صنم ببيت المقدس.

كذلك يصوم اليهود اليوم الأول من شهر آب (آخر يوليو – أغسطس): وفيه موت هارون ابن عمران.

اليوم التاسع من آب (آخر يوليو – أغسطس): وفى رواية المقدسى أنه اليوم العاشر منه. وهو يوم سقوط أورشليم (القدس)، وتخريب الهيكل، وفيه يقرأ كتاب المراثى فى المعبد اليهودى بعد صلاة المساء(*).

كذلك يصوم اليهود اليوم الخامس عشر والثامن عشر من شهر آب (آخر يوليو – أغسطس). ومناسبة صوم اليوم الخامس عشر هو خروج نبوخذ نصر من بيت المقدس، أما مناسبة صوم اليوم الثامن عشر فهو انطفاء سراج الهيكل ببيت المقدس كعلامة على غضب الله سبحانه وتعالى عليهم.

صوم الجواسيس: ويكون فى اليوم السابع من شهر أيلول (آخر أغسطس – سبتمبر). وهو اليوم الذى رجع فيه الطلائع إلى موسى وأخبروه خبر الجبّارين، فاغتم بنو إسرائيل.

(*) وقد ذكر المقريزى أن القرائين يصومون اليوم السابع والعاشر، ويصوم الربانيون اليوم التاسع منه. وهذا هو سبب اختلاف رواية المقدسى الوارد ذكرها فى المتن عن البيرونى.

الحـج

ومن الواجبات الدينية التى فرضت على اليهود وذكرت بالتوراة، الحج. وقد فرض عليهم عند الحج أن يصطحبوا معهم أبكار مستغلات أرضهم، وأبكار أغنامهم ـ كما يقول السموءل ابن يحيى ـ وهذه الأبكار يجب أن يكون قد مر على ولادتها سبعة أيام، فلا يستطع اليهودى أن يقدمها قربانا لله تعالى إلاّ من اليوم الثامن على ولادتها فصاعدا، وذلك كما يرى السموءل ابن يحيى وتفسيره للآية التى تقول: «أول أبكار أرضك، تحضره إلى بيت الرب إلهك، لا تطبخ جديا بلبن أمه»(*).

وقد فرض على كل يهودى أن يحج إلى بيت المقدس ثلاث مرات فى العام: فى عيد الفصح، وعيد الأسابيع، وعيد المظال. وليس كما يقول د. أحمد شلبى إن الحج إلى بيت المقدس كان مرتين فقط فى العام، وذلك تبعا لما ورد فى التوراة، فقد ذكر فيها: «ثلاث مرات تعيد لى فى السنة... فى عيد الفطير... وعيد الحصاد.... وعيد الجمع... ثلاث مرات فى السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب». وذكر فى موضع آخر: «ثلاث مرات فى السنة يحضر جميع ذكورك أمام الرب إلهك، فى المكان الذى يختاره فى عيد الفطير، وعيد الأسابيع، وعيد المظال، ولا يحضروا أمام الرب فارغين».

على أن اختلاف قِبْلَة الصلاة بين الربانيين والقراء وبين السامرة ـ كما ذكرت سابقا ـ قد أدى إلى اختلاف مكان الحج تبعا لاختلاف موقع القِبْلَة، فالربانيون والقراء يحجون إلى جبل صهيون فى بيت المقدس، كما يوجهون قبلتهم إليه، بينما السامرة يحجون إلى جبلهم المقدس جريزيم (طور نابلس)، كما يوجهون قبلتهم إليه.

ويذكر المقريزى عند الحديث عن كنيسة دموة الموجودة بالجيزة، أن اليهود كانوا يحجون إليها، وذلك فى عيد الخطاب أى عيد الأسابيع، بدلاً من حجهم إلى القدس.

(*) سفر الخروج ١٩/٢٣ ؛ وأنظر كذلك نفس المعنى فى نفس السفر إصحاح ٢٦/٣٤ .

تقديس يوم السبت

يوم السبت[1] من الأيام المقدسة عند اليهود، التى تجب مراعاة حرمتها مراعاة تامة، فلا يجوز ليهودى الاشتغال فيه. فهو من الأمور التى فرضها الله سبحانه وتعالى عليهم. ويقول الله فى كتابه الكريم: ﴿ ... وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُوا فِى السَّبْتِ، وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾[2].

وتؤكد أسفار موسى الخمسة فى أكثر من موضع ضرورة الحفاظ على شعائر السبت، كعهد دائم بين الله سبحانه وتعالى وبنى إسرائيل.

فقد جاء فى سفر الخروج: «اذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك. لا تصنع عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذى داخل أبوابك».

وجاء فى موضع آخر: «فيحفظ بنو إسرائيل السبت، ليصنعوا السبت فى أجيالهم عهدا أبديا، هو بينى وبين بنى إسرائيل علامة إلى الأبد».

كما جاء فى سفر اللاويين: ستة أيام يعمل عمل، وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مَحْفَل مقدس، عملا ما لا تعملوا، إنه سبت للرب فى جميع مساكنكم».

ويذكر السموءل بن يحيى أن عدم الاشتغال فى يوم السبت، كان قد فرض عليهم فى أول إعطائهم المَنْ.

ولقد اختلفت اعتقادات اليهود عن سبب فرض الله سبحانه وتعالى الراحة لليهود فى هذا اليوم، فيقول الحاخامات نقلا عن التوراة: إن الله سبحانه وتعالى قد خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع، لذلك بارك هذا اليوم، وقدسه، وحرم فيه

(١) السبت هو شبث Shabbeth فى العبرانية بمعنى الراحة.

(٢) سورة النساء آية رقم ١٥٤ .

القيام بأى نشاط، فقد جاء فى سفر الخروج: «لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. واستراح فى اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه».

ويقول فى موضع آخر: «لأنه فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض، وفى اليوم السابع استراح وتنفس».

ويرى آخرون أن تحريم العمل يوم السبت يعود إلى أن الإنسان ندّ لله وشريك فى عملية الخلق، فالله سبحانه وتعالى عمل ثم استراح، والإنسان يعمل بدوره فى الخلق فعليه أن يستريح.

ويرى فريق ثالث أن تقديس السبت هو إحياء لذكرى خروج اليهود من مصر، وتخليصهم من العبودية. وربما بنى هذا الفريق رأيه على تفسيره للآية التى تقول: «واذكر أنك كنت عبدا فى أرض مصر، فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة، لأجل ذلك أوصاله الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت.

ويشير القلقشندى إلى أن طوائف اليهود الثلاث: الربانيين والقرائين والسامرة، كانوا يحرمون العمل يوم السبت، وكان مَن يستبيحه عندهم يوجب هدر دمه. وذلك تبعا لما ورد فى الشريعة عندهم، إذ جاء فى سفر الخروج: «ستة أيام يصنع عملا، وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب، كل من صنع عملا فى يوم السبت يقتل قتلا».

وقد حدث فعلا فى عهد موسى عليه السلام أنهم وجدوا رجلاً يعمل فى يوم السبت، فكان عقابه القتل، فقد جاء فى سفر العدد: «ولما كان بنو إسرائيل فى البرية، وجدوا رجلا يحتطب حطبا فى يوم السبت، فقدّمه الذين وجدوه يحتطب حطبا إلى موسى وهارون وكل الجماعة، فوضعوه فى المَحْرَس لأنه لم يُعلن ماذا يفعل به، فقال الرب لموسى: قتلا يقتل الرجل، يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المَحَلة، فأخرجه كل الجماعة إلى خارج المَحَلة، ورجموه بحجارة فمات كما أمر الرب موسى».

الطهارة أو التطهير

والطهارة عند اليهود متعددة، فهناك الطهارة الخاصة بالصلاة أى الوضوء، وهناك الطهارة التى تتعلق بالمرأة ومنها: الطهارة الخاصة بالمرأة الحائض، والطهارة بعد الولادة، هذا إلى جانب بعض المواقف التى ينبغى بعدها أن يقوم اليهودى بالطهارة وذكرت بالتوراة.

الطهارة للصلاة أو الوضوء:

وعن الطهارة الخاصة بالصلاة أو الوضوء يذكر المقدسى أن وضوء اليهود مثل وضوء المسلمين[١]، غير أنه ليس فيه مسح الرأس، ويبدؤون بالرجل اليسرى.

وكانوا يستنجون[٢]، وإن اختلفوا: هل يستنجى قبل الوضوء أم بعده، فيقول عانان: يستنجى قبل الوضوء لأن الإنسان لا يطهر ما لم يمط الأذى عنه.

ويقول أشعث: يستنجى بعد الوضوء لأنه يجوز أن يغسل وجهه بعد الاستنجاء.

ويذكر المقدسى أيضا أنهم كانوا لا يتوضؤون بماء قد تغير لونه أو طعمه أو ريحه. ولا يجيزون الطهارة من غدير ما لم يكن عشرة أذرع فى عشر.

ولم يكن النوم قاعداً ينقض الوضوء، ما لم يضع جنبه.

ومَن أحدث فى صلاته من قئ أو رعاف[٣] أو ريح انصرف وتوطأ «وبنى على صلاته» كما يقول المقدسى، وربما يعنى ذلك أنه لا يعيد الصلاة مرة أخرى وإنما يكملها.

---

(١) وهكذا اتفق اليهود مع المسلمين فى ضرورة الطهارة قبل الصلاة بعكس النصارى.

(٢) النجو: ما يخرج من البطن. واستنجى: أى مَسَح موضع النجو أو غسله.

(٣) الرُّعَاف: أى الدم يخرج من الأنف. والرعاف أيضا الدم بعينه.

طهارة المرأة اليهودية :

أما الطهارة التى تتعلق بالمرأة ـ فكما ذكرت سابقا ـ كانت خاصة بالمرأة الحائض، أو المرأة التى أنجبت، أى بعد الولادة.

فقد كان الحيض والولادة كالخطيئة فى معتقدات اليهود، يدنسان المرأة، لذلك يتطلبان تطهيرا، وكان هذا التطهير يتم بمراسم وتقاليد وتضحية وصلاة على يد الكهنة، وكانت الهبات والقرابين هى الوسيلة للتكفير عن الخطايا.

وعن المرأة الحائض تقول التوراة: «وإذا كانت امرأة لها سَيْل وكان سيلها دماً فى لحمها، فسبعة أيام تكون فى طمثها، وكل من مَسَّها يكون نجسا إلى المساء. وكل ما تضطجع عليه فى طمثها يكون نجسا، وكل ما تجلس عليه يكون نجسا، وكل مَن مَسَّ فراشها، يغسل ثيابه، ويستحم بماء، ويكون نجسا إلى المساء، وكل مَن مَسَّ متاعاً تجلس عليه يغسل ثيابه، ويستحم بماء، ويكون نجسا إلى المساء، وإن كان على الفراش أو على المتاع الذى هى جالسة عليه عندما يَمَسُّه يكون نجسا إلى المساء، وإن اضطجع معها رجل فكان طمثها عليه، يكون نجسا سبعة أيام، وكل فراش يضطجع عليه يكون نجسا».

وهكذا اعتبرت الشريعة اليهودية المرأة الحائض نجسة، هى وثيابها وأوانيها، وكل ما مسته الحائض من شىء، نجس، ووجب أن يغسل.

وكان من أكبر الكبائر عند طائفة السامرة هو وطء المرأة الحائض، والنوم معها فى مَضْجَع واحد، لاسيما إذا فعل ذلك مستبيحا له.

ويرى السموءل بن يحيى أن اليهود قد أفرطوا فى ذلك. فالمرأة تظل تعتزل، حتى بعد انقطاع الحيض وارتفاعه، سبعة أيام، هذا فى الوقت الذى كانوا يعتبرون فيه الحائض التى على غير ملتهم طاهرة، فلا يستنجسون لامسها، ولا الثوب الذى تلمسه.

وتبدأ عملية الطهارة من اليوم الثامن فتقول التوراة: «وإذا طهرت من سَيْلها تحسب لنفسها سبعة أيام ثم تطهر».

والطهارة تكون بالاستحمام فى وعاء يحتوى على قدر معين من الماء، ويرى بعض فقهاء اليهود غير المتشددين أنه يجوز الاستغناء عن هذا الوعاء بالاستحمام العادى، على أن تغمر المرأة كل جسدها وشعرها بالماء، وفى أثناء ذلك تتلو صلاة الشكر باللغة العبرية إذا كانت تعرفها، أو بلغتها التى تعرفها وهذه هى الخطوة الأولى، يلى ذلك أن تغطى المرأة نصفها الأسفل، وتتلو صلاة شكر أخرى فى مكان آخر غير المكان الذى تغتسل فيه.

وتقدم المرأة قربان طهارتها من اليوم الثامن فتقول التوراة: «وفى اليوم الثامن تأخذ لنفسها يمامتين أو فَرْخى حمام وتأتى بهما إلى الكاهن إلى باب خيمة الاجتماع، فيعمل الكاهن الواحد ذبيحة خَطِيَّة والآخر مُحْرَقَة، ويُكفِّر عنها الكاهن أمام الرب من سيل نجاستها».

أما عن المرأة التى أنجبت فقد اعتبرتها الشريعة اليهودية كذلك نجسة، وقد اختلفت أيام طهارتها تبعا لنوع المولود إذا كان ذكرا أو أنثى فتقول التوراة: «إذا حبلت إمرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام، كما فى أيام طمث علتها تكون نجسة، وفى اليوم الثامن يُختن لحم غُرْلته، ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما فى دم تطهيرها، كل شىء مقدس لا تَمَسّ، وإلى المقدس لا تجئ، حتى تكمل أيام تطهيرها. وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما فى طمثها، ثم تقيم ستة وستين يوما فى دم تطهيرها».

وتقدم المرأة قربان طهارتها بعد الانتهاء من أيام تطهيرها فتقول التوراة: «ومتى كملت أيام تطهيرها لأجل ابن أو ابنة تأتى بخروف حَوْلى(*) محرقة، وفرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خَطِيَّة إلى باب خيمة الاجتماع إلى الكاهن، فيقدمهما أمام الرب، ويُكَفِّر عنها، فتطهر من ينبوع دمها. وإن لم تنل يدها كفاية لشاة، تأخذ يمامتين أو فرخى حمام الواحد محرقة والآخر ذبيحة خطية، فيكفر عنها الكاهن فتطهر».

(*) وربما يعنى بذلك أن يكون قد مر عليه حَوْل أى سنة، أو خروف لا يلد.

ما يجب فيه الطهارة وذكر بالتوراة :

ولقد أورد السموءل بن يحيى فى كتابه «إفحام اليهود»، ما يستلزم فيه الطهارة وذكر بالتوراة، فيقول: «إن مَن مَسَّ عظما، أو وطئ قبرا، أو حضر ميتا عند موته، فإنه يصير من النجاسة فى حال لا مخرج له منها إلا برماد البقرة التى كان الإمام الهارونى يحرقها»[1].

إلا أن اليهود، ومع مرور الزمن - كما يشير السموءل - اعتبروا أن من لَمَس العظم والقبر والميت فهو طاهر يصلح للصلاة.

(١) ذكر السموءل بن يحيى فى موضع آخر أن البقرة التى كان الإمام الهارونى يحرقها، ويستخدم رمادها فى التطهير كانت تحرق قبيل أوان الحج.

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية لليهود فى مصر

الحياة الاجتماعية لليهود فى مصر :

[١] الزواج والطلاق عند اليهود.

[٢] الأعياد.

[٣] الملابس.

[٤] الطعام والشراب.

[٥] عادات الدفن والمواكب الجنائرية عند اليهود.

[١] الزواج والطلاق عند اليهود:

- الزواج :
  - الزواج فى الشريعة اليهودية.
  - أهمية التكافؤ بين الزيجات.
  - ممثل الفتاة والوكيل والفرق بينهما.
  - حرية الفتاة اليهودية فى اختيار زوجها.
  - زواج البنت الصغيرة.
  - مراحل الزواج عند اليهود.
  - عقود الزواج عند اليهود.
- الطلاق :
  - الطلاق فى الشريعة اليهودية.
  - عادات اليهود عند الطلاق.
  - وكيل الزوج ووكيل الزوجة.

[١]

الزواج الطلاق عند اليهود

كان الزواج يعد واجبا دينيا على الرجل اليهودى، فقد جاء فى كتاب «الأحكام الشرعية للإسرائيليين» تأليف (حاى بن شمعون) المادة ١٦: «الزواج فرض على كل إسرائيلى».

وقد تشددت الشريعة اليهودية فى وجوبه، تنفيذا لوصية التناسل والتكاثر، ومن تأخر عن أداء هذا الفرض، وعاش أعزبا بدون زواج كان سببا فى غضب الله سبحانه وتعالى على بنى إسرائيل.

وكان عدم الزواج عن قصد من الآثام الكبرى فى اليهودية، فإن إنشاء بيت جديد وتكوين الأسرة كان من الأمور التى نصت عليها القاعدة الأولى فى الشريعة اليهودية.

كما أن الزواج فى الشريعة اليهودية يحمى الرجل من الخطيئة. وقد ورد فى الجنيزة اثنى عشر سبباً، أغلبها صفات روحانية، تبين أن الزواج هو وقاية للرجال، ذكر منها جويتاين ثلاثة وهى:

السبب الأول: أن الزوجة تصون زوجها، أو على حد قوله «تكوّن حائطا حول زوجها».

السبب الثانى: أن الزوجة تغفر للزوج بالزواج منها خطاياه. ويذكر جويتاين أن هذه الموعظة وجدت فى التلمود، فقد ذكر فيه أنه «عندما يتزوج الرجل، تغفر له كل خطاياه».

السبب الثالث: أن الزوجة تكون سكناً للزوج فى منزله.

وهكذا كانت شريعة اليهود لا تسمح للرجل بأن يظل بدون زواج. وقد أورد جويتاين رسالة بهذا المعنى، وهذه الرسالة كتبها شخص أرمل له ابن - كان يعيش بمصر منذ عامين - إلى أحد أقاربه يذكر فيها: أن القاضى اليهودى نسيم (Nissim) كان يلومه يوميا لكونه أعزبا بدون زوجة، حتى إنه - وكما يتضح من سياق الرسالة - ذكر لصديقه أنه ربما يتزوج نتيجة لهذا الإلحاح، إلا أن هذا الزواج سيكون ضد رغبته.

ويبدو أن بعض اليهود العزاب الذين كانوا يقيمون بمصر إقامة مؤقتة، ويفرض عليهم بسبب التقاليد اليهودية الزواج من زوجة يهودية مصرية - أنهم كانوا يطلّقونها قبل رحيلهم من مصر. وكان سبب الطلاق يرجع - فى رأى جويتاين - إلى عدم رغبة الزوجة المصرية الرحيل من بلدها إلى بلد أجنبى، هذا إلى جانب أن أهل الزوج كانوا لا يستطيعون التوافق أو التلائم معها بسبب اختلاف اللغة بينهما. وقد أورد جويتاين مثالاً عن هذه الحالة وهى عن رجل يهودى اضطر تحت ضغط الإلحاح بسبب التقاليد اليهودية أن يتزوج فى مصر، إلا أنه عندما أراد العودة إلى موطنه الأصلى طلق هذه الزوجة(*).

وكما كان القانون اليهودى يلزم الرجل بالزواج لمنعه من الخطيئة، كان لا يبيح للسيدات، خاصة اللاتى فى عمر الاخصاب، أن يظللن بدون زواج، لذلك كان يدعى للبنت عند ولادتها بأن يكون لها بيت مبارك سعيد.

وقد ورد فى الشريعة اليهودية الكثير من الأوامر المتعلقة بالمحارم، فمثلا: تحرم الشريعة اليهودية الزواج من الأم، وإمرأة الأب، والأخت الشقيقة، أو غير الشقيقة، وابنة الابن، وابنة الابنة، وابنة امرأة الأب المولودة من الأب، والعمة، والخالة، وزوجة

(*) تذكر الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف أن هذه العادة كانت موجودة فى مجتمعات أخرى، ذكرها الرحالة ابن بطوطة.

العم، وزوجة الابن، وزوجة الأخ، كما تمنع الجمع بين الأم وابنتها، وبينها وبين ابنة ابنها، أو ابنة ابنتها، والجمع بين الأخت وأختها فى حياتها(*).

وكان مما تقضى به الشريعة اليهودية كذلك أن الأخ إذا مات أخوه، يتحتم عليه أن يتزوج أرملته مهما كان عدد زوجاته هو!. والبكر الذى تلده الزوجة بعد ذلك ينسب إلى زوجها الميت لا إلى أبيه الحقيقى، فإذا رفض أخ الميت الزواج من أرملة أخيه، تستدعيه أمام شيوخ المدينة، وتخلع نعله، وتبصق فى وجهه فيصبح محتقرا بين اليهود، ويسمونه «مخلوع النعل»، فإذا لم يكن للميت أخ، فرض هذا الواجب على أقرب الأقرباء من أسرته(**)(1).

(*) ونلاحظ اتفاق هذه التحريمات مع ما نصت عليه الشريعة الإسلامية، فقد ورد فى سورة النساء آية رقم (٢٣) ما يلى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ، وَبَنَاتُكُمْ، وَأَخَوَاتُكُمْ، وَعَمَّاتُكُمْ، وَخَالَاتُكُمْ، وَبَنَاتُ الْأَخِ، وَبَنَاتُ الْأُخْتِ، وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ، وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ، وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ، وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ، وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ، وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾.

(**) ففى سفر التثنية، الاصحاح ٢٥/٥-١٠ «إذا سكن أخوة معاً، ومات واحد منهم، وليس له ابن، فلا تصر امرأة الميت إلى خارج، لرجل أجنبى. أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة، ويقوم لها بواجب أخى الزوج. والبكر الذى تلده يقوم باسم أخيه الميت، لئلا يمحى اسمه من إسرائيل. وإن لم يرض الرجل أن يأخذ امرأة أخيه، تصعد امرأة أخيه إلى الباب، إلى الشيوخ، وتقول قد أبى أخو زوجى أن يقيم لأخيه اسماً فى إسرائيل. لم يشأ أن يقوم لى بواجب أخى الزوج. فيدعوه شيوخ مدينته، ويتكلمون معه، فإن أصر، وقال لا أرضى أن أتخذها، تتقدم إمرأة أخيه إليه أمام أعين الشيوخ، وتخلع نعله من رجله وتبصق فى وجهه، وتصرّح وتقول هكذا يُفعل بالرجل الذى لا يبنى بيت أخيه. فيُدعى اسمه فى إسرائيل بيت مخلوع النعل».

وقد ورد فى كتاب المسعودى أن الشيخ القبطى الذى كان فى مجلس أحمد بن طولون عندما حاول أن يناظره أحد أطباء أحمد بن طولون وكان يهوديا، قال له الشيخ القبطى: «وما أنت أيها الرجل؟ وما نحلتك؟ فقال له: يهودى. فقال له: مجوسى إذا!؟ قال له (أحمد بن طولون): كيف ذلك وهو يهودى؟ قال: لأنهم يرون نكاح البنات فى بعض الحالات، إذ كان فى دينهم أن الأخ يتزوج بنت =

كذلك كانت الشريعة اليهودية لا تمنع تعدد الزوجات، فهو جائز عند اليهود، وقد حدد الربانيون الزوجات بأربع، وأطلقه القراءون(*).

وكان الاتفاق على الزواج ودفع المهر يظل فى حكم الخطبة، إلى أن يقام حفل الزفاف، فيأخذ الرجل زوجته إلى داره. وكانت الشريعة اليهودية تعتبر الفتاة المخطوبة فى حكم الزوجة، فإذا زنت تعاقبها بالموت كالمرأة المتزوجة التى تزنى. كما قضت بالموت على الزوج إذا زنى بإمرأة أخرى متزوجة أو مخطوبة.

وقد حرمت الشريعة اليهودية على اليهود الزواج من الأجنبيات، إلا أنها فى نفس الوقت أباحت لهم الزواج من النساء اللاتى يأسروهن فى الحروب من الشعوب

= أخيه، وعليهم أن يتزوجوا نساء إخوتهم إذا ماتوا، فإذا وافق اليهودى أن تكون امرأة أخيه ابنته، لم يجد بدأ من أن يتزوجها. وهذا من أسرارهم، وما يكتمونه ولا يظهرونه، فهل فى المجوسية أشنع من هذا؟ فأنكر اليهودى ذلك، وجحد أن يكون فى دينه، أو يعرفه أحد من اليهود. فاستخبر ابن طولون عن صحة ذلك، فوجد ذلك الطبيب اليهودى قد تزوج امرأة أخيه، وكانت بنته.

ويذكر د. حسن ظاظا أنه يجوز للإسرائيلى الزواج ببنت أخيه، أو بنت أخته، ولكن العكس محرم، فلا تتزوج المرأة بابن أخيها، أو ابن أختها.

(١) وهذا الزواج يعرف بالاسم العبرى (اليبوم)، ويعنى زواج الأخ الحى من أرملة أخيه المتوفى دون نسل.

(*) يذكر الدكتور حسن ظاظا أن تعدد الزوجات جائز شرعاً عند اليهود، ولم يرد بتحريمه نص واحد، لا فى الكتاب المقدس ولا فى التلمود. وكانت العادة جارية بين اليهود على اتخاذ أكثر من زوجة، بل لم يكن هناك حد أقصى لتعدد الزوجات، فقد كان مباحاً لليهودى أن يتخذ من النساء ما طاب له بلا قيد ولا شرط، حتى ظهر فى العصور الوسطى الحاخام المفسر «جرشوم بن يهودا» الذى أفتى بوجوب تحريم تعدد الزوجات بين اليهود، ولكن اجتهاده هذا لم يحظ بالتطبيق القانونى فى محاكم الأحوال الشخصية لليهود فى أوربا إلاّ حوالى عام ٦٣٨هـ/١٢٤٠م، إذ اتفقت كلمة اليهود وقضاتهم على هذا التحريم، وإن كان تعدد الزوجات بين اليهود قد ظل منتشرا ـ سراً أو علناً ـ قروناً طويلة بعد هذا التاريخ.

وفى الحقيقة فإن اليهود منعوا تعدد الزوجات، لكنهم لم يستطيعوا تحريمه نهائيا، لأنه ـ وكما ذكر الدكتور حسن ظاظا سابقا ـ كان تعدد الزوجات جائزا شرعا، والدليل على ذلك أن المادة ٥٤ من كتاب الأحكام الشرعية للإسرائيليين لابن شمعون تقول: «لا ينبغى للرجل أن يكون له أكثر من زوجة، وعليه أن يحلف يمينا على هذا حين العقد، وإن كان لا حجْر ولا حصر فى متن التوراة».

الأخرى، وإن كانت اشترطت لذلك بعض الشروط، إذ جاء فى سفر التثنية «إذا خرجت لمحاربة أعدائك، ودفعهم الرب إلهك إلى يدك، وسبيت منهم سبيا، ورأيت فى السبى امرأة جميلة الصورة، والتصقت بها، واتخذتها لك زوجة، فحين تدخل فى بيتك تحلق رأسها، وتقلم أظافرها، وتنزع ثياب سبّيها عنها، وتقعد فى بيتك، وتبكى أباها وأمها شهرا من الزمان، ثم بعد ذلك تدخل عليها وتتزوج بها، وتكون لك زوجة».

كما حرمت الشريعة اليهودية على الكهنة الزواج من المطلقات، ونتيجة لذلك فقد حرمت طائفة الميمونيين على أحد الكهنة بالاسكندرية الزواج من امرأة مطلقة كان قد أحبها وعقد عليها.

كذلك حرمت الشريعة اليهودية الزواج على الأرملة أو المطلقة، قبل انقضاء عدتها ومدتها اثنتين وتسعين يوما، يحسب منها يوم الطلاق أو يوم الوفاة، حتى وإن لم يدخل بها زوجها.

وإذا كانت المطلقة أو الأرملة فى حالة حمل، أو ترضع طفلا، فإنها لا تتزوج رجلا آخر حتى يبلغ الطفل أربعة وعشرين شهرا، وهى المدة التى حددت على أساس أن الحضانة لمدة عامين(*).

(*) يتضح مما ورد فى المتن أن الشريعة اليهودية قد ساوت بين عدة المرأة المطلقة وعدة المرأة الأرملة، وذلك على عكس الشريعة الإسلامية، كذلك اختلفت عدة الزوجة الحامل فى الشريعة اليهودية عنها فى الشريعة الإسلامية. فالشريعة الإسلامية قد جعلت عدة المرأة المطلقة ثلاثة قروء تبعا للآية الكريمة: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ.. ﴾ (سورة البقرة آية ٢٢٨) والمراد بالقرء: الحيض، فتنقضى العدة بانقطاع الدم من الحَيضة الثالثة مع عدم احتساب الحيضة التى وقع فيها الطلاق.

وإذا لم تكن المرأة من ذوات الحيض لصغر سنها أو بلوغها سن اليأس، وحدثت الفرقة بينها وبين زوجها بسبب غير الوفاة فعدتها ثلاثة أشهر لقوله تعالى: ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ، وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ.. ﴾ (سورة الطلاق آية ٤). =

وكذلك الأرمل لم يكن ليتزوج مرة ثانية خلال فترة الحداد، ومدتها ثلاثون يوما، وهى الفترة التى تنص عليها الشريعة، ومع ذلك فإنه يستطيع الزواج قبل انقضاء هذه المدة، إذا كان لديه مبرر قوى، أو كان لديه أطفال صغار يحتاجون لرعاية الزوجة.

وقد اشترطت عادات وتقاليد الزواج عند اليهود كذلك، مبدأ التكافؤ بين العائلتين، خاصة وأن زواج العائلات الكبرى كان يعظم من قوتها.

ويتضح ذلك من خطاب أرسله أخ من المهدية بتونس إلى أخيه بمصر «يهودا بن موسى بن سيغمار» (Judah b. Moses Ibn Sighmar) عندما وصل إلى علمه أنه قد تزوج فى مصر من عائلة كبيرة، يقول له فيه:

«لقد أخذت ملحوظة من وصفك لزفافك السعيد والمبشر بالنجاح، وفهمت أن الله قد باركك لارتباطك بأكثر الناس شهرة، أولئك الذين يستطيع الإنسان أن يتباهى بهم فى الشرق والغرب، فهذا لا يُقدر بثمن، أكبر من الأرض وما تملؤها... أشكر وسبح الرب الذى أعطاك الكثير، وجعلك مثل كبار بنى إسرائيل... وفى الحقيقة يجب أن تقول: .. الله.... يكمل ما أعطاه لك، ويجعل سعادتك دائمة، ويقويهم من خلالك، ويقويك من خلالهم، ويبارك كل منكما بالآخر، وربما يباركك بولد ذكر...».

كما يتضح ذلك أيضا من خطاب آخر أوردته الوثائق، يهنئ فيه الراسل شاباً تونسيا تزوج فى مصر، يقول فيه: «ربما الله يقوى كل منكما بالآخر، أنت حقيقة قد أصبحت فى منزلة عظيمة».

= أما عدة الأرملة فى الشريعة الإسلامية فهى أربعة أشهر وعشرة أيام من تاريخ الوفاة لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ، وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا... ﴾ (سورة البقرة آية ٢٣٤).

وفى الشريعة الإسلامية إذا كانت الزوجة حاملاً وقت الفرقة سواء أكانت بالوفاة أم بغيرها، فإن عدتها تنقضى بوضع الحمل لقوله تعالى: ﴿.. وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ... ﴾ (سورة الطلاق آية ٤) حتى ولو كان الوضع بعد الوفاة مباشرة، وهذا قول جمهور الصحابة. وقد روى أن سيدنا عمر قال: عدتها بوضع ما فى بطنها. وذهب آخرون من الصحابة إلى أن عدتها أطول الأجلين: أى وضع الحمل، أو مضى أربعة أشهر وعشرا، فأيهما كان الأطول فإن العدة تنقضى به.

ويظهر مما ذكره جويتاين أن الزواج بين العائلات الكبيرة، خاصة التى يعمل عائلها فى وظيفة مرموقة فى الدولة، كان يطلق عليه غالبا «زواج الملوك». ومن هذه الزيجات:

١ ـ زواج ابن صاحب بنك فارسى يدعى (سحلويه بن حاييم Sahlawayh b. Hayyim) من الابنة الكبرى لمنسى بن القزاز والى سوريا للخليفة الفاطمى العزيز (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م).

٢ ـ زواج ابنة (سحلويه) من أبى نصر التسترى(*).

ولم يكن التكافؤ فقط شرطا بين العائلات الكبيرة، وإنما كان التعليم كذلك، فقد كان يشترط للزواج أن يكون بين عائلتين متعلمتين ـ كما أوصى التلمود: «بع كل ما تملك، وتزوج ابنة متعلم أو عالم».

كذلك كان من عادات الزواج عند اليهود وجود ممثل لكل من العروس والعريس، فكانت الفتاة أو العروس، بعد ما تكون قد وافقت على الشاب أو العريس، تختار ممثلاً لها، كما كان العريس يختار ممثلاً له.

وهذا يظهر من معظم اتفاقات عقد القران أو الخطوبة، والعقود التى تكتب، فقد كانت تشتمل على جمل أو عبارات تشير إلى أن العروس قد اختارت أو عينت فلان الفلانى كممثل لها لكى يفاوض ويتمم زواجها.

ويرى جويتاين أن هؤلاء الممثلين ـ سواء للعروس أو للعريس ـ هم الذين كانوا يقومون بالاتفاق أو تقريب وجهات النظر بين ما تطلبه العروس وما يطلبه العريس.

وتذكر سوزان السعيد أن مهنة الوساطة هذه، أصبحت مهنة معترفاً بها فى العصور الوسطى، وكان للوسيط أجر ثابت لا يأخذ عنه زيادة، حتى لو رغب أحد الطرفين أن يمنحه أكثر من هذا الأجر. وهذا الأجر كان يقسم بين الطرفين مناصفة.

(*) وهو هارون بن سهل التسترى، تولى ديوان خاصة الخليفة المستنصر الفاطمى. أنظر عنه بالتفصيل، الفصل الخاص باليهود والحياة الإدارية فى مصر.

على أن جويتاين يذكر أن الفتاة التى كانت تختار ممثلاً لها كانت هى التى تتزوج فى سن البلوغ، والذى يفترض أنه يحدث فى سن ١٢ سنة و٦ أشهر(*)، وهو السن الذى يتزوجن فيه عادة. ففى هذه السن تفتقر البنات إلى معرفة الرجال والاتفاقات المالية، لذلك كان لابد من أن تعين الفتاة المراهقة رجلا ذا خبرة كممثل لها.

أما المرأة ذات الخبرة، مثل: الأرملة أو المطلقة، فكانت تستطيع ـ كما تذكر الوثائق ـ أن تقوم بالتفاوض مع الزوج على متطلباتها، كما كانت تستطيع أن تقوم بكتابة عقد الزواج مع الزوج شخصيا، ودون أن يكون هناك ممثل لها.

ففى عَقْد قران عُقد بالفسطاط فى عام ٤١٨هـ/ ديسمبر ١٠٢٧م (زمن الخليفة الظاهر الفاطمى ٤١١-٤٢٨هـ/ ١٠٢٠-١٠٣٦م)، يتضح منه أن العروس لم تختر أحداً (سواء والدها أو أحد أقاربها) ليكون ممثلاً لها: وإنما كانت تتفاوض بنفسها. وهو ما يعنى أنها كانت إمرأة مطلقة أو أرملة.

هذا بالنسبة للفتاة التى تتزوج من نفس البلد، أما فى حالة ما إذا رغبت فى الزواج من بلد آخر، فكانت تختار وكيلاً ينوب عنها فى اختيار الشخص الذى سوف تتزوجه، وفى هذه الحالة لا يكون لها رأى فى الشخص المختار، فوكيلها هو الذى اختاره نيابة عنها، وهو الذى يقوم بالاتفاق معه على متطلبات الزواج.

وكانت الفتاة تعلن عن وكيلها أمام اثنين من الشهود، وقد يكون والدها، فإذا لم يكن قادرا، أو غير راغب فى القيام بالسفر إلى بلد أخرى لاختيار عريس لها، كان يقوم باختيار بديل له، والذى له الحق بدوره فى أن يوكل شخصاً آخر عنه. وهكذا يصبح الشخص الذى يختاره أى من هؤلاء الوكلاء الثلاث زوجاً شرعياً لها(**).

(*) وذلك طبقا لأحكام التلمود الذى يعتبر أن الفتاة تصبح مؤهلة للزواج فى سن الثانية عشرة ونصف ويوم واحد، والفتى بعد بلوغه الثالثة عشر سنة ويوم واحد.

(**) تذكر سوزان السعيد أن التوكيل يجوز فى الخطبة، فى حين أنه غير مسموح به فى الزواج. وعن الوكيل تقول: إنه لا يصح أن يكون الوكيل أجنبيا، أو أخرس، أو غير بالغ، أو غير عاقل. وكان على الوكيل أن يثبت التوكيل عن طريق شهود يشهدون بذلك، وإقرار منه أنه موكل من طرف من الأطراف.

وقد أوردت وثائق الجنيزة عقداً فى بداية القرن ٥هـ/١١م توكل فيه فتاة من مدينة صور (Tyre) أباها ليختار لها زوجا من عاصمة مصر.

وقد ذكرت هذه الوثائق بعض الزيجات التى كان فيها بلد العروس تختلف عن بلد العريس ومنها:

١ ـ زواج تم فى حوالى القرن ٦هـ/١٢م، وكان بين (مدمون) Madmun ممثل التجار فى عدن، ومراقب مينائها ورئيس اليهود فى اليمن ـ وأخت أبو ذكرى يهودا بن يوسف ها ـ كوهين (Abu Zikri Judah b. Joseph ha-Kohen) بالفسطاط. وكان يهودا هذا متزوجا هو نفسه من أخت محروس (Mahruz)، وهو صاحب سفن فى عدن، والذى يبدو أنه قريب الصلة بمدمون.

٢ ـ زواج تم بين (صمويل بن لوختوش) (Samuel Ibn lukhtush) وهو من أسبانيا ـ وأخت نثانئيل ها ـ ليفى (Nathanel ha-levi) بالفسطاط.

٣ ـ عقد قران تم فى عام ٤٤٣هـ/١٠٥١م (زمن المستنصر بالله الفاطمى ٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م) بين بنت من طائفة القرائين تسكن فى الفسطاط، ورجل من طائفة الربانيين(*) يعيش فى صور (Tyre).

ومن عادات وتقاليد الزواج أيضا أن الفتاة التى كانت تبلغ سن الرشد، لا يمكن أن تتزوج بدون رضاها أو موافقتها، والتى تعطيها قبل كتابة العقد إلى اثنين من الشهود.

إلاّ أن حرية الفتاة فى اختيار عريسها، وعدم ارغامها على الزواج من عريس لا تريده، لم يكن يقضى على سلطة الأب الذى كانت له الكلمة الأخيرة فى اختيار العريس.

ويفهم من ذلك أن العروس وإن كانت تبدى رأيها فيمن وافق عليه والدها، إلا أنه إذا لم يوافق عليه فلا تستطيع الزواج منه.

(*) وعن طائفة القرائين وطائفة الربانيين أنظر، الفصل الخاص بالحياة الدينية لليهود.

ويؤكد كلامنا هذا ما جاء فى رسالة أرسلت من عَسْقَلان[1] بفلسطين إلى القاضى إبراهيم بالفسطاط، تشير إلى فتاة هددت بإرتكاب أفعال يائسة، إذا زُوجت إلى رجل لا تحبه، أو رفض الشخص الذى تفضله.

وفى حالة غياب الأب، كانت الأم عادة تقوم بترتيب الزواج لابنتها، وعندما يكون الأبوان متوفين، كانت العمة أو الجدة ـ فى الغالب ـ تقوم بترتيب الزواج. ففى عَقْد خطبة عُقد فى عام ٥٤١هـ/ نوفمبر ١١٤٦م (زمن الحافظ الفاطمى ٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٢٩- ١١٤٩م) ـ مُثلت العروس بواسطة أمها. وفى عقد خطبة أخرى مُثلت الفتاة بواسطة عم من جهة أمها، مما جعل جويتاين يعتقد أن والد الفتاة وأمها قد توفيا.

ومن الواضح أن الحرية التى أعطيت للفتاة اليهودية فى اختيار زوجها، كان منشئوها ـ فى رأينا ـ أن المجتمع اليهودى لم يكن مجتمعا مغلقاً على بناته، فقد كانت قاعات معابد اليهود فرصة لالتقاء الشباب والبنات. وإن كانت هذه الفرصة ـ فى رأى جويتاين ـ لم تكن تتعدى النظرات فقط بينهما، فهو لا يعتقد أن الأولاد كانوا يستطيعون التحدث مع البنات.

هذا إلى جانب أن بنات وشباب العائلة الواحدة كانت لهم حرية الاختلاط، الأمر الذى ساعد على الزواج داخل العائلة الواحدة، حيث يكون الزوجان على معرفة ببعضهما قبل الزواج باعتبارهما أقارب.

(١) عَسْقَلان: بفتح أوله، وسكون ثانية، ثم قاف، وآخره نون. وهو اسم أعجمى فيما علمت ـ كما يقول ياقوت ـ وقد ذكر بعضهم أن العسقلان أعلى الرأس، فإن كانت عربية فمعناه أنها فى أعلى الشام. وهى مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جِبرين، ويقال لها عروس الشام، وكذلك يقال لدمشق أيضا. افتتحها أولا معاوية بن أبى سفيان فى خلافة عمر بن الخطاب. وقد روى فى عسقلان وفضائلها أحاديث مأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم، وعن أصحابه.

ويدلل جويتاين على أن البنات لم يكن معزولات داخل منازل أبائهم من رسالة لأب يقترح فيها على ابنه أن يختار بين ثلاث بنات كان الابن على معرفة بهن.

وإذا كانت القوانين اليهودية قد أعطت الحرية للفتاة التى بلغت سن النضج للزواج ممن تريده، فإنها حَرّمت الفتاة التى لم تبلغ بَعْد سن الرشد من هذه الحرية.

فقد كان للأب أن يزوجها دون رضاها، حيث أنها لم تصل إلى السن الذى تستطيع فيه أن تعين ممثلا لها، أو تعقد قرانها بنفسها.

ويذكر جويتاين أن السلطات الكبرى فى العصور التلمودية رفضت زواج الإبنة حتى تكبر وتقرر لنفسها، فقد أعلنت أنه: «لا يسمح للأب أن يعقد زواج ابنته الصغيرة، فعليه أن ينتظر حتى تكبر وتقول: أود الزواج من فلان الفلانى».

وقد أيدهم فى ذلك طائفة الميمونيين[1] التى ذكرت أنه: «على الرغم من أن الأب يسمح له بعقد زواج ابنته الصغرى على مَن يريده هو، إلا أنه ليس من اللائق أن يفعل ذلك، حيث أن حكماءنا لم يوافقوا على ذلك».

وعلى الرغم من هذه الآراء، إلا أنه لم يكن هناك ـ كما يقول جويتاين ـ أمر شرعى يمنع الأب من أن يزوج ابنته الصغرى.

ويرى جويتاين أن حق الأب فى تزويج ابنته الصغيرة دون سن البلوغ، يشير إلى السلطة الأبوية المطلقة بالنسبة للبنت الصغيرة، التى ليس لها حقوق، أو سلطة شرعية للاعتماد على نفسها، فقرار الأب مثل قانون الله سبحانه وتعالى.

وقد ضمت سجلات الجنيزة ما يشير إلى زواج الفتاة دون سن البلوغ، مما يدل على أنه كان يحدث وإن كان استثنائيا.

(١) أى أتباع موسى بن ميمون وعنه أنظر، الفصل الخاص بالحياة الثقافية لليهود فى مصر.

ومن أمثلة زواج الفتاة الصغيرة، والتى وردت فى الجنيزة:

١ ـ زواج فتاة فى سن الثالثة عشر، وكانت مأساة هذه الفتاة يتضمنها خطاب من المُقدَّم أو قائد المجتمع المحلى إلى رئيسه، يقول فيه:

«عندى رجل يستغيث بالمجتمع، ويظل يخبرنى بأنه قد تزوج منذ سنتين، وأن زوجته لم تسمح له بالاقتراب منها (بالدخول بها). الفتاة يتيمة، وعمرها تقريبا ثلاثة عشر عاما. وهو (أى الزوج) يطلب الطلاق، وهى كذلك ترغب فى الطلاق. والسؤال الذى نسأله لسيادتكم: ما إذا كان (الزوج) ملزماً بأن يدفع لها مؤخر الصداق، أو ربما يسمح له بأن يتخذ زوجة أخرى بالإضافة إليها. إجابتكم مطلوبة على وجه السرعة، حيث أن هذا الرجل يظهر للعامة ليلا ونهارا ويحرض الناس ضدى» انتهى الخطاب.

٢ ـ وحالة ثانية تحكى عن زوجة دون سن البلوغ هربت إلى أخيها، وأراد زوجها أن يردها دون جدوى. فتوسط بعض الكبار فى الطائفة اليهودية، وعندما أكدت لهم أن عمرها حوالى ١١ سنة فقط. سُمح لها بأن تبقى مع أخيها لسنة أخرى، ولحين ذلك وضع مهرها فى المحكمة.

٣ ـ وهناك وثيقة تحكى عن فتاة ـ توفى والدها ـ خطبت نفسها (يفهم من ذلك وفى ضوء ما سبق أنها وصلت إلى سن الرشد)، وأقيمت حفلة كبيرة، وبعد شهرين ظهر قريب لها يدعى (سيمون) (Simon) أمام المحكمة وقدم وثيقة بأن أبا الفتاة كان قد عقد قرانها عليه منذ أربع سنوات عندما كانت دون سن البلوغ.

وكانت الفتاة وأمها لا يعلمان عن ذلك شيئا. فأرسلت الفتاة خالها إليه، ليرسل لها وثيقة الطلاق، ولكنه رفض.

ويذكر جويتاين أن المحكمة وجدت نفسها فى ورطة، خاصة وأن الوثيقة التى عقدت فى حياة الأب كانت شرعية، بالاضافة إلى أن وصية الميت كانت واجبا مقدسا.

فأضطرت الأم إلى التقدم للقاضى (يبدو أنه القاضى المسلم) والذى سأل القاضى اليهودى أن يجمع عشرة من كبار الطائفة ليضغطوا على (سيمون) ليصدر وثيقة الطلاق المطلوبة. فاستسلم (سيمون)، ولكن ليدّعى بعد ذلك أن وثيقة الطلاق قد كتبها تحت التهديد. وأرسل (سيمون) إلى الميمونيين الذين حكموا بأن هذا الضغط الذى تم عليه بواسطة المحكمة كان جائزا. وأصبحت الفتاة الصغيرة حرة لأن تتزوج ما تريده(*).

٤ ـ وهناك بقايا وثيقتين مسجلتين فى محكمة بلبيس فى الوجه البحرى لمصر، إحداهما بتاريخ ٦١٥هـ/١٢١٨م، والأخرى بتاريخ ٦١٨هـ/١٢٢١م (زمن الملك الكامل ٦١٥- ٦٣٥هـ/ ١٢١٨-١٢٣٧م)، تخبرنا عن فتاة يتيمة عمرها تسع سنوات، خطبت على شرط أن الزواج يحدث بعد ثلاث سنوات.

وقد وعد العريس بهدية زواج تبلغ ١٠ دينار كمقدم ومؤخر ٦٠ دينار، هذا إلى جانب الاسهامات المعتادة التى يجب أن يقوم بها الزوج، الخاصة بتكاليف الزواج مثل: الاحتفال الذى يقام ليلة الدخلة، وتكاليف صبغة شعر العروس، وورد زعفران يستخدم للمكياج ويمزج بالحناء. وعندما فشل الزوج فى الوفاء بوعوده، رفضت جدة الفتاة اليتيمة أن ترد له المهر كاملا.

مراحل الزواج عند اليهود:

تحدثنا فى الصفحات السابقة عن أوامر الشريعة اليهودية الخاصة بالزواج، وعن عادات وتقاليد اليهود خاصة فيما يتعلق بأهمية التكافؤ بين الزيجات. ثم تحدثنا عن زواج الفتاة عن طريق ممثل لها، أو وكيل والفرق بينهما، وأخيرا تحدثنا عن حرية الفتاة التى وصلت إلى سن الرشد فى اختيار زوجها، بعكس الفتاة الصغيرة التى كان لأبيها الحق فى هذا الاختيار من دونها.

(*) أباحت الشريعة اليهودية للفتاة الصغيرة التى زُوجت، أن تفسخ العقد حين البلوغ، ويضيع منها هذا الحق إذا رضيت، أو مكّنت زوجها منها.

وسنتناول فى الصفحات القادمة بعضاً من عقود الزواج عن اليهود والتى ذكرتها الجنيزة، وما تضمنته هذه العقود من طلبات تفرض على العريس أو على العروس.

بداية نحب أن نوضح أن عقود الزواج هذه كانت إما عقود زواج خاصة بالخطبة، أو عقود زواج خاصة بعقد القران.

فالزواج عند اليهود كان يمر بثلاث مراحل ذكرها جويتاين بعد دراسته لعقود الزواج الموجودة فى الجنيزة، وهذه المراحل الثلاث هى:

١ ـ الخطبة ٢ ـ عقد القران[١] ٣ ـ الزفاف

أولاً: الخطبة:

يذكر جويتاين أنها كانت تتم بكتابة عقد، يتفق فيه الخطيبان فى حضور اثنين من الشهود على الأقل[٢] ـ على بعض الالتزامات والحقوق، كما يتم فيه تحديد يوم الزفاف. وفى هذا العقد توضع غرامة فى الغالب تكون مالية فى حالة ما إذا الاتفاقات التى فى هذا العقد لم تتم، أو فى حالة عدم الالتزام بالموعد المتفق عليه للزفاف.

والخطبة يمكن للطرفين فى أى وقت أن يفسخاها، فهى مرحلة من مراحل الزواج، ولكنها ليست شرطا على الطرفين لاتمام الزواج.

وفى ليلة الخطبة كان العريس يكسر طبقا تعبيرا عن الفرحة، ويرجع ذلك إلى سببين:

(١) ذكرها جويتاين باسم (Betrothal)، وقد ترجمت فى المورد «بالخطوبة»، أما فى كتاب إلياس للجيب، فقد ترجمت «بكتب الكتاب أو عقد القران». وقد رأيت أن ترجمتها بعقد القران أدق، خاصة وأن انفصال العروس والعريس فى هذه المرحلة، كان يستلزم إصدار ورقة طلاق، بعكس الخطوبة فى المرحلة الأولى ـ كما سنرى فيما بعد فى المتن.

(٢) تذكر بعض المصادر العربية أن عدد الشهود كان ثلاثة، والسبب فى ذلك يرجع إلى أن التوراة ذكرت أن عدد الشهود هم: «شاهدين أو ثلاثة». أما الأستاذ محمد حافظ فيذكر أنه كان يكفى لانعقاد النكاح حضور شاهدين فقط.

١ ـ ابعاد الأشباح والأرواح الشريرة.

٢ ـ تمييز ليلة الخطبة عن ليلة الزفاف التى يكسر العريس فيها كوباً.

ثانياً: عقد القران:

وهو عقد شرعى دينى ـ كما يقول جويتاين ـ به يصبح الخطيبان زوجين، ولكن لا يسمح فى هذه المرحلة بإتمام الزفاف. وكان لفسخ هذا العقد لابد أن يحدث طلاق بين الزوجين، لذلك فهذا العقد كانت له صفة العقد الشرعى الدينى المقدس بعكس الخطوبة.

ويذكر جويتاين أن العروس والعريس كانا فى حفل عقد القران يشربان من كأس مباركة، ويجتمع المدعوون فى المعبد اليهودى، حيث يقف العريس، ويعطى الخاتم إلى والد العروس ـ بينما المدعوون يجتمعون حولهم فى دائرة ـ ثم يقول العريس إلى والد العروسة: هل تسمح بأن تزوجنى ابنتك بهذا الخاتم؟

وقد ذكرت المصادر العربية فى هذا الصدد، أنه عند عقد القران، كان يحضر كأس من خمر، ودُسْتَجَة[١] من ريحان، فيأخذ الإمام الكأس فيبرّك عليها، ويخطب خطبة النكاح، ثم يدفعه إلى الخَتَن[٢]، ويقول: قد تزوجت فلانه بهذه الفضة أو بهذا الذهب، وهو خاتم فى يده، وبهذه الكأس من الخمر، وبمهر كذا درهم، ويشرب منها جرعة، ثم ينزلون إلى منزل العروس، ويأمرونها أن تأخذ الخاتم والريحان والكأس من يد الخَتَن، فإذا أخذت، وشربت منها جرعة يعقد القران.

ثالثاً: الزفاف:

وهو ما يعرف بالتحديد (بالدخلة)، أى الدخول إلى عش الزوجية، وكان الزواج لا يصل إلى هذه المرحلة إلاّ إذا سبقه كتابة عقد سواء كان عقد خطوبة أو عقد زواج.

(١) الدُسْتَجَة جمع دَسَاتِج (فارسية): الحزمة ـ أو الإناء الكبير من الزجاج.

(٢) الخَتَن جمع أَخْتَان: كل من كان من قبل المرأة مثل: الأب والأخ وزوج الابنة. قال الأزهرى: الختن أبو المرأة، والخَتَنَة أمها. فالأختان من قبل المرأة، والأحماء من قبل الرجل.

وكانت تتم مراسمه عن طريق أخذ العروس من بيت أبيها فى زفة أو موكب إلى بيت العريس. وكان العريس يلبس ملابس خاصة بهذه المناسبة تكون فاخرة، ويضع على رأسه تاجا خاصا بالزواج، ثم يأتى إلى العروس مصحوبا بأفراد عائلته وأصدقائه، فى الوقت الذى تكون فيه العروس قد لبست ملابس العرس الفاخرة، وتحلّت بالمجوهرات، ويكون فى صحبتها أيضا عائلتها وأصدقاؤها، وكانت العروس تقابل العريس ووجهها مغطى ببرقع أو خمار. ثم يأخذها العريس إلى منزله ـ وسط هذا الحشد ـ فى زفة تضيئها الفوانيس، وتصحبها الموسيقى والأغانى، وعندما يتقابل العريسان يغنيان.

كذلك كان من مراسم الزفاف أن تطوف العروس حول (كوشة) الزفاف سبع مرات وهى عادة توراتية قديمة، وفى بعض الأوساط الاجتماعية تطوف العروس ثلاث مرات فقط.

كما كان العريس يقوم بكسر كوب تحت قدميه، ويذكر هارفى لوتسك أن لهذا التصرف تفسيرين: التفسير الأول تلمودى يقول إن (رابينا) فى ليلة زفاف ابنه، كسر كوبا تحت قدميه، وحينما سئل عن السبب أجاب بأنه لا ينبغى على اليهودى أن ينسى الهيكل حتى فى أشد المناسبات سعادة.

أما التفسير الثانى فهو أسطورى يقول: إن كسر كوب يرهب الشيطان والعفاريت، ويبعدها عن مكان الزفاف.

وقد ذكر محمد سبعاوى تفسيرا آخر لكسر الكوب غير التفسير الثانى الذى ذكره هارفى لوتسك، فهو يقول: إنه يدل على أن حياة هذه الأسرة ستظل فى خطر مثل هذه الكأس، لو أن العروسان لم يكونا محبين لبعضهما البعض.

ويذكر (Neufeld) أن احتفال الزواج كان يقام لمدة سبعة أيام للعذراء، أما الأرملة فكان أقل من ذلك.

وكانت هذه المراحل الثلاث هى مراحل اتمام الزواج، وإن كان فى أحيان كثيرة ـ كما يقول جويتاين ـ يتم دمج المرحلة الأولى والثانية، أو يتم دمج المرحلة الثانية والثالثة، فتكون خطوبة وعقد قران معاً ثم زفاف، أو خطوبة ثم عقد قران وزفاف معا.

عقود الزواج عند اليهود:

من دراسة عقود الزواج التى ظهرت فى مصر ما بين أعوام ٥١١هـ/١١١٧م و٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م، أى من زمن الآمر الفاطمى ٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩م إلى زمن الملك العادل أبى بكر بن أيوب ٥٩٦-٦١٥هـ/ ١١٩٩-١٢١٨م ـ يتضح كما يقول جويتاين أنها كانت لابد أن تتم أمام شهود، ويمضى عليها هؤلاء الشهود على اعتبار تأكدهم مما فيها. ففى أحد هذه العقود، ذكر فى بدايته: «نحن الموقعين أدناه، تأكدنا من أن ذلك قد حدث فى حضورنا فى العاشر من نيسان ١٥٥٤ (٦٤١هـ/ أبريل ١٢٤٣م) هنا فى الفسطاط فى مصر».

وفى نهاية العقد يقول الشهود: «ونحن قد كتبنا ما شهدنا، ووقعنا، وقمنا بتسليم الوثيقة إلى يد ربيكا Rebekah (اسم العروس) السابق ذكرها، لكى تكون لها برهان ودليل لحقها».

على أن بعض وثائق عقود الزواج قد أستهلت باسم الله، فمثلا: وثائق عقود زواج القرائين فى القدس عام ٤١٩هـ/١٠٢٨م عنونت «باسم الله الحى»، يتشابه فى ذلك وثائق عقود زواج الربانيين الفلسطينيين، فقد عنونت «باسم عظيمنا» أى باسم الله العظيم.

ولكن أغلبية عقود الزواج لم تشتمل على مثل هذا الاستهلال، أو حتى الإشارة إلى اسم الله سبحانه وتعالى. ويرجع ذلك ـ فى رأى جويتاين ـ إلى أن هذه العقود كان يتم تمزيقها إلى قطع صغيرة، إذا طُلّقت الزوجة أو مات زوجها، وبعد أن تأخذ حقوقها المذكورة فى وثيقة الزواج. لذلك حذف اسم الله سبحانه وتعالى لتجنب احتمال التدنيس بتمزيق الوثيقة.

وقد كانت عقود الزواج تتضمن بعض المطالب التى يجب أن يأخذ بها كل من الطرفين، ولكن بعض المطالب التى وردت فى عقود الزواج، والتى استمر بعضها وسقط البعض

الآخر، لم تكن تعبر بالضرورة ـ فى رأى جويتاين ـ عن عادات وتقاليد العصر أو الوقت الذى ظهرت فيه.

وقد اختلفت عقود زواج طائفة الربانيين عن عقود زواج طائفة القرائين، ففى حين كانت عقود زواج القرائين تشتمل على مطالب كثيرة تتعلق بالعلاقة بين الزوج وزوجته، كانت عقود زواج الربانيين تشتمل على شروط أبسط. فيذكر جويتاين أن عقود الزواج الخاصة بالقرائين كانت تحتوى على أربع عهود(*).

أولاً: أن يأخذ الزوج على عاتقه أن يبقى على زوجته وأن يصونها، وفى المقابل تدير هى المنزل «فهى عون له» على اعتبار أن «حواء خلقت لهذا الغرض».

ثانياً: أن كلا من الشريكين يعد الآخر بالعمليات الجنسية طبقا لما هو متفق عليه فى مجتمعهم اليهودى.

ثالثاً: أن يعد الزوج الزوجة بالحب والود، وفى المقابل تعده هى بالحب والتقدير له. وهناك مفهوم فى وثائق القرائين، يعنى أن على الزوجة أن تكون صابرة مع زوجها، حتى ولو لم يكن صلته أو علاقته بها مثالية.

رابعاً: يجب على الزوجة أن تسمع كلام زوجها، ففى التوراة عبارة تقول: «تكون تحت حكمه»[1]، وفى المقابل يعطى الزوج عهداً بأن لا يحزنها ولا يظلمها.

(*) تذكر الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف أن عقود الزواج الإسلامية كانت تتضمن كذلك مجموعة من الشروط، منها: ما يتعلق بحسن الصحبة والمعاشرة، أو يتعلق بزيارة الأهل، أو يتعلق بوضع الزوجة إذا تزوج الزوج عليها أو اتخذ جارية له.

(١) ويتفق هذا مع ما ورد فى بعض عقود الزواج الإسلامية على أوراق البردى فى العصور الوسطى، فقد كانت بعض عقود الزواج تنص على أن يكون للزوج «درجة زايدة» فوق زوجته. وفى مثل هذه العقود، يستشهد الزوج بقول الله تعالى فى سورة البقرة آية ٢٢٨: ﴿ ... وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ... ﴾.

أما عقود الزواج الخاصة بطائفة الربانيين، فقد كانت تتضمن شروطا أبسط، فقد كان الزوج يتعهد بأن يمد زوجته بالطعام والملبس، ويشرفها، ويقوم بواجباته الزوجية مثلما يفعل رجال اليهود، وفى المقابل تعلن الزوجة عن رغبتها بأن تصبح زوجة له.

وفى قليل من الوثائق الفلسطينية فى القرنين ٤ و٥هـ/ ١٠ و١١م، كانت العروس تتعهد للعريس بأن تقوم على خدمته وأن تشرفه.

ويذكر جويتاين أن كلمة «الحب» لم تستخدم أبدا، ويفسر ذلك بأن الحب هو هبة من الله سبحانه وتعالى، وليس شيئا يمكن أن يوعد به.

على أية حال، فمن خلال عقود الزواج التى أوردها جويتاين فى كتابه نلاحظ أنها كانت تتضمن بعض المطالب التى كان على الزوج أن يتحملها، مثل: المهر، تكاليف الزواج، هدية عقد القران التى تعرف باسم (qiddushin) والتى عادة ما كانت تتكون من خاتم أو عدة خواتم، وكانت تهدى فى احتفال رسمى ـ كما ذكرت سابقا.

وبالنسبة للمهر، فهو يختلف بين الربانيين والقرائين، فهو عند الربانيين مقدم لا مؤخر، أما القراؤون فهو عندهم مقدم ومؤخر. والمقدم هو ما يدفع عند الخطبة، أما المؤخر فينص عليه فى العقد، ولا يدفع إلا فى حالة فسخ الزواج بالطلاق أو موت الزوج(*).

وبدون المهر يصبح العقد باطلا، وقد اتفق فى هذا الربانيون والقراؤون، ولا خلاف بينهما على وجوبه، فالمهر فى الشريعة التلمودية يعد ركناً لازماً فى الزواج وشرطا قانونيا لا ينعقد إلا به، وقد خصصت له المشنا[1] قسماً كاملاً من بين أقسامها الست، تناولت فيه كل ما يتعلق بالمهر.

(*) وهو ما متبع الآن فى عقود الزواج المعاصرة ـ كما تقول الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف ـ وفى الوقت نفسه خالف ما جاء فى عقود الزواج الإسلامية فى العصور الوسطى، فقد كان المؤخر ـ فى هذه العصور، يدفع للزوجة على قسط أو أقساط فى مواعيد محددة بعد الزواج، ولا يبقى إلى طلاق الزوجة أو وفاة الزوج. (سيدة كاشف: دراسات فى المجتمع المصرى، ص١٥).

(١) وعن المشنا أنظر، الفصل الخاص بالحياة الدينية لليهود.

أما عن قيمة المهر، فقد اختلف مهر البكر عن مهر المطلقة أو الأرملة وذلك تبعا لأوامر التلمود الذى ذكر أن مهر الأرملة أو المطلقة نصف مهر البكر.

فيقول المقدسى إن المهر عند اليهود يقدر بمائتى درهم للبكر، ومائة للثيب لا أقل من ذلك.

وتذكر بعض المراجع إنه «يجب على الرجل الذى يطلب النكاح أن يفرض على نفسه للمرأة التى يريد التزوج بها مبلغ مائتى زوز إذا كانت بكرا، أو مائة زوز إن كانت ثيبا، يؤدى لها إذا مات قبلها أو طلقها»(*).

ومن خلال دراستنا لعقود الزواج التى أوردها جويتاين، لاحظنا أن قيمة المهر اختلفت من عقد لآخر، ففى عقد خطبة عقد حوالى عام ٣٩١هـ/ ١٠٠٠م (زمن الحاكم الفاطمى ٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م) ـ كان المقدم ٢٥ دينارا[1]، دفع منها خمسة دنانير، أما الباقى فيدفع عند الزفاف. ولم يذكر فى هذا العقد شىء عن المؤخر.

وفى عَقْد قران عُقد بالفسطاط عام ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م (زمن المستنصر بالله الفاطمى ٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م) ـ حُدد المقدم بمائة دينار، والمؤخر بمائة وخمسين دينارا. ويذكر جويتاين أن هدية الزواج هذه كانت كبيرة وغير معتادة.

وفى عقد خطبة عقد عام ٥٤١هـ/ ١١ نوفمبر ١١٤٦م (زمن الحافظ الفاطمى ٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٢٩-١١٤٩م) ـ كان المقدم ٤٠ دينارا، والمؤخر ١٠٠ دينار.

(*) الـ«زوز»: يفهم مما ورد فى المتن أن المقدسى قد اعتبر الـ«زوز» يساوى درهم، على أن قاموس ابن شوشان وهو قاموس عبرى ـ عبرى قدره بدينار. وقد ورد فى كتاب الأستاذ محمد حافظ باسم «زوزو»، والصحيح ما ورد فى المتن نقلا عن قاموس ابن شوشان.

(١) الدينار جمع دنانير: ضرب من المعاملات القديمة. قيل هو كلمة رومية من denarius، وقيل إن أصله دنّار بالتشدد. والدينار قطعة الذهب، والقطعة من الفضة هى الدرهم. والدينار وزن إحدى وسبعين شعيرة ونصف شعيرة تقريبا، بناء على أن الدانق ثمانى حبات وخمسا حبة، وإن قيل الدانق ثمانى حبات، فالدينار ثمان وستون وأربعة أسباع حبة.

ويذكر العقد أن مبلغ الأربعين دينارا المقدم قد وضع كرهينة لدى شخص آخر. على أن وضع المقدم كرهينة لم يكن أمرا شائعا ـ كما يقول جويتاين ـ فقد كان الشائع أن تأخذ العروس جزءا من المقدم، يُسترد فى حالة فسخ الخطبة، ولذلك يفسر جويتاين هذا الوضع بأنه ربما كان العريس متوفرا لديه مبلغ المقدم المتفق عليه، لذلك وضع كرهينة حتى يتم الزفاف.

وفى عقد خطبة وعقد قران معا، عُقد بالفسطاط عام ٦٤١هـ/١٢٤٣م (زمن الملك الصالح نجم الدين أيوب ٦٣٧-٦٤٧هـ/ ١٢٣٩-١٢٤٩م)[1] ـ حدد المقدم بعشرة دنانير، والمؤخر بخمسين دينارا. وفى هذا العقد ذُكر أن العروس استلمت جزءا من المقدم يقدر بخمسة دنانير من العشرة.

وإلى جانب المطالب التى كان على الزوج أن يتحملها، وتضمنتها عقود الزواج، كانت هناك بعض المطالب التى كان على الزوجة ـ وبمعنى أدق على والد العروسة ـ أن يتحملها، وهى ما تعرف باسم البائِنة[2].

---

(١) وهو أيوب بن محمد بن أبى بكر بن أيوب، الملك الصالح نجم الدين، أبو الفتح بن الكامل ابن العادل. وكنت قد ذكرت سابقا فى ترجمة الملك العادل أنه لما مات والده الكامل وقع الاتفاق على إقامة العادل على سلطنة مصر والشام، وأن يكون أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب على ممالك الشرق، على أن أمراء مصر قبضوا على العادل عام ٦٣٧هـ/١٢٣٩م بظاهر بلبيس، وطلبوا أخاه الملك الصالح نجم الدين أيوب. فخرج من دمشق قاصداً الديار المصرية ليأخذها من أخيه الملك العادل. وقد دخل الملك الصالح القاهرة مع الملك الناصر ابن الملك المعظم صاحب الكرك عام ٦٣٧هـ/١٢٣٩م، فاعتقل أخاه الملك العادل فى القلعة، ثم تآمر على قتله عام ٦٤٥هـ/١٢٤٧م بقلعة القاهرة، ودفن فى تربة شمس الدولة خارج باب النصر. ويذكر ابن خلكان أن الملك الصالح بسط العدل فى الرعية، وأحسن إلى الناس، وأخرج الصدقات، ورم ما تهدم من المساجد. وهو صاحب المدارس الصالحية بين القصرين، وبانى قلعة الروضة التى هدمت بعد ذلك وكانت عظيمة. وقد توفى الملك الصالح بالمنصورة عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م، وحمل إلى القلعة الجديدة التى فى الجزيرة، وترك بها فى مسجد هناك، وأخفى موته مقدار ثلاثة أشهر، والخطبة بإسمه إلى أن وصل ولده الملك المعظم توران شاه من حصن كيفا على البرية إلى المنصورة، فعند ذلك أظهروا موته، وخُطب لولده المذكور، ثم بعد ذلك بنى له بالقاهرة بجوار مدارسه، تربة، وقد نقل إليها عام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م.

(٢) البائِنة: ما يكون مع العروس من مال وجهاز عند زفافها.

وكان الحاخامات[1] قد أوصوا بأن يقدم الأب قليلاً من ثروته لابنته حسب قدرته، وغالباً ما تكون مبلغاً مالياً، أو حقلاً، أو شيئاً ثميناً تصحبه الفتاة معها ليلة زفافها، وكان حجم البائنة يعتمد اعتماداً كبيراً على حجم ثروة الوالد. والبائنة لا تقدم إلاّ عند الزواج فقط، ومن حق الفتاة أن تتسلمها عند الطلاق أو بعد وفاة الزوج.

والزواج عند اليهود يمكن أن ينعقد بدون بائنة، لكن لا يمكن أن يتم بدون مهر. وهذا يفسر لنا ندرة عقود الزواج التى تتحدث عن البائنة بعكس المهر.

وقد ورد فى العقود التى تضمنتها وثائق الجنيزة، عقد خطبة تضمن تقديم بائنة، ففى هذا العقد الذى عُقد فى حوالى عام ٣٩١هـ/ ١٠٠٠م (زمن الحاكم الفاطمى ٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م) ـ تعهد الأب بأن يعطى للعروس (وكانت ابنته الكبرى)، الملابس الخاصة بزوجته المتوفية، والمجوهرات، وذلك بعد أن يقسمها مع أختها الصغرى، كما تعهد بمستلزمات الفرش. وقد قيّمت هذه الهدايا (البائنة) فى ذلك الوقت بين ٤٠ و٥٠ ديناراً، كذلك تعهد أن يعطيها نحاساً قُدّر بنفس القيمة.

كذلك كانت هناك بعض الطلبات الخاصة التى تفرضها العروس على العريس، وذكرتها عقود الزواج، فمثلاً: فى عقد خطبة عقد عام ٥٤١هـ/ ١١نوفمبر ١١٤٦م (زمن الحافظ الفاطمى ٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٢٩-١١٤٩م) ـ اشترطت فيه العروس على العريس أن لا يتخذ زوجة ثانية، وأن تكون خادمة المنزل من اختيارها، أو بعد موافقتها[2]، وفى حالة وفاتها بدون انجاب أطفال، يرد نصف مهرها إلى عائلة أبيها. وقد علق جويتاين على

---

(١) الحاخام: كلمة عبرية تعنى الرجل الحكيم أو العاقل. وعنها بالتفصيل أنظر، الفصل الخاص بالحياة الدينية لليهود.

(٢) ويتفق هذا مع ما ورد فى عقود الزواج الإسلامية على أوراق البردى فى العصور الوسطى، فقد تضمنت هذه العقود بعض الشروط المختلفة التى تضعها الزوجة، ولاسيما بشأن إمكانها تطليق أى زوجة، أو بيع أى جارية يتخذها زوجها بعد زواجه منها أو عتقها. وفى أحد هذه العقود أقر الزوج على نفسه بأن كل إمرأة يتزوجها على امرأته هذه تكون تحت إمرتها، ويجوز للزوجة الأولى أن تأمر بطلاقها إذا شاءت.

طلبات العروس هذه، بأنها تدل على المركز القوى لعائلة العروسة، والذى ـ فى رأينا ـ جاء نتيجة للمركز المالى العالى للعروسة، فقد كانت تمتلك ضيعة اشترطت على العريس أن ايجارها سيكون ملكاً خاصاً لها.

كما كانت العروس تشترط فى عقد الزواج اختيار محل إقامتها، ففى عقد خطبة عقد فى عام ٥٤١هـ/ ١١ نوفمبر ١١٤٦م ـ وهو العقد السابق ذكره ـ أعطى للعروسة حق اختيار محل إقامتها فيما يختص بمكان الإقامة والمنزل الذى تقيم فيه.

وفى عقد خطبة وعقد قران عقد بالفسطاط عام ٦٤١هـ/١٢٤٣م (زمن الملك الصالح نجم الدين أيوب ٦٣٧-٦٤٧هـ/ ١٢٣٩-١٢٤٩م) ـ كان للعروس الحق كذلك فى اختيار محل إقامتها.

وفى عقد خطبة آخر، تعهدت الفتاة أن تعيش مع أم زوج المستقبل وأخيه فى شقة واحدة.

كذلك كان العريس يفرض بعض الطلبات الخاصة على العروس، ففى قليل من عقود الزواج الفلسطينية ـ الموجودة بمصر ـ خاصة فى القرنين ٤ و٥هـ/١٠ و١١م، كان يفرض على الزوجة أن تعلن استعدادها لأن تصبح أماً للأطفال. وقد اختفى هذا الشرط تماماً ـ كما يقول جويتاين ـ فى القرن ٦هـ/ ١٢م.

ويذكر جويتاين أن عقود الزواج فى خلال العصور المختلفة، كان يكتب فى أغلبها تحت عنوان «عقود الزواج» جملة من التوراة تقول: «هم ينمون وينجحون». وهى إشارة إلى إنجاب الأطفال.

كما كان يحدد فى عقود الخطبة ـ خاصة ـ تاريخ الزفاف، ويكون ملزماً للطرفين، فإذا فسخت الخطبة أو تأخر ميعاد الزفاف تفرض غرامة على الذى يفسخ الخطبة. ففى عقد خطبة كتب بالاسكندرية عام ٥٩٨هـ/ مارس ١٢٠١م (زمن الملك العادل

٥٩٦-٦١٥هـ/ ١١٩٩-١٢١٨م) ـ ذُكر فيه أن الزفاف سيكون بعد سنة من الخطبة، وأن الطرف الذى سيفسخ هذه الخطبة يفرض عليه غرامة قدرها عشرة دنانير.

وفى عقد خطبة عقد فى عام ٥٤١هـ/ ١١ نوفمبر ١١٤٦م (زمن الحافظ الفاطمى ٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٢٩-١١٤٩م) ـ تم تحديد تاريخ الزفاف بأنه سيكون بعد عام واحد، وفرضت غرامة على كل من العروسين، فى حالة فسخ الخطبة تقدر بعشرين ديناراً.

وفى عقد آخر بالفسطاط، وكان عقد خطبة وعقد قران عقد عام ٦٤١هـ/١٢٤٣م (زمن الملك الصالح نجم الدين أيوب ٦٣٧هـ-٦٤٧هـ/ ١٢٣٩-١٢٤٩م) ـ فرضت غرامة إذا تأخر الزواج عن ميعاده ـ قدرت بخمسة دنانير، أما إذا مرض العريس، وبالتالى تأخر ميعاد الزواج المتفق عليه، يتم التنازل عن هذه الغرامة. أى فى الحالات القهرية.

وفى عقد خطبة تم الاتفاق فيه على أن الزفاف سيكون بعد ثلاث سنوات، وفرضت غرامة خمسة دنانير على والد العريس وعلى أم العروسة فى حالة فسخ الخطبة، أو تغيير الشروط المتفق عليها من الطرفين.

أما عقد الخطبة التى تم فى عام ٥٢٧هـ/ أغسطس ١١٣٢م (زمن الحافظ الفاطمى ٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٢٩-١١٤٩م) ـ فلم يذكر فيه غرامة توقع على أحد الطرفين إذا فسخ الخطبة، ويرجع ذلك ـ كما يرجح جويتاين ـ إلى أن الزفاف كان سيقام بعد أسبوعين، وأن جهاز العروسين كان جاهزاً.

الطلاق عند اليهود:

أباحت الشريعة اليهودية حق طلب الطلاق للرجل وليس للمرأة(*)، فأذنت للرجل إذا كره زوجته أن يطلق سراحها بمحض إرادته، فإن كانت بكرا أعطاها ٢٥ درهما، وإن

(*) ذكر المقدسى أن الطلاق عند اليهود كان لا يجوز، إلا أن يقفوا منهم على زنا أو سحر أو رفض دين. وذكر الأستاذ محمد حافظ أن الأسباب التى يحل معها الطلاق عند اليهود ثلاثة وهى: الزنا، والعقم، وعيوب الخلقة وعيوب الخلق.

كانت ثيبا أعطاها ١٢٫٥ درهما، وأحضر الإمام والشهود وكتّاب الطلاق، وقال لها: أنتِ طالق منى مائة مرة، ومختلعة منى، وفى سعَة أن تتزوجى مَن شئتِ. ولا يقع الطلاق على الحامل أبدا. وللرجل أن يرد امرأته ما لم تتزوج، انقضت عدتها أم لم تنقضى. فقد أذنت الشريعة اليهودية للرجل أن يرد زوجته متى شاء.

كما أذنت الشريعة اليهودية للمرأة أن تتزوج بعد طلاقها رجلاً آخر، لكن إذا تزوجت المرأة بعد طلاقها ومات هذا الزوج الثانى أو طلقها، لا يجوز لزوجها الأول أن يردها، فقد حرمت عليه للأبد، لأن الرجل إذا رد زوجته بعد أن تكون قد نكحت غيره، عُدّ أولادهما من أولاد الزنا.

والنص التوراتى صريح فى هذا المعنى، حيث اعتبر تلك الزوجة بعد زواجها من رجل ثانى وطلاقها منه نجسة، وهو أمر بغيض عند الرب. ففى سفر التثنية: «إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها، فإن لم تجد نعْمَة فى عينيه لأنه وجد فيها عيب شئ، وكتب لها كتاب طلاق، ودفعه إلى يدها، وأطلقها من بيته، ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر، فإن أبغضها الرجل الأخير، وكتب لها كتاب طلاق ودفَعه إلى يدها، وأطلقها من بيته، أو إذا مات الرجل الأخير الذى اتخذها له زوجة، لا يقدر زوجها الأول الذى طلّقها أن يعود يأخذها، لتصير له زوجة بعد أن تنجست. لأن ذلك رجس لدى الرب. فلا تجلب خَطِيَّة على الأرض التى يُعطيك الرب إلهك نصيباً».

وإذا كانت الشريعة اليهودية ـ كما ذكرت سابقا ـ قد أباحت للرجل حق تطليق زوجته، فقد حرمت على المرأة طلب هذا الحق مهما كانت عيوب زوجها. فلم يكن من السهل على المرأة الحصول على وثيقة الطلاق ـ كما يقول جويتاين.

وفى حالة ما إذا اتفق الزوج والزوجة على الطلاق، فإن المحاكم اليهودية فى مصر كانت تفضل ـ على ما يبدو ـ أن يكون هناك إعلان رسمى من كل من الزوجين بأن

كل منهما لا يحب الآخر. يظهر ذلك من خطاب رسمى أرسله قاضى الفسطاط (اليشع بن زكريا) (Eiljah b. Zachariah) إلى قاضى بلبيس فى الوجه البحرى لمصر، بعد ثمانية شهور من فسخ عقد قران فتاة من الفسطاط من فتى من بلبيس.

وفى هذا الخطاب طلب قاضى الفسطاط من قاضى بلبيس أن يستدعى العريس المرفوض إلى المحكمة، ويجعله يعلن بأنه لا يحب الفتاة، وأنه لن يبقى عليها، وهو تقريبا نفس ما قالته الفتاة عندما استدعاها قاضى الفسطاط هى وأمها قبل الثمانية الشهور ـ التى ذكرتها سابقا ـ وجعلها تعلن أمامه بأنها لا تحب رفقة خطيبها الرسمى، وأنها لن تقوم بالإدعاء ضده مهما حدث.

ومن عادات وتقاليد اليهود عند الطلاق، يذكر الأستاذ محمد حافظ أنه بعد توقيع الشهود على ورقة الطلاق، تعرض على الربى[1] ليتحقق من كونها موافقة للأصول الشرعية أم لا، ثم يناولها للزوج، فيطويها الزوج طيتين، ثم يدفعها إلى الزوجة بحيث لا تمس يده يدها، لأنها صارت محرمة عليه، فلهذا ينبغى أن تضم كفيّها إلى بعضهما ليلقى فيهما الزوج الورقة.

وكان يحق للزوج أن يوكل عنه من يُسلم وثيقة الطلاق لزوجته، وكذلك للزوجة أن توكل عنها وكيلا لاستلام وثيقة الطلاق، ويتم التوكيل أمام المحكمة بواسطة التوكيل الشرعى، وبحضور شاهدين.

ويشترط فى الوكيل أن يكون من العقيدة، عاقلا، بالغاً، ولا يجوز أن يكون أجنبيا، أو امرأة معادية مثل: الحماة أو الضرة. ووكيل الزوج يسمى «وكيل تسليم»، أما وكيل الزوجة فهو «وكيل استلام».

---

(١) وعنه أنظر، الحبر فى الفصل الخاص برؤساء المجتمع اليهودى.

وقد يوكل كل من الرجل والمرأة ـ كما تقول سوزان السعيد ـ بسبب عدم رغبتهما ـ أى الزوج والزوجة ـ فى مواجهة كل منهما الآخر، إلا أن معظم حالات التوكيل كانت تتم بسبب عدم إقامة الطرفين فى بلد واحد.

ويذكر الأستاذ محمد حافظ أنه كان يجوز كتابة ورقة الطلاق فى غياب الزوجة، وتسليمها إليها بواسطة وكيل، وإذا أبت الزوجة الاستلام، ألقيت إليها الورقة فى بيتها، أو وراء ظهرها وهى سائرة فى الطريق.

[٢] أعياد اليهود:

- **أعياد مذكورة بالتوراة :**
  - عيد راس السنة (عيد راس هيشا).
  - عيد صومار يا (عيد الكيبور).
  - عيد المظال (عيد المظلة).
  - عيد الفصح (عيد الفسح. عيد الفطير).
  - عيد الأسابيع (عيد العنصرة. عيد الخطاب. عيد الخمسين. عيد الحصاد).
- **أعياد محدثة :**
  - عيد الفوز (عيد البوريم أو الفوريم. عيد النصيب. عيد المَجَلَّة أو هامان سور).
  - عيد الحانوكاه (عيد الشموع أو الأنوار. عيد التجديد. عيد التدشين).

[٢]

أعيـاد اليهـود

يذكر القلقشندى فى كتابه أن لليهود خمسة أعياد مذكورة بالتوراة، وعيدين أحدثوهما ولم يذكرا بالتوراة.

وبالنسبة للأعياد الخمسة المذكورة فى التوراة فهى:

١ـ عيد رأس السنة :

ويحتفل به اليهود فى أول يوم من شهر تشرى (أكتوبر)، ويسمونه «عيد رأس هيشا» أى عيد رأس الشهر، وبالعبرية الحديثة «روش هاشاناه».

وقد جاء ذكره بالتوراة، ففى سفر اللاويين: «فى الشهر السابع[1] فى أول الشهر يكون لكم عطلة تذْكار هُتاف البوق محفل مقدس، عملا ما من الشغل لا تعملوا، لكن تقربون وقوداً للرب».

وهو عندهم بمثابة عيد الأضحى عند المسلمين، فيقولون: إن الله تعالى أمر إبراهيم بذبح ابنه[1] فى هذا اليوم، وفداه بذبح عظيم. وهو عيد البشارة كما يقول المقريزى، فهو عيد عتق وحرية عند اليهود بسبب خلاصهم من فرعون.

---

(١) عندما يسرد اليهودى أسماء شهور السنة يبدأ بشهر نيسان، وليس بتشرى، لأهمية شهر نيسان عند اليهود، ففيه خروج موسى بقومه من مصر، وفيه عيد الفصح أهم أعيادهم.
وعن شهور السنة اليهودية أنظر، الموضوع الخاص بالصوم.

(١) يعتقد اليهود أن ابن إبراهيم الذى قدمه قربانا لله هو اسحق، وعند المسلمين إسماعيل.

ولقد اكتسب هذا اليوم دلالة دينية وقدسية خاصة عند اليهود، فقد ذكر فى المشناه أن هذا اليوم هو اليوم الذى بدأ الله سبحانه وتعالى فيه خلق العالم، ولذلك فإنه أيضا يوم الحساب السنوى الذى تمر فيه المخلوقات جميعها أمام الله تعالى كقطيع من الأغنام، ومن ثم فعلى اليهودى أن يحاسب نفسه فى هذا اليوم عما أتاه طوال العام من ذنب.

ومن الأسباب التى تميز هذا العيد أيضا، أنه أول أيام التكفير التى يبلغ عددها عشرة، والتى تنتهى بأقدس يوم لدى اليهود على الإطلاق، وهو يوم الغفران أو يوم كيبور الشهير.

ومن مظاهر الاحتفال بهذا العيد عند الربانيين أنهم ينفخون فى الأبواق أثناء إقامتهم للصلاة فى المعابد، بناء على تفسيرهم لبعض النصوص الواردة فى التوراة بشأن هذا العيد. أما القراءون فيقومون بالصلاة والتهليل حمداً وشكراً لله لأنه يوم عتق الأرقاء.

كذلك من تقاليد اليهود فى هذا اليوم تناول الخبز والتفاح المغموس فى العسل، مع تلاوة صلوات تعبر عن الأمل فى سنة حلوة قادمة، أما فى اليوم التالى فلابد أن يتذوق اليهودى فاكهة جديدة لم يسبق له أن أكلها طوال الموسم الماضى.

وكان الدكتور عبدالوهاب المسيرى قد ذكر أن مدة الاحتفال بهذا العيد يومان: الأول والثانى من تشرى، أما الدكتور حسن ظاظا فقد ذكر أن الاحتفال به يستغرق ثلاثة أيام.

وهذا العيد عطلة عند اليهود، تبعا لأوامر الله سبحانه وتعالى التى ذكرت بالتوراة وأشرت إليها سابقاً.

٢- عيد صوماريا:

ويسمونه بالعبرية الكيبور، فهو يوم الغفران أو الكفارة عند اليهود، كما أنه الصوم الكبير عندهم، وهو أهم الأعياد اليهودية على الإطلاق، ويعتبر أقدس يوم فى السنة ويطلق عليه سبت الأسبات.

وقد ورد ذكره بالتوراة، إذ جاء فى سفر اللاويين: «وكلم الرب موسى قائلا: أما العاشر من هذا الشهر السابع فهو يوم الكفارة، محفلا مقدساً يكون لكم تُذَلِّلون نفوسكم وتُقربون وقودا للرب، عملا ما لا تعملوا فى هذا اليوم عَيْنه لأنه يوم كَفَّارة للتكفير عنكم أمام الرب إلهكم، إن كل نفس لا تتذلل فى هذا اليوم عَيْنِه تُقْطَع من شعبها، وكل نفس تعمل عملا ما فى هذا اليوم عينه أبيد تلك النفس من شعبها، عملا ما لا تعملوا فريضة دهرية فى أجيالكم فى جميع مساكنكم، إنه سبت عطلة لكم فتُذَلِّلون نفوسكم، فى تاسع الشهر عند المساء من المساء إلى المساء تسبتون سبتكم».

ويبدأ الاحتفال بهذا العيد عند الربانيين قبيل غروب شمس اليوم التاسع من تشرى (أكتوبر)، ويستمر إلى ما بعد غروب اليوم التالى أى حوالى ٢٥ ساعة، أما عند القرائين فقد جعلوا الصيام أربعا وعشرين ساعة تبدأ من غروب شمس اليوم التاسع من تشرى وتنتهى بغروبها فى اليوم التالى.

وفى هذا اليوم لا يقوم اليهود بأى عمل آخر سوى التعبد والصيام ليلا ونهارا، كما أمروا بذلك وذكر فى التوراة.

والصلوات التى تقام فى هذا العيد هى أطول صلوات اليهود عموما، وتبدأ المراسيم فى المعبد بتلاوة صلاة «كل النذور»، ويختتم الاحتفال فى اليوم التالى بصلاة «النعيلاه» التى تعلن أن السماوات قد أغلقت أبوابها، ثم ينفخ فى البوق بعد ذلك.

ومن عادات اليهود فى هذا العيد، ارتداء أفضل الملابس، مع تجنب استخدام الأحذية الجلدية، فكما أن موسى تلقّى أمراً بخلع «خفه» أو حذائه قبل مناجاة ربه فى جبل سيناء[1]، فلا يجوز استخدام الأحذية الجلدية فى أماكن مقدسة مماثلة.

---

(١) يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم: ﴿ إِنِّى أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾. سورة طه آية رقم ١٢.

٣ـ عيد المظال أو عيد المظلة:

ويحتفل به اليهود لمدة سبعة أيام، أولها اليوم الخامس عشر من تشرى (أكتوبر)، وهذا العيد عطلة عندهم، وهو أيضا حج لهم، كما أمرهم الله سبحانه وتعالى، إذ جاء فى سفر اللاويين: «فى اليوم الخامس عشر من هذا الشهر السابع عيد المظال سبعة أيام للرب، فى اليوم الأول محفل مقدس عملا ما من الشغل لا تعملوا، سبعة أيام تقربون وقودا للرب، فى اليوم الثامن يكون لكم محفل مقدس تقربون وقودا للرب، إنه اعتكاف، كل عمل شغل لا تعملوا».

ويذكر البيرونى أن السامرة لا تعتبره عيدا.

ومناسبته التاريخية هى إحياء ذكرى خيمة السعف التى آوت أبناء إسرائيل فى العراء بعد الهجرة، فهى تذكرهم بإظلال الله تعالى إياهم فى التيه بالغمام[1].

لذلك فمن عادات اليهود فى هذا العيد الجلوس تحت ظلال سعف النخيل الأخضر وأغصان الزيتون، وغيرها من الأشجار التى لا يتناثر ورقها[2]، وذلك راجعاً لأوامر الله سبحانه وتعالى لهم، ففى سفر اللاويين «وتأخذون لأنفسكم فى اليوم الأول ثمر أشجار بهجة وسعف النخل وأغصان أشجار غبياء وصفصاف الوادى... فى مظال تسكنون سبعة أيام، كل الوطنيين فى إسرائيل يسكنون فى المظال، لكى تعلم أجيالكم أن فى مظال أسكنت بنى إسرائيل لما أخرجتهم من أرض مصر».

ويقول زكى شنودة إن عيد المظال كان يسمى كذلك عيد الجمع لأنه يجئ بعد جمع الغلال من الحقول، والعنب والزيتون من البساتين، إذ جاء فى التوراة: «وعيد الجمع فى نهاية السنة عندما تجمع غلاتك من الحقل».

---

(١) وقد ذكر الأستاذ أحمد شلبى فى كتابه السابق ذكره أن مدة احتفال اليهود بهذا العيد عشرة أيام، فى حين أجمعت المصادر والمراجع الأخرى على أنها سبعة أيام فقط.

(٢) ويذكر د. عبدالوهاب المسيرى أن اليهود يكتفون الآن بإقامة مظلة صغيرة ينصبونها فى إحدى شرفات المنزل.

ويعقب الاحتفال بعيد المظال يومان يحتفل اليهود بهما وهما اليوم الثانى والعشرون والثالث والعشرون من تشرى. واليوم الثانى والعشرون ـ كما يقول د. حسن ظاظا ـ يسمى باليوم الثامن الختامى لأنه يختم عيد المظال بأيامه السبعة، بل يختم كل أعياد شهر تشرى. أما اليوم الثالث والعشرون فيسمى عيد فرحة التوراة، لأنه يفتتح دورة مديدة من قراءة التوراة.

على أن المصادر العربية قد دمجت اليومان معاً، فيذكر البيرونى وابن الوردى أن اليهود كانوا يحتفلون باليوم الثانى والعشرين من تشرى، وهو الذى يعرف عندهم بعيد التبريك. وهو إحياء ذكرى اكتمال نزول التوراة فى هذا اليوم، بعد تسليمها إلى أئمتهم لتوضع فى المعابد، لذلك يخرج اليهود فى هذا العيد التوراة، فيتبركون بها، ويتفاءلون بنشرها وقراءتها. وهذا العيد هو استكمال الأعياد، وهو أجازة عندهم فتعطل فيه الأعمال.

أما المقريزى فقد أورد فى كتابه أن اليوم الثامن بعد انتهاء الأيام السبعة لعيد المظال هو عيد عند اليهود يقال له عيد الاعتكاف، وكان المقريزى قد ذكر فى سياق حديثه أن الأيام السبعة تنتهى فى اليوم الثانى والعشرين، فهل كان يقصد بيوم عيد الاعتكاف اليوم الثالث والعشرين؟!

٤ـ عيد الفصح(*):

ويعرف بعيد الفطير، وهو موسم الحج. ويسمى أيضا عيد الفسح أى الفرج بعد الضيق، وكلمة «الفسح» كلمة عبرية تعنى العبور أو المرور، نسبة إلى عبور أو مرور ملك العذاب فوق منازل العبرانيين دون المساس بهم، ونسبة إلى عبور موسى البحر، فيحتفل فى هذا العيد بذكرى نجاة بنى إسرائيل من العبودية فى مصر ورحيلهم عنها، فقد خلص الله

(*) تذكر المصادر العربية أن هذا العيد قد اتفق مع عيد الأضحى للمسلمين وعيد الشعانين للنصارى، وذلك فى عام ٢٤٤هـ/٨٥٨م وهى السنة الثانية من ولاية يزيد بن عبدالله على مصر.

تعالى بنى إسرائيل من يد فرعون وأغرقه، فخرجوا إلى التيه، فجعلوا يأكلون الخبز الفطير واللحم. وهو عيد الربيع كذلك عند اليهود.

ويحتفل اليهود القراءون به لمدة سبعة أيام، يكون بدايته اليوم الخامس عشر من شهر نيسان (آخر مارس ـ أبريل) وهو أول أيام الفطير التى لا يجوز فيها أكل الخمير، حتى غروب الشمس فى اليوم الحادى والعشرين، أما الربانيون فيحتفلون به لمدة ثمانية أيام، والسامرة يحتفلون به لمدة ستة أيام.

وقد أمرهم الله سبحانه وتعالى بذلك، ففى التوراة أن الله تعالى قال: «وفى اليوم الخامس عشر من هذا الشهر عيد الفطير للرب، سبعة أيام تأكلون فطيرا، فى اليوم الأول يكون لكم محفل مقدس، عملا ما من الشغل لا تعملوا».

وفى سفر الخروج «سبعة أيام تأكلون فطيرا، اليوم الأول تعزلون الخمير من بيوتكم، فإن كل من أكل خميرا من اليوم الأول إلى اليوم السابع تقطع تلك النفس من إسرائيل... وتحفظون الفطير لأنى فى هذا اليوم عينه أخرجت أجنادكم من أرض مصر، فتحفظون هذا اليوم فى أجيالكم فريضة أبدية، فى الشهر الأول فى اليوم الرابع عشر من الشهر مساء تأكلون فطيرا إلى اليوم الحادى والعشرين من الشهر مساء، سبعة أيام لا يوجد خمير فى بيوتكم، فإن كل من أكل مختمرا تقطع تلك النفس من جماعة إسرائيل الغريب مع مولود الأرض».

وطقوس الاحتفال بهذا العيد تبدأ بليلة التفتيش عن الخميرة، ويجب فيها على اليهودى أن يتأكد من أن أى خميرة تصلح للخبز قد أبعدت عن البيت تماما، ثم بعد هذا يأكل اليهود خبزاً لا تدخله خميرة ولا ملح تذكيراً لهم بأنهم عند فرارهم مع موسى من وجه فرعون لم يكن لديهم وقت للتأنق فى الخبز، والانتظار على العجن، ويوضع على مائدة عيد الفصح ثلاثة أرغفة من هذا الخبز. وإلى جانب ذلك ينبغى على اليهودى أن يتناول بعض المأكولات الكريهة على النفس، لتذكيرهم بما عاناه أسلافهم أثناء فرارهم فى الصحراء، كما توضع على المائدة أربعة أقداح من النبيذ.

وإلى جانب الفطير يأكل اليهودى اللحم ـ كما ذكرت سابقا ـ لذلك يضحى اليهودى بحمل أو شاه أو جدى من الماعز فى هذا العيد، كما أمرهم الله سبحانه وتعالى بذلك، إذ جاء فى التوراة «فى العاشر من هذا الشهر يأخذون لهم كل واحد شاة بحسب بيوت الآباء شاة للبيت، وإن كان البيت صغيرا عن أن يكون كُفْوا لشاة يأخذ هو وجاره القريب من بيته بحسب عدد النفوس، كل واحد على حسب أكله تحسبون للشاة، تكون لكم شاة صحيحة ذكراً إبن سنة، تأخذونه من الخرفان أو من المواعز، ويكون عندكم تحت الحفظ إلى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر، ثم يذبحه كل جمهور جماعة إسرائيل فى العشية، ويأخذون من الدم ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا فى البيوت التى يأكلونه فيها، ويأكلون اللحم تلك الليلة مشويا بالنار مع فطير، على أعشاب مُرَّة يأكلونه، لا تأكلوا منه نيئا أو طبيخا مطبوخا بالماء بل مشويا بالنار، رأسه مع أكارعه وجوفه، ولا تبقوا منه إلى الصباح، والباقى منه إلى الصباح تحرقونه بالنار، وهكذا تأكلونه أحقاؤكم مشدودة وأحذيتكم فى أرجلكم وعصيكم فى أيديكم، وتأكلونه بعجلة، هو فصح للرب، فإنى أجتاز فى أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر فى أرض مصر من الناس والبهائم...... أنا الرب، ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى أنتم فيها، فأرى الدم، وأعبر عنكم، فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر».

٥. عيد الأسابيع:

ويسمى عيد العنصرة وعيد الخطاب، وعيد الخمسين لأنه يقع فى اليوم الخمسين بعد اليوم الثانى من الفصح، وعيد الحصاد كما ورد ذكره فى سفر الخروج، إذ جاء فيه «وعيد الحصاد أبكار غلاتك التى تزرع فى الحقل» وفيه «وفى الحصاد تستريح، وتصنع لنفسك عيد الأسابيع أبكار حصاد الحنطة».

وكان قد سمى بعيد الأسابيع نسبة إلى الأسابيع التى أنزل الله تعالى فيها على بنى إسرائيل الفرائض، متضمنة الوصايا العشر المنسوبة إلى النبى موسى عليه السلام. ولأنه يجئ

بعد عيد الفصح بسبعة أسابيع، إذ جاء فى سفر التثنية «سبعة أسابيع تحسب لك من ابتداء المِنْجَل فى الزرع، تبتدى أن تحسب سبعة أسابيع، وتعمل عيد أسابيع للرب إلهك على قدر ما تسمح يدك أن تُعْطى كما يباركك الرب إلهك».

ويحتفل اليهود بهذا العيد فى اليوم السادس من شهر سيوان (آخر مايو ـ يونيو) كما أشارت إلى ذلك المصادر العربية، إلا أن الدكتور المسيرى ذكر أن مدة هذا العيد يومان: السادس والسابع من شهر سيوان[1].

وهو عيد عظيم، وفيه يحج اليهود. وترجع مناسبته التاريخية إلى نزول التوراة والوصايا العشر على موسى عليه السلام فوق جبل سيناء، ففى هذا اليوم كان مشايخ بنى إسرائيل قد حضروا إلى طور سيناء، فسمعوا قول الله تعالى مع موسى عليه السلام على الجبل، وقد أمروا أن يتخذوا فيه عيداً شكراً لله على سلامتهم فى أرضهم وغلاتهم.

ومن عادات اليهود فى هذا اليوم، أن يأخذ الفلاحون أولى ثمار الحصاد إلى الهيكل، فيقرأون عليها، ويدعون لها بالبركة، ويقومون بتزيين المعابد، ويقيمون حفل زفاف للتوراة تماماً كأنها عروس، وفيه كذلك يقوم اليهود بصنع القطائف التى يتفننون فى عملها، ويأكلونها بدلاً من المن الذى أنزله الله تعالى عليهم فى هذا اليوم.

أما العيدان اللذان أحدثهما اليهود فهما كما يقول القلقشندى:

١ـ عيد الفوز:

ويسمى عيد النصيب، وعيد المَجَلّة وهامان سور، وبالعبرية يعرف بعيد البوريم أو الفوريم من كلمة «بور» أو «فور» الفارسية، ومعناها «قرعة»، مشيرين بذلك إلى القرعة التى ألقاها هامان لتحديد اليوم الذى يهلك فيه اليهود.

---

(١) ذكر المقريزى أن عيد الأسابيع يقع فى شهر آيار، والصحيح ما أوردناه فى المتن.

ويحتفل اليهود به فى اليوم الرابع عشر من شهر آذار (آخر فبراير ـ مارس)، وفى رواية البيرونى يحتفل به فى اليوم الرابع عشر والخامس عشر من شهر آذار، أما الدكتور حسن ظاظا فيذكر أن اليهود يحتفلون به لمدة ثلاثة أيام، اليوم الثالث عشر من آذار وهو صيام عندهم يعرف بصيام إستير، واليوم الرابع عشر فهو العيد الذى يستمر طيلة اليوم ويطلق عليه يوم بوريم، واليوم الخامس عشر وهو يوم الكرنفال.

ومناسبة الاحتفال به هى نجاح «أستير» فى إنقاذ يهود فارس من المؤامرة التى دبرت لذبحهم من قبل هامان.

لذلك فمن عادات اليهود فى هذا العيد قراءة سفر أستير بأكمله فى المعابد اليهودية، كذلك عمل تماثيل يضربونها ثم يحرقونها تشبيها بإحراقهم هامان، أو يصورون من الورق صورة هامان ويملئون بطنها نخالة وملحاً ويلقونها فى النار.

وفى هذا العيد يسرف اليهود فى الشراب، فهو عندهم عيد سرور ولهو وخلاعة، يُهْدى فيه بعضهم إلى بعض.

٢ـ عيد الحانوكاه (Hanukkah):

ويعرف بعيد الشموع أو عيد الأنوار لأنهم يضيئون كل الأنوار التى فى الهيكل وفى أورشليم، كما يعرف بعيد التجديد وعيد التدشين. وذكر القلقشندى أن الحانوكاه (الحنكة كما أوردها فى كتابه) تعنى التنظيف.

ويحتفل به اليهود فى ليلة الخامس والعشرين من شهر كسلو (آخر نوفمبر ـ ديسمبر)، وهو من أعظم أعياد اليهود، يحتفل به الربانيون من دون القرائيين، وهو محدث عندهم.

والمناسبة التاريخية لهذا العيد هى دخول يهودا المكابى[1] أورشليم، وإعادته للشعائر اليهودية فى الهيكل. ويقال إن يهودا المكابى حينما دخل الهيكل وجد أن الزيت الطاهر أى الذى يحمل ختم كبير الكهنة لا يكفى إلاّ ليوم واحد، وكان من الضرورى أن تمر ثمانية أيام قبل إعداد زيت جديد كما تنص التوراة، فحدثت المعجزة واستمر الزيت فى الإحتراق لمدة ثمانية أيام بدلاً من يوم واحد.

لذلك فمدة الاحتفال بهذا العيد ثمانية أيام، ومن عاداتهم فيه أنهم يوقدون فى الليلة الأولى من لياليه على كل باب من أبوابهم سراجاً واحداً يكون باسم كل مَن فى الدار، وفى الليلة الثانية سراجين، وفى الثالثة ثلاثة، وهكذا إلى أن يكون فى الليلة الثامنة ثمانية سُرُج.

ويذكر أن سبب الاحتفال بهذا العيد أن بعض الجبابرة تغلب على بيت المقدس، وفتك باليهود وبالأعراض، فوثب عليه كهُانهم وكانوا ثمانية فقتله أصغرهم، وفى رواية البيرونى أنهم كانوا ثمانية أبناء لرجل، فقتله أصغرهم، فاتخذه اليهود عيداً لمدة ثمانية أيام بعدد الأخوة.

---

(١) المكابيون والحشمونيون: أسرة من الكهنة ـ الملوك، حكمت اليهود فى فلسطين، وكان أول من حكم من هذه الأسرة هو سيمون المكابى الحشمونى عام ١٤٣ ق.م. وكان «ميتاس الحشمونى» قد قاد ثورة عام ١٦٧ ق.م ضد اليونانيين عندما أجبروا اليهود على تقديم القرابين للآلهة اليونانية، إلا أنه هزم ومات، فتولى ابنه يهودا المكابى أو ماكبياس قيادة الثائرين عام ١٦١ ق.م، وتنتسب الأسرة لهذا الكاهن.

[٣] الملابس:

- أوامر الخلفاء لتمييز ملابس أهل الذمة.
- ملابس اليهود:
  - ملابس خاصة بالرجال.
  - ملابس خاصة بالنساء.
- عادات اليهود الخاصة بالملابس.
- الملابس المفضلة لليهود.
- ألوان الملابس المفضلة لليهود.
- غلاء الملابس وتجارة الملابس المستعملة.
- أنواع الملابس:
  - الملابس الجاهزة.
  - الملابس التفصيل.

[٣]

الملابس

تعتبر الملابس مظهراً من مظاهر الحياة الاجتماعية، تعكس مكانة الطبقات الاجتماعية وعلاقاتها ببعضها البعض، فقد تكون مظهراً للسيادة السياسية والاقتصادية، وقد تكون مظهراً للتبعية.

فإذا أردنا أن نطبق هـذه القاعـدة علـى اليهـود فـى مصر، نلاحظ أن العرب عندما فتحوا مصر عام ٢٠هـ/٦٤١م، لم تكن ثمة حاجة منهم لإلزام أهل الذمة بلبس معين يميزهم عن العرب، إذ كـان لكـل من الفريقين وقتذاك ثيابه الخاصة، وكان أهل الذمة يفعلون ذلك من تلقـاء أنفسـهم دون جبر أو إلزام، فليس من المعقول ـ كما تقول د. سيدة كاشف ـ أن يتدخل عمر بن الخطاب فى ملابس أهل الذمة، حتى ولو تشبهوا بالعرب القـادمين، والمعقـول أن العرب، الذين كانوا فى دور البساطة زمن الفتح هم الذين أخذوا يتشبهون بأهل البلاد المفتوحة فى ملابسهم، حين بدأوا يتخلون عـن البسـاطة، ويسيرون فـى ركـب التطور والمدنية.

وترى د. سيدة كاشف أن ما ورد فى كتب الفقهاء عن أمور اشترطها عمر بن الخطاب على أهل الذمة بخصوص ملابسهم، مما يميز بينهم وبين المسلمين من الناحية الاجتماعية والأدبية ـ قد أصابها الزيادات الكثيرة، والتأويلات وسوء التفسير والتحريف خاصة منذ القرن ٥هـ/١١م.

ويشير جويتاين إلى أن محاولات الخلفاء تمييز أهل الذمة عن المسلمين قد سجلت بصورة مفصلة فى كتب التاريخ الإسلامى، فى الوقت الذى لم نجد لها أى ذكر أو صدى

فى وثائق الجنيزة، فقط فى نهاية العصر الأيوبى، عندما تقرأ هذه الفقرة فى خطاب أرسل من الفسطاط، يقول فيه الراسل: فى هذا اليوم، أعلن رسول السلطان فى النهار والليل، أن أى يهودى أو مسيحى يمشى فى الشارع نهاراً أو ليلاً بدون العلامة المميزة له، أو الحزام، سيغرم.

وتلاحظ د. فاطمة عامر أن أحكام وأوامر الخلفاء التى وردت فى كتب التاريخ الإسلامى عن الملابس – كانت تصدر بإسم أهل الذمة أو باسم النصارى دون ذكر اليهود، وقد رأينا ذلك فى أوامر الخليفة عمر بن عبدالعزيز(*) والخليفة هارون الرشيد(**)، والخليفة المتوكل(***)، والأخير هو الذى ذكرت بعض المصادر بأنه قد ألزم اليهود بعدم ارتداء الملابس البيضاء، وارتداء الملابس المصبوغة.

(*) وهو عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم... أبو حفص القرشى الأموى المعروف. أمير المؤمنين. كان تابعيا جليلا، حفظ القران فى صغره، فبعثه أبوه من مصر، فتفقّه بالمدينة، حتى بلغ رتبة الاجتهاد. روى عن أنس بن مالك، وعن خلق من التابعين، وعنه جماعة من التابعين وغيرهم. وكان يقال له أشج بنى أمية، لأن دابة من دواب أبيه رمحته فشجّته وهو غلام. وقد ولد عمر بن عبدالعزيز بمصر عام ٦١هـ/ ٦٨٠م، وقيل عام ٦٣هـ/٦٨٢م، وقيل عام ٥٩هـ/٦٧٨م. وبويع له بالخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبدالملك عام ٩٩هـ/٧١٧م، وتوفى عام ١٠١هـ/٧١٩م ودفن بدير سمعان، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر.

(**) وهو هارون الرشيد بن المهدى محمد بن المنصور... بن عبدالمطلب، القرشى، الهاشمى، أبو محمد ويقال أبو جعفر. أمير المؤمنين. ولد بالرى عام ١٤٦هـ/٧٦٣م، وقيل عام ١٤٧هـ/٧٦٤م، وقيل عام ١٥٠هـ/٧٦٧م. وبويع له بالخلافة بعد موت أخيه موسى الهادى عام ١٧٠هـ/٧٨٦م بعهد من أبيه المهدى. كان من أحسن الناس سيرة وأكثرهم غزوا وحجاً، وكان يحب الفقهاء والشعراء ويجزل لهم العطاء. من أعماله عقد الهدنة بين المسلمين والروم بعد محاصرته القسطنطينية. توفى بطوس عام ١٩٣هـ/٨٠٨م. مدة خلافته ٢٣ سنة وشهر و١٨ يوما وقيل ثلاثة أشهر.

(***) يذكر القلقشندى أن المتوكل هو أول من أمر بتغيير زى أهل الذمة.

ولم تذكر المصادر التاريخية شيئا عن إلزام اليهود بنوع خاص من الملابس – كما تقول د. فاطمة عامر – حتى عهد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله (٣٦٢-٣٦٥هـ/ ٩٧٢-٩٧٥م)، الذى أمر فى عام ٣٦٢هـ/٩٧٢م «بألا يظهر يهودى إلاّ بغيار(*)».

ثم فى عهد الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م)، وذلك فى عام ٣٩٥هـ/١٠٠٤م عندما قرئ سجل فى جوامع مصر والقاهرة بأن تلبس النصارى واليهود الغيار والزنار، وغيارهم السواد غيار العباسيين، وأن يشدوا الزنار.

وأعاد هذا الأمر مرة أخرى، وزاد عليه فى عام ٣٩٨هـ/١٠٠٧م بأن يحمل اليهود فى أعناقهم قرامى الخشب وهى ظاهرة فوق ثيابهم، وزنتها خمسة أرطال بالمصرى، وفى روايات أخرى ستة أرطال(**). وفى عام ٣٩٩هـ/١٠٠٨م نودى بألا يمشى يهودى إلاّ بغيار، وضربوا على ترك ذلك، وفى عام ٤٠٠هـ/١٠٠٩م اشتد الأمر على اليهود فى إلزامهم لبس الغيار، وفى عام ٤٠٣هـ/١٠١٢م أمروا بلبس العمائم السود.

على أية حال، فإن هذه الأوامر لم تكن ملزمة بالدرجة المانعة، بدليل تكرارها، وعدم الإلتزام بها، يتضح ذلك من وثائق الجنيزة، فقد كان فى استطاعة اليهودى أن يلبس مثلما يلبس المسلم، وبالتالى كان اليهودى، سواء من الطبقة العليا أو الدنيا لا يختلف عن المسلم فى ملابسه.

ففى إحدى الرسائل التى وردت بالجنيزة، شكا كاتب مسلم من أن النساء من أهل الذمة «عندما يتركن منزلهن، ويمشين فى الشوارع، يتم التعرف عليهن بصعوبة.... ومنهم

(*) الغيار هو الشارة التى يعرف بها كل من الرعايا غير المسلمين التابعين للدولة الإسلامية.

(**) الرطل بكسر الباء وفتحها من الأوزان التى شاعت فى ديار العرب منذ عهد الجاهلية. قال فى اللسان: الرَطْل والرِطْل (ضبط الأول ضبط خط الفتح والثانى بالكسر).
وقد اتفق جميع علماء اللغة من الغربيين وكذلك فريق المستشرقين على أن الرطل تعريب اليونانى Litra ومثله فى الرومى.
والرطل المصرى يقدر بمائة وأربعة وأربعين درهما.

مَن يدخلن المحلات التجارية ويجلسن بها، فينلن احترام التجار، بسبب ملابسهن الفخمة، غير مدركين أنهن ذميّات».

كما ورد فى خطابات الجنيزة هذه الملاحظة أكثر من مرة: «حامل هذا الخطاب مسلم».

كذلك أشار جويتاين إلى قصة أحد الشباب اليهود الذى سافر إلى الاسكندرية، وهناك عمل فى إحدى الورش الخاصة بالمسلمين، حتى اكتشف أنه يهودى! ويرى جويتاين أن امتناعه عن العمل يوم السبت، وعدم قدرته على تفسير ذلك، ربما هو السبب فى كشفه.

ملابس اليهود:

ذكرت سابقا أن أهل الذمة عموماً كان لهم ملابس خاصة بهم، أما بالنسبة لليهود خاصة، فقد وردت فى وثائق الجنيزة أسماء بعض الملابس التى يبدو أنها كانت تختص باليهود وحدهم، خاصة وأن المصادر الأخرى لم تشر إليها ـ كما يقول جويتاين.

وقد كانت لملابس اليهود بعض السمات الخاصة، التى اتضح منها أنها تتعلق بمعتقداتهم الدينية، ومن هذه الملابس: **«الأردى»** (ardi) وهو يشبه الشال. ويصفه جويتاين بأنه قطعة قماش مستطيلة أو مربعة، يثبت بأطرافها شراشيب.

وكان وضع الشراشيب من الواجبات الدينية، والتى تم وصفها فى التوراة، فقد كان النظر إلى مَن يرتديها، يذكرهم بأوامر الله سبحانه وتعالى[1].

ويذكر جويتاين أن التاجر الهندى أبا ذكرى كوهين[2] فى أثناء إحدى رحلاته، كتب إليه ابنه سليمان (sulayman): أرجو عمل أردى (ardi) لى بعرض ٦٫٥ ذراع، وطول ٦ ذراع أو أقل. يمكن أن يقوم مقام التاليث (tallith).

(١) إذ جاء فى سفر العدد: «وكلم الرب موسى قائلا: كلم بنى إسرائيل وقل لهم أن يصنعوا لهم أهدابا فى أذيال ثيابهم فى أجيالهم... فتكون لهم هُدبا فترونها وتذكرون كل وصايا الرب وتعمَلونها». (العدد ١٥/٣٧-٣٩).

(٢) وعنه أنظر، الفصل الخاص باليهود والحياة التجارية فى مصر.

و**«التاليث»** (tallith): هو عبارة عن شال مزين بالشراشيب، يلبس فى الجزء العلوى من الجسم. ويرجح جويتاين أنه كان يشبه الأردى. إذ كان يلبس أثناء الصلاة، كما كان خَدَمَة المعبد يلبسونه.

ويذكر جويتاين أن «التاليث» من الملابس التى لم يقتصر لبسها فقط على اليهود، وإنما كان علامة تدل على الطبقة والمهنة داخل الطائفة اليهودية نفسها.

أما **«الإزار»** (izar): فهو دثار كبير أو معطف، مثبت عليه شراشيب. وقد ورد ذكره فى وثائق الجنيزة مرتين: مرة لاستخدامه فى الصلاة، ومرة بوصفه زيا للكهنة الذين يقومون بشعائر الصلاة.

وفى رسالة لشاب صغير إلى أبيه فى القدس قال له: «اشترِ لى إزاراً (izar) حلبيا (من حلب)، حتى يمكننى أن أؤدى به الصلاة طوال الوقت».

ويذكر جويتاين أنه من المحتمل أنه كان يشير إلى قطعة غير غالية الثمن من القطن السورى.

ومن الملابس أيضاً **«الشاشيه»** (shashiya): وهى قطعة طويلة من القماش الجيد، يمكن استخدامها كعمامة (turban)، أو شال، وكانت تستخدم أيضا كإشارب للصلاة[1].

وفى خطاب من عدن إلى القاهرة، طلب الراسل فيه «شاشيه»، يكتب بالتطريز على حروفها اسم الشخص الذى سوف يرتديها، مع بعض العبارات المقتبسة من التوراة مثل: «فليباركك الرب». أو آيات مشابهة لذلك.

أما الملابس الخاصة بالنساء، فمنها على سبيل المثال: **«الجوكانيه»** (Jukaniyya): التى وردت مرات عديدة فى وثائق الجنيزة، ولكنها اختفت من المصادر العربية. مما يرجح ـ كما يقول جويتاين ـ أنها كانت مفضلة بصفة خاصة عند النساء اليهوديات.

(١) الشاشية: ما يلبس على الرأس دون عمامة، أو ما يدار حوله العمامة، وهى من قماش الشاش المعروف.

و«الجوكانيه» ربما تكون ـ كما يقول جويتاين ـ نوعاً من الملابس المعتادة، ولكن أقصر، ومن هنا فهى عملية أكثر بالنسبة للأعمال المنزلية العادية.

أما «**المخلف**» (mukhlaf): فهو عبارة عن قطعة قماش مرقعة، مصنوعة من قطع قماش مختلفة الألوان والأشكال.

وقد وردت فى وثائق الجنيزة أكثر من خمسين مرة، ولم ترد إطلاقاً فى المصادر العربية.

ويرجح جويتاين أن هذا الرداء كان مفضلا عند اليهود. ويذكر أنه على الرغم من أنه كان علامة على الفقر، فقد أصبح مودة مع مرور الوقت.

وهناك «**المختومة**» (makhtuma): ويعنى بها الملابس التى ينقش عليها شعار. ويذكر جويتاين أن هذا النوع من الملابس لم يرد أيضا ضمن الملابس الإسلامية.

والشعار الذى يزين به «المختومة» هو شعار يهودى مثل: الشمعدان ذو السبع شمْعات أو المينوراه (Menorah)[1] التى وصفت فى التوراة، وزينت بها العديد من الملابس اليهودية على مر العصور.

«**المارقة**» (ma'raga): وهى قلنسوة للرأس ضيقة لامتصاص العرق، كانت تلبس تحت غطاء الرأس. وقد وصفت فى قائمة ممتلكات أحد المتوفين على أنها تخص المرأة.

ومن الملابس التى كان اليهود يلبسونها وورد ذكرها فى الجنيزة: «**الفوطه**» (Futa) وهى تشبه السارى الهندى.

---

(٣) المينوراه: كلمة عبرية تعنى «الشمعدان»، أصلها الشمعدان الذهبى ذو الفروع السبعة الذى كان قائما فى خيمة الإجتماع، وقد كان فى هيكل سليمان عشر مينورات ذهبية، فضلا عن مينورات فضية أخرى. وشكل المينوراه شجرى بعمودها وأذرعها المشكلة على هيئة زهور اللوز إشارة إلى فكرة شجرة الحياة. وفى سفر زكريا تفسير لشعلاتها السبع بأنها «أعين الرب الجائلة والأرض كلها»، ولفصيها بأنهما الملاكان الواقفان بين يديه، وهو رمز كونى كما يتبين. وتفسر المينوراه أحيانا بأنها ترمز أيضا لأيام الخلق الستة ويوم السبت. ويفسرها المؤرخ يوسف (عصر رومانى) بأن شعلاتها السبعة ترمز إلى الكواكب السبعة. وفى كل معبد يهودى توجد مينوراه توضع اقتداء بمينوراه هيكل سليمان.

ومن الملابس التى ذكرت فى وثائق الجنيزة على أنها مخصصة للنوم: عباءة «ريدا» (rida)، والملاءة (Mula'á)، و«الملحفة» (malhafa)، و«الإزار» (izar).

ويرى جويتاين أن هذه الملابس، كانت متشابهة مع الملابس التى كانت تلبس أثناء النهار، فيذكر أن أحد علماء اليهود، قد شكا من أن ملابسه للنوم والنهار ويوم السبت جميعها متشابهة.

عادات اليهود الخاصة بالملابس:

ومن عادات اليهود الخاصة بالملابس، أن الروب كان يجب أن يغطى الجسم بكامله «رداء الرجل المحترم»، ويلاحظ أن الملابس الفضفاضة التى تغطى الجسم كانت من سمات العصور الوسطى.

ويرى جويتاين أن عادة ارتداء ملابس تتكون من عدة طبقات (تبلغ أحيانا خمس أو عشر طبقات) ـ أدت إلى عدم التمييز بين أزياء الذكور وأزياء الإناث إلى حد كبير، وأنه عند الحاجة كان يمكن للزوج وللزوجة أن يرتديا نفس الملابس الخارجية.

والحقيقة أن وثائق الجنيزة تزخر بالكثير من الأمثلة لارتداء كل من الزوج والزوجة نفس الملابس، فقد كتب رجل من بنها، أنه وهو فى طريقه إلى الاسكندرية، سرقت عباءته الجديدة، التى تبلغ قيمتها $\frac{٣}{٤}$ دينار، ولم يكن يمتلك غيرها لاستعمالها فى السفر، أو فى المدينة، كما لم تكن زوجته تمتلك غيرها أيضا للخروج بها إلى الشارع[1].

---

(١) يذكر جويتاين أن عادة اشتراك الزوج والزوجة فى استخدام نفس الملابس لم تقتصر فقط على اليهود، وإنما اتبعها كذلك المسلمون، فقد أورد جويتاين رواية عن مسلم من القيروان كان قد ذهب لصلاة الجمعة فى الجامع وهو يرتدى رداء زوجته، حيث أنه غسل بنفسه رداءه الوحيد الذى كان يمتلكه «والرداء هنا يقصد به القميص العربى (Arabic qamis)».
على أن الفقر لم يكن هو السبب الوحيد الذى يجعل الرجل يرتدى قطعة من ملابس زوجته، ودليل ذلك ـ كما يقول جويتاين ـ أن عثمان بن عفان خليفة المسلمين، كان قد شوهد وهو يرتدى رداء من الحرير قيمته ٨٠٠ دينار، وقد فسر ذلك بأنه كان قد اشتراه لزوجته التى كانت تسر عندما تراه يرتديه.
ولم نجد شيئا من ذلك فيما رجعنا إليه من المصادر الإسلامية.

ومن الملابس التى كان فى إمكان الرجل والمرأة استخدامها على حد سواء، وورد ذكرها فى الجنيزة:

«الثوب» (thawb) والمقصود به الروب، و«الحلة» (hulla) وهو رداء الاحتفالات، و«الملحفة» (Malhava) وهى العباءة، و«الملاءة» (mula'a) وهى مثل العباءة التى يلف بها الجسم، و«الجبة» (Jubba) وهى عباءة ذات أكمام، و«الجوكانية» (Jukaniyya) وهى الرداء القصير، و«الجيلاله» (ghilala) أى القميص الداخلى.

كذلك كانت الأكمام الواسعة من سمات الملابس فى تلك العصور، فقد كانت تستخدم كمكان لحفظ المتعلقات الشخصية بدلا من الجيوب التى لم تكن ـ كما يقول جويتاين ـ موجودة فى ملابس العصور الوسطى فى الشرق الأدنى وأوربا.

وكانت هذه الأكمام تزين بشريط مطرز مختلف لونه عن لون القماش.

ويذكر جويتاين أن الأكمام كان من الممكن شراؤها منفصلة عن بقية الرداء، أو تقديمها هدية بمفردها، ففى إحدى الرسائل التى وردت فى وثائق الجنيزة يقول فيها الراسل: «لقد شملتنى بأفضالك من تاج رأسى حتى أخمص قدماى، فملابسك الفخمة على جسمى، فضلا عن الأكمام المطرزة على الجانبين». ويذكر جويتاين أن الأكمام ذكرت فى الرسالة بشكل منفصل عن الرداء.

ومن عادات الشعوب فى العصور الوسطى ومنهم اليهود، الحرص على ارتداء غطاء للرأس، فقد كانت العمامة (turban) من سمات الشخص المحترم كما يقول جويتاين.

لذلك فقد ارتدى كل شخص يهودى ـ بما فى ذلك أطفال المدارس ـ أغطية للرأس، وكان حجم العمامة يدل على أهمية صاحبها.

وغالبا ما كانت النقود تنفق على غطاء الرأس أكثر مما تصرف على ملابس الجسم، ففى خطاب من مدينة صغيرة (لم يذكر جويتاين اسمها) كان الراسل مستعداً لدفع مبلغ ٥ دنانير للعمامة، و٣ دنانير فقط للرداء.

ويذكر جويتاين أن العمامات التى كانت تصنع من القطن، كان من الممكن أن تتكلف مبلغا يصل إلى ٣ دنانير، فى حين أن الرداء كان يتكلف من دينار واحد إلى دينارين فقط.

وكان غطاء رأس المرأة أو الخمار يعرف «بالميجار» (mijar). وقد وصف فى إحدى قوائم جهاز العروس بأنه شبيه بالعباءة، مما يعنى ـ كما يقول جويتاين ـ أنه كان كبيرا بحيث يمكن لفه على الجسم كله. وفى خلال الترحال أو السفر كان يمكن لف طرفه ليلتف حول الرقبة لحماية الجسم من الغبار والأتربة.

ويذكر جويتاين أن «الميجار» فى القرن ٥هـ/١١م وبالتحديد فى عام ٤١٩هـ/١٠٢٨م (زمن الخليفة الفاطمى الظاهر ٤١١-٤٢٨هـ/١٠٢٠-١٠٣٦م) ـ كان ثمنه ضعف أحسن فساتين الأعياد. وفى منتصف القرن ٦هـ/١٢م كان يساوى من ثلاثة إلى خمسة أضعاف أحسن الفساتين.

أما المنديل الرومى (Mandil Rumi) فأقرب ترجمة له ـ كما يقول جويتاين ـ هو الطرحة الأوربية (European mantilla). وقد انتشر لبسه بين النساء اليهوديات فى دمشق وفى الفسطاط، كما ظهر ذلك من خلال قوائم جهاز العرائس خاصة منذ منتصف ق ٤هـ/١٠م، وحتى القرن ٦هـ/١٢م أى طوال قيام الخلافة الفاطمية فى مصر (٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٨-١١٧١م) وقد تم تقليده فى مصر، خاصة فى تنيس.

ويذكر جويتاين أن «المنديل الرومى» مختلف عن «الرومية» (Rumiyya)، وذلك لأنهما ذكرا معاً فى إحدى الوثائق مع الخمار. ويرى أن المنديل الرومى والخمار هما أغطية للرأس، أما الرومية فربما كانت نوعا من الجاكت، أو نوعاً من الفساتين لم تحرص السيدة اليهودية على إرتدائها قبل القرن ٧هـ/١٣م (زمن الدولة الأيوبية ٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م)، لأن منذ بداية هذا القرن وجدت وثيقة تتحدث عن امتلاك عروس يهودية لثلاث «روميات».

وإلى جانب الاهتمام بلبس العمامة على الرأس، اهتم اليهود اهتماماً خاصاً بالحذاء. فيذكر جويتاين أن الفرد اليهودى كان يشترى كمية كبيرة من الأحذية من بلاد أخرى، ليس على سبيل الإتجار بها، ولكن على سبيل الاستعمال الشخصى.

والأحذية فى تلك العصور كانت ملونة، كما هو الحال فى عصرنا الحالى، فمن ضمن بضاعة كبيرة أرسلت من الفسطاط إلى تونس عام ٤٥٨هـ/١٠٦٥م زمن الخليفة الفاطمى المستنصر بالله (٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م)، استلم أحد المرسل إليهم من هذه البضاعة، زوجاً من الأحذية ذات اللون الأحمر.

كما ورد فى رسالة مرسلة إلى الفسطاط فى نفس الوقت تقريبا: «أرجو أن تبتاع لى زوجا من الأحذية الصفراء من أرقى الأنواع».

ويذكر جويتاين أنه لم يعثر مطلقا فى وثائق الجنيزة على أية إشارة إلى استخدام اليهود لأحذية باللون الأسود، ويرى أن ذلك راجعا إلى اعتبارها علامة على الحداد.

كما يذكر جويتاين أنه كان من عادات اليهود خلع الحذاء عند دخولهم المعبد، كما هو الحال مع المسلمين عند دخولهم الجامع.

كذلك اهتم اليهود بأن يلبس أولادهم ملابس لائقة عند ذهابهم إلى المدرسة، خاصة أنهم كانوا يدرسون الكتاب المقدس بها، لذلك كان لابد أن يكونوا فى صورة لائقة. ففى رسالة أرسلت من دمشق عام ٥٢١هـ/ سبتمبر ١١٢٧م (زمن الخليفة الفاطمى الآمر ٤٩٥- ٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩م) إلى شقيق كاتب الرسالة بالقاهرة يقول فيها: «إن ابنك إيلى (Eli) سعيد بنفسه، ويسعد قلوب الآخرين. وهو يتمنى الآن أن يتم إرساله إلى الكتّاب (kuttab)، وفى حالة عدم عودتك فى الميعاد المحدد، أرجو أن ترسل بعض الملابس اللائقة له وغطاء الرأس».

وكان من عادات اليهود أيضا ارتداء الملابس الفاخرة عند الموت، على اعتبار أن المرء سوف يقابل نظرة الرب الفاحصة له بعد الدفن. ومن المحتمل أن تكون هذه الملابس جديدة أو مستعملة استعمالا بسيطا. على ألاّ يتحلّوا بأية مجوهرات[1].

ويذكر جويتاين أنه من دراسة عقود الزواج اتضح أن من عادة اليهود أن الزوج يكون ملزماً بتوفير الملابس لزوجته فى الصيف وفى الشتاء، وفقاً لما تسمح به قدرته المادية، بحيث أنه إذا كان قادراً على أن يشترى لها ملابس من الحرير أو ملابس مطرزة، ولم يفعل يجبر على فعل ذلك، وإلاّ تمت مقاضاته أمام المحكمة.

وقد اهتم اليهود اهتماماً كبيراً بلبس الملابس المصنوعة من الحرير، التى كانت عادة تلبس فى الشتاء، أما الملابس التى كانت تلبس فى الصيف فهى المصنوعة من الكتان، وكانت أكثر شيوعاً فى وثائق الجنيزة.

وقد ورد فى الجنيزة أنواع عديدة من نسيج الكتان استخدمها اليهود، منها: النوع الدبيقى، نسبة إلى مدينة دبيق[2]، الذى استخدم لكل أنواع الملابس بدءاً من «الجيلالة» (ghilala) وهى الملابس الداخلية، إلى «الملاءة» (Mulà'a) وهى العباءة التى يلبسها المرء أثناء خروجه من المنزل.

و«الشـرْب» (sharb) وهو من أجود أنواع الكتان، غالى الثمن. استخدم فى الملابس الداخلية للنساء، وكذلك فى العباءة والعمامة وغيرها.

---

(١) ويرى جويتاين أن السبب فى ذلك لا يرجع مطلقا إلى اعتبارات اقتصادية، فقد كان يمكن للمرء أن يكون لديه خاتم من ذهب قيمته أقل من ٢ دينار، وهو مبلغ أقل بكثير من تلك المبالغ التى خصصت لملابس الدفن.

(٢) دبيق: من قرى مصر قرب تنيس. وقد اندثرت، ومكانها اليوم يعرف بتل دبقو أو دبجو بالقرب من شاطئ بحيرة المنزلة فى الشمال الشرقى لناحية صان الحجر بمركز فاقوس بمديرية الشرقية، وعلى بعد ٥٥٠٠ متر من صان الحجر.

وقد وصف فى قائمة جهاز لعروس على أنه كان مطعما بالحرير، وهو ما يعنى ـ كما يرى جويتاين ـ أنه كان مطرزا بالحرير، أو استخدم الحرير على أطرافه، دون أن يدخل فى صناعة النسيج نفسها.

والنوع التنيسى: نسبة إلى مدينة تنيس[1]. وكان هذا النوع يستخدم فى الغالب لعمل أغطية الأسرة والبِطَانات، وليس للملابس.

والنوع الاسكندرانى: نسبة إلى اسكندرية. وكان يستخدم فقط فى صنع البطّانيات، لاستخدامها كغطاء لليل وأحيانا كملبس.

أما الملابس المصنوعة من القطن، فقد كانت ملابس الفقراء فى ذلك العصر، فهى أقل متانة من الكتان، لذلك فقد غاب ذكرها من قوائم العروس.

وفى إحدى الخطابات المرسلة من الاسكندرية إلى التاجر نهراى بن نسيم، يقول فيها الراسل: «سيدى! يوجد هنا فى المنزل الذى أقطنه، إمرأة شابة فقيرة، لا يوجد لديها ما ترتديه فى برد الشتاء القارس، وكما تعلم، فإننى لا يمكننى حاليا إعطائها أية ملابس خارجية. وربما يمكنك جمع مبلغ نصف دينار من أصدقائك، لشراء قطعة قماش من القطن، تكفى لعمل رداء لها، فتنال حسنة فى مقابل ذلك».

ويذكر جويتاين أن القطن فى مصر كان يستخدم غالبا ـ فيما يبدو ـ فى عمل الملابس الخاصة بالحِرَفيين، والملابس الداخلية وأغطية الأسرّة، هذا بالإضافة إلى استخدامه كبطانة للعباءات، والأغطية المصنوعة من الألياف الأخرى.

---

(١) تنِّيس: بكسرتين وتشديد النون وياء ساكنة والسين مهملة. وهى جزيرة فى بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط. والفرما فى شرقيها. ويقول محمد رمزى فى قاموسه: إن الجزيرة التى كانت بها مدينة تنيس لاتزال موجودة إلى اليوم ببحيرة المنزلة، ومعروفة بجزيرة تنيس، وبها بعض بقايا من الطوب الأحمر المخلف من مبانيها القديمة. وهذه الجزيرة واقعة فى الجنوب الغربى لمدينة بورسعيد وعلى بعد تسعة كيلو مترات منها.

وكان استخدام الملابس الصوفية قليلا كذلك، ويرجع ذلك إلى جو مصر الحار، وتعرض الصوف ـ بالتالى ـ إلى العثة، وأنواع أخرى من التلف. وقد اعتبر الصوف الذى من الأنواع الرديئة رداء للمتسولين.

وكان الرداء الوحيد المصنوع من الصوف الذى ورد ذكره فى وثائق الجنيزة هو «الجبة» (Jubba) أو العباءة. ففى سجل محكمة مؤرخ فى عام ٦١٥هـ/١٢١٨م (زمن الملك الكامل ٦١٥- ٦٣٥هـ/ ١٢١٨-١٢٣٧م)، حازت أرملة على «جبة» من الصوف على اعتبار أنها من ممتلكات زوجها المتوفى.

أما ألوان الملابس التى اهتم اليهود باقتنائها، خاصة النساء اليهوديات، فقد كان على رأسها اللون الأبيض، يليه اللون الأزرق.

ويذكر جويتاين أن اهتمام اليهوديات باللون الأزرق كان يبدو أمراً غريباً فى مصر وفلسطين وبعض الأماكن الأخرى، الذى كان هذا اللون فيه يعتبر علامة نحس أو شؤم، لدرجة أن المرء كان يصف الأزرق بأنه أخضر، لكى يتفادى النحس!

ويرى جويتاين أن اللون الأزرق باعتباره لونا جذابا، كان يجلب الحسد، ولذلك كان المرء يحمى أطفاله وزوجته الحامل بتزيينهم بالخرز الأزرق وما شابه ذلك، لطرد الحسد.

أما النوع الثالث الذى ذكر فى أوراق الجنيزة واهتم بإقتنائه اليهود، فهو اللون الأخضر.

ويذكر جويتاين أن اللون الأصفر على وجه التحديد، كان محرماً على ملابس النساء اليهوديات. ويفترض أن يكون ذلك من أوامر الفاطميين، خاصة وأن اللون الأصفر ـ كما يقول جويتاين. كان من الألوان المفضلة عند النساء العباسيات. على أن وثائق الجنيزة تشير إلى أنه كان من الألوان المفضلة لدى الرجال اليهود.

وبخلاف اللون الأصفر، الذى استخدم فى المفروشات المنزلية، والذى كان غائبا عن ملابس النساء اليهوديات، ظهر اللون الأسود فى قائمة الملابس، وكان يستخدم فى

الأرواب والشيلان والأحزمة وغير ذلك. وكان اللون الأسود معروفا عند العرب واليهود بأنه لون الحداد.

كذلك كان اللون الأزرق الغامق (الكحلى)، يستخدم مثل اللون الأسود فى العباءات والشيلان.

أما اللون الأرجوانى، فقد اقتصر لبسه قديما على طبقة الحكام فقط، ثم بعد ذلك انغمست الفئة العليا من الطبقة البورجوازية فى هذا الترف ـ كما يقول جويتاين.

وقد أوضحت المصادر أن اليهود كانوا يمتلكون الورش الخاصة بصناعة اللون الأرجوانى، ففى سجل محكمة بالفسطاط، تركت ورشة لصناعة اللون الأرجوانى لأحد الأيتام.

ويرى جويتاين أن اللون الأرجوانى قد استخدم لصبغ جزء من الملابس فقط، ولم يكن للملابس بكاملها، لأنه كان مكلفا للغاية، حيث كان يلزم للحصول على الصبغة المطلوبة عدد كبير من المحارات البحرية.

وكان من عادات اليهود، الحرص على ارتداء ملابس جديدة فى الأعياد، خاصة فى عيد الغفران، أو يوم الكفارة، أو فى أيام الصيام.

ففى رسالة كتبت فى حوالى ٦٢٦هـ-٦٢٧هـ/ ١٢٢٨م-١٢٢٩م (زمن الملك الكامل ٦١٥-٦٣٥هـ/ ١٢١٨-١٢٢٧م) طلبت فيها سيدة من عدن من ابنها الذى كان مسافراً إلى القاهرة، أن يشترى لها فستانا جديداً «ليوم الغفران».

ويرى جويتاين أن البيئة الإسلامية ربما تكون قد أثرت على اليهود فى عادة لبس الملابس الجديدة يوم الأعياد أو فى الصيام، فقد كان من عادة المسلمين ارتداء الملابس الجديدة فى الأعياد، بما فى ذلك شهر رمضان وهو شهر الصيام. وقد تم الإشارة إلى ذلك فى خطاب للتاجر يوسف بن عوكل، فعندما طلب أحد عماله العباءة ليلبسها، اعتذر بأن اقتراب أعياد المسلمين، بما فى ذلك شهر رمضان، جعل مدينة الاسكندرية خالية من الملابس فى تلك الفترة.

ويذكر جويتاين أن هذه العادة لم تكن منتشرة بين اليهود فى أوربا المسيحية فى العصور الوسطى.

وفى إحدى الشكاوى التى وردت فى رسائل الجنيزة، شكوى من أحد قادة جوقة الترتيل فى المعبد إلى النجيد مبارك (Mevorakh)، وذلك بعد فَقْد ملابسه فى النيل يقول له فيها: «لم يعد لدى شئ (رداء) جميل أحتفل به فى العيد».

وكان من عادات اليهود الاهتمام بملابس يوم السبت على اعتبار أنه يوم الرب ورمز القدسية. ويذكر جويتاين أن ملابس هذا اليوم كانت ـ فى العادة ـ تتكون من غطاء للرأس، ورداء، يغطى بشال بسيط أو عباءة.

ويذكر جويتاين أنه كان من عادة الطائفة اليهودية، توزيع بعض الملابس على المحتاجين وعلى صغار الموظفين من النساء والرجال. وكان كل من الجنسين يتسلم نوعا واحدا من الملابس مثل: «الجوكانية» (jukaniyya)، أو «الفوطة» (Futa) وذلك للحفاظ على المساواة. وقد أورد جويتاين قائمة بأسماء خمسة عشر متسلماً ومتسلمة لهذه الملابس.

كذلك كان هناك التقليد المتبع فى المجتمع اليهودى، وهو إعطاء العائلات القادرة على شراء ملابس جديدة، ملابسها المستعملة للفقراء، حتى يتشارك الجميع فرحة تغيير أو تجديد الملابس.

ففى إحدى الرسائل التى وردت فى وثائق الجنيزة والمؤرخة عام ٤١٩هـ-٤٢٠هـ/ ١٠٢٨م-١٠٢٩م (زمن الخليفة الفاطمى الظاهر ٤١١-٤٢٨هـ/ ١٠٢٠-١٠٣٦م)، والتى بعث بها أحد عمال التاجر يوسف بن عوكل من الاسكندرية إلى القاهرة ـ طلب فيها أن يهديه إحدى عباءاته القديمة بمناسبة «يوم الصيام».

وكانت الملابس غالية الثمن جدا، إذا قورنت بميزانية الأسرة فى الشهر الواحد، فقد ورد فى وثائق الجنيزة أن ميزانية الأسرة كانت تكلف فى الشهر الواحد فى العصر الفاطمى

ـ ديناران، فى حين كان سعر «الروب» (robe)، وهو القطعة الأساسية فى الملابس، يتراوح ما بين دينار ودينار ونصف.

وبالتالى فإن توفير الملابس لكل من الزوج والزوجة والأولاد، كان يلتهم نسبة كبيرة من الدخل العام للأسرة، فيكون ذلك على حساب شراء الاحتياجات المنزلية الأخرى.

وكان بيع قطعة واحدة من دولاب ملابس المرأة، كافياً جداً لسد نفقات شهور عديدة، فكما ذكرت، كانت تكاليف الملابس غالية إذا قورنت بتكاليف الغذاء.

وقد كانت الملابس أحيانا فى بعض الأوقات تقوم مقام النقود، وعلى سبيل المثال كانت الرسوم الجمركية تدفع أحيانا فى صورة ملابس على شحنات كبيرة للفلفل الأسود، أو عباءة مقابل شراء القمح للأهل فى الوطن.

ويرى جويتاين أن من أكثر الأمثلة دلالة على ارتفاع القيمة المادية للملابس، هو ما ذكر عن الشاعر اليهودى الأسبانى يهودا ها ـ ليفى (Judah ha-levi)، فعندما كان مبحراً إلى الأراضى المقدسة، وصل رجل بريد إلى الاسكندرية قادماً من أسبانيا، حاملاً خطابا من أحد الأقارب، يعلن فيه أنه على وشك السفر إلى مصر. وقد حمل الخطاب إلى الشاعر على المركب أحد المعجبين بأشعاره، فعندئذ أعطاه «ها ـ ليفى» عمامة، مع خطاب ينصحه فيه ببيعها، لكى ينفق على سفره من مصر إلى فلسطين.

وفى الأوقات العصيبة التى يمر بها المرء مثل المرض الطويل، وما يستلزم من تكاليف باهظة وتوقف عن العمل، كان يستطيع أن يبيع أو يرهن ملابسه لمواجهة نفقاته.

وقد أدى غلاء الملابس، واضطرار البعض إلى بيعها فى وقت الشدة للتعيش منها ـ إلى ظهور سوق رائجة للملابس المستعملة. بل ويفهم مما ذكره جويتاين أن الملابس المستعملة لم تقتصر تجارتها على الداخل فقط، وإنما كانت تستورد من الخارج، فيذكر أنها كانت من العناصر الأساسية فى التجارة، وأنها كانت تصدر من صقيلة إلى مصر.

كذلك أدى غلاء الملابس إلى ظهور بعض العادات اليهودية الخاصة بالملابس، مثل: عادة انتقال العديد من الملابس من الأم إلى ابنتها، أو توريثها لملابسها. كذلك ظهرت عادة توفير العباءات والخمار والملابس، خاصة ذات النوع الغالى، والتى تم شراؤها عند الزواج ـ للمناسبات الخاصة.

ذكرت سابقا أن الملابس تعكس مكانة الطبقات الاجتماعية، لذلك كان من عادة اليهودى الفقير الاهتمام بمظهره فقط فى أيام العطلات والأعياد، فكان يلبس شالا مزينا بشرّابات، وقد عرف باسمه العبرى «سيسيث» (sisith)، وهو مصنوع ـ فى الغالب ـ من الحرير. أما باقى الأيام، فكان يتم التغاضى عن الاهتمام بمظهره، فكان يرتدى شالاً مزينا بشرابات مصنوع من قماش أقل تكلفة.

أما اليهودى الغنى، وخاصة طبقة رجال الأعمال، فقد ظهر من وثائق الجنيزة الاهتمام الزائد بمظهرهم الخارجي. ففى خطاب مطول أرسل بواسطة تاجر تونسى مقيم بالقاهرة، لابن عمه الذى يقيم فى الاسكندرية ـ طلب فيه لنفسه أربع بدلات لاستعمالها فى الحياة اليومية، وليس فى المناسبات.

وقد اتضح من الحسابات الخاصة بالملابس، أن الملابس العادية كان يتراوح تكلفتها ما بين دينار إلى دينارين للقطعة الواحدة، أما الملابس الجاهزة التى تخص الأثرياء فكان يتراوح تكلفتها ما بين ٢٥ دينارا إلى ٦٠ دينارا للقطعة الواحدة، كما اتضح ذلك من خطابين من القرن ٥هـ/١١م (فى زمن الخلافة الفاطمية ٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٨-١١٧١م) يشير أحدهما إلى شحنات ملابس نقلت من جنوب إيران إلى مصر، والآخر يشير إلى شحنات ملابس نقلت من القاهرة إلى تونس.

وقد عرف الرداء الجاهز الصنع فى وثائق الجنيزة بأربع مصطلحات مختلفة، خاصة وأن المنسوجات كانت تصدر من مكان إلى آخر، فقد عرف باسم «ثوب» (thawb)، وباسم «ماجتا» (magta) فى الاسكندرية، وباسم «شقة» (shuqqa) فى تونس، وباسم «فارخا» (Farkha) فى صقلية. ولكن كلمة «ثوب» كانت شائعة فى اللغة العربية.

ويذكر جويتاين أن أوراق الجنيزة تزخر بكثير من أسماء الملابس المستوردة، على أن الوثائق لا توضح فى غالبيتها ما إذا كانت الملابس التى تحمل اسم البلد هى مستوردة منها أو أنها منتجة فى مصر!؟

وعلى سبيل المثال، عندما أرسل «ابن القاسبى» (Ibn al-Qasbi) وهو رجل أعمال بارز بالفسطاط حوالى عام ٥٣٠هـ/١١٣٥م (زمن الخليفة الفاطمى الحافظ ٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٢٩-١١٤٩م) ـ غطاء رأس بغدادى كهدية لأخيه فى أسبانيا. لا نعرف على وجه الدقة أين صنع هذا الغطاء البغدادى، هل صنع فى بغداد أو صنع فى القاهرة؟ خاصة أن الملابس البغدادية، كانت تباع فى محلات القاهرة، كما هو ثابت من قوائم جهاز العرائس اليهودية والوثائق الأخرى.

ويرى جويتاين أن تكرار ذكر اسم الملابس العراقية والإيرانية فى وثائق يهود القاهرة يمكن أن يفسر على أنه نتيجة للهجرة التى حدثت على نطاق واسع، والتحركات السكانية بعد الفتح العربى لمصر، وبالتالى هجرة حرفيين كثيرين إلى مصر، مما أدى إلى نقلهم لأذواق بلادهم إليها، وإن كان يمكن أن يعزى إلى الدور التجارى الذى قام به التجار بتصدير واستيراد الأقمشة والملابس.

وإلى جانب الملابس الجاهزة، أشارت وثائق الجنيزة إلى الملابس التفصيل، فقد ورد فى قائمة المصاريف الشخصية للتاجر نهراى بن نسيم ـ بند للملابس التفصيل إلى جانب الملابس الجاهزة.

وكان الذى يقوم بعملية تفصيل الملابس يعرف باسم «خياط» (khayyat)، ويتضح من اسمه أن عمله الأساسى هو الخياطة. أما القص، فيذكر جويتاين أنه لم يصادف فى وثائق الجنيزة من يقوم بعملية القص كمهنة.

ويذكر جويتاين أن أول من بدأ فى تفصيل الملابس فى مصر هم النساجون، وذلك لأن غالبية الملابس التى تنسج من قطعة واحدة، كانت تتطلب قدرا بسيطا من الخياطة.

ومما ورد فى وثائق الجنيزة يتضح أنه كان على المرء أن يسلم الخيط إلى النساج، الذى يزنه بعناية، ثم يتم وصف قطعة اللبس المطلوبة سواء كانت روبا أو عباءة أو غيرها، مع تحديد طولها وعرضها.

وكان من الطبيعى أن تكون كمية الخيط المسلمة إلى النساج أكثر بقليل من الكمية المطلوبة لعمل قطعة الملابس المطلوبة، وكان يرد فى هذه الحالة ما يزيد عن الحاجة إلى العميل، وأحيانا كان يحدث العكس، وتكون كمية الخيط غير كافية لأداء المطلوب، ويكون من الصعب إيجاد خيوط من نفس النوعية لتكملة العمل.

وقبل البدء فى العمل، كان النساج يقوم بتنظيف الخيوط من أى متعلقات، وبعد عمل قطعة القماش، كان لابد قبل استخدامها أن تنقع فى ماء مخلوط ببعض المحاليل أو الصابون حتى تنكمش. وقد عرفت هذه العملية فى اللغة العربية والعبرية باسم «قصر» (qassar)، إشارة إلى انكماش القماش، وجعله قصيرا عن حجمه الطبيعى. وقد ورد أيضا فى وثائق الجنيزة معالجة القماش برشها بالماء أو بضربها بعصاة أو مضرب.

ويذكر جويتاين أن كلمة «مقصور» (maqsur) هى عكس كلمة «خام» (kham)، والتى تعنى أن القماش لم تجرِ عليه عملية التقصير.

وبعد عملية النقع، يخضع القماش لعملية تمشيط، لتخشين بعض الأقمشة واعطائها مظهرا كثيفا.

ثم تخضع قطعة القماش بعد ذلك إلى عملية الكىّ، لجعلها ملساء وبراقة. وكانت تطلق كلمة «كَمَد» (kamad) على المكواه، ومنها «كماد» (kammad) التى تطلق على المكوجى الذى يقوم بعملية الكىّ نفسها.

ويبدى جويتاين دهشته من أن اليهود كانوا يلجئون إلى شخص محترف ليقوم بعملية الكىّ، حتى وإن كان يعيش فى مدينة أخرى.

ومما ورد فى وثائق الجنيزة، ويشير إلى عملية تفصيل الملابس وما يتبعها من عمليات مثل التنظيف والنقع وغيرها، خطاب كتبه التاجر مردخاى بن موسى (Marduk b. Musa «Mordechai b. Moses») المقيم بالاسكندرية إلى التاجر نهراى بن نسيم بالفسطاط يقول فيه: «وبالنسبة إلى عباءة الملحفة (malhafa)، فقد أخبرتك أن الكتان مختلط الألوان، ولم يكن اللون الأبيض به كاملاً، حيث ظهر به بعض اللون البنى، وإذا رغبت، فسوف أقوم بتنظيفه لك، بحيث يتم توحيد اللون تماما، كما أنى سوف أقوم بعملية النقع هنا أيضا، أو سوف أقوم بإرساله لك كما هو».

والفقرة التالية أخذت من خطاب آخر من الاسكندرية إلى نهراى بن نسيم أيضا، وكانت قد كتبت قبل سنوات عديدة بواسطة ابن عمه الذى يقول فى الخطاب: «أود أن أبلغك يا سيدى بالمصاعب التى واجهتنى مع عباءة الملحفة (malhafa) - لعنة الله عليها - فقد كدت أنا والصانع أن نذهب إلى المحكمة بسببها، فقد نفد القطن من عنده إلا القليل، ولم أجد نفس النوع، لذا فقد اشتريت نصف الأونس (ounce)(*) من نوعية أخرى، وقد تم وضعها عند الأطراف. ومرسل لك الملحفة مع حامل هذا الخطاب، وقد قمت بدفع مبلغ $\frac{5}{8}$ ١ دينار فى مقابل خيوط الكتان والقطن والأجور».

وكانت الملابس تحفظ فى خزانات خاصة بها، ولا تعلق فى دواليب مثلما نفعل نحن الآن. وكانوا يحتفظون بأكياس معطرة بين ملابسهم. وحسبما تقتضى الظروف أو نوع القماش، كانت الملابس تؤخذ من خزائنها على فترات منتظمة لتنظيفها وفردها.

كذلك كانت الملابس تنظف بالصابون، وكانت عملية التنظيف يقوم بها غالبا متخصصون.

(*) الأونس: وحدة وزن تساوى ٢٨٫٣٥ جرام أو ١٫٣١ جرام. (أنظر، المورد، ص٤٦١).

[٤] الطعام والشراب:

- الطعام:
- أصناف الأطعمة عند اليهود.
- أشهر الأكلات عند اليهود.
- الشراب:
- الأشربة المفضلة عند اليهود.
- تحريمات الحاكم بأمر الله الفاطمى الخاصة بالطعام والشراب.

[٤]

الطعام والشراب

كان لليهود عاداتهم وتقاليدهم الخاصة بالطعام والشراب، والتى ظهرت بوضوح من خلال المعلومات الخاصة بهذا الموضوع، على الرغم من ندرتها فى المصادر والمراجع. وقد رأينا أن هذه العادات والتقاليد، ارتبطت إلى حد كبير بمعتقداتهم الدينية، فتمثلت خاصة فى تناول أكلات معينة فى مناسباتهم الدينية أو الاجتماعية، وفى تحريمهم لبعض الأكلات تبعا لمعتقداتهم.

وفى البداية نود أن نشير إلى ما ذكرته وثائق الجنيزة من أن اليهود كانوا يتناولون الطعام من خلال ثلاث وجبات: اثنتان منها فى المنزل، وواحدة فى العمل. فاليهودى كان يأكل وجبة خفيفة فى منزله فى الصباح، ثم بعد الصلاة يذهب إلى عمله، وبعد حوالى أربع ساعات من شروق الشمس، يتناول بعض الطعام فى العمل، وهو ما يعرف باسم الغداء، ثم يتناول وجبة العشاء وهى الوجبة الأساسية فى المنزل، وكانت تتكون عادة من عدة أصناف.

وعن الوجبة التى كان الشخص يتناولها فى العمل، يتضح من أوراق الجنيزة ـ كما يقول جويتاين ـ أن هذه الوجبة كان يتم شراؤها من داخل العمل الذى كان يباع فيه وجبات جاهزة، وكان مبلغ ١ ١/٤ درهم[1] كافيا لشراء وجبة متنوعة لشخص واحد، أما

(١) الدراهم جمع درهم. بكسر الدال وفتح الهاء وقد تكسر هاؤه. وهو فارسى معرب. والدرهم ستة دوانق، والدرهم نصف دينار وخمسه. وكانت الدراهم فى الجاهلية مختلفة، فكان بعضها خفافا، وهى الطبرية، وبعضها ثقالا، كل درهم ثمانية دوانق، وكانت تسمى العبدية وقيل البغلية نسبة إلى ملك =

مَن لا يستطيع الشراء فكان يكتفى بتناول الخبز والبصل وما يشبه ذلك، وهو طعام الفقراء المعتاد[1].

وعن أصناف الطعام عند اليهود، فقد كانت المائدة اليهودية لا تخلو من صنفين من الطعام وهما: الخبز والملح.

وبالنسبة للخبز، فقد كان من عادة اليهود وضع رغيفين من الخبز على مائدة يوم السبت ويغطى بقماش أبيض.

ويذكر جويتاين أن الطائفة اليهودية كانت تعطى للفقير المعدم أربعة أرغفة فى الأسبوع، يزن الرغيف حوالى رطل، ويقدر وزن الأربعة بحوالى ١٫٧٥٠ جرام. ويرى جويتاين أن هذه الكمية معقولة جداً.

ولأهمية الخبز، فقد كان اليهود حريصون على شراء كمية كبيرة من القمح وقت الحصاد، وتخزينها لمدة عام، ويظهر ذلك من بعض الرسائل، كما يظهر من حرصهم ودقتهم فى تخزينه، ففى رسالة من الرسائل يقول فيها الكاتب: «لا تهمل القمح، لأنه واحد من معظم الأشياء الأساسية». وفى رسالة أخرى يقول فيها الكاتب: «لا تقلق، فأنا اعتنيت بشراء القمح، ووضعته فى الأوانى (الزلع)، ووضعت الزلع فى الشمس».

= يقال له رأس البغل. ودراهم أهل مكة ستة دوانيق، ودراهم الإسلام المعدّلة كل عشرة سبعة مثاقيل، ويقال إن عمر رضى الله عنه هو الذى فعل ذلك. وكان أهل المدينة يتعاملون بالدراهم عند مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فارشدهم إلى وزن مكة. وقد اختلفت قيمة الدرهم باختلاف الأزمان والبلدان، لكن يقال بنوع عام أنه كان يساوى نحوا من ٤٠ مليما مصريا من مليمات هذا العهد، أو ٤٠ فلساً عراقيا فى وقتنا هذا.

(١) وعادة تناول الطعام من خلال ثلاث وجبات، تتشابه مع كل الشعوب تقريبا ـ كما تقول الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف.

وكانت هذه هى طريقة تخزينهم للقمح، ففى وثائق الجنيزة أن اليهود كانوا يقومون بتخزين القمح فى أوانى كبيرة (زلع) من الطين المسامى (يعنى الفخار)، ثم يضعونها على أسطح المنازل، خاصة فى جانب مشمس، ربما ليحموه من الرطوبة.

وتذكر هذه الوثائق أن متوسط كمية القمح المراد تخزينها، والتى يحتاجها الفرد فى الطبقة المتوسطة كانت تقدر بحوالى ١٢ أردب[1] فى السنة، بواقع أردب فى الشهر، ويظهر ذلك من بعض الخطابات التى أوردها جويتاين. ففى خطاب مؤرخ عام ٦٠٧هـ/١٢١٠م (زمن الملك العادل ٥٩٦-٦١٥هـ/ ١١٩٩-١٢١٨م) ـ يطلب فيه الراسل ١٢ أردباً فى السنة. وهناك خطاب فى نفس الوقت تقريبا، كان مرسلا من القاهرة إلى الاسكندرية، يطلب فيه الراسل ١٠ أرادب فى السنة. وفى خطاب آخر (وثيقة مؤرخة ٤٨١-٥١٠هـ/ ١٠٨٨-١١١٦م زمن الدولة الفاطمية) ـ طلب فيه الكاتب أن يرسل إليه كل شهر أردبا من القمح المنخول، فهو لم يرغب فى تسلُّم الكمية كلها للمؤونة السنوية مرة واحدة، لأنه كما ذكر فى خطابه رأى أن سعر القمح كان مرتفعا.

وكان القمح يطحن فى مطاحن عامة، لكنه كان يعجن ويخبز فى المنزل عند عمل الخبز منه.

وفى أجازات الأعياد أو فى الصيام كانت الطائفة اليهودية توزع القمح على المحتاجين بواقع ربع أو نصف الويبة[2] لكل فقير.

(١) يذكر جويتاين أن القمح كان يكال بالأردب، والذى كان يقدر بـ ٩٠ لتر، ويزن حوالى ٧٠ كيلو جرام، والأردب يقسم إلى ٦ ويبات.

والإردب: جمع أرادب، مكيال ضخم وهو ٢٤ صاعاً (مكيالا)، والصاع ٤ أمداد. والإردب من وضع المصريين الأقدمين، وقد سبقوا جميع الأمم إلى وضعه. والإردب يساوى اليوم عند المصريين ١٩٨ لترا.

(٢) الويبة: اثنان وعشرون أو أربعة وعشرون مدّاً. وهو مكيال للحبوب، سعته سدس الإردب، وتستعمل فى مصر.

كذلك كان الملح جزءاً لا يتجزأ من المائدة اليهودية، فهو يمنح البركة، وجذور استخدامه توراتية وتلمودية معاً ـ كما يقول هارفى لوتسك ـ ففى زمن الهيكل(١) وضع اليهود الملح من القرابين التى كانت تقدم إلى المذبح، ولأن الهيكل لم يعد موجوداً، فالتقاليد جرت على اعتبار المائدة كالمذبح، وإلى جانب ذلك فهناك أسباب أخرى لوضع الملح على المائدة، وهى أن يعقوب دعا أخوته إلى تناول وجبة «خبز وملح»، كما أن الملح سلعة الفقراء التى تذكر الأغنياء بحياة التقشف.

وكان الملح قد تكرر ذكره فى التوراة إلى حد جعل البعض يعتقد فى قداسته، وقدرته على طرد الأشباح والأرواح الشريرة(*).

ومن الأطعمة أيضا، اللحوم: وكان اليهود قد اشتركوا مع المسلمين فى حتمية ذكر اسم الله سبحانه وتعال عند ذبح الحيوان.

---

(١) الهيكل: هو أهم مبنى للعبادة اليهودية فى فلسطين، شيده سليمان وهدمه البابليون فى التاسع من آب عام ٥٨٦ق.م. ثم أعيد بناؤه عام ٢٥١ق.م، وأدخل المكابيون بعض التعديلات والتجديدات عليه، ثم قام هيرود بتوسيعه، وبنى حوله سورا عاليا، ولكن الرومان بقيادة «تيتوس» حطموا الهيكل فى التاسع من آب مرة أخرى عام ٧٠م على أثر ثورة قام بها اليهود ـ كما ذكرت فى موضع سابق ـ وحائط المبْكى هو كل ما تبقى من السور الذى بناه هيرود، بل ومن الهيكل كله. وكان هيكل سليمان لا يزيد فى حجمه عن كنيسة صغيرة الحجم، فقد كان طوله ١١٣٫٧٥ قدم وعرضه ٣٢٫٥ قدم. وبعد تشييد الهيكل أصبح هو المكان الوحيد الذى تقدم فيه القرابين، ولم يكن دخول الهيكل مباحاً للجميع، وإنما كان مقصورا على الكهنة. ويحتفل بذكرى تحطيم الهيكل فى التاسع من آب فى كل عام ـ كما سنرى عند الحديث عن أعياد اليهود.

(*) ولا ندرى صلة هذه القداسة بما هو مستقر فى التقاليد المصرية من أهمية الخبز والملح، دون غيرهما من الأطعمة! فحين يقول المصرى: لقد أكلنا خبزاً وملحاً معاً، فإن هذا يعنى أن العلاقة أصبحت مقدسة، ولا يجب أن تخترقها الخيانة.

وتذكر وثائق الجنيزة أن اليهود كانوا يقومون بذبح الحيوانات فى ليالى الجمعة، أى مساء يوم الخميس، كما تذكر أن استهلاك اليهود للحوم يكون خاصة فى عطلة الأسبوع والأجازات والمناسبات الدينية.

وكان اليهود يفضلون أكل لحم الضأن على لحم البقر، لذلك كان لحم الضأن أغلى اللحوم، وكان الأغلى منه دهن ذيل الغنم. أما ذيل الخراف، فكان أكله ـ كما تقول الوثائق ـ يعد نوعاً من الرفاهية لغلوه الشديد.

وفى حالة عدم وجود اللحوم، كان اليهود يستعيضون عنها بالطيور.

وكانت الفراخ، هى الوجبة المفضلة لليهود، وكانت تؤكل فى عطلة الأسبوع، وفى الأجازات، وفى أوقات المرض. ويرى جويتاين أن هذا ربما كان من خصوصيات اليهود، أو ما يميزهم. هذا إلى جانب أن مصر كانت مشهورة بالفراخ، ففى ذيل لخطاب مرسل من فلسطين إلى الفسطاط، سأل المرسل إليه أن يلح على قريب له ـ والذى كانت له عائلة فى القدس ـ أن يرجع ليأكل بصلاً فى القدس بدلاً من أن يأكل الدجاج فى مصر!

وكانت الأسماك محببة للمصريين عموما، وكانت معروفة لهم بجميع وصفاتها، فقد كان منها ـ كما تقول وثائق الجنيزة: الطازج، والمدخن، والمملح، والمفروم. وكان لليهود سوق للأسماك، يرجح جويتاين أنه كان كائنا بجوار تجمعاتهم.

أما الجبن، فتذكر الوثائق أن الطلب كان يزيد عليه، خصوصاً عند السفر، وعندما لا يتوافر اللحم، وعندما لا يرغب الشخص فى أن يطبخ وجبة، وعموماً أثناء الأسبوع.

وكانت الخضروات مفضلة جدا فى أكلاتهم، ومن أهمها: الملوخية، التى عرفت باسم «بقلة يهودية» bagla yahudiyya أى خضروات يهودية. ويرجع ذلك فى رأى جويتاين إلى حب اليهود لها. وعلى أية حال، فإن شوربة الملوخية السميكة ـ كما تقول الوثائق ـ كانت طبقا قوميا فى مصر، فهى الغذاء اليومى للفلاح المصرى.

ومن أهمها كذلك: القلقاس، الذى كان فى أحيان كثيرة يعتبر طبقا رئيسيا على مائدة اليهود.

ويذكر جويتاين أن الفلفل كان يستخدم بكميات كبيرة أكثر من الوقت الحالى، ويرجع ذلك إلى استخدامه كمادة حافظة للحوم، وإلى استخدامه فى النبيذ.

وعن أشهر الأكلات عند اليهود، يذكر جويتاين أنه لم يجد فى وثائق الجنيزة وصفاً واحداً لطبق خاص أو وجبة خاصة باليهود، على الرغم من المناسبات الكثيرة التى سادت مجتمعهم مثل: دعوات عطلة نهاية الأسبوع، والأجازات، وحفلات الزفاف، والمناسبات الخاصة.

على أية حال، فقد كان الطعام الشعبى لليهود ـ كما ورد فى الوثائق ـ هو اللوز والزبيب مع العيش.

ومن الأطعمة البديلة للزبيب واللوز، هى: **العسل**، المصنوع من البلح الطازج المخلوط بالماء، وكان يؤكل مع الخبز.

ومن أكلات اليهود كذلك، **الهريسة**: وتعمل عجينة من دقيق السميد، يتم حشوها باللحم والدهن وخاصة دهن ذيل الغنم، مع التوابل. ويذكر جويتاين أنها كانت تستغرق وقتا طويلا فى طهيها، وأن هذا الوقت الطويل يعطى للعجينة الفرصة لتتشبع وتكتسب طعم اللحم والدهن والتوابل. وتؤكل بعد اعدادها بوقت قصير، أى يفضل أكلها ساخنة.

ويبدو أن الخليفة معاوية[1] (٤٠-٦٠هـ/ ٦٦٠-٦٧٩م) **كان يحبها، فقد سأل أحد اليهود: عما إذا كانت عائلته مازالت تعد الهريسة، كما كانت تعدها قبل عصر**

(١) وهو معاوية بن أبى سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى. ولى الشام لعمر وعثمان من بعده، ثم كانت الفتنة فحارب معاوية عليا خمس سنين، وكانت وقعة الصفين بينه وبين علىّ. ولما قتل على واستخلف الحسن بن على، سار معاوية إلى العراق، وسار إليه الحسن بن على، فلما رأى الحسن الفتنة، وأن الأمر عظيم تراق فيه الدماء، ورأى اختلاف أهل العراق، سلّم الأمر إلى معاوية، وعاد إلى المدينة. وتسلم معاوية العراق، وأتى الكوفة فبايعه الناس، واجتمعوا عليه، فسمى عام الجماعة.

وكان الحسن قد سلم إليه الخلافة عام ٤١هـ/٦٦١م وقيل عام ٤٠هـ/٦٦٠م. وكان معاوية من دهاة العرب وحلمائها، يضرب به المثل، وهو أحد الذين كتبوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وتوفى بدمشق عام ٦٠هـ/٦٧٩م.

الإسلام؛ فأجاب اليهودى: بل أفضل. وعند ذلك طلب منه أن يعد بعضها، والتى أكلها الخليفة.

طبق الفراخ بالليمون البارد: وكان أغلى أطباق الفراخ هى التى تطبخ بصوص الليمون والتوابل، وهو من الأطباق التى كان اليهود يفضلون تناولها فى أيام الصيف الحارة، أو فى أيام السبت التى يحرم فيها الطهى[1]. وكان هذا الطبق يقدم مع سلاطة مصنوعة من أوراق البنجر وليس الجذور.

طبق الأومليت: ويصنع من البيض. ويذكر جويتاين أن هذا الطبق لم يكن يهتم اليهود بعمله، وإن كان يعمل.

ومن الحلويات التى اشتهر بها اليهود:

القطايف: ويذكر جويتاين أنها إسم لعائلة يهودية يبدو أنها اشتهرت بصنعها. وهى تصنع من اللوز والعسل والجريش أى دقيق الذرة أو القمح، وزيت السمسم.

العصيدة: وهى من الأطباق المفضلة عند اليهود، وكانت تقدم كهدية فى المناسبات الخاصة مثل: عيد ميلاد طفل. والعصيدة تعمل من العسل المخلوط بالدقيق الأبيض الفاخر مع الزبدة.

وقد أوردت وثائق الجنيزة خطابا من رجل يهودى من الريف لقريب له فى الفسطاط، يقول فيه: **«من فضلك، حاول أن تجد لى عسلاً، ودقيقا أبيض فاخراً، لعمل عصيدة، وبعون الله (وبإذن الله) سوف أحضر للمدينة يوم الأحد».**

وقد اشتهر اليهود بتناول أكلات معينة فى مناسبات خاصة، فمن هذه الأكلات:

(١) وأنظر عن تقديس يوم السبت وتحريم العمل فيه الفصل الخاص بالحياة الدينية لليهود.

رأس الضأن: الذى كان يعد الطبق المفضل تناوله خاصة فى عشاء رأس السنة(*).

البيض المسلوق: وكان اليهود يأكلونه فى اليوم الأول من فترة الحداد. فقد كان البيض المسلوق يعتبر واجب تعزية، يقدم إلى أهل الميت الذين يأكلونه فى اليوم الأول ـ كما ذكرت.

الخبز الفطير: ويأكله اليهود فى عيد الفصح، ويرجع ذلك إلى أن العبرانيين كانوا قد تسرعوا فى الخروج من مصر، فلم يتوافر لديهم الوقت الكافى للتفكير فى الخبز، فأكلوا الخبز الفطير.

منتجات الألبان: ويأكلها اليهود فى عيد الأسابيع.

وإلى جانب هذه الأكلات كان اليهود يحرصون على **أكل الثوم** يوم الجمعة، فهو فى معتقداتهم يعمل على استرجاع الصحة والعافية، ويبعد الأمراض. كما كان اليهود يستخدمونه كتعويذة، فالمريض أو الخائف من المرض، يضع الثوم حول رقبته فى كيس من القماش.

أما الخبز والملح: فان اليهود يأخذونه هدية إلى البيت الجديد، فهما رمز الحياة، وأخذهما للبيت الجديد، دلالة على الأمل فى تجديد الحياة، وعدم نفاذ الطعام.

وإلى جانب الأطعمة التى كان اليهود يحرصون على تناولها، كانت هناك بعض الأطعمة التى حرمها اليهود، ويرجع تحريمها إلى معتقداتهم الدينية ـ كما ذكرت فى البداية ـ ومن هذه الأطعمة: تحريم أكل لحم الجمل، وأكل الشحم ما عدا شحم الظهر،

(*) وأنظر عن عيد رأس السنة لليهود، الموضوع الخاص بالأعياد.

وأكل الحوايا أى ما تحوى البطن، وتحريم «الطريفا» أى الفريسة التى يفترسها الأسد أو الذئب أو غيره من السباع، ففى التوراة: «ولحما فى الصحراء فريسة لا تأكلوا، للكلب ألقوه». كذلك يحرم اليهود، أكل اللحم مختلطا باللبن.

ومن التحريمات التى فرضتها شريعتهم أن تقوم المرأة بالطهى فى أيام الحيض، لأنها تعتبر فى حالة نجاسة، فيكون على الزوج أن يستعين بأمه أو إحدى بناته، أو بزوجته الأخرى إذا كان له أكثر من زوجة.

ثانيا: الشراب:

ومن الأشربة التى كان اليهود يشربونها: الخمر، والمِزْر. وبالنسبة **للخمر**: يذكر جويتاين أن اليهود كانوا يشربون الخمر بكميات كبيرة، خاصة فى أيام السبت والأجازات أو فى المناسبات الاجتماعية مثل: عقد القران، والخطبة، وحفلات الزفاف.

وكانت الخمر تشرب قبل الأكل خاصة أثناء تلاوة البركات، وبعد الأكل، وإذا رغب الشخص كانت تؤخذ فى أثناء الأكل.

واليهود كانوا يشربون الخمر يوميا، فشرب الخمر ضرورى عندهم، وكانت زجاجات الخمر تقدم كهدية.

ويذكر جويتاين أن الطبيب كان أحيانا يصف الخمر للمريض سواء فى أثناء المرض، أو بعد شفائه منه.

وقد ظهر من أوراق الجنيزة أن الخمر كان يصنع فى مصر من العنب المحلى، لذلك يذكر جويتاين أن العنب كان يزرع بكثرة فى مصر.

ويبدو أن اليهود لم يكونوا بائعى خمر فقط، وإنما منتجين له أيضا، فقد أورد جويتاين رسالة من رئيس اليهود فى بِلْبِيس[1] توفيا بن إيلى (Toviah b. Eli) إلى شقيق زوجته القاضى ناثان بن سليمان (Nathan b. Solomon) بالفسطاط، وهى عبارة عن طرد يحتوى على عشرة عينات من نوعين من الخمر (من إجمالى ١٥٠ جرة خمر كانت انتاجه) ـ سائلا اياه أن يعرضها على أحسن بائع خمور يهودى.

وكان من عادة اليهود، شرب أربعة أكواب من الخمر فى عيد الفصح، ويذكر هارفى لوتسك أن أسباب شرب الأربعة أكواب تبقى محلا للاجتهاد فى التفسير، فالبعض يقول إن الأكواب الأربعة ترمز إلى المراحل الأربع التى وعد الحق تعالى اليهود بها لتحريرهم: «سأخرجكم، وسأرسلكم، وسأخلصكم، وسأجعلكم شعبى المختار». والبعض يقول إن الأكواب الأربعة ترمز إلى الصفات الأربع التى تمسك بها اليهود حتى خلصهم الحق تعالى من العبودية: «عدم تغيير الأسماء العبرية، والمحافظة على اللغة العبرية، والتمسك بالأخلاق الحميدة، والابتعاد عن الغيبة والنميمة»، والبعض يقول إن الأكواب الأربعة تُذكِّر اليهود بقهرهم ونفيهم على أيدى أربعة شعوب وهى: الكَلدانيّون[2]، والميديّون[3]، والاغريق، والرومان.

---

(١) بِلْبِيس: بكسر الباءين، وسكون اللام، وياء وسين مهملة. وهى مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام.

وكانت بلبيس قاعدة الحوف الشرقى أيام العرب، ثم قاعدة الأعمال الشرقية من أيام الدولة الفاطمية إلى آخر عهد الحكم الجركسى، ثم قاعدة ولاية الشرقية إلى سنة ١٨٣٢م، وفى تلك السنة أصدر محمد على باشا والى مصر أمراً بنقل ديوان المديرية والمصالح الأميرية الأخرى إلى مدينة الزقازيق لتوسطها بين بلاد المديرية، وبذلك أصبحت بلبيس قاعدة لقسم بلبيس الذى أُنشئ فيها بدلا من ديوان المديرية من تلك السنة، وفى سنة ١٨٧١م سُمى مركز بلبيس.

(٢) بلاد الكَلدانيِّين: اسم أطلق خطأ على بلاد ما بين النهرين بأسرها. وقد عرفت بهذا الاسم فى الألف الأول قبل الميلاد المنطقة الغربية من الخليج العربى جنوبى العراق.

(٣) ميديا Medie: منطقة فى شمال غربى إيران. أقام فيها الميديّون فى الألف الأولى قبل الميلاد. كانت عاصمتها اكبتانا (همدان). وكان الاسكندر قد استولى عليها ٣٣٠ ق.م، على أنها ظلت بعد ذلك تحت الحكم الساسانى حتى الفتح العربى عام ٦٣٣م.

هذا بالنسبة لشرب الخمر، أما بالنسبة لشراب المِزْر أو البيرة المصرية ـ كما يقول جويتاين ـ فقد كانت شائعة بين اليهود. وبينما ذكر جويتاين والبغدادى أنها مصنوعة من القمح، ذكر ابن البيطار أنها كانت تصنع من السعير، وأن كثرة شربها يؤدى إلى الغثيان والقىء.

على أن هذا الشراب لم يقتصر على اليهود فقط، فقد ذكر البغدادى أنها شراب العامة.

وإلى جانب الخمر وشراب المِزْر، يذكر جويتاين أن اليهود، خاصة الطبقة الوسطى منهم، كانوا يشربون كذلك العصائر المصنوعة من الليمون، والرّمان، والتفاح، والبرقوق أو الخوخ، والعنب الغير الناضج مع ماء الورد، كذلك كانوا يشربون التمر الهندى.

تناولنا سابقا عادات وتقاليد اليهود الخاصة بالطعام والشراب، على أنه لما كان اليهود فى مصر يعتبرون جزءاً من المجتمع المصرى، فلابد أنهم قد تأثروا بما طرأ على هذا المجتمع من تغيرات تتعلق بالشراب أو الطعام، ولذلك سوف نشير فى عجالة إلى التحريمات التى أمرها الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م) الخاصة بالطعام والشراب، والتى كانت تهم اليهود؛ مثل: شرب الخمر والمِزْر، وأكل الملوخية. وإن كان يتضح من تكرار هذه التحريمات أن الناس لم تمتنع سواء عن شرب الخمر أو أكل الملوخية[*].

وكان الحاكم بأمر الله الفاطمى قد بدأ فى تحريم شرب الخمر، منذ عام ٣٩٢هـ/ ١٠٠١م. وقد تكرر هذا التحريم فى سنوات متتالية بعد ذلك حتى عام ٤١١هـ/١٠٢٠م ـ كما أشارت إلى ذلك المصادر الإسلامية. فمثلا فى عام ٣٩٢هـ/ ١٠٠١م أمر ألاّ تُبَاع الخمر، وسائر المسكرات، فكَسروا أوانى الحانات، وسكبوا الشراب.

وفى عام ٣٩٣هـ/١٠٠٢م أمر الحاكم الفاطمى بقطع جميع الكروم التى بديار مصر والصعيد والاسكندرية ودمياط، حتى لا يعمل منها الخمر.

(*) وبالطبع كانت هذه التحريمات تفرض على المسلمين واليهود والأقباط على حد سواء.

وفى عام ٣٩٩هـ/١٠٠٨م حرم بيع النبيذ والمِزْر.

وفى عام ٤٠٠هـ/١٠٠٩م قبض على جماعة بسبب بيع النبيذ واعتقلوا.

وفى عام ٤٠٢هـ/١٠١١م أحرق الحاكم بأمر الله فى شهر شعبان الزبيب الذى وجد فى مخازن التجار فيذكر المؤرخون: «فأحرق فى خمسة عشر يوما ٢٨٤٠ قطعة زبيب بلغ ثمن النفقة عليها خمسمائة دينار، ومنع من بيع العنب إلا أربعة أرطال فما دونها، ومنع من اعتصاره، وطرح عنبا كثيرا فى الطرقات، وأمر بدوسه، فامتنع الناس من التظاهر بشئ من العنب فى الأسواق، واشتد الأمر فيه، وغرق منه ما حمل فى النيل، وأحصى ما بالجيزة من الكروم، فقطف ما عليها من العنب، وطرح ما جمعه من ذلك تحت أرجل البقر لتدوسه، وفعل مثل ذلك فى جهات كثيرة».

وفى عام ٤٠٣هـ/١٠١٢م أحرق الزبيب وقطع الكرّم. وضرب جماعة من الناس فى نفس السنة بسبب شرب المسكرات، كما ضرب أعناق جماعة من الناس فى نفس السنة كذلك بسبب بيع الزبيب.

وفى عام ٤١١هـ/١٠٢٠م قطع شجر الأعناب حتى لا يتخذ الناس منها خمرا.

وإلى جانب تحريم الحاكم بأمر الله لشرب النبيذ والمزر، حرم كذلك أكل الملوخية والتى كانت مفضلة عند اليهود ـ كما أشرت إلى ذلك سابقا ـ وقد تكرر هذا التحريم من عام ٣٩٥هـ/١٠٠٤م إلى عام ٤١١هـ/١٠٢٠م. وعلل الحاكم بأمر الله تحريم أكل الملوخية بميل معاوية إليها! وفى قول ابن اياس إن التحريم كان لكون عائشة بنت أبى بكر كانت تميل إليها!.

وفى عام ٤٠٠هـ/١٠٠٩م ضرب جماعة بسبب بيع ما حرمه الحاكم بأمر الله، وكان من ضمن ما حرم الملوخية. ثم عاقب جماعة عام ٤٠١هـ/١٠١٠م بسبب بيعهم الملوخية، وفى عام ٤٠٣هـ/١٠١٢م عاقب قوماً باعوا ملوخية، وتكرر العقاب عام ٤٠٤هـ/١٠١٣م بسبب بيع الملوخية كذلك.

[٥] عادات الدفن والمواكب الجنائزية عند اليهود:

- مقابر اليهود.
- وصايا اليهود.
- مظاهر الحزن عند اليهود.
- عادات الدفن عند اليهود.
- المواكب الجنائزية عند اليهود.

[٥]

عادات الدفن والمواكب الجنائزية عند اليهود

مقابر اليهود:

كان لليهود مقابر خاصة بهم، مجاورة لمقابر القبط، وهذا ما جعل المصادر الإسلامية تشير إلى مقابر اليهود والأقباط دائما معا مما يوحى بأن اليهود والأقباط كانوا يقبرون موتاهم فى مكان واحد.

وكان لا يسمح لليهود بدخول مدافن القبط، أو للقبط بدخول مدافن اليهود.

وعن أماكن مقابر اليهود، تذكر المصادر العربية أن أحمد بن طولون عندما ابتدأ فى بنيان الميدان[1] عام ٢٥٦هـ/٨٦٩م «أمر بحرث قبور اليهود والنصارى، وبنى موضعهما».

كذلك تذكر المصادر الإسلامية أنه عندما قرر الحاكم بناء جامع راشدة عام ٣٩٣هـ/١٠٠٢م، كان مكانه كنيسة، فأمر بهدمها، وعندما أمر بتوسعته خربت مقابر اليهود والنصارى.

---

(١) يذكر أبو المحاسن أن الميدان الذى بناه أحمد بن طولون كان يقع فيما بين القصر والجامع الذى أنشأه وعُرف به. وكان أحمد بن طولون عندما بنى قصره، جعل له ميدانا كبيراً يضرب فيه بالصوالجة، وقد عمل للميدان أبوابا وسمى كل باب منها بإسم وهى: باب الميدان أو باب الصوالجة (عدّه المقريزى من ضمن أبواب القصر)، وباب الخاصة، وباب الجبل، وباب الحرم، وباب الدّرمون، وباب دعناج، وباب الساج، وباب الصلاة ويعرف أيضا بباب السباع.

وتذكر بعض المراجع أن مقابر اليهود كانت تقع شمالي مقابر القبط التي بأرض الحبش(*)، فيقول المقريزى عن «بئر الدرج» وهو من الآبار الموجودة ببركة الحبش والقرافة: إنه كان «شرقى بساتين الوزير، لها درج ينزل به إليها، عملها الحاكم بأمر الله، وشرقيها قبور النصارى، وبعدهم إلى جهة الجبل (المقطم) قبور اليهود».

وعن الأوامر التى صدرت ضد مقابر اليهود، ما ذكرته المصادر العربية من أنه فى عام ٢٣٥هـ/٨٤٩م أمر الخليفة المتوكل أهل الذمة بتسوية قبورهم بالأرض.

هذا عن مقابر اليهود، أما عن الموت عند اليهود، فقد كانت له مظاهرة الخاصة وعاداته خصوصا فيما يتعلق بمظاهر الحزن، وعادات اليهود الخاصة بدفن موتاهم، ومراسيم جنازاتهم، ووصاياهم كما أوردتها وثائق الجنيزة، وهو ما سوف نتناوله فى الصفحات القادمة.

وصايا اليهود:

احتوت أوراق الجنيزة على الكثير من الوصايا التى يبدو أنها كانت شائعة فى المجتمع اليهودى. وكانت الوصية عموما تشمل توزيع الميراث، وتعيين أوصياء أو وكلاء على التركة.

(*) أرض الحبش: وهى فى ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها فيما بين الجبل والنيل. كانت من الموات فاستنبطها قرة بن شريك أمير مصر، وأحياها وغرسها قصباً، فعرفت باصطبل قرة، وعرفت أيضا باصطبل قامش أى القصب، وتنقلت حتى صارت تعرف ببركة الحبش، وكانت تعرف ببركة المغافر، وتعرف ببركة حمير. ودخلت فى ملك أبى بكر الماذرائى فجعلها وقفا، ثم أرصدت لبنى حسن وبنى حسين ابنى على ابن أبى طالب رضى الله عنهم، فلم تزل جارية فى الأوقاف عليهم إلى وقتنا هذا. وذكر ابن يونس فى تاريخه أن فى قبلى بركة الحبش جنانا تعرف بقتادة بن قيس بن حبشى الصدفى شهد فتح مصر، والجنان تعرف بالحبش، وبه تعرف بركة الحبش.

وفى تواريخ النصارى أن الأمير أحمد بن طولون صادر البطريرك ميخائيل بطريرك اليعاقبة على عشرين ألف دينار، فباع النصارى رباع الكنيسة بالاسكندرية وأرض الحبش بظاهر مصر والكنيسة المجاورة للمعلقة بقصر الشمع بمصر ـ لليهود. ويقول المقريزى: هكذا فى تواريخهم، ولا أعلم كيف ملكوا أرض الحبش، فلعل الماذرائى هو الذى اشتراها ثم وقفها.

وكان عدد الأوصياء عادة ما يكون واحدا أو اثنين، وإن كان فى إحدى الوصايا وصل العدد إلى خمسة، وكان ذلك فى وصية كتبت بالاسكندرية فى عام ٦٠٧هـ/ ٦ مارس ١٢٠١م (زمن الملك العادل ٥٩٦-٦١٥هـ/١١٩٩-١٢١٨م). ويرى جويتاين أن هذا العدد الكبير من الأوصياء على التركة يرجع إلى أن التجارة كانت ذات رأس مال كبير.

على أنه فى أحيان أخرى، كان الموصى لا يعين وصيا على تركته، ففى وصية كتبت فى عام ٤٣٢هـ/ يونيو ١٠٤٠م (خلافة المستنصر بالله الفاطمى ٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م) لم يعين الرجل وصيا، لأن ابنه ـ كما يقول جويتاين ـ كان الوريث الوحيد له، فلن يرفع قضية على أى شخص.

ويفهم من ذلك أن الأوصياء كانوا يعينون للمحافظة على حقوق الورثة فى التركة، وضمان سلامة توزيعها بينهم كما أراد الموصى بدون مشاكل، وفى الوقت نفسه حماية الورثة من أى شخص آخر يطمع فى تركتهم.

وكانت الوصية تكتب فى حضور شهود، كما يتضح من أوراق الوصايا، فكان الشهود يوقعون فى نهايتها، دليلا على حضورهم أثناء كتابتها(*). وقد اختلف عدد الشهود من وصية لأخرى، ففى وصية لسيدة تدعى ست الحسن بنت سعديا (Sitt al-Husn) كتبت بالفسطاط فى منتصف القرن ٦هـ/١٢م، أحضر زوجها وهو القاضى ناثان بن صمويل (Nathan b. Samuel) أربعة شهود.

وفى وصية لسيدة تدعى ست الأهل (Sitt al-Ahl) كتبت فى عام ٥٣٨هـ/ أبريل ١١٤٣م (خلافة الحافظ الفاطمى ٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٢٩-١١٤٩م)، كان عدد الشهود اثنان.

(*) وعن الوصية والشهود فى الإسلام أنظر، سورة البقرة آيات ٢٨٢-٢٨٣.

كذلك فى وصية لتحرير «عبدة» كتبت بالفسطاط فى عام ٥٧٢هـ/ أكتوبر ١١٧٦م (زمن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى ٥٦٧-٥٨٩هـ/ ١١٧١-١١٩٣م)، كان عدد الشهود اثنان.

ومن دراسة وصايا اليهود التى وردت فى أوراق الجنيزة، لاحظ جويتاين أنها كانت تكتب فى ظل ظروف خاصة، مثل تعرض الشخص لمرض الموت، أو تعرض الشخص للمخاطرة كالسفر، أو مثل التقدم فى العمر والخوف من الموت المفاجىء.

وكان من أطرف الوصايا التى كتبت فى أثناء التعرض لمرض الموت، هى وصية رجل من بلبيس كتبها ليلة يوم السبت، وفيها أوصى لزوجته بأربعين ديناراً إذا ما انتظرت، ولم تتزوج، حتى تتزوج أصغر بناتهما، وثلاثين ديناراً إذا فعلت العكس! وقد توفى الرجل يوم الأربعاء التالى، وقبل أن يمر عام ـ كما يقول جويتاين ـ كانت الأرملة على وشك الزواج.

ومن الوصايا التى كتبت لسفر كاتبها، وصية تاجران سافرا من الاسكندرية فى رحلة بحرية إلى الغرب الإسلامى، وفيها عينا زوجتيهما كوصيتين على التركة، وحارستين على أطفالهما.

كذلك وصية «صباغ» عزم على السفر إلى القدس للحج، فعين شريكه كوصى على التركة، ووضع ترتيبات مفصلة لعائلته فى حالة عدم عودته من هذه الرحلة.

ومن الوصايا التى كتبت بسبب التقدم فى العمر وخشية الموت المفاجىء، وصية رجل عجوز أحضر ولديه، أمام أربعة شهود، وشرح لأولاده أن كل ممتلكاته النقدية هى ٣٣ قطعة من الذهب، وأخذ فى توزيعها عليهم. ويذكر جويتاين أن قلة ممتلكاته جعلته يخشى على أولاده أن يتعاركوا، لذلك قرر أن يوزعها فى أثناء حياته على النحو التالى: ٨ دينارات

لأرملته، وهو مؤخر صداقها، وكانت زوجته الثانية، ٧ دينارات لمصاريف الجنازة له ولجدته، ومجموعهما ١٥ دينارا تركها مع الابن الأصغر. أما الثمانية عشرة دينارا المتبقية، فقد تم تقسيمها بالتساوى بين ولديه. وعلى الرغم من اعتراض الابن الأكبر على التساوى بينه وبين أخيه باعتباره المولود الأول، إلا أنه فى النهاية تم توزيع التركة كما أراد الأب.

ومن دراسة وصايا اليهود، لاحظ جويتاين أنها كانت تشتمل فى كثير منها على بعض البنود الثابتة، وهذه البنود هى:

أولا: ما يمكن أن نطلق عليه (التحرر من الديون) ـ أى ابراء الذمة، أى سداد الديون ـ فكان كل شخص حريصا على أن يسدد ديونه، أو ينفى أن يكون عليه أى دين، حتى يجنب ورثته الدخول فى متاعب القضايا والاتهامات التى لا داعى لها. لذلك كان الشخص يقول فى وصيته إذا لم يكن مدينا لأحد: «لا أحد يدينني بشىء، ولا أنا أدين أى أحد بأى شىء».

ويدخل فى هذا البند التزامات الزوج تجاه زوجته، فقد ذكرتها بعض الوثائق بأنها «دَين عليه» أى على الزوج، فالمهر ومؤخر الصداق وجميع الالتزامات الأخرى كانت لابد أن تستحق الدفع عند الوفاة.

وقد رأينا فى وصية الرجل العجوز الذى كان يمتلك ٣٣ قطعة من الذهب، أنه أعطى منها ثمانى قطع لزوجته باعتبارها مؤخر صداقها.

كذلك فى وصية نسّاج حرير بالفسطاط يدعى الشيخ أبو الفضل (Sheikh Abu'l-Fadel) كتبت فى عام ٥٨٤هـ/ ديسمبر ١١٨٨م (زمن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى ٥٦٧-٥٨٩هـ/ ١١٧١-١١٩٣م). طلب فيها أن يُدفع لزوجته مبلغ ١٥ دينار مصرى من الذهب هو مؤخر صداقها، بالإضافة إلى ثلاثة دينارات كان مدين لها بها.

ثانيـا: حرص اليهودى على أن يترك أولاده آمنين ماديا. وكان من عادات اليهود أن الابنة إذا كانت طفلة، كان يمكن لأبيها أن يجعلها وريثته الوحيدة، بشرط أن يذكر ذلك صراحة فى وصيته. وأحيانا كان هناك بعض الآباء الذين يعطون لبناتهم المتزوجات ـ كما يقول جويتاين ـ ميراثا صغيرا، كدليل على أن أباها لم ينسها عند وفاته، على الرغم من أنها فى منزل شخص آخر. ويفهم من ذلك أن العادات اليهودية كانت تفرق فى الميراث بين الابنة المتزوجة، وتلك التى لم تتزوج.

وفى حالات عديدة من الوصايا، وجدنا أن الذكور والإناث كانوا يمنحون أنصبة متساوية، وهو ما كان سائدا فى المجتمع اليهودى ـ كما يقول جويتاين. وقد تم التعبير عن هذه الرغبة فى كلمات أحد الموصيين، فهو يقول فى وصيته: «أنا لا أرغب فى أن أفضل واحدا من أولادى على الآخر».

وذلك على الرغم من أن التقاليد الدينية لليهود كانت تعطى الحق للمولود الأول فى أن يكون له نصيب مضاعف. وهذا يفسر لنا اعتراض الابن الأكبر على وصية والده العجوز ـ السابق ذكرها ـ عندما ساوى بينه وبين أخيه الأصغر.

ويدخل فى هذا الصدد أن هناك الكثير من الوصايا التى كان فيها الشخص يوصى ببعض تركته لأقارب له مثل: بنات الأخ، أو أبناء الأخ، أو العمات، أو الخالات، أو أبناء العم وآخرين.

ففى وصية لسيدة من الفسطاط (لم يعرف اسمها لتلف الوثيقة) كتبت فى عام ٣٩٧هـ/ نوفمبر ١٠٠٦م (خلافة الحاكم الفاطمى ٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م)، خصصت جزءا من تركتها لأخيها، وجزء آخر لإبنة أخيها الآخر.

ثالثـا: كانت الوصايا تتضمن فى معظمها الطريقة التى يحب الشخص أن يدفن بها، والتى تتعلق بملابس الكفن، والموكب الجنائزى، ومكان القبر وغير ذلك.

ففى وصية لسيدة من الفسطاط (لم يعرف اسمها) كتبت فى عام ٣٩٧هـ/ نوفمبر ١٠٠٦م، خصصت جزءا من تركتها لدفنها، وطلبت أن تدفن فى مدينة القدس.

وفى وصيـة لسيـدة تدعى ست الأهل (Sittal-Ahl) كتـبت فى عام ٥٣٨هـ/ أبريل ١١٤٣م ـ سبق الإشارة إليها ـ طلبت فيها أن تدفن فى منزلها، ولا تحمل إلى مقبرة إلا إذا توفى واحد من عائلتها، وتعنى أباها أو أمها أو أخاها، فعند ذلك تدفن مع ذلك الشخص الذى سيموت، فى المقبرة. كما طلبت أن يكون لها ملابس فاخرة تكفن فيها، مكونة من روب من الكتان الدبيقى، وله قلنسوة (أى غطاء للرأس)، وعباءة. وقد حدد تكلفة كفنها بحوالى ٢٥ دينار. وطلبت نعش لها يتكلف حوالى من ٩ إلى ١٠ دينارات.

كذلك فى وصية ست الحسن بنت سعديا (Sitt al-Husn) زوجة القاضى ناثان والتى كتبت بالفسطاط منتصف القرن ٦هـ/١٢م، خصصت جزءا من تركتها لمصاريف دفنها، مثل شراء الكفن والحمالة والمقبرة وغير ذلك.

رابعا: كانت هناك بعض الوصايا التى يوصى فيها الشخص ببعض أمواله فى وجوه الخير والبر، والذى كانت تأخذ أشكالا كثيرة مثل: هبات إلى المحتاجين وإلى المزارات المقدسة، وإلى علماء الدين.

ففى وصية لسيدة من الفسطاط كتبت فى عام ٣٩٧هـ/١٠٠٦م، خصصت جزءاً من تركتها إلى معبدين يهوديين بالفسطاط (لم تذكر اسميهما)(*).

خامساً: كانت بعض الوصايا تتضمن كذلك تحرير صاحبها لبعض عبيده. ففى وصية ست الحسن بنت سعديا ـ السابق ذكرها ـ أوصت بتحرير عبدتين لها، وخصصت لهما من تركتها ربع منزلها الكائن بمنطقة المصاصة بالفسطاط.

(*) كان بالفسطاط ثلاثة معابد لليهود: واحدة بالمصاصة، واثنتان بقصر الشمع. أنظر فى ذلك، الفصل الخاص بالوجود اليهودى فى مصر بعد الفتح العربى.

وفى وصية أخرى كتبها صاحبها بالفسطاط فى عام ٥٧٢هـ/ أكتوبر ١١٧٦م، أوصى بتحرير جارية له تدعى ناشيا (Nashia).

مظاهر الحزن عند اليهود:

كان لليهود عاداتهم فى إظهار حزنهم على الميت، خاصة إذا كان شخصاً محبوباً، فمن هذه العادات: الصيام، فلا يتناول اليهودى الطعام فى أول يوم من أيام الحداد، التى هى سبعة أيام. والعويل يستمر لمدة ثلاثة أيام. وعدم لبس ملابس مطبوعة (مزركشة) لمدة شهر. وعدم حلاقة الشعر لمدة شهر. وتغطية الوجه بالتراب، ويذكر جويتاين أنها عادة يهودية ذكرت بالتوراة، ويرى أنها كانت عادة مصرية أيضا. كذلك تمزيق الملابس وإلقاؤها بعيدا، والجرى فى الشوارع مجردا من الملابس ومغطى فقط بملابس الأسد.

وتظهر هذه العادات بوضوح من خلال رسالة الطبيب أبو ذكرى بن أبو الفرج بن الريس (Abu Zikri b. Abu'l-Faraj b. al-Rayyis) التى أرسلها إلى والده، بعدما وصله خطاب من أبيه يخبره فيه بموت أخيه الأصغر.

ففى فقرات من رسالة هذا الطبيب، نتبين بعض عادات اليهود، فى إظهار الحزن على المتوفى، يقول فى رسالته:

«من كل الملابس التى أرتديها، لم يكن يغطينى إلا ملابس الأسد(*) وعمامة الرأس (التربون) التى نصفها على رأسى والنصف الآخر ملقى فى الطين. وكان كل من يرانى على هذه الحالة، ويسعى ورائى لكى يتكلم معى، يكتشف سريعا أننى لم أكن فى حالة تسمح بالكلام مع أى أحد، وعندما دخلت إلى المنزل، كنت لا أمر على المدفأة أو على الفرن، إلا وأضع التراب على رأسى».

(*) لم يوضح ما هو المقصود بملابس الأسد. (the loin cloth)

ويقول فى موضع آخر بعد ما أرسل إليه الخليفة الفاطمى العزيز (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م) مندوبان عنه لتعزيته: «ولم يكفا عن أن يستحلفونى، ويقسموا بحياة الخليفة، بأننى إذا لم أقبل كلامهم، وأغسل التراب من على وجهى، فلا أحد منهم سوف يحيينى، وسيبلغون الخليفة العزيز بأننى لم أبد اهتماما برسالته، فغسلت وجهى قبل أن يغادروا».

ويقول: «وقضيت اليوم صائما، وأيضا الليل، حتى ظهر اليوم التالى».

ويقول كذلك: «وفى النهاية، سيدى، استحلفك بمعتقداتك التى علمنا إياها موسى لا تدع نفسك تتغلب عليك، بهذه المحنة والغمة، ولا تدع السيدة تبكى لأجل الله! سيدى، تعرف ما أوصى به الحكماء المقدسون فى هذا الصدد: ثلاثة أيام للعويل، وسبعة للحداد، وثلاثون لعدم حلاقة الشعر. والذى يبكى فترة أطول من ذلك، ربما يبكيه الله على شخص آخر».

عادات الدفن عند اليهود:

والمقصود بها كل ما يتعلق بالدفن من الكفن، والنعش، وغسل الميت، ومكان الدفن وغير ذلك. وقد ذكرت سابقا أن وصايا اليهود كانت تتضمن فى معظمها وصية الشخص فيما يتعلق بمكان دفنه، أو ملابس كفنه، أو نعشه.

وبالنسبة لمكان الدفن، فكان الشخص الموصى يوصى أحيانا بأن يدفن بالقرب من آبائه أو أى قريب من أقربائه من نسل آبائه، أو يدفن فى منزله، ولا ينقل إلى مقبرة، كما ورد فى وصية ست الأهل السابق ذكرها. أو يدفن فى مدينة القدس كما فى وصية سيدة أخرى.

أما بالنسبة للكفن، فقد كانت هناك بعض الوصايا التى أوصى فيها الشخص برغبته فى كفن جديد، مثل وصية ست الأهل السابق ذكرها، والتى طلبت أن يكون لها كفن جديد عبارة عن ملابس فاخرة، مكونة من روب من الكتان الدبيقى(*)، وله قلنسوة أى غطاء للرأس، وعباءة، وقد حددت تكلفته بحوالى ٢٥ دينار.

وفى وصية رجل على فراش الموت (لم يذكر جويتاين اسمه ولا تاريخ كتابة الوصية) ذكر فى وصيته أنه لا يرغب فى أن تزيد ملابس الكفن على مايلى: «عباءتين، وثلاثة أرواب، وعمامة من كتان جيد، وملابس داخلية جديدة، وحزام وسط جديد».

وبالنسبة للنعش، فيظهر من وصايا اليهود، أنهم كانوا يدفنون فى نعش، ففى وصية ست الأهل طلبت أن يشترى لها نعش يكون ثمنه ما بين ٩ إلى ١٠ دينارات.

وتذكر المصادر الإسلامية أن أبا سعيد التسترى(**) عندما قتل، اشترى أهله «تابوتا» ووضعوه فيه، ثم غطوا «التابوت» بستر، وأوقدوا أمامه الشموع.

أما بالنسبة لغسل الميت، فتذكر المصادر العربية أن اليهود كانوا يغسلون موتاهم، ولكنهم لا يصلون عليهم، وأن الذى يغسل ميتاً كان يظل نجساً لمدة سبعة أيام، لا يصلى فيها، ويجب عليه أن يغتسل فيها.

وكان المتوفى يقوم بغسله اثنان من المغسلين. وكانت أجور المغسلين تتفاوت تبعا للجودة.

وكان من عادات اليهود الخاصة بالدفن كذلك، أن أيام الأجازات والأيام المقدسة لا يسمح فيها بالدفن.

(*) نسبة إلى مدينة دبيق، أنظر عنها بالتفصيل، الموضوع الخاص بالملابس.

(**) وعنه بالتفصيل أنظر، الحياة التجارية لليهود، واليهود والإدارة فى مصر.

ويذكر القلقشندى أن اليهود كانوا يوجهون موتاهم ناحية القبلة، التى تختلف تبعاً لفرقهم، فالربانيون والقراءون يوجهون موتاهم ناحية بيت المقدس وهى قبلتهم التى يصلون تجاهها، أما السامرة فيوجهون موتاهم ناحية طور نابلس، قبلتهم التى يصلون تجاهها.

المواكب الجنائزية عند اليهود:

بداية نذكر أنه كان من عادات اليهود أن الزوج عليه أن يتحمل مصاريف جنازة زوجته، فقد كان عليه أن يدفن زوجته إذا ماتت، ويقيم لها مراسم الدفن حسب مكانتها أو مكانته، فإذا مات الزوج قبل زوجته، لم يكن أهل الزوج يلزمون بواجب دفن الأرملة، بل يلزم بذلك ورثتها.

على أنه يبدو لنا أن عادة اليهود هذه لم تكن كذلك فى كل الأحوال، ففى وصية ست الأهل، خصصت جزءاً من تركتها لمصاريف جنازتها ـ كما ذكرنا سابقا، وذلك على الرغم من أنها كانت زوجة لقاضى وهو القاضى ناثان بن صمويل، وكان على قيد الحياة. وربما كان تخصيصها لجزء من تركتها لمصاريف جنازتها كان فى حالة لو توفى زوجها قبلها.

على أية حال، فقد كانت مصاريف الجنازة للفرد من الطبقة المتوسطة ـ كما يقول جويتاين ـ تتكلف حوالى عشرة دينارات أو أكثر قليلا.

ومصاريف الجنازة هذه كانت تتضمن كل ما يتعلق بها مثل: الكفن، والمغسلين، والنعش وحامليه، وحفار القبر، والمرتلين بالأدعية (قائد جوقة الترتيل)، والسيدة التى تولول، هذا إلى جانب الطعام والشراب الذى يقدم إلى المعزين طوال أيام الحداد.

والمقصود بقائد جوقة الترتيل، قائد جماعة المصليين، وهو يختلف عن إمام المصلين عند المسلمين ـ كما يقول جويتاين. فقائد جوقة الترتيل، كان مرتلا، يقوم بترتيل الأدعية، وهو يسير فى الجنازة خلف الكفن.

كذلك كان من عادات اليهود فى المواكب الجنائزية، الولولة على الميت، عن طريق تأجير سيدة لهذا الغرض، وكان تأجيرها ـ كما سبق أن ذكرت ـ يدخل من ضمن مصاريف الجنازة.

وقد حرص بعض أصحاب الوصايا على ذكرها فى وصيتهم، وإن كانوا يفضلون من تدين بالديانة الإسلامية، على مَن تدين باليهودية! ففى وصية ست الأهل التى كتبت فى عام ٥٣٨هـ/ أبريل ١١٤٣م طلبت أن يتم العويل عليها بواسطة السيدات المسلمات. وقد علق جويتاين على هذا الطلب بأن السيدات اليهوديات المدربات على العويل، لم يكن صراخهن بالدرجة المرضية لها، وعلى حد قوله فإن السيدة اليهودية كانت لا تستطيع أن تولول بصوت مرتفع، خاصة أثناء مرور الجنازة بمساكن المسلمين، ليس فقط لما يحويه العويل من عبارات، وإنما كذلك للضوضاء الشديدة التى كانت تصاحب هذا العويل.

وفى المقابل هناك بعض الوصايا التى منع أصحابها فيها استئجار سيدة تولول، ففى وصية لرجل على فراش الموت (لم يذكر جويتاين اسمه ولا تاريخ كتابة الوصية)، طلب فيها عدم عويل النساء عليه.

وفى الحقيقة، فإن عادة الولولة على الميت لم تكن مقتصرة فقط على اليهود، فقد عرفها الشعب المصرى منذ العصور القديمة، كما تقول الدكتورة سيدة كاشف، وذلك على الرغم من مخالفتها لتعاليم الدين الإسلامى، وهذا ما دعا بعض الخلفاء والأمراء إلى إصدار الأوامر بمنع النواح، فيذكر ابن عبدالحكم أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى عماله يقول: «أما بعد، فإنه ذُكر لى أن نساء من أهل السنة.... يخرجن إلى الأسواق عند موت الميت ناشرات رؤوسهن، ينحن نياحة أهل الجاهلية، ولعمرى ما رُخص للنساء فى وضع خمرهن مذ أمرن أن يضربن بهن على جيوبهن، فأنْه عن هذه النياحة نهياً شديداً، وتقدم

إلى صاحب شرطكم فلا يقرن نوحاً فى دار ولا طريق، فإن الله قد أمر المؤمنين عند مصائبهم بخير الأمرين فى الدنيا والآخرة، فقال: ﴿ الَّذينَ إذَا أصَابَتْهُمْ مُصيبَةٌ قَالُوا إنَّا لِلَّهِ وَإنَّا إليْهِ رَاجِعُونَ، أوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾(*).

وعندما تولى يزيد بن عبدالله ولاية مصر من قبل المنتصر عام ٢٤٢هـ/٨٥٦م، أمر بمنع النداء على الجنائز، وضَرَب جماعة بسبب ذلك.

وفى عام ٢٥٣هـ/٨٦٧م عندما تولى مزاحم بن خاقان ولاية مصر من قبل المعتز، أمر أن لا يشق ثوب على ميت، ولا يُسوِّد وجه، ومنع النساء من الصياح، وعاقب فيه وتشدد، كما منع النساء من الخروج من بيوتهن والتوجه إلى المقابر، وسجن النوائح.

كذلك منع عيسى النوشرى فى ولايته على مصر من قبل المكتفى عام ٢٩٢هـ/٩٠٤م، النواح والنداء على الجنائز.

وفى خلافة الحاكم بأمر الله على مصر، تعددت أوامره فى هذا الصدد طوال سنوات حكمه (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م). فتذكر المصادر العربية أنه فى عام ٣٩٢هـ/ ١٠٠١م، منع النساء من اللطم خلف الجنائز. وفى عام ٣٩٥هـ/١٠٠٤م منع النساء من كشف وجوههن فى الطريق، ولا خلف جنازة. وفى عام ٤٠٢هـ/١٠١١م منع النساء من الاجتماع فى المآتم، ومن اتباع الجنائز.

وعن مراسم المواكب الجنائزية عند اليهود، يذكر جويتاين أن العادة كانت أن السيدات والرجال يسيرون خلف النعش، يسبقهم قائد جوقة الترتيل، وسيدة تنوح، واثنان يعزفان على الفلوت[1].

وفى الاسكندرية كانت العادة أن تمر المواكب الجنائزية على المعبد اليهودى، أما فى الفسطاط فيبدو ـ كما يقول جويتاين ـ أنها لم تكن معروفة.

(*) سورة البقرة آية رقم ١٥٦ ورقم ١٥٧.

(١) يذكر جويتاين أن عزف الفلوت كان يتم فى حفلات الزفاف والجنائز.

الفصل الخامس

اليهود والإدارة فى مصر

اليهود والنظام الإدارى فى مصر :

- عوامل تولي أهل الذمة للوظائف الإدارية :
  - سياسة الحكم القائم :
    - منذ الفتح العربى وبداية الخلافة الفاطمية :
      - الابقاء على النظام الإدارى القديم بمصر.
      - الصراع على الوظائف وتعريب الدواوين.
      - رسائل الخلافة المتكررة بتحريم استخدام أهل الذمة.
    - فترة الخلافة الفاطمية :
      - عهد العزيز بالله.
      - عهد الحاكم بأمر الله.
    - فترة الدولة الأيوبية :
      - صلاح الدين الأيوبى.
      - العزيز عثمان.
  - مشاعر المسلمين :
    - عصر الولاه :
      - الخليفة المأمون.
      - الخليفة المتوكل.
    - الخلافة الفاطمية :
      - العزيز بالله.
      - المستنصر بالله.
- الموظفون اليهود :
  - موظفو الديوان.
  - الوزراء.

الفصل الخامس

اليهود والإدارة فى مصر

كان استخدام أهل الذمة من اليهود والأقباط فى تولى بعض الوظائف الإدارية فى مصر ـ خاصة فى فترة بحثنا ـ محكوماً بعاملين:

العامل الأول: سياسة الحكم القائم فى مصر.

العامل الثانى: مشاعر المسلمين التى كانت تستطيع أن تؤثر على قرارات هذا الحكم.

وبالنسبة للعامل الأول، فمن دراستنا للمصادر العربية نلاحظ أن سياسة الحكم القائم فى مصر قد مرت ـ خاصة فى فترة دراستنا ـ بمراحل ثلاث:

المرحلة الأولى: منذ الفتح العربى إلى بداية الخلافة الفاطمية فى مصر (من عام ٢٠هـ/٦٤١م إلى عام ٣٥٨هـ/٩٦٨م).

المرحلة الثانية: فترة الخلافة الفاطمية فى مصر (من عام ٣٥٨هـ/٩٦٨م إلى عام ٥٦٧هـ/١١٧١م).

المرحلة الثالثة: فترة الدولة الأيوبية فى مصر (من عام ٥٦٧هـ/١١٧١م إلى عام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م).

وبالنسبة للمرحلة الأولى، ونعنى بها عصر الولاة، فقد تميزت سياسة الولاة فيها بسمات ثلاث:

السمة الأولى: إبقاء العرب على النظام الإدارى المعمول به فى مصر من قبل الدولة البيزنطية.

السمة الثانية: تعريب الدواوين.

السمة الثالثة: رسائل الخلفاء المتكررة بشأن تحريم استخدام أهل الذمة.

وبالنسبة للسمة الأولى، فإن سياسة العرب فى الإبقاء على النظام الإدارى المعمول به فى مصر قبل الفتح العربى عام ٢٠هـ/٦٤١م، كان يعنى استمرار موظفى أهل الذمة من الأقباط واليهود فى وظائفهم. وفى الحقيقة فإن هذه السياسة التى اتبعها العرب فى هذه المرحلة لم يكن أمامهم غيرها، فالعرب لم يكن لديهم نظام أفضل يطبقونه فى مصر ـ كما يقول بتلر ـ لأنهم كانوا رجال حرب وسيف، كما أن النظام الإدارى الموجود فى مصر كان على درجة كبيرة من الإحكام، ذلك أن الدولة البيزنطية التى بنى العرب حضارتهم على أنقاضها كانت ذات تاريخ مجيد من حيث الحضارة والمدنية والنظم السياسية، ومن هنا فإن سياسة العرب فى الإبقاء على هذا النظام الإدارى إنما كان لخدمة مصالحهم.

وقد ترتب على ذلك أن أبقى العرب على الموظفين فى وظائفهم، سواء كان هؤلاء من أهل الذمة ـ أى من الأقباط واليهود ـ أو من الروم، واحتفظوا هم لأنفسهم بالمناصب الرئيسية.

الصراع على الوظائف وتعريب الدواوين:

ثم نقل ديوان مصر من القبطية إلى العربية عام ٨٧هـ/٧٠٥م فى ولاية عبدالله بن عبدالملك بن مروان (٨٦-٩٠هـ/٧٠٥-٧٠٨م).

ولم يتم هذا التعريب فجائيا أو عشوائيا، وإنما كان نتيجة لتوافر طبقة من العرب الذين يستطيعون أن يتولوا الوظائف بدلاً من أهل الذمة. وكان من الطبيعى أن يجرى صراع على الوظائف بين العرب وأهل الذمة دفعت الخليفة عبدالملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م) إلى إرضاء هذه الطبقة العربية عن طريق اتخاذ مثل هذا القرار.

وهذا ما يؤكده ابن خلدون فى مقدمته فهو يقول: «ولما جاء عبدالملك بن مروان، واستحال الأمر ملكا، وانتقل القوم من غضاضة البداوة إلى رونق الحضارة، ومن سذاجة

الأمية إلى حذق الكتابة، وظهر فى العرب ومواليهم مهرة فى الكتاب والحسبان، أمر عبدالملك سليمان ابن سعيد والى الأردن لعهده أن ينقل ديوان الشام إلى العربية»[١].

ومعنى ذلك أنه عندما لاحت أول فرصة للعرب لإخراج موظفى أهل الذمة من وظائفهم لم يترددوا وأخرجوهم. ومعنى هذا أن سياسة العرب بشأن استمرار أهل الذمة فى وظائفهم قد تغيرت عندما وجدوا موظفين مسلمين بدلاً منهم ـ كما ذكرت آنفاً.

على أية حال، فإن قرار تعريب الدواوين يعتبر ـ فى رأينا ـ الخطوة الأولى لتعريب مصر وانتشار اللغة العربية بها، إذ أقبل أهل الذمة من الأقباط واليهود على تعلم اللغة العربية حتى يتسنى لهم الاحتفاظ بوظائفهم أو تولى الوظائف.

رسائل الخلفاء المتكررة بتحريم استخدام أهل الذمة:

نلاحظ أن هذه المرحلة ونعنى بها عصر الولاة قد اتسمت برسائل متكررة من الخلفاء تمنع بل وتحرم استخدام أهل الذمة من اليهود والأقباط فى وظائف الدولة. مما يعد دليلاً ـ كما ذكرت سابقا ـ على رفض الحكم القائم ونعنى بهم الخلفاء، لسياسة استمرار موظفى أهل الذمة فى وظائف الدولة، على الرغم من أنه لم يكن فى التشريع الإسلامى ـ كما يقول آدم متز ـ ما يغلق دون أهل الذمة أى باب من أبواب الأعمال.

وقد يكون وراء هذا التحريم محاولة الخلفاء دفع أهل الذمة إلى اعتناق الدين الإسلامى إذا أرادوا الاحتفاظ بوظائفهم.

ومن دراستنا لرسائل الخلفاء لتحريم استخدام أهل الذمة، لاحظنا أنها كانت ترجع إما للسياسة التى يتبعها الخليفة بشأن تعيين أهل الذمة فى الوظائف، وإما لمشاعر

---

(١) يقول الجهشيارى أن السبب الذى دفع عبدالملك بن مروان لتعريب الدواوين: إنه «كان يتقلد ديوان الشام بالرومية لعبدالملك ولمن تقدمه سرجون بن منصور النصرانى، فأمره عبدالملك يوما بشىء فتثاقل عنه، وتوانى فيه، فعاد لطلبه وحثه فيه، فرأى منه تفريطا وتقصيراً، فقال عبدالملك لأبى ثابت سليمان بن سعد الخشنى ـ وكان يتقلد له ديوان الرسائل ـ: أما ترى إدلال سرجون علينا؟ وأحسبه قد رأى أن ضرورتنا إليه وإلى صناعته، أفما عندك حيلة؟ قال: لو شئت لحولّت الحساب إلى العربية، قال: فافعل. فحوّله. فرد إليه عبدالملك جميع دواوين الشام».

السخط التى كانت تنتاب المسلمين من جراء هذا التعيين فيضطر الخليفة إلى إصدار أوامره بالتحريم والمنع.

ونلاحظ من دراسة المصادر الإسلامية أن ذلك التحريم بدأ من وقت مبكر جداً، أى منذ عهد عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤-٦٤٣م)، إلا أن الدكتورة سيدة كاشف ترى أن عمر بن الخطاب برئ من هذه الشروط والأحكام التى أصبحت تعرف بالشروط العمرية أو عهد عمر، خاصة وأن هذه الشروط والأحكام قد أصابها الزيادات الكثيرة والتأويلات وسوء التفسير والتحريف منذ القرن ٥هـ/١١م.

على أية حال، يبدو لنا أن هذا التحريم قد لقى صعوبات كثيرة تتصل بعدم توافر العمالة الإسلامية التى تستطيع أن تسد فى جميع الأعمال. وهذا هو السبب ـ فى رأينا ـ فيما نقلته المصادر الإسلامية من رسائل الخلفاء المتكررة لتحريم استخدام أهل الذمة فى أزمنة مختلفة، مما يدل على استمرار بعضهم فى العمل.

فقد كتب عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م) إلى عماله يقول: «أما بعد، فإنه مَن كان مِن قِبَله كاتب من المشركين، فلا يعاشره ولا يوادده، ولا يجالسه، ولا يعتضد برأيه، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمر باستعمالهم، ولا خليفته من بعده».

وكتب عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) إلى جميع عماله رسالة يطلب فيها عزل أهل الذمة عن الوظائف، ويهددهم إذا أحد منهم استخدمهم، فيقول فيها: «إن المسلمين كانوا فيما مضى إذا قدموا بلدة فيها أهل الشرك، يستعينون بهم، لعلمهم بالجباية والكتابة والتدبير، فكانت لهم فى ذلك مدة، فقد قضاها الله بأمير المؤمنين. فلا أعلم كاتبا ولا عاملاً فى شيء من عملك على غير دين الإسلام، إلا عزلته، واستبدلت مكانه رجلاً مسلماً»[١].

---

(١) فى كتاب ابن النقاش يقول: «فلا أعلم أن أحدا من العمال أبقى فى عمله رجلا متصرفا على غير دين الإسلام إلا نكلت به... وليكتب كل منهم بما فعله فى عمله».

ويقول ابن الأثير: إن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى عماله رسالة يقول فيها: «أما بعد، فإن الله عز وجل أكرم بالإسلام أهله، وشرفهم وأعزهم، وضرب الذلة والصغار على من خالفهم، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، فلا تولين أمور المسلمين أحداً من أهل ذمتهم وخراجهم فتتبسط عليهم أيديهم وألسنتهم، فتذلهم بعد أن أعزهم الله، وتهينهم بعد أن أكرمهم الله تعالى، وتعرضهم لكيدهم والاستطالة عليهم، ومع هذا فلا يؤمن غشهم إياهم، فإن الله عز وجل يقول: ﴿لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾[١]. و﴿لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[٢]. والسلام».

وفى عهد أبى جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م) صرف أهل الذمة عن أعمالهم، واستعمل عوضا عنهم مسلمين.

وفى عهد المهدى (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٤-٧٨٥م) حين تبين أن بعض أهل الذمة مايزالون يتولون المناصب، أرسل إلى عماله يطلب منهم عدم استخدام كتّاب من أهل الذمة، حتى إنه هدد بقطع يد من يخالف هذا الأمر، فيقول: «وإن علم أن أحدا من المسلمين استكتب أحدا من النصارى قطعت يده».

وفى عهد هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٨م) صرف أيضا أهل الذمة عن أعمالهم، واستعمل عوضاً عنهم مسلمين.

وفى زمن المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م) وأثناء وجوده فى مصر عام (٢١٧هـ/٨٣٢م) تظلم المسلمون إليه من وجود أهل الذمة فى الوظائف، فأرسل إلى عمرو ابن عبدالله الشيبانى، وطلب منه أن يخبره عن أصل القبط، فأخبره بأنهم بقية الفراعنة الذين كانوا بمصر، كما أخبره أن عمر بن الخطاب نهى عن استخدامهم، فأمر بعدم استخدامهم.

---

(١) سورة آل عمران آية رقم (١١٨).
(٢) سورة المائدة آية رقم (٥١).

كمـا صـرف المتـوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٦-٨٦١م) أيضـا أهل الذمـة عن الأعمال، وذلك ـ كما يقول ابن النقاش ـ لأن المباشرين منهم للأعمال كثروا فى زمانه وزادوا على الحد، فكانت الأعمال كلها أو عامتها إليهم فى جميع النواحى، وذلك فى عام ٢٣٥هـ/٨٤٩م. فخرج الكتاب النصارى من الديوان وجعل عوضاً عنهم مسلمين(*).

أما المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٧-٩٣٢م) فإنه فى عام ٢٩٥هـ/٩٠٧م عزل كتّاب النصارى وعمالهم، وأمر ألاّ يستعان بأحد من أهل الذمة، وقد أرسل رسالة إلى عماله كان من ضمنها: «وقد أمر أمير المؤمنين بترك الاستعانة بأحد من أهل الذمة، فليحذر العمال تجاوز أمر أمير المؤمنين ونواهيه».

هذا بالنسبة للمرحلة الأولى من مراحل تغير نظام الحكم فى مصر، وسنتناول فى الصفحات القادمة المرحلة الثانية وسياسة حكامها فى استخدام أهل الذمة ومنهم اليهود فى تولى بعض الوظائف الإدارية.

المرحلة الثانية: وهى فترة الخلافة الفاطمية فى مصر من عام (٣٥٨هـ/٩٦٨م إلى عام ٥٦٧هـ/١١٧١م):

وقد تميزت هذه المرحلة بإعطاء حرية كبيرة لأهل الذمة من الأقباط واليهود للاشتغال فى الوظائف الإدارية. فمن دراستنا للمصادر الإسلامية لا نجد ـ فى حدود علمى ـ أى قرارات لتحريم استخدام أهل الذمة فى وظائف الدولة إلاّ فى عهدين:

الأول: عهد العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م).

والثانى: عهد الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م).

(*) ذكرت فى موضع سابق نقلا عن الدكتورة سيدة كاشف أن التشريعات التى كانت تصدر ضد أهل الذمة لم تكن تنفذ كاملة، وكان أثرها يخف كثيراً إلى أن تقوم تشريعات جديدة لتأكيدها. وكان ساويرس قد اشترك مع مؤرخى الخلافة ومؤرخى مصر الإسلامية فى تفصيل اضطهاد المتوكل لأهل الذمة، إلا أنه عاد وامتدح المتوكل مدحاً كثيراً، فقال إنه فى أواخر أيام المتوكل استقامت أمور النصارى وأسبغت عليهم النعم العظيمة.

وبالنسبة لعهد العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م) فقد لاحظنا أن الأمر لم يزد عن كونه عزل موظف أساء فى موقع وظيفته، ثم عودته إلى وظيفته مرة أخرى بشرط أن يستخدم موظفين مسلمين فى إدارته، يكونون تحت إمرته، كما سنرى فيما بعد[١]، لكن لم يكن هناك تحريم بالمعنى السابق.

أما فى زمن الحاكم بأمر الله فتذكر المصادر الإسلامية أنه «أمر ألاّ يولّوا (أى أهل الذمة) شيئاً من أعمال الإسلام»، وكتب كتابا بذلك.

ويبدو أن هذا الأمر كان نتيجة لسيطرة أهل الذمة على معظم الدواوين، وتوافر وتزايد أعداد المتعطلين من المسلمين الذين يمكن إحلالهم فى وظائف الدولة، مما أدى إلى صراع على الوظائف وصل إلى الدرجة التى استلفتت نظر الحاكم فأمر بتسجيل أسماء المسلمين المتعطلين من المتصرفين والكتّاب الذين يصلحون للخدمة فى دواوين الحكومة ليعينهم فى وظائف الدولة ومرافقها، وذلك حتى لا يستأثر الموظفون الذميون بوظائف الدولة. وهذا يؤكد ما قلناه سابقا من أن توافر طبقة من الموظفين المسلمين كان يستلزم بالضرورة إحلالهم محل الموظفين الذميين.

لكن يبدو أن هذا الأمر لم يؤخذ به دائما يدل على ذلك أن المقريزى يشير إلى حادثة كان سببها شائعة جرت فى مصر، يتضح منها استمرار أهل الذمة من الأقباط واليهود فى الوظائف جنبا إلى جنب مع المسلمين.

فيذكر المقريزى أنه فى عام ٣٩٤هـ/١٠٠٣م أمر الحاكم بأمر الله بعمل شونة ملئت بالسنط والبوص والحلفا، وعندما تم الانتهاء من العمل بها فى عام ٣٩٥هـ/١٠٠٤م «خامر قلوب الناس جزع شديد، وظن كل من يتعلق بخدمة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله

(١) سنتناول أسباب التحريم فى زمن العزيز بالله عندما نتناول العامل الثانى الذى أثر على سياسة تولى أهل الذمة الوظائف، والذى يتمثل فى مشاعر المسلمين، خاصة وأن قرار التحريم فى زمن العزيز بالله كان نتيجة لمشاعر السخط التى انتابت المسلمين.

أن هذه الشونة عملت لهم، ثم قويت الاشاعات وتحدث العوام فى الطرقات أنها للكتّاب وأصحاب الدواوين وأسبابها، فاجتمع سائر الكتاب وخرجوا بأجمعهم فى خامس ربيع الأول، ومعهم سائر المتصرفين فى الدواوين من المسلمين والنصارى.....، ولم يزالوا يقبلون الأرض حتى وصلوا إلى القصر، فوقفوا على بابه يدعون ويتضرعون ويضجون ويسألون العفو عنهم، ومعهم رقعة قد كتبت عن جميعهم، إلى أن دخلوا باب القصر الكبير وسألوا أن يعفى عنهم، ولا يسمع فيهم قول ساع يسعى بهم، وسلموا رفقعتهم إلى قائد القواد الحسين بن جوهر، فأوصلها إلى أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله، فأجيبوا إلى ما سألوا، وخرج إليهم قائد القواد فأمرهم بالانصراف والبكور لقراءة سجل العفو عنهم، فانصرفوا بعد العصر، وقرئ من الغد سجل كتب منه نسخة للمسلمين، ونسخة للنصارى، ونسخة لليهود بأمان لهم والعفو عنهم».

وفى الحقيقة فإن هذا السجل يعتبر ـ فى رأينا ـ إذنا صريحاً من الحاكم بأمر الله باستمرار أهل الذمة من الأقباط واليهود فى العمل فى الوظائف الإدارية فى الدولة.

لذلك يقـول أوليـرى (O'Leary) كمـا أورد رأيه الدكتـور حسن إبراهيم حسن فى كتابه: إن استخدام النصارى واليهود فى المناصب المدنية هو عُرف شائع قليلاً أو كثيراً فى البلاد الإسلامية، فقد بالغ الفاطميون أنفسهم فى استعماله أكثر مما جرت به العادة من قبل».

وهكذا اختلفت سياسة حكام هذه المرحلة اختلافاً كبيراً عن سياسة حكام المرحلة الأولى، وهو الأمر الذى دفع الكثير من المؤرخين المحدثين إلى التعجب منه أو إلى محاولة تفسيره.

فيقول آدم متز الذى يتعجب من سياسة الفاطميين المتسامحة هذه تجاه أهل الذمة: وقد أظهر الخلفاء الفاطميين الأوائل لأهل الذمة تسامحاً نعجب له، إذ لا ينتظر ذلك من قوم مثلهم لهم مذهب خاص انفردوا به، وخالفوا به جمهور المسلمين(*).

(*) وربما كان هذا سبباً رئيسياً لتسامحهم!! كما تقول الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف.

أما الدكتـور سلام شافعى فقد حاول أن يفسر هذا الموقف من جانب الخلفاء الفاطميين إزاء أهل الذمة، فهو يرى أنه «لا يرجع إلى سياسة التسامح الدينى أو إلى صلة المصاهرة معهم فحسب ـ كما فى حالة العزيز بالله الفاطمى ـ أو إلى حاجة الدولة إلى خبرة أهل الذمة وعلمـهم، وإنما يرجع ذلك فى المقام الأول إلى أن الفاطميين وجدوا أنفسهم فى محيط عدائى من أهل السنة وهم الأغلبية الكبرى من المصريين، ولذلك لم يكن هناك مناص من أن يعتمدوا على أهل الذمة الذين كانوا يشكلون أقلية نشيطة تقدر بحوالى ثلث الشعب المصرى».

وهذا الرأى يبدو صائبا، خاصة وأن الفاطميين قد أقاموا فى مصر خلافة مستقلة عن الخلافة العباسية، فكانت الاستعانة بموظفين مسلمين من المصريين، يدينون بالولاء للخلافة العباسية يمثل خطورة على استقلالهم فى مصر، لذلك أخذوا فى الاستعانة تدريجيا بموظفين إداريين من أهل الذمة، هذا إلى جانب ما أورده النويرى من أن جوهر الصقلى قد أشرك مع كل موظف مصرى آخر مغربى وذلك فيما يبدو لتدريب المغاربة الشيعيين على الإدارة فى مصر، وتكوين طبقة من الموظفين المغاربة تحل محل المصريين الذين يدينون بالمذهب السنى، وتحل كذلك محل أهل الذمة.

ولكن هذه السياسة لم يكتب لها النجاح، نظرا لأن المغاربة ـ كما يقول آدم متز ـ كانوا أصعب فى التعامل مع الدولة من غيرهم.

المرحلة الثالثة: وهى فترة الدولة الأيوبية فى مصر من عام (٥٦٧هـ/ ١١٧١م إلى عام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م):

وقـد بدأ هذه المرحلة صـلاح الدين الأيوبى (٥٦٧-٥٨٩هـ/ ١١٧١-١١٩٣م) بتحريم استخدام أهل الذمة فى وظائف الدولة.

ونلاحظ أن عودة هذا التحريم على يد صلاح الدين إن هو إلا تأكيد لعودة مصر تحت مظلة الخلافة العباسية، أى إلى سابق عهدها فى المرحلة الأولى (عصر الولاة)، لذلك تشابهت المرحلتان الأولى والثالثة فى قرارات التحريم.

فيذكر المقريزى أن السلطان صلاح الدين (٥٦٧-٥٨٩هـ/ ١١٧١-١١٩٣م) أمر فى شهر شعبان من عام ٥٦٧هـ/٥٨٩م «بصرف أهل الذمة، والمنع من استخدامهم فى أمر سلطانى، ولا شغل ديوانى، فصرف جماعة». كما يقول: «فلما كان الخامس عشر منه صُرفت جماعة من وجوه أهل الذمة من الأشغال السلطانية، وبقى بعضهم».

وقد أورد الدكتور سلام شافعى فى كتابه بعض الآراء التى حاولت أن تفسر دافع صلاح الدين لاتخاذ مثل هذا القرار، فيرى (فييت) أن قرار صلاح الدين بشأن اخراج الذميين من الدواوين كان «بمثابة حركة تطهير أجريت ضد الفاطميين أكثر منها بغضاً للنصارى». ويرى «چاك تاجر» أن «صلاح الدين رفض الاعتراف بالامتيازات التى حصل عليها النصارى فى عهد الفاطميين».

ويرى الدكتور سلام شافعى أنه فى زمن العزيز عثمان (٥٨٩-٥٩٥هـ/ ١١٩٣-١١٩٨م) نعم الموظفون من أهل الذمة بالاستقرار فى وظائفهم، ويستدل على ذلك بصمت المصادر الإسلامية عن ذكر أية قيود أو اجراءات إدارية فيما يتعلق بهم.

على أن هذا الدليل يمكن الطعن فيه بأن العزيز عثمان ربما كان قد أصدر قرارا بمنع استخدام أهل الذمة فى الوظائف فى مصر، ولم تذكره المصادر الإسلامية، خاصة وأن المقريزى قد أشار إلى أن العزيز عثمان قد منع فى عام ٥٩٢هـ/١١٩٥م من استخدام أهل الذمة «فى شيء من الخدم السلطانية» فى دمشق. فهل يمكن أن تختلف سياسته فى مصر عنها فى دمشق وكلاهما واقع تحت سيطرته؟(*)

العامل الثانى: مشاعر المسلمين:

تناولنا فى الصفحات السابقة العامل الأول الذى أثر على تعيين أهل الذمة من الأقباط واليهود فى الوظائف الإدارية فى مصر، وسنتناول فى الصفحات القادمة العامل الثانى

(*) ترى الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف أن كل بلد له ظروفه الخاصة.

ويتمثل فى مشاعر السخط التى كانت تنتاب المسلمين من وقت إلى آخر من تولى أهل الذمة الوظائف الإدارية وتأثيرها على قرارات الحكم القائم.

وبداية نحب أن نوضح أن مشاعر السخط التى كانت تنتاب المسلمين لم تكن نتيجة لاختلاف ديانتهم عن أهل الذمة، وإنما كانت لأسباب تتصل بالدرجة الأولى بالصراع على الوظائف بين المسلمين وأهل الذمة، فبعد أن توافر عدد المسلمين الصالحين لتولى الوظائف، اتجهوا إلى خلع أهل الذمة من هذه الوظائف على اعتبار أنها حقهم هم بوصف دولتهم دولة إسلامية. مع ذلك فهناك أسباب أخرى مساعدة، على رأسها المعاملة المجحفة التى كان يتعامل بها موظفو أهل الذمة ـ المسلمين، ومحاباتهم أهل دينهم، وتسهيل تعينهم فى الوظائف على حساب المسلمين.

ويكفى أن نشير إلى بعض الأمثلة التى ذكرتها المصادر، والتى نفهم من خلالها أن تعيين موظفين من أهل الذمة (أى من الأقباط واليهود) كان يمثل خطورة على وظائف المسلمين، فقد كان هؤلاء يقومون بدورهم بتسهيل تعيين أهل دينهم فى الوظائف المختلفة على حساب طبقة الموظفين المسلمين. ثم نشير إلى مشاعر السخط التى كانت تنتاب المسلمين ـ نتيجة لذلك ـ ضد موظفى أهل الذمة وخاصة اليهود، وأثرها على قرارات الحكم القائم. وأخيراً نتناول دور الشعر العربى فى وصف مشاعر المسلمين والتعبير عنها من خلال نقد تعيين موظفى اليهود بالأخص.

ففى عصر الولاة، يذكر ابن النقاش أن نهى الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م) عن استخدام أهل الذمة فى الوظائف الإدارية فى مصر، أثناء زيارته لها عام (٢١٧هـ/٨٣٢م) ـ كان نتيجة لتظلم المسلمين إليه من وجودهم فى الوظائف الإدارية.

كذلك يذكر ابن النقاش أن المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٦-٨٦١م) صرف أهل الذمة عن الأعمال فى عام ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م لأن «المباشرين منهم للأعمال كثروا فى زمانه، وزادوا على الحد، وغلبوا على المسلمين بخدمة أمه وأهله وأقاربه، وذلك فى سنة ٢٣٥هـ، فكانت الأعمال الكبار كلها أو عامتها إليهم فى جميع النواحى».

ويذكر ساويرس أنه بسبب هذا القرار خرج الكتاب النصارى من الديوان، وجعل عوضا عنهم مسلمون.

أما فى عصر الخلافة الفاطمية، فعندما استوزر العزيز بالله الفاطمى (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م) عيسى بن نسطورس وكان نصرانيا فى مصر، واستناب فى الشام رجلاً يهوديا يعرف بِمنشَّا[١] بن إبراهيم.يقول ابن القلانسى: «مال (أى عيسى بن نسطورس) إلى النصارى، فقلدهم الأعمال والدواوين، واطرح الكتّاب المتصرفين من المسلمين..... فسلك (أى منشا) مسلكه فى التوفر على اليهود، وعيسى مع النصارى مثله، واستولى أهل هاتين الملتين على الدولة». ويقول ابن الوردى: «فاستطالت النصارى واليهود بسببهما». ويقول خواندمير: «فظلما أهل الإسلام أيما ظلم». أما السيوطى فيقول: «فعز بسببهما اليهود والنصارى على المسلمين فى ذلك الزمان». وكان السيوطى قد نقد قرار العزيز بالله بشأن التعيين السابق ذكره، واعتبره من غرائب تصرفات العزيز بالله فيقول: «ومن غرائبه أنه استوزر رجلا نصرانيا يقال له عيسى بن نسطورس، وآخر يهوديا اسمه منشا».

والحقيقة أن قرار العزيز بالله هذا لم يثر فقط المؤرخين المسلمين، وإنما أثار كذلك سخط المسلمين فى ذلك الوقت، مما كان له أثره على تغيير قرار العزيز بالله، وهو ما أشارت إليه المصادر الإسلامية، فقد كتبت رقعة إلى العزيز بالله، اختلفت المصادر العربية فيمن حملها إليه، واعترض بها موكبه، فبينما تذكر مصادر أن الذى حملها إمرأة حقيقية، تذكر مصادر أخرى أنها لم تكن إمرأة حقيقية، وإنما هى مصنوعة من الورق أى دمْية تلبس ثياب النساء. على أية حال فقد كتب فى هذه الرقعة ما معناه وإن اختلفت فى نصه المصادر

(١) مشكَّلة هكذا فى كتاب تاريخ الدولة الفاطمية للدكتور حسن إبراهيم حسن ص٢٠٢.

الإسلامية: بالذى أعز النصارى بعيسى بن نسطورس، وأعز اليهود بمنشا بن إبراهيم، وأذل المسلمين بك (بهما)، إلاّ نظرت فى أمرى (وكشفت ظلامتى). وفى رواية ابن اياس: «إلا ما رحمتهم، وأزلت عنهم هذه المظالم». فعند ذلك أمر العزيز بالله بالقبض عليهما، وأن ترد الأعمال فى الدواوين إلى الكتّاب المسلمين.

وقد أفرط ابن إياس فى وصف مشاعر الغضب التى انتابت العزيز بالله فذكر أنه قد أمر بشنق الوزير نسطورس، فشنق على باب قصر الزمرد[١] فى نفس اليوم الذى قبض عليه فيه، كما أمر بشنق منشا اليهودى، فشنق على باب قلعة الشام.

وفى الحقيقة أن الوزير نسطورس لم يشنق، بل أعيد مرة أخرى إلى وظيفته بشفاعة (ست الملوك) ابنة العزيز بالله، وبعد دفع مبلغ ٣٠٠ ألف دينار للخزانة، وشُرِط عليه كما يقول النويرى: «استخدام المسلمين فى دولته وأعماله».

وفى زمن المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م) عندما اتسعت سلطات أبو سعد التسترى اليهودى فشملت جميع أمور الدولة بما فيها الوزارة - وهو ما سنتناوله بالتفصيل فيما بعد - عامل المسلمين معاملة قاسية جداً.

فيقول النويرى: «وكان التسترى قد زاد أذاه فى حق المسلمين حتى كانوا يحلفون: وحق النعمة على بنى إسرائيل».

وكان الدور الكبير الذى لعبه لتعيين «الفلاحى» اليهودى فى منصب الوزارة ونجاحه فى ذلك - وهو ما سنتناوله بالتفصيل فيما بعد -، دليلاً على ما نوهنا إليه سابقا من أن

(١) وهو أحد أبواب القصر الصغير الغربى، الذى يعرف أيضا بقصر البحر، ومكانه المارستان المنصورى. بناه العزيز بالله نزار بن المعز فى غرب القصر الكبير الذى يقال له القصر الكبير الشرقى لأنه كان فى الجهة الشرقية من القاهرة، ويسمى القصر المعزى لأن المعز لدين الله هو الذى أمر جوهر ببنائه. وكان موضع باب الزمرد - كما يقول المقريزى - اصطبل القطبية قريبا من باب البستان الكافورى.

موظفى أهل الذمة من الأقباط واليهود كانوا يقومون بتسهيل تعيين أهل دينهم فى الوظائف المختلفة.

ويرى الدكتور حسن إبراهيم حسن أن نجاح الفلاحى فى تدبير مؤامرة لقتل التسترى قد ساعده عليها شعور السخط الذى انتاب المسلمين فى ذلك الوقت، لاسناده مناصب الدولة إلى بنى جلدته من اليهود الذين اضطهدوا المسلمين اضطهاداً واضحاً.

ويظهر من خلال هذه الحادثة دور الشعر العربى فى وصف مشاعر السخط التى انتابت المسلمين، فيقول أحد الشعراء(*):

يهود هذا الزمان قد بلَغَوا ... غاية آمالهم وقد ملَكوا

العزُّ فيهم والمال عندهم ... ومنهم المستشار والملكُ

يا أهل مصر إنى نصحت لكم ... تهوّدوا قد تهود الفلكُ

مع كل ذلك فإن موظفى أهل الذمة ظلوا طوال العهود الثلاثة أى طوال حوالى ستة قرون ونصف يتولون الوظائف الإدارية، حيث أشارت المصادر العربية إلى أسماء كثير من موظفى أهل الذمة، كما أشارت إلى رسائل الخلفاء المتكررة لتحريم استخدام أهل الذمة فى أزمنة مختلفة، مما يدل على استمرار بعضهم فى العمل.

وسنعرض فى الصفحات القادمة موظفى اليهود الذين تولوا الوظائف الإدارية فى مصر، وكان من أهمها وظيفتى: الديوان والوزارة.

موظفو الديوان من اليهود:

يعقوب بن كلس

وهو يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داود بن كلس وكنيته أبو الفرج. كان يهوديا. ولد ببغداد ونشأ بها، وتعلم الكتابة والحساب. سافر أبوه إلى الشام وأرسله إلى مصر عام ٣٣١هـ/٩٤٢م. وفى رواية أخرى أنه إنتقل مع أبيه إلى الشام، ونزل بمدينة

(*) ذكره الدكتور حسن إبراهيم حسن باسم الشاعر ابن البواب، وذكره آدم متز باسم الشاعر الحسن بن خاقان.

الرَّمْلَة(*)، فأقام بها، وعمل وكيلا للتجارة بها، وعندما تراكمت عليه الديون وعجز عن سدادها هرب من الشام وسافر إلى مصر عام ٣٣١هـ/ ٩٤٢م (فى ولاية الاخشيد ٣٢٣-٣٣٤هـ/ ٩٣٤-٩٤٥م).

وفى مصر ترقى ابن كلس – كما تذكر المصادر الإسلامية – فى وظائف الدولة، حتى تولى إدارة الدواوين وذلك فى زمن كافور والمعز (٣٦٢-٣٦٥هـ/ ٩٧٢-٩٧٥م)، ثم تولى منصب الوزارة فى زمن العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م).

وما يهمنا هنا هو توليته لإدارة الدواوين فى مصر زمن كافور والمعز. فتذكر المصادر العربية أنه عندما وصل إلى مصر عام ٣٣١هـ/ ٩٤٢م، اتصل ببعض خواص كافور، الذى عهد إليه بعد ذلك بإدارة الشئون المتعلقة بداره، فرأى من نجابته ما جعله يجلسه فى ديوانه الخاص فى الشام ومصر. ويذكر ابن زولاق أن سلطات ابن كلس فى الديوان الخاص أخذت تزداد حتى «صار الأشراف يقومون له» خاصة بعدما أمر كافور أصحاب الدواوين بألا يصرف شيء من الأموال «درهم ولا دينار» إلا بتوقيع ابن كلس.

كان يعقوب بن كلس – كما ذكرت سابقا – يهوديا ثم أسلم. وقد أثار إعلان إسلامه فى أيام كافور الكثير من الشكوك بين المؤرخين المسلمين حول سبب إسلامه، خاصة بعدما وصله مقولة كافور التى تقول: «لو كان هذا مسلماً لصلح أن يكون وزيراً». فيذكر ابن القلانسى أنه عندما بلغه ما قاله كافور «طمع فى الوزارة»، ويقول المقريزى: «تاقت نفسه إلى الولاية».

كما شكك سيبويه المصرى فى صحة إسلام ابن كلس، فيذكر ابن زولاق أن سيبويه عندما علم بإسلامه أخذ فى سبّه، ثم قال له عندما رآه يذهب لصلاة الجمعة: «أنا ألهم لكل جديد لذة، ولكل متصنع رده» مما دفع ابن كلس – كما يفهم من ابن زولاق – إلى

(*) وهى مدينة عظيمة بفلسطين.

أن يرسل إليه مالا أو هدية ليستعطفه ويجعله يكف عن نقده، فيقول: «فأرسل إليه بعد انصرافه من ابن المغازلى ببر[1] يستكفه ويستعطفه».

وقد اختلفت المصادر العربية فى السنة التى أعلن فيها ابن كلس إسلامه، فبينما تذكر مصادر أنه أسلم عام ٣٥٠هـ/٩٦١م، نجد مصادر أخرى تذكر أنه أسلم عام ٣٥٦هـ/٩٦٦م.

وقد كانت مراسم إعلان إسلامه تتمثل فى قيامه بصلاة الصبح فى جامع مصر (أى جامع عمرو بن العاص)، ثم الركوب إلى دار كافور الذى خلع عليه، ويذكر ابن الصيرفى أن هذه الخلع كانت عبارة عن «غلالة[2] ومبطَّنه[3] ودرّاعة»[4]. وكان يصحبه عبدالله بن الخازن وجمع كثير، فذهب بهم إلى داره، وهناك فى داره أخذ فى استقبال مهنئيه من رجال الدولة.

على أية حال، فإن إسلام ابن كلس بعد مقولة كافور السابق ذكرها، تدل على رغبته وطمعه فى أن يكون وزيراً، على أن رغبته فى تولى منصب الوزارة لم تتحقق فى زمن كافور، وإنما تأخرت إلى زمن العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م)، وربما

(١) البِر ـ بكسر الباء ـ تعنى الصلة والجنة والخير والحج والاتساع فى الإحسان. والبُرّ بضم الباء فتعنى الحِنْطة أى القمح.

(٢) غلاَلَة: شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضا.

(٣) مبطنة: ربما كانت تعنى الجبة المحشوة المبطنة، التى ظهرت فى العصر العباسى، وكانت تلبس فى الشتاء. والجبة تلبس فوق الثياب، ولها أكمام وجيوب طويلة وعريضة، لبسها المسلمون فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٤) الدراعة: أما الدراعة فهى جبة مشقوقة من المقدمة، لبسها الخلفاء والوزراء والأغنياء كما لبسها الفقراء. منها الرقيقة المفردة، ومنها دراريع الديباج المفردة، ومنها السوداء اللون، ومنها الخضراء المصنوعة من الخز، ومنها المصنوعة من الصوف وتسمى بالمدرعة.

يرجع عدم تحقيقها زمن كافور ـ فى رأينا ـ لوفاة كافور عام ٣٥٧هـ/٩٦٧م، وهذا ما يدفعنا إلى الاعتقاد بصحة الرأى القائل بأنه أسلم عام ٣٥٦هـ/٩٦٦م فلو كان أسلم عام ٣٥٠هـ/٩٦١م وكان كافور قد قال ما قاله عن توليه للوزارة، فلم لم يعينه وزيرا خلال السبع سنوات أعنى بها من يوم إسلامه عام ٣٥٠هـ/٩٦١م إلى وفاة كافور عام ٣٥٧هـ/٩٦٧م.

وفى الحقيقة أن وفاة كافور كان نقمة على ابن كلس، فقد قبض عليه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابة[1]، وصادر منه مبلغ أربعة آلاف وخمسمائة دينار.

ويبدو ـ فى رأينا ـ أن رغبة ابن كلس فى توليه الوزارة هى التى دفعت الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات إلى القبض عليه واعتقاله بعد وفاة كافور، خاصة وأن رغبته هذه كانت تهدد منصبه فى الوزارة، وليس كما يقول ابن زولاق إن اعتقاله كان بسبب حسد ابن الفرات له.

فقد كان ابن الفرات وزيراً للدولة الإخشيدية مدة إمارة كافور، ولما استقل كافور استمر فى وزارته، وبعد وفاة كافور استقل بالوزارة وتدبير المملكة لأحمد بن على بن الاخشيد.

(١) وهو الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات المعروف بابن حنْزَابة (٣٠٨-٣٩١هـ/ ٩٢٠-١٠٠٠م). كان وزيرا للدولة الإخشيدية بمصر مدة إمارة كافور. ولَما استقل كافور استمر على وزارته، وبعد وفاة كافور استقل بالوزارة وتدبير المملكة لأحمد بن على بن الاخشيد. وقد كان ابن حنزابة عالماً، محباً للعلماء، شاعراً، وكان يملى الحديث بمصر وهو وزير، وقد قصده الأفاضل والعلماء من الأقطار الأخرى، ومنهم أبو الحسن على المعروف بالدارقطنى الذى حضر إليه من العراق ليصنف مُسْنَدا، فلم يزل الدارقطنى عنده حتى فرغ من تأليفه، وحصل له من جهته مال كثير. حنْزَابة: بكسر الحاء المهملة وسكون النون وفتح الزاى وبعد الألف باء موحدة مفتوحة ثم هاء. هى أمَ أبيه الفضل بن جعفر. هكذا ذكره ثابت بن قرة فى تاريخه. والحنزابة فى اللغة: المرأة القصيرة الغليظة.

على أية حال، فقد أطلقه الوزير ابن الفرات بعد توسط أبى جعفر الحسينى[١]، ففر إلى بلاد المغرب فى عام ٣٥٧هـ/٩٦٧م[٢]، وقيل إنه لقى القائد جوهر بن عبدالله مولى المعز فى الطريق وهو متوجه بالعسكر إلى مصر ليملكها فرجع معه، وقيل ذهب إلى أفريقية ثم رجع إلى مصر، ويذكر المقريزى أنه لحق بخدمة المعز لدين الله، وظل فى خدمته حتى قدم من المغرب إلى القاهرة فى عام ٣٦٢هـ/٩٧٢م.

ويبدو أن خبرة ابن كلس السابقة فى إدارة الدواوين فى مصر زمن كافور، كانت سببا فى تولية المعز له إدارة الدواوين فى مصر شركة مع عسلوج بن الحسن، وكان ذلك فى عام ٣٦٣هـ/٩٧٣م فيقول المقريزى: فقلده فى محرم عام ٣٦٣هـ/٩٧٣م[*] «الخراج وجميع وجوه الأموال، والحسبة، والأعشار[٣]، والجوالى[٤]، والأحباس[٥]، والمواريث[٦]، والشرطتين[٧]، وجميع ما يضاف إلى ذلك، وما

(١) وهو أبو جعفر مسلم بن محمد بن عبيد الله الحسينى. كان من ضمن الوفد المصرى الذى قابل جوهر عندما دخل مصر عام ٣٥٨هـ/٩٦٨م، وطالبوه بكتاب أمان للمصريين، فكتبه وشهدوا هم عليه. وهو من العلماء الأجلاء أصحاب الجاه والنفوذ فى الدولة إلى حد أنه كان يتوسط فى العفو عن الوزراء المغضوب عليهم من الملوك.

(٢) ويذكر النويرى أن سبب هروبه من مصر هو بعض المطالبات الديوانية التى كانت قد تعلقت به فى الدولة الاخشيدية.

(*) ذكر ابن أيبك فى كتابه أن تولية يعقوب بن كلس للدواوين فى مصر شركة مع عسلوج بن الحسن، كان فى عام ٣٦٠هـ/٩٧٠م أى قبل مجئ المعز إلى مصر، وهذا مخالف لما ذكر فى المصادر الإسلامية الأخرى.

(٣) الأعشار: وهى العشور ومفردها العشر. وهى ضريبة تفرضها الدولة على البضائع الواردة من بلاد أجنبية. والمقرر فى الشرع أخذ العشر من البضائع التى ترد إلى بلاد الإسلام إذا شرط ذلك عليهم. وفى مذهب الشافعى رضى الله عنه أن للإمام أن يزيد فى المأخوذ عن العشر، وأن ينقصه إلى نصف العشر للحاجة، وإلى جلب المزيد من البضائع إلى بلاد المسلمين، وأن يرفع ذلك عنهم إذا رأى المصلحة. وكيفما كان الأخذ فلا يزيد [illegible] على مرة من كل قادم بالتجارة فى كل سنة، حتى لو رجع إلى بلاد الكفر ثم عاد بالتجارة فى سنته، فلا يؤخذ منه شىء. وقد تقرر الحال على أن يؤخذ منهم الخمس وهو ضعف العشر عن كل ما يصل لهم فى كل مرة، وربما زاد ما يؤخذ منهم على الخمس أيضا.

يطرأ فى مصر وسائر الأعمال، وأشرك معه فى ذلك كله عسلوج بن الحسن، وكتب لهما سجلا بذلك قرئ فى يوم الجمعة على منبر جامع أحمد بن طولون».

ويشير المقريزى إلى حسن إدارة يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن لديوان الخراج، وما نتج عنه من زيادة الأموال، فيقول: «وجلس يعقوب وعسلوج فى دار الإمارة فى جامع أحمد بن طولون للنداء على الضياع وسائر وجوه الأموال، وحضر الناس

(٤) الجوالى: هى ما يؤخذ من أهل الذمة من الجزية المقررة على رقابهم فى كل سنة، وهى على قسمين: ما فى حاضرة الديار المصرية من الفسطاط والقاهرة وما هو خارج عن ذلك. فأما ما بحاضرة الديار المصرية، فإن لهذه الجهة بها ناظرا يولى من جهة السلطان. وأما ما هو خارج عن حاضرة الديار المصرية من سائر بلدانها، فإن جزية أهل الذمة فى كل بلد تكون لمقطع تلك البلد من أمير أو غيره، تجرى مجرى مال ذلك الإقطاع، وإن كانت تلك البلد جارية فى بعض الدواوين السلطانية كان ما يتحصل من أهل الذمة بها جار فى ذلك الديوان. والجوالى جمع جالية وتطلق على أهل الذمة، وقد قيل لهم ذلك لأن عمر بن الخطاب أجلاهم عن جزيرة العرب.

(٥) الأحباس: جمع حبس وهى الأوقاف، أى كل ما يوقف على جهة من جهات الخير، ويصرف ما يتحصل من أموالها حسبما أراده الواقف. وقد أنشىء ديوان الأحباس أو الأوقاف عام ١١٨هـ/٧٣٦م، وكان القضاة هم الذين يشرفون عليه، وأول قاض بمصر وضع يده على الأحباس هو توبة بن نمر الحضرمى (١١٥-١٢٠هـ/ ٧٣٣-٧٣٧م)، وكانت الأحباس قبل ذلك فى أيدى أهلها وفى أيدى أوصيائهم.

(٦) المواريث: إذا مات من يورث بُدئ من ماله بتحضيره ودفنه، ثم تقضى ديونه، ثم تنفذ وصاياه. والمواريث نوعان: الأول وهو مال من يموت وله وارث، فتقسم تركته بين ورثته. والنوع الثانى ويعرف بالمواريث الحشرية وهو مال من يموت وليس له وارث خاص، أو الباقى بعد الفرض من مال من يموت وله وارث ذو فرض لا يستغرق جميع المال. وكان هذا المال يرثه بيت المال. وهذه الجهة أيضا على قسمين: ما فى حاضرة الديار المصرية، وما هو خارج عنها.

(٧) الشرطتين: ويعنى بهما الشرطة السفلى والشرطة العليا. وكان صاحب الشرطة فى مصر إلى عهد قيام ابن طولون يعين من قبل الوالى ومقره مدينة الفسطاط التى بناها عمرو بن العاص. ولما أنشئت العسكر على يد أول الولاة العباسيين فى مصر، أنشئت فى حاضرة مصر الإسلامية شرطة جديدة سميت الشرطة العليا. وكان مقرها دارا جنوبى المكان الذى شيد فيه ابن طولون مسجده الجامع. ولا ترجع تسميتها الشرطة العليا إلى أنها أعظم شأنا من شرطة الفسطاط، ولكن هذه التسمية مشتقة من الموقع، بل أن صاحب الشرطة السفلى فى الفسطاط كان أعلى شأنا وأعظم اختصاصاً من زميله بوصفه حاكم القسم الرئيسى فى الحاضرة.

للقبالات[1] وطالبا بالبقايا من الأموال مما على الناس من المالكين والمتقبلين والعمال. ونظرا فى المظالم، فتوفرت الأموال، وزيد فى الضياع، وتزايد الناس...، وامتنعا أن يأخذا إلاّ ديناراً معزياً[2]، فاتضع الدينار الراضى[3]، وانحط ونقص من صرفه أكثر من ربع دينار فخسر الناس كثيراً من أموالهم فى الدينار الأبيض[4] والدينار الراضى. وكان صرف المعزى خمسة

(١) نظام القبَّالات: وهذا النظام يعنى إيجار حق جباية الضرائب، وخاصة خراج الأرض للذين يقدمون أعلى مبلغ عنه فى عمليات مزايدة. وقد لجأت الدولة إلى نظام القبالات أو نظام الإلتزام عندما عجزت عن تحصيل الخراج بواسطة عمالها. ولم يقتصر هذا الحق ـ أى حق جباية الضرائب ـ على فئة بعينها، وإنما كان لكل إنسان الحق فى أن يكون ضامناً أو ملتزماً، سواء أكان من الأمراء أم الجند أم وجوه البلد أم سكان القرى أم العرب أم القبط، وكان يجب على كل منهم دفع الخراج فى المواعيد المحددة.

(٢) الدينار المعزى: وكان جوهر الصقلى لما دخل مصر على رأس جند الخليفة الفاطمى المعز لدين الله ـ ضرب الدينار المعزى عام ٣٥٨هـ/٩٦٨م، ونقش عليه فى أحد وجهيه ثلاثة أسطر، أحدها: «دعى الإمام المعز لتوحيد الأحد الصمد»، وتحته سطر فيه: «ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة». وفى الوجه الآخر: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون. علىّ أفضل الوصيين، وزير خير المرسلين». وكان قيمة أو صرف الدينار المعزى ـ كما ظهر فى المتن ـ خمسة عشر درهما ونصف.

(٣) الدينار الراضى: نسبة إلى الخليفة العباسى الراضى بالله أبو العباس أحمد بن المقتدر بالله (٣٢٢-٣٢٩هـ/ ٩٣٣-٩٤٠م). وكان ينقش اسم ابنه أبى الفضل، واسم أبى المنصور بن المتقى بالله بجانب اسمه.

ويذكر د. عطية مشرفة أن الناس قد ظلوا يتعاملون أيام جوهر أيضا بالدينار الراضى، لكونه إذ ذاك أكثر وزنا وأشد نقاء من الدينار المعزى، فحمل المعز الناس على التعامل بدنانيره بطرق شتى: منها أنه أمر أن يكون «الراضى» بخمسة عشر درهما و«المعزى» بخمسة عشر درهما ونصف.

(٤) الدينار الأبيض: يقول د. جمال الدين الشيال إنه لم يعثر فى المراجع على تعريف للدينار الأبيض، ولِم سمى بهذا الإسم، أو فى عهد من ضرب، وإنما ورد ذكر للدراهم البيض، وأنها مما ضرب الحجاج، هذا ويتضح من المتن أن هذا الدينار كان قليل القيمة جدا، فلعله كان يشتمل على كمية كبيرة من الفضة مما اتضعت به قيمته، ومما جعل القوم يسمونه بالأبيض.

وقد ذكر المقريزى أن الدينار الأبيض كان بعشرة دراهم، ومع استخدام الدينار المعزى، قلت قيمته إلى ستة دراهم. وكان المقريزى قد ذكر أن جوهر قد جعل الدينار الأبيض فى عام ٣٦٢هـ/٩٧٢م بثمانية دراهم.

عشر درهما ونصفاً. واشتد الاستخراج[1] فكان يستخرج فى اليوم نيف وخمسون ألف دينار معزية، واستخرج فى يوم واحد مائة وعشرون ألف دينار معزية، وحصل فى يوم واحد من مال تنيس[2] ودمياط[3] والأشمونين[4] أكثر من مائتى ألف دينار وعشرين ألف دينار، وهذا شيء لم يسمع قط بمثله فى بلد، فاستمر الأمر على ذلك إلى المحرم سنة خمس وستين وثلثمائة».

وقد استمر يعقوب بن كلس فى تولى ديوان الخراج وسائر وجوه الأموال حتى عام ٣٦٥هـ/٩٧٥م أى لمدة سنتين فقط، ثم انتقل منها إلى النظر فى أمور المعز لدين الله فى قصره. وهى نفس الوظيفة التى تولاها كذلك فى زمن كافور.

داود اليهودى:

تولى زمام[5] ديوان الخراج عام ٤١٤هـ/١٠٢٣م (خلافة الظاهر الفاطمى ٤١١-٤٢٨هـ/ ١٠٢٠-١٠٣٦م) بأمر من أبى الفرج بن الموفقى الذى تولى ديوان

(١) وعن ديوان الاستخراج أنظر، أبو يعقوب إبراهيم اليهودى الذى تولاّه عام ٥١٩هـ/١١٢٥م وذلك فى الصفحات القادمة.

(٢) وعن موقع تنيس أنظر، الموضوع الخاص بالملابس.

(٣) دمياط: مدينة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل، مشهورة بعمل ثياب الشرب. ويبلغ الثوب الأبيض بدمياط وليس فيه ذهب ثلاثمائة دينار.

(٤) الأشمونين: وهى أُشمون بالنون، وأهل مصر يقولِ الأشمونين. وهى مدينة قديمة عامرة آهلة، وهى قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل، سميت باسم عامرها وهو أشمن بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح.

(٥) والزِّمَام لفظة عربية معناها الخيط الذى يشد فى البُرَه أو فى الخِشاش، ثم يُشَد فى طرفه المِقْوَد، وقد يسمى المقود زماماً. وزم البعير ونحوه: جعل له زماماً.

ومن هنا ـ وكما يقول الدكتور حسن الباشا ـ استخدمت بمعنى المشرف. وقد عرف الزمام كاسم وظيفة منذ العصر العباسى، فظهر الزمام فى الدولة الغزنوية بمعنى الناظر أو المشرف.

وكان أول من اتخذ دواوين الأزِمة فى الدولة العباسية الخليفة المهدى وكان ذلك فى عام ١٦٨هـ/٧٨٤م. ويقصد بديوان الأزمّة أو الزمام أن الدواوين تجمع لرجل يضبطها بزمام يكون له على كل ديوان، فيتخذ دواوين الأزمة، ويولى رجلا على كل منها. وكان السبب فى اتخاذ دواوين الأزمة فى خلافة المهدى ـ وكما يقول محقق الكتاب ـ أنه لما جمعت الدواوين لعمر بن يزيع تفكر فإذا هو لا يضبطها إلاّ بزمام يكون له على كل ديوان. فاتخذ دواوين الأزمة. وقد عرفت وظيفة الزمام فى الدولة الفاطمية بمعنى المشرف أو الناظر كذلك.

الخراج. وكان قد اشترط ألاّ يكون الزمام عليه ـ كما يقول المسبحى ـ إلاّ داود اليهودى بدلاً من ابن سلمون الكاتب.

صدقة بن يوسف بن على الفلاحى:

وكان يتولى ديوان الكتاميين[1] قبل توليه الوزارة. ويذكر المسبحى أنه أول ما تولاه كان فى شهر صفر من عام ٤١٥هـ/١٠٢٤م (خلافة الظاهر الفاطمى ٤١١-٤٢٨هـ/١٠٢٠-١٠٣٦م) شركة بينه وبين أبا اليسر اصطفن بن مينا الأسيوطى، ثم انفرد بالاشراف عليه فى شهر رجب من نفس السنة، وفى شهر شعبان من نفس العام اشترك معه فى الاشراف عليه صاعد بن مسعود (عامل الصعيد الأعلى).

إبراهيم بن سهل التسترى (أبو سعد أو أبو سعيد):

وهو من الذين تولوا رئاسة الدواوين الخاصة، فقد كان يتولى ديوان والدة المستنصر. ويروى المقريزى كيفية توليه هذا الديوان فيقول: إنه كان تاجراً يهوديا، وكانت أم الخليفة المستنصر جارية سوداء عنده، فاشتراها منه الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله (٤١١-٤٢٨هـ/١٠٢٠-١٠٣٦م)، وأنجب منها ابنه المستنصر، فلما أفضت الخلافة إلى ولدها فوضت أمر ديوانها إلى أبى سعد إبراهيم التسترى.

وقد عظم شأن إبراهيم التسترى إلى أن صار ناظراً فى جميع أمور الدولة، خاصة بعد وفاة الوزير الجرجرائى عام ٤٣٦هـ/١٠٤٤م[2].

---

(١) ديوان الكتاميين: لم تشر المصادر الإسلامية ـ فى حدود علمى ـ إلى ديوان بهذا الاسم. على أنه وكما يتضح من اسمه، ربما كان خاصا بقبيلة بنى كتامة التى قدمت من المغرب مع القائد جوهر، وكانت لهم حارة بإسمهم فى القاهرة تعرف «بحارة كتامة».

(٢) وهو الوزير أبو القاسم على بن أحمد الجرجرائى. خدم بالريف ثم خدم بالصعيد، وكثرت الرفايع عليه والتظلم فيه فى الخلافة الحاكمية (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م)، فقبض عليه واعتقل عام ٤٠٣هـ/١٠١٢م وأقام معتقلاً مدة يسيرة وأطلق، وفى عام ٤٠٤هـ/١٠١٣م أمر الحاكم بقطع يديه، فقطعتا على باب القصر البحرى بالقاهرة، لأنه قد ظهرت خيانته عندما كان يتولى بعض =

وعلى الرغم من أن إبراهيم التسترى لم يتقلد الوزارة ـ كما يقول ترتون ـ إلا أنه كان القوة التى تحرك العرش من الخلف.

والغريب حقاً والذى أثار تساؤلنا أنه لم يحاول أن يتقلد منصب الوزارة بعد وفاة الوزير الجرجرائى، على الرغم من علاقته الطيبة بأم المستنصر وبالخليفة المستنصر نفسه، فقد استطاع بكلمة منه لأم المستنصر أن يعزل الوزير الأنبارى(*) الذى تولى الوزارة بعد وفاة الوزير الجرجرائى، ويعين بدلاً منه الوزير صدقة بن يوسف الفلاحى اليهودى، ثم يسلبه كل سلطاته كوزير، فلا يترك له من الوزارة إلاّ الاسم فقط، كما أجمعت على ذلك المصادر الإسلامية ـ كما سنرى فى الموضوع الخاص بالوزراء.

على أية حال، فقد أدى اتساع سلطات أبى سعد إبراهيم التسترى التى شملت جميع أمور الدولة بما فيها الوزارة نفسها، وتقلص نفوذ الوزير صدقة بن يوسف الفلاحى، إلى محاولته التخلص منه، وبالفعل نجح فى ذلك بمساعدة جماعة من الأتراك فتكوا به عند دخوله من باب القنطرة[1] متوجها إلى القصر، وقطع لحمه وطيف به، وكان ذلك فى عام ٤٣٩هـ/١٠٤٧م.

= الدواوين. ويذكر النويرى أنه لما قطع الحاكم يديه، مَضَى من وقته وجلس فى ديوانه، فقيل له فى ذلك، فقال: إن أمير المؤمنين أدّبَنى وما صرفنى، فبلغ الحاكم ذلك، فأمر باستمراره، ثم صرفه وولاه ديوان النفقات عام ٤٠٦هـ/١٠١٥م وقيل عام ٤٠٩هـ/١٠١٨م. وكان قد لقب فى عام ٤٠٧هـ/١٠١٦م «بنجيب الدولة»، ودبر أمور الدولة وجعل واسطة فى نظر الدواوين مع أبى عبيد الله محمد بن العداس عام ٤١٢هـ/١٠٢١م. ثم وزّر للظاهر عام ٤١٨هـ/١٠٢٧م. وقد توفى عام ٤٣٦هـ/١٠٤٤م، وكانت مدة وزارته للظاهر ولولده المستنصر سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وثمانية عشر يوما، وكان قد أوصى بأن يدفن فى داره فى المكان الذى يجلس فيه، فصلى عليه المستنصر، ودفن بداره، ثم نقل إلى تربته بالقرافة. وهو منسوب إلى جرجرايا ـ بفتح الجيم بينهما راء ساكنة ثم راء مفتوحة وبين الألفين ياء مثناة من تحتها ـ وهى قرية من أرض العراق.

(*) وعنه أنظر، الصفحات القادمة.

(١) باب القنطرة: وهو أحد أبواب القاهرة، عرف بذلك لأن القائد جوهر بنى هناك قنطرة فوق الخليج الذى بظاهر القاهرة ليمشى عليها إلى المقس عند سير القرامطة إلى مصر. وكان بناؤها فى شوال من عام ٣٦٠هـ/٩٧٠م.

وقد ظل قوس هذا الباب (الذى جدّده صلاح الدين) قائما إلى سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م عندما أمر بهدمه الأمير قاسم باشا محافظ مصر. وقد رآه على باشا مبارك، وذكر أن عليه كتابة كوفية، ولكنه لم يذكرها.

ويذكر النويرى سبباً آخر لقتله وهو اتهامه بدس السم لعزيز الدولة ريحان الخادم زعيم الأتراك الذى عظم قدره بعد ظفره ببنى قرة عرب البحيرة الذين كانوا يفسدون فى البلاد، فاعترضه ثلاثة من الغلمان الأتراك فى أثناء موكبه إلى القصر وقتلوه.

هارون بن سهل التسترى (أبو نصر)[*]:

تولى ديوان خاصة[1] الخليفة المستنصر بالله (٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م) بأمر منه بعد وفاة أخيه إبراهيم التسترى عام ٤٣٩هـ/١٠٤٧م.

الحسن بن إبراهيم بن سهل التستري (أبو على):

وكان الخليفة المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م) قد ولاه إدارة «أحد الدواوين»، بعد وفاة والده إبراهيم التسترى. ولم تذكر المصادر الإسلامية إسم الديوان الذى تولى الإشراف عليه.

ويبدو أنه تولى عدة وظائف، لأن المصادر الإسلامية تذكر أنه كان يتولى إدارة بيت المال[2] قبل توليه الوزارة.

(*) أنظر عنه، فى الفصل الخاص بالتجار اليهود.

(١) وظيفة الديوان الخاص هى النظر فى خاص أموال السلطان. ويذكر القلقشندى أن هذا الديوان أحدثه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣-٧٤١هـ/١٢٩٣-١٣٤٠م). على أن هذا لا ينفى ـ كما يقول أ. محمد قنديل البقلى ـ وجود إدارة من شأنها النظر فى خاص أموال السلطان أيام الدولة الأيوبية. ونقول نحن بدورنا أن هذا لا ينفى كذلك من وجود مثل هذه الإدارة فى أيام الخلافة الفاطمية خاصة وأن المصادر الإسلامية أشارت إلى أسماء بعض من تولوها.

(٢) بيت المال: وهو من الوظائف الديوانية، وموضوعها حمل حمول المملكة من المال، والتصرف فيها تارة قبضاً وصرفاً، وتارة بالتسويغ محضرا وصرفا. ولا يليها إلا ذو العدالة البارزة من أهل العلم والديانة. وكان مقر بيت المال فى مصر منذ الفتح العربى بجامع عمرو بن العاص (الجامع العتيق)، وينسب بناء بيت المال إلى قرة بن شريك والى مصر (٩٠-٩٦هـ/ ٧٠٨-٧١٤م)، وإلى أسامة بن زيد التنوخى أيضا، وهو صاحب الخراج فى ولاية عبدالملك بن رفاعة على مصر (٩٦-٩٩هـ/ ٧١٤-٧١٧م).

ابو يعقوب إبراهيم:

وهو ينتمى إلى طائفة السامرة اليهودية[*] ـ كما يفهم مما ذكره المقريزى، وكان الخليفة الأمر بأحكام الله (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩م) قد ولاه فى عام ٥١٩هـ/١١٢٥م ديوان الاستخراج[1] (بنوعيه زكاة ومقس)[2] شركة مع جعفر بن عبدالمنعم بن أبى قيراط، وعين معهما مستوف[3] وهو ابن أبى نجاح الراهب.

ويذكر المقريزى أن «الآمر الفاطمى» اشترط على صاحبى الديوان المثول أمامه يومياً ليحلفا على المصحف وعلى التوراة حتى لا يظلما أحداً فيقول: «ويدخل صاحبا الديوان

(*) وعن هذه الطائفة بالتفصيل أنظر، الفصل الخاص بالحياة الدينية لليهود.

(١) المقصود به استخراج المال وقبضه، وكتّب الوصولات به (أى وصولاته خاصة، لا وصولات غيره مما يتعلق بالديوان). وعلى متولى الاستخراج، ويلقب بالجهبذ، عمل المخازيم والرزنمجات والختمات، ويطالب بما يقبضه ويخرج ما يرفعه من الحساب اللازم له من الأمور الديوانية.

(٢) يعدد القلقشندى وجوه الأموال الديوانية ويقسمها إلى ضربين رئيسيين وتحت كل منهما أنواع. أما الضرب الأول فهو الشرعى، وهو على سبعة أنواع منها الزكاة. أما الضرب الثانى فهو غير الشرعى وهو المكوس التى تتركز فى نوعين: ما يختص بالديوان السلطانى مثل المكوس التى تؤخذ عند السواحل: عيذاب، والقصير، والطور، والسويس، وما يؤخذ بحاضرة مصر: الفسطاط والقاهرة، وتكاد تصل إلى اثنين وسبعين مكسا. أما النوع الثانى من المكوس فهو ما لا اختصاص له بالديوان السلطانى، وهو ما يتبع إقطاع ديوان أو أمير أو نحوهما.

(٣) المستوفى: ظهرت وظيفة المستوفى فى العصر العباسى، وكانت معروفة فى الدولة الفاطمية فى مصر ويبدو أن الدولة الفاطمية ـ كما يقول د. حسن الباشا ـ قد استخدمت نوعين من المستوفين: مستوفٍ فى الدواوين، ومستوفٍ فى النواحى والأقاليم. وقد ذكر ابن مماتى المستوفى ضمن المستخدمين من حملة الأقلام فى الدولة الأيوبية، وعرّفه بأنه كاتب له مجلس فى الديوان، ومهمته أن يطالبِ معامليه بما يجب عليهم من حساب ومال، وينبه متولى الديوان إلى ما يجب استخراجه من المال فى أحيانه، ويستوفى الحسابات، ولا يؤخذ بشىء عمل من مجلس خدمته ما لم يكن خطه عليه، إما بالمقابلة وإما بالتاريخ. وقد عرفها القلقشندى بأنها وظيفة يشغلها مدنى من كتّاب الأموال ونحوها، ومهمته ضبط الديوان والتنبيه على ما فيه مصلحته من استخراج أمواله ونحو ذلك، وربما وجد فى العمل الواحد نوعان من المستوفين: مستوفى أصل، ومستوفى مباشرة، وكان لكل منهما أعمال تخصه.

إلى الآمر فى كل وقت، ومعهما المصحف والتوراة، فيحلفان له أنهما لا يتعرضان إلاّ لمن يجب عليه لبيت المال حق. فيحملهما فى ذلك على الصدق».

إلا أن هذا المثول اليومى أمام «الآمر» والحلفان له لم يمنعهما من ظلم الناس فيقول المقريزى: «وربما اشتطا على الناس وزادا عليهم ما لا يجب زيادته، فتأذى بسببهما جماعة، والآمر لا يطّلع على ذلك ولا أشاربه(*)، واستمرا على ذلك مُديدة(**)».

ويذكر المقريزى أنه فى عام ٥٢٣هـ/١١٢٨م عندما وصل إلى «الآمر» أمر صاحبى الديوان والمستوفى وكيف أنهم ظلموا الناس، تعجب من ذلك وحلف «إنه ما علم أنهم بلغوا بالناس إلى هذا المبلغ»، على الرغم من المثول أمامه فى كل وقت والحلفان. وأصدر قرارا بالقبض على صاحبى الديوان وسجنهما، واستدعاء «الراهب» الذى قتل بعد ذلك ـ كما تشير الأحداث التاريخية.

وعلى الرغم من أن المقريزى كان قد أشار إلى قرار صرف صاحبى الديوان واعتقالهما فى حوادث عام ٥٢٣هـ/١١٢٨م، إلا أنه عاد وذكر فى حوادث عام ٥٢٤هـ/١١٢٩م أن فيها «قُبض على جعفر بن عبدالمنعم بن أبى قيراط، وعلى أبى يعقوب إبراهيم السامرى، ونهب الجند دورهما، وحبس فى حَبْس المعونة(١)، ثم أخرجا ميتين».

(*) الشَّرْب بالفتح جَمْع شارب: كصاحب وصَحْب.

(**) المُدَيْدَة: المدة القصيرة. تصغير المُدَّة.

(١) دار المعونة المشار إليها داران إحداهما بالفسطاط والأخرى بالقاهرة. واسم الدار مأخوذ من ظروف إنشائها إذ أنها بنيت فى الأصل فى زمن قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى بمعونة المسلمين لينزلها ولا تهم، ثم جعلت داراً للشرطة، ثم حولت فى زمن العزيز بالله إلى سجن عرف باسم حبس المعونة. وعندما تولى صلاح الدين الأيوبى شئون مصر حولها إلى مدرسة للشافعية، وأصبحت تعرف على زمن المقريزى باسم المدرسة الشريفية. وحبس المعونة بالقاهرة كان يسجن فيه أرباب الجرائم من السراق وقطاع الطريق ونحوهم فى عصر الفاطميين، وكان سجنا ضيقاً شنيعاً يشم بالقرب منه روائح كريهة. أما الأمراء والأعيان فكانوا يسجنون بخزانة البنود.

أبو كوجك اليهودى:

تولى ديوان التحقيق(١) بأمر من السلطان الملك الكامل بن الملك العادل (٦١٥-٦٣٥هـ/ ١٢١٨-١٢٣٧م) وذلك فى عام ٦٢٤هـ/١٢٢٦م.

الوزراء اليهود:

الوزير يعقوب بن كلس: (وزير العزيز بالله الفاطمى من عام (٣٦٨-٣٨٠هـ/ ٩٧٨-٩٩٠م)

وهو أول من تولى منصب الوزارة للدولة الفاطمية فى مصر، وذلك فى زمن العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م) كما اتفقت على ذلك أغلب المصادر الإسلامية. وليس كما ذكر النويرى أنه قد تولى الوزارة زمن المعز (٣٦٢-٣٦٥هـ/ ٩٧٢-٩٧٥م) فيقول النويرى فى كتابه: «وممن وزر للمعز يعقوب ابن كلس»، والحقيقة أن النويرى قد جانبه الصواب فى ذلك خاصة أن المقريزى قد ذكر أن المعز لم يول أحدا منصب الوزارة فى أيامه فيقول: «أما المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بديار مصر، فإنه لم يوقع اسم الوزارة على أحد فى أيامه». ويقول ابن أيبك: «قلت: وهذا هو الصحيح، فإن ابن كلس لم يل الوزارة إلاّ فى أيام نزار (العزيز بالله أبو منصور نزار)، ولم يكن له فى أيام المعز وزارة والله أعلم». هذا إلى جانب اتفاق معظم المصادر العربية على اعتباره أول وزير للدولة الفاطمية زمن العزيز بالله ـ كما ذكرت سابقا.

وقد اختلفت المصادر العربية فى السنة التى تولى فيها ابن كلس الوزارة، فتذكر مصادر أنه استوزره عام ٣٦٥هـ/٩٧٥م، وتذكر مصادر أخرى أنه استوزره عام ٣٦٧هـ/٩٧٧م، وتذكر مصادر أنه استوزره عام ٣٦٨هـ/٩٧٨م.

---

(١) أنشئ ديوان التحقيق عام ٥٠١هـ/ ١١٠٧م على يد الأفضل. وقد استمر هذا الديوان إلى أن انقرضت الدولة العبيدية، فأعاده السلطان الملك الكامل بن الملك العادل، واستخدم فيه أبا كوچك اليهودى ـ كما ذكرت فى المتن ـ ثم أُبطل العمل فيه عام ٦٢٦هـ/١٢٢٨م.
وقد اختص هذا الديوان بمراجعة الحسابات الخاصة بالدولة، وكان لا يتولاه إلاّ كاتب خبير، وله الخلع، ومرْتبة يجلس عليها، وحاجب بين يديه.

على أية حال، فقد عمل العزيز بالله على زيادة نفوذ ابن كلس فى وزارته، كما أضفى عليه الكثير من مظاهر التبجيل والاحترام، «فاتسعت دائرته، وعظمت مكانته» ـ كما يقول المقريزى. فتذكر المصادر الإسلامية أن العزيز بالله فى عام ٣٦٨هـ/٩٧٨م لقبّه «بالوزير الأجل»، وأمر أن لا يخاطبه أحد ولا يكاتبه إلاّ به. وخلَع عليه وحُمل ورسم له فى محرم عام ٣٧٣هـ/٩٨٣م أن يبدأ فى مكاتبته باسمه على عُنْوَانات الكتب النافذة منه، فكان يكتب: من يعقوب بن يوسف وزير أمير المؤمنين. وقد خرج توقيع العزيز بذلك، كما كتب اسمه فى الطرز(*).

ويصف المقريزى مظاهر سلطات ابن كلس ونفوذه فيقول: «وكان يجلس كل يوم فى داره يأمر وينهى، ولا يرفع إليه رقعة إلاّ وقع فيها، ولا يسأل فى حاجة إلاّ قضاها، ورتب فى داره الحجاب نوباً، وأجلسهم على مراتب، وألبسهم الديباج، وقلدهم السيوف، وجعل لهم المناطق، ورتب لهم فرسين فى داره للنوبة، لا تبرح واقفة بسروجها ولجمها ولهم بُرُد».

ويذكر المقريزى أن سلطات ابن كلس لم تشمل مصر فقط، وإنما امتدت لتشمل الشام والحرمين وبلاد الغرب فيقول: «فدبر أمور مصر، والشام، والحرمين(**)، وبلاد المغرب، وأعمال هذه الأقاليم كلها من الرجال والأموال والقضاء والتدبير».

وقد استمر يعقوب بن كلس فى منصب الوزارة مدة طويلة جدا، بلغت ١٢ سنة وشهرين و١٩ يوماً ـ كما يقول المقريزى(***)، أى من عام ٣٦٧هـ/٩٧٧م إلى وفاته فى

(*) كان اثبات اسم الوزير مع اسم الخليفة على الطراز، أى على المنسوجات التى تنسج فى دار الطراز الخاصة ـ يعد تقليدا جديدا بدأ منذ أوائل العصر الفاطمى. فقد كان من أبهة الخلافة الفاطمية أن يرسموا علامات يختص بها الخليفة، فكان يكتب اسم الخليفة على طراز ثوبه المعد له فى نسج الثوب بخيوط الذهب، أو ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب. وكان لخزائن الكسوة ديوان يعرف باسم «ديوان خزائن الكسوة» لصاحبة رتبة عظيمة. وكان «صاحب الطراز» يختار من خواص الخليفة الذين يثق بهم من أرباب الأقلام، ومقامه بدمياط وتنيس وغيرها، ومن عنده تحمل الثياب إلى خزانة الكسوة.

(**) المقصود بالحرمين: مكة والمدينة.

(***) يذكر جويتاين أن ابن كلس ظل متوليا منصب الوزير لمدة ١٣ عاما حتى وفاته.

عام ٣٨٠هـ/٩٩٠م. وقد اعتقل فى أثنائها على يد العزيز بالله عام ٣٧٣هـ/٩٨٣م وظل فى الاعتقال عدة شهور، ثم أطلق سراحه عام ٣٧٤هـ/٩٨٤م، وان كانت هناك مصادر أخرى تقول إنه ظل فى الاعتقال «نيفا وأربعين يوماً».

وبهذا الاعتقال يكون ابن كلس قد اعتقل فى حياته بمصر مرتين، المرة الأولى بعد وفاة كافور على يد الوزير أبى الفضل جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابة وقد سبق الحديث عنها، والمرة الثانية زمن العزيز بالله الفاطمى.

ويرجع سبب هذا الاعتقال ـ كما تذكر المصادر الإسلامية ـ إلى حزن العزيز بالله على قتل ابن كلس(*) لألفتكين(١) بالسم، فاتهم العزيز بالله ابن

(*) يبدو أن القتل كان وسيلة ابن كلس للتخلص من خصومه، فيذكر ابن الأثير حادثة أخرى مشابهة لذلك عندما قتل ابن كلس الشاعر ابن بشر الدمشقى عندما أخذ يهجوه فى أشعاره، فدس له من قتله، وحمل رأسه إلى الخليفة العزيز بالله الذى اغتم لذلك، على الرغم من أن الخليفة كان قد عفا عنه فى البداية، ثم بإلحاح ابن كلس اضطر للقبض عليه، إلا أنه عندما وصل إلى ابن كلس رغبة الخليفة فى إطلاق سراحه قام بقتله.

(١) وهو أبو منصور ألفتكين المعزى نسبة إلى معز الدولة أبى الحسين البويهى. وكان ألفتكين قد عصى عز الدولة بختيار ابن مولاه معز الدولة أبى حسين بن بويه الديلمى، وبعدما مات الحاجب سبكتكين اختاره الأتراك رئيسا عليهم. وفى ذى القعدة من عام ٣٦٣هـ/٩٧٣م اشتدت الفتنة بين الديلم والأتراك، فخرج ألفتكين من بغداد فى فرقة من الأتراك تقدر بحوالى ثلاثمائة فارس. وعندما نزل بظاهر دمشق، خرج إليه شيوخها، وسألوه الإقامة عندهم والنظر فى أحوالهم، فأجابهم إلى ذلك، ودخل البلد وأحسن السيرة وقمع أهل الفساد. وطلب منه الخليفة المعز لدين الله المجئ إليه والمثول أمامه بمصر، فامتنع. ثم توفى المعز عام ٣٦٥هـ/٩٧٥م، وتولى بعده ابنه العزيز بالله. وفى ذلك الوقت كان امبراطور الروم ابن الشمشقيق (الامبراطور John I Tzimisces. والشمشقيق لفظة أرمينية معناها القصير ٩٦٩-٩٧٦م) ـ قد خرج إلى الثغور، وعندما قرب من الوصول إلى دمشق، وافق ألفتكين فى الدخول فى طاعته ـ خاصة بعد نصيحة ابن الزيات له، وتعريفه بقوته وأنه لا يقدر على مقاومته ـ ثم رحل ابن الشمشقيق عن دمشق. كما كاتب القرامطة ألفتكين بأنهم قاصدون الشام، فأكرمهم ألفتكين عندما نزلوا بظاهر دمشق وذلك فى عام ٣٦٥هـ/١٩٧٥م، وبعدما رحلوا عمل ألفتكين على أخذ ثغور الساحل. وكان العزيز بالله قد كاتب ألفتكين بمثل ما كاتبه به المعز لدين الله من الاستماله ووعده بالاصطناع إذا ظهرت منه الطاعة، فأجابه جوابا فيه بعض الغلظة وقال: هذا =

كلس بقتله، واعتقله[1]، وأخذ من ماله مبلغ خمسمائة ألف دينار[2]. على أن هذا الاعتقال لم يستمر طويلاً ـ كما ذكرت سابقاً، وأعاده العزيز بالله إلى منصب الوزارة.

= بلد أخذته بالسيف، وما أدين فيه لأحد بطاعة، ولا أقبل منه أمراً. فغاظ العزيز هذا الجواب، واستشار وزيره ابن كلس، فأشار بإخراج القائد جوهر إليه مع العساكر. وعندما علم ألفتكين، جمع وجوه أهل دمشق الذين رفضوا الطاعة للعزيز لمخالفة المغاربة لهم فى الاعتقاد ولأنهم أمويون. وخرج القائد جوهر بجيش كثيف من مصر، بعد أن أخذ معه أمانا من العزيز بالله لألفتكين، ونشبت الحرب بين الفريقين لمدة شهرين، ثم شار عليه أهل دمشق بمكاتبة أبى محمد الحسن بن أحمد القرمطى، الذى انضم إليه، وعندما علم جوهر بذلك انسحب، على أن ألفتكين والقرمطى تبعاه إلى عسقلان، وحاصراه فيها، وعندما زاد الضيق والشدة على المغاربة استدعاه جوهر، وطلب الأمان والخروج بجيشه فوافق، وعندما علم القرمطى حاول أن يثنيه إلا أنه رفض قائلا: قد عاهدته، وحلفت له، وما استجيز الغدر به. وعندما وصل جوهر إلى مصر، أخبر العزيز ما كان من أمره معه، وطالبه بالخروج إليه بنفسه، فخرج إليه ونزل فى الموضع المعروف ببركة الخيزران. وانهزم ألفتكين والقرمطى، وبذل العزيز لمن يجيئه بألفتكين مائة ألف دينار، على أية حال فقد سلمه المفرج بن الجراح وأخذ المال. وقد وصل ألفتكين إلى العزيز، وخرج العسكر لاستقباله، وهو غير شاك فى أنه مقتول، وحمل إلى دست قد نصبت له ليجلس عليه، فرمى نفسه على الأرض، وعفّر خدّيه على التراب، وبكى بكاء شديدا، على أية حال، فقد أنعم عليه العزيز بالله بالثياب، وقاد إليه عدةً من دواب بمراكبها، وأنزله فى دار حسنة بعد أن فرشت بالفروش الكثير. وزاد أمر ألفتكين عند العزيز، وتكبّر على ابن كلس الوزير، وامتنع من قصده، والركوب إليه، فدس إليه سماً وقتله وحزن العزيز عليه ـ كما ذكرت فى المتن.

(١) وقد تولى منصب الوزارة أثناء اعتقال ابن كلس (جبر بن القاسم) وعنه يقول ابن الصيرفى: «كان من كبراء الدولة، وأماثل أهل الحضرة، وممن وصل من المغرب مع الإمام المعز لدين الله عليه السلام، ولما سار الامام العزيز بالله صلى الله عليه إلى الشام كان خليفته على مصر، وكانت الكتب التى ترد وتقرأ على المنابر بإسمه، ولم يكن له لقب. وجعِل على الخراج أحد أربعة هو والحسن بن تأييد الله، وعبدالله بن خلف المرصدى، وعلى بن عمر العداس.
ولما اعتقل الوزير أبو الفرج رُدّ الأمر إليه مدة اعتقاله، ثم أطلق الوزير وعاد إلى ما كان عليه. وكان إلى جبر الشرطتان العليا والسفلى وتنيس ودمياط والفرما والجفار، واستخلف على ذلك ولده وكاتبه».

(٢) ذكر المقريزى فى كتابه أن المبلغ الذى أخذ من ابن كلس كان مائة ألف دينار، ردت إليه عندما أفرج عنه.

والغريب هنا هو تبرير بعض المصادر الإسلامية لإنهاء العزيز بالله اعتقاله، بل وعودته إلى منصب الوزارة مرة ثانية، فيقول ابن القلانسى: «ووقفت الأمور بإعتزاله النظر فيها، فأعاده العزيز وجدّد اصطناعه واستخدامه. ويقول ابن كثير: «ثم رأى أن لا غنى به عنه فأعاده إلى الوزارة».

أى أن اعتقال ابن كلس أدى إلى شلل فى أمور الدولة ومصالحها، دفع العزيز بالله إلى إنهاء هذا الاعتقال، وتعيينه فى منصب الوزارة مرة ثانية لاحتياجه إليه. وهذا فى رأينا ليس له إلاّ معنى واحد هو اتساع سلطات ونفوذ ابن كلس.

وتذكر المصادر العربية أنه بعد خروجه من السجن حمل على عدة خيول، وقرئ له سجل بردّه إلى ما كان له من تدبير الدولة.

وكان خروج ابن كلس من السجن ورجوعه إلى منصب الوزارة مرة ثانية قد صاحبه ـ فى رأينا ـ نوعا من الترضية من جانب العزيز بالله، فتذكر المصادر الإسلامية أنه قد قرئ له سجل يهبه خمسمائة غلام من الناشئية، وألف غلام من المغاربة ملكة العزيز رقابهم «وإنا ملكّناه أعناقهم، وحكّمناه فيهم، فمن أراد أن يبيعه باعه، ومن أراد أن يعتقه عتقه»، كما وهب له مالاً كثيراً.

وفى رأينا أن من أسباب نفوذ ابن كلس وقوة سلطانه هذا الثراء الفاحش التى ذكرته المصادر العربية سواء عند ذكر مصادر ثروته، أو عند ذكر تركته، والحقيقة أن تجارته إذا كانت سبباً من أسباب ثرائه، إلا أن الخليفة العزيز بالله كان سببا آخر لهذا الثراء، فكما يقول النويرى: «بسط يده فى الأموال». وقد ذكرت سابقا أن العزيز بالله كان قد وهبه عند خروجه من الاعتقال ـ فى محاولة لترضيته ـ مالاً كثيراً، هذا إلى جانب عدد ألف وخمسمائة غلام ملكه رقابهم.

وعندما ولد للعزيز ولد ذَكر، يذكر المقريزى أن العزيز أرسل إليه هدية مكونة من مهد من صنّدل مرصعا، وثلاثمائة ثوب، وعشرة آلاف دينار عزيزية، وخمسة عشر فرساً بسروجها

وُجُمها، منها اثنان ذهب، وطيب كثير، فكان مقدار ذلك مائة ألف دينار. كما تذكر المصادر العربية أن مرتبه الذى أقطعه له العزيز كان يبلغ فى السنة مائة ألف دينار.

ويذكر المقريزى أن العزيز بالله عمل له إقطاعا فى كل سنة بمصر والشام[1]، مبلغها ٣٠٠ ألف دينار. أما النويرى فيذكر أن مبلغ إقطاعه من مصر والشام كان فى كل سنة ثمانية آلاف دينار. ويذكر ابن أيبك أن اقطاعه فى كل سنة كان مائة ألف دينار.

أما تركته فكما يقول النويرى إشتملت على مال عظيم، فقد وجد له من الجواهر ما قيمته أربعمائة ألف دينار، كما وجد له بز[*] من كل صنف قيمته خمسمائة ألف دينار، هذا إلى جانب عبيده من المماليك الذين قدر عددهم بأربعة آلاف غلام.

ويضيف ابن أيبك: ومن الذهب العين خمسمائة ألف دينار، ومن الأوانى والمصاغات والمركوب والملبوس ما قيمته مثلها، وثمانمائة حظية خارجا عن جوارى الخدمة.

وواضح المبالغة فى هذه التقديرات التى هى سمة هذا العصر، والتى يهمنا منها دلالتها، وهى ما كان ينعم فيه ابن كلس من ثراء فاحش. ومع ذلك فمن الغريب أن العزيز بالله بعد موت ابن كلس سدد له ديونا كانت عليه للتجار قدر مبلغها بستة عشر ألف دينار - من بيت المال، ولم يأخذها من تركته.

وقد توفى ابن كلس عام ٣٨٠هـ/٩٩٠م كما اتفقت على ذلك معظم المصادر العربية، وإختلف معهم ابن اياس الذى ذكر فى كتابه أنه توفى عام ٣٨٢هـ/٩٩٢م.

ويذكر الذهبى أنه كان يبلغ من العمر عند وفاته اثنتان وستون سنة.

وتذكر المصادر الإسلامية أنه عندما مرض مرضه الذى مات فيه زاره العزيز بالله وقال له: «وددت لو أنك تُباع فأبتاعك بملكى، أو تُفدى فأفديك بولدى».

---

(١) يذكر ابن القلانسى أن نائب ابن كلس على ضياعه فى دمشق هو ابن أبى العود وكان يهوديا.

(*) البز: جمع بزوز، أى السلاح أو الثياب من الكتان أو القطن.

ولما مات، أمر العزيز أن يدفن فى داره المعروفة بدار الوزارة بالقاهرة داخل باب النصر فى قبة[1] كان بناها لنفسه، وحضر جنازته، وصلى عليه وألحده بيده فى قبره.

ويذكر النويرى أن الكفن الذى أرسله العزيز له وهو خمسون ثوباً، بلغ قيمته سبعة آلاف دينار.

كما تذكر المصادر الإسلامية أن العزيز بالله بعد وفاة ابن كلس أمر أن تغلق الدواوين «ثمانية عشر يوما، وعطل الأعمال أياماً» حداداً على وفاته.

الوزير صدقة بن يوسف بن علي الفلاحي (أبو نصر أو أبو منصور)[2] : (وزير المستنصر بالله الفاطمى عام (٤٣٦-٤٣٩هـ/ ١٠٤٤-١٠٤٧م)

تولى منصب الوزارة فى الدولة الفاطمية بأمر من الخليفة المستنصر بالله، وذلك عام ٤٣٦هـ/٤٣٩م، فخلع عليه فى يوم الثلاثاء الحادى عشر من شهر رمضان من نفس

---

(١) تكلف بناء هذه القبة خمسة عشر ألف دينار. وكانت داخل دار ابن كلس، وهى دار الوزارة القديمة، التى عرفت فى القرن السادس بدار الديباج. وحلّ مكان جزء منها المدرسة الصاحبية التى أنشأها عام ٦١٨هـ/١٢٢١م الوزير الصاحب صفىّ الدين عبدالله بن على بن شُكر وجعلها وقفاً على المالكية. وفى عام ٧٥٨هـ/١٣٥٦م جددها القاضى علم الدين إبراهيم بن عبداللطيف المعروف بابن الزبير. وكانت تقع فِي حارة الوزيرية بين المدرسة الزمامية (جامع الداودى) وبين المدرسة الفخرية (جامع أبى سعيد جقمق). وقد اندثرت هذه المدرسة الآن، ويحدد موضعها المبانى المستجدة الآن بين شارع الوزير الصاحب، وشارع درب سعادة.

(٢) اختلفت المصادر الإسلامية فى ذكر كنيته، فبينما مصادر ذكرته باسم أبا منصور، نجد مصادر أخرى تذكره باسم أبا نصر. ويبدو أن هذا الاختلاف قد أوجد نوعاً من البلبلة عند المؤرخين أنفسهم، فنلاحظ أن النويرى فى كتابه (نهاية الأرب) قد ذكره باسم أبا نصر، ثم ذكره فى موضع آخر من نفس الكتاب باسم أبا منصور. ومن المصادر الإسلامية التى ذكرته باسم أبا نصر: (ابن القلانسى: تاريخ دمشق؛ السيوطى: حسن المحاضرة؛ ابن اياس: بدائع الزهور). ومن المصادر الإسلامية التى ذكرته باسم أبا منصور: (ابن الصيرفى: الإشارة إلى من نال الوزارة).

واختلف ابن الجوزى عن المصادر الإسلامية فى ذكر اسمه، فذكره باسم (أحمد) بن يوسف أبو نصر. (ابن الجوزى: المنتظم).

السنة، وكتب له سجلاً بتقليده فى نفس اليوم الذى خلع عليه فيه، كما منحه الخليفة لقب «الوزير الأجل، تاج الرياسة، فخر الملك، مصطفى أمير المؤمنين».

وتذكر المصادر الإسلامية أن الوزير صدقة بن يوسف الفلاحى كان يهودياً ثم أسلم بعد توليه منصب الوزارة.

ويذكر المقريزى فى كتابه الخطط أن تولية صدقة بن يوسف الفلاحى لمنصب الوزارة، كان بمساعدة أبى سعد إبراهيم التسترى، وذلك لأنه بعد وفاة الوزير الجرجرائى (عام ٤٣٦هـ/١٠٤٤م) عين فى الوزارة الحسن بن على الأنبارى[١]، الذى أساء معاملة أبى نصر هارون التسترى، فاشتكى إلى أخيه أبى سعد الذى شكاه بدوره إلى أم الخليفة التى حرضت ابنها المستنصر ضد ابن الأنبارى لعزله عن الوزارة، فعزله. ثم سعى أبو سعد عند أم المستنصر لتعيين صدقة بن يوسف الفلاحى فى منصب الوزارة، فاستوزره المستنصر.

وإن كان ابن الصيرفى والنويرى وحتى المقريزى فى كتابه اتعاظ الحنفا ـ قد أشاروا إلى أن تولية صدقة بن يوسف الفلاحى لمنصب الوزارة كان بناء على توصية الوزير صفى الدين أبى القاسم على بن أحمد الجرجرائى (٤١٨-٤٣٦هـ/ ١٠٢٧-١٠٤٤م) عندما كان مريضا.

ويفهم من المصادر الإسلامية أن الوزير صدقة بن يوسف الفلاحى لم يكن وزيراً ذا نفوذ قوى، وإنما كان ينفّذ كل ما يمليه عليه أبو سعد بن سهل التسترى الذى كان من القوة حتى إنه استطاع ـ بمساعدة أم المستنصر ـ أن يهيمن على كل شئون الدولة لذلك يقول ابن الصيرفى: «فلا يخرج شيء عما يرسمه، ولا يعمل الوزير إلا بما يحدُّه له

(١) يظهر مما أورده ابن القلانسى بأن أبا على الحسن بن على الأنبارى. لم يتول منصب الوزارة إلا أياماً تعد على أصابع اليد الواحدة، فقد توفى الوزير الجرجرائى يوم ٦ رمضان، وعين الوزير الفلاحى يوم ١١ رمضان. وكان الفلاحى قد اعتقله بخزانة البنود ثم قتله وذلك فى عام ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م ودفن بخزانة البنود، وكان المقريزى قد ذكر فى موضع آخر من كتابه أنه قتله فى سادس عشر محرم من عام ٤٣٨هـ/١٠٤٦م.

ويمثله». ويقول النويرى: فلم يبق للوزير الفلاحى معه إلا اسم الوزارة. ويقول المقريزى: «وصار الوزير الفلاحى منقاداً لأبى سعد، تحت حكمه».

وقد استمر صدقة بن يوسف الفلاحى يتولى منصب الوزارة حتى عزل، وتم القبض عليه عام ٤٣٩هـ/١٠٤٧م، ثم قتل عام ٤٤٠هـ/١٠٤٨م. وكان الوزير الفلاحى عندما قبض عليه قد سُجن فى خزانة البنود[١]، كما دفن بها عندما قتل.

وتذكر المصادر الإسلامية أن السبب الذى دعا إلى القبض عليه ثم قتله بعد ذلك، هو قيامه بقتل أبى سعد بن سهل التسترى، فقد ذكرت سابقاً أنه كان يسيطر عليه سيطرة تامة، ولا يستطيع أن ينفذ أمراً بدونه، لذلك فكر فى التخلص منه، وبالفعل نجح بمساعدة بعض الأتراك الذين فتكوا به ـ كما يقول ابن الصيرفى ـ عند دخوله من باب القنطرة[*] متوجها إلى القصر، وقطع لحمه وطيف به. مما أثار غضب أم الخليفة المستنصر التى استطاعت بسلطاتها أن تصرف صدقة بن يوسف عن منصب الوزارة، ثم أمرت بقتله.

الوزير أبو على الحسن بن أبى سعد إبراهيم بن سهل التسترى: (وزير المستنصر بالله عام ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)

تولى منصب الوزارة زمن الخليفة المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٥-١٠٩٤م)، وذلك فى الرابع من ذى الحجة من عام ٤٥٦هـ/١٠٦٣م.

وتذكر المصادر الإسلامية أنه كان يهوديا ثم أسلم، إلا أن المصادر الإسلامية لم توضح لنا ـ كما يقول د. حسن إبراهيم حسن ـ إذا كان أبو على الحسن التسترى قد اعتنق

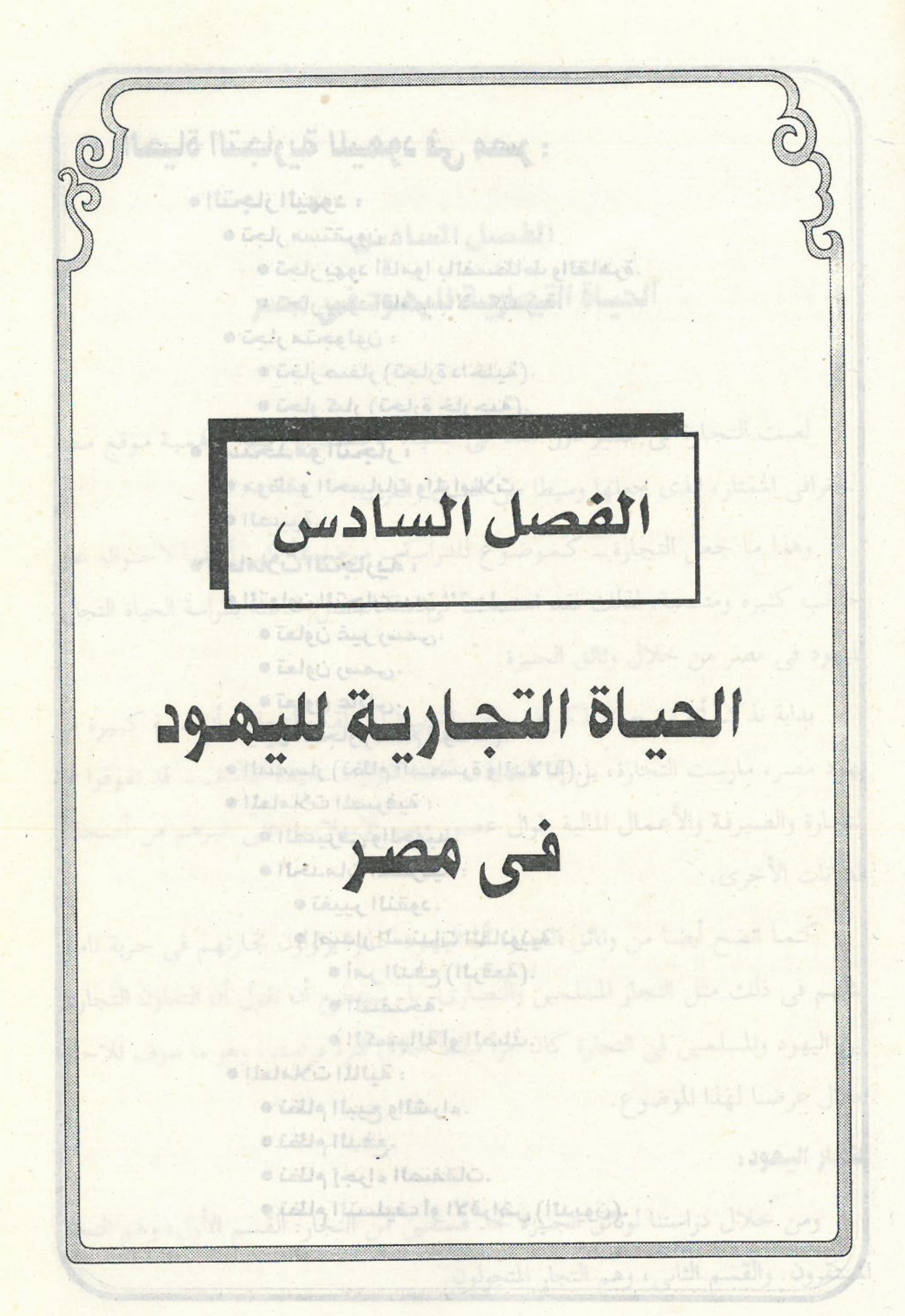
(١) وكانت خزانة البنود ملاصقة للقصر الكبير ومن حقوقه، فيما بين قصر الشوك وباب العيد. بناها الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله، وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبر زين فى سائر الصنائع. وفى عام ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م زمن الخليفة المستنصر شب حريق هائل فيها، فاحترق كل ما فيها، وجعلت خزانة البنود بعد هذا الحريق سجناً، كما اتخذها ملوك بنى أيوب أيضا سجنا تعتقل فيه الأمراء والمماليك.

(*) سبق الإشارة إليه.

الإسلام قبل تقلده الوزارة أم بعده. على أن ما أوردناه فيما سبق يوضح أن اعتناق الإسلام كان شرطا لتولى الوزارة، ومعنى ذلك أن اعتناقه للإسلام كان قبل توليه الوزارة.

وعندما تقلد منصب الوزارة لُقّب «بالعَميد عَلَمُ الكُفَاة» لأن ابن الصيرفى ذكره بهذا اللقب فى بداية اسمه.

وتشير المصادر الإسلامية إلى أن الوزير أبا على الحسن التسترى لم يستمر فى منصب الوزارة إلا عشرة أيام فقط، ثم استعفى وذلك فى منتصف محرم من عام ٤٥٧هـ/١٠٦٤م.



الفصل السادس

الحياة التجارية لليهود فى مصر

الحياة التجارية لليهود فى مصر :

- التجار اليهود :
  - تجار مستقرون :
    - تجار يهود أقاموا بالفسطاط والقاهرة.
    - تجار يهود أقاموا بالاسكندرية.
  - تجار متجولون :
    - تجار صغار (تجارة داخلية).
    - تجار كبار (تجارة خارجية).
- مستخدمو التجار :
  - موظفو الحسابات والمراسلات.
  - الصبية.
- المعاملات التجارية :
  - التعاون التجارى بين التجار :
    - تعاون غير رسمى.
    - تعاون رسمى.
    - تعاون عائلى.
  - وكيل التجار (نظام الوكالة).
  - السمسار (نظام السمسرة والدلالة).
  - المعاملات المصرفية :
    - الصيرفى والجهبذ.
    - الخدمات المصرفية :
      - تغيير النقود.
      - إصدار السندات القانونية :
        - أمر الدفع (الرقعة).
        - السفتجة.
        - الكمبيالة أو الصك.
  - المعاملات المالية :
    - نظام البيع والشراء.
    - نظام الدفع.
    - نظام إجراء الصفقات.
    - نظام التسليف أو الاقراض (الديون).

الفصل السادس

الحياة التجارية لليهود فى مصر

لعبت التجارة فى مصر دورا هاماً فى الحياة الاقتصادية، نظراً لأهمية موقع مصر الجغرافى الممتاز، الذى جعلها وسيطا بين الشرق والغرب.

وهذا ما جعل التجارة ـ كموضوع للدراسة ـ موضوعاً كبيراً جداً لاحتوائه على جوانب كثيرة ومتشعبة، لذلك فقد اهتممت فى هذا الفصل خاصة بدراسة الحياة التجارية لليهود فى مصر من خلال وثائق الجنيزة.

بداية نذكر أنه اتضح مما ذكر فى وثائق الجنيزة المتعلقة بالتجارة، أن نسبة كبيرة من يهود مصر، مارست التجارة، بل إن اليهود ـ كما تقول د. سيدة كاشف ـ قد تفوقوا فى التجارة والصيرفة والأعمال المالية طوال عصور مصر الإسلامية على غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى.

كما اتضح أيضا من وثائق الجنيزة أن اليهود كانوا يزاولون تجارتهم فى حرية تامة، مثلهم فى ذلك مثل التجار المسلمين والنصارى. بل نستطيع أن نقول أن التعاون التجارى بين اليهود والمسلمين فى التجارة كان أمراً شائعاً خلال فترة دراستنا، وهو ما سوف نلاحظه خلال عرضنا لهذا الموضوع.

التجار اليهود :

ومن خلال دراستنا لوثائق الجنيزة نجد قسمين من التجار: القسم الأول، وهم التجار المستقرون. والقسم الثانى، وهم التجار المتجولون.

وقد قسمت وثائق الجنيزة التجار عموما إلى: تجار تجزئة وتجار جملة. وكانت تجارة التجزئة تتركز غالباً فى مواد الطعام ومتطلبات المنزل.

ويرى جويتاين أن تجار التجزئة كانوا ـ فى العادة ـ من الحرفيين، ففى أوراق الجنيزة أسماء العديد من صانعى الملابس، الذين كانوا تجار تجزئة.

وقد ظهر من حسابات تجار الجملة فى النسيج أنهم كانوا يزاولون تجارة التجزئة أيضا، إذ كانوا يبيعون قطعا فردية.

كذلك ظهر من هذه الوثائق أن بعض هؤلاء التجار كانوا متخصصين فى صنف واحد، وبعضهم الآخر كانوا يتاجرون فى أصناف عديدة من البضائع.

وكان تنوع البضائع هو الشكل الغالب فى تجارة الجملة، كما يظهر ذلك من رسائل التجار، بل إن لفظ «تاجر كبير» كان يعنى أنه يتعامل مع بضائع ذات أصناف كثيرة ومتنوعة.

ويرى جويتاين أن سبب هذا التنوع هو الرغبة فى تلبية احتياجات السوق، بالإضافة إلى رغبة التاجر فى حماية نفسه من تقلبات السوق. وعندما كان التاجر يبيع سلعة لا يفهم فيها، كان يؤجر متخصصاً.

على أن التخصص فى صنف واحد من السلع، كان هو الشائع فى ذلك العصر، وهو ما يظهر من ألقاب هؤلاء التجار والذى غالبا ما يستمر مع أحفادهم. وإن كان جويتاين يرى أن لقب التاجر قد لا يرجع لتخصصه فى بيع سلعة معينة، وإنما لتميز هذه السلعة أو حجمها.

ذكرت سابقاً أن وثائق الجنيزة قد أشارت إلى فريقين من التجار: الفريق الأول، وهم التجار المستقرون. والفريق الثانى، وهم التجار المتجولون.

وبالنسبة للفريق الأول، فهم التجار المستقرون فى نفس البلد. ومعظم هؤلاء كانوا يقيمون بالقاهرة، فقد كانت القاهرة خلال القرن ٥هـ/١١م (زمن الخلافة الفاطمية

بمصر ٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٨-١١٧١م)، هى العاصمة المقصورة على التجارة والمال، يليها الاسكندرية.

وهؤلاء التجار سواء كانوا من طبقة التجار الكبار أو متوسطى الحال، كان بينهم تجار تجزئة، وتجار جملة، ومتخصصين فى سلعة واحدة، وكان الكثيرون منهم يباشرون عملهم عن طريق المراسلات والممثلين أو الوكلاء.

وقد كانت إقامتهم فى البلد، تؤهلهم فى العادة للعمل كوكلاء لتجار أجانب من بلاد أخرى.

كما أن منهم من كان يعمل فى السمسرة والمزاد، وغير ذلك من الأعمال التى تتعلق بالتجارة، وهو ما سوف نراه فيما بعد.

ومن الطبيعى أن وجود هؤلاء التجار فى مصر مع ثرواتهم الطائلة، كان من شأنه أن يساعدهم على إزدياد نفوذهم السياسى، بحكم ارتباط الثروة بالنفوذ السياسى، فنجد من هؤلاء التجار من تولى أعلى المناصب فى الدولة، كما سوف نرى من خلال عرضنا لأسماء هؤلاء التجار.

كما ترينا أوراق الجنيزة أن عدداً كبيراً من هؤلاء التجار، كانوا من التجار الذين سافروا من بلادهم واستقروا فى مصر، وظلوا بها سنين يقومون بالتجارة فيها، ويذكر جويتاين أن منهم من عاد وحل محلهم تجار آخرون من نفس العائلة.

ومن التجار اليهود الذين أقاموا بمصر ووردت أسماءهم فى وثائق الجنيزة:

(١) التاجر يعقوب بن كلس:

وهو من أشهر التجار فى الدولة الإخشيدية، كان يعمل وكيلا للتجار بمدينة الرملة بفلسطين قبل مقدمه إلى مصر عام ٣٣١هـ/٩٤٢م زمن كافور الإخشيدى، وقد واصل اشتغاله بتجارة الشرق، واتصل بكافور وأصبح يعرف باسم «تاجر كافور»!

وقد رأينا فى فصل سابق كيف ترقى فى المناصب حتى أصبح أول مَن تولى منصب الوزارة فى مصر زمن الفاطميين[1].

(٢) التاجران أبو سعيد إبراهيم التسترى وأبو نصر هارون التسترى:

والأسرة التسترية من أصل إيرانى ـ كما يقول جويتاين ـ وبالتحديد من جنوب إيران، وقد استوطنوا مصر[2].

وتذكر المصادر العربية أن أبا سعيد إبراهيم كان يعمل بالتجارة، وأن أبا نصر هارون التسترى كان يعمل بالصيرفة إلى جانب التجارة، خاصة فى تجارة البضائع المستوردة من العراق، وفى تجارة المجوهرات والأحجار الكريمة.

وقد ذاع صيت هذين اليهوديين، واشتهر أمرهما فى البيع والشراء. فلما كانت خلافة الظاهر الفاطمى (٤١١-٤٢٨هـ/١٠٢٠-١٠٣٦م) علا شأن أبى سعيد، إذ كان بمثابة تاجر خاص للخليفة، يبتاع منه ما يحتاج إليه من صنوف الأمتعة والتحف الثمينة.

وقد حظى أبو سعيد بمكانة عظيمة لدى الخليفة، خاصة بعدما ابتاع منه جارية سوداء أنجبت له ابنه المستنصر الذى ولى الخلافة بعده.

وكان ناصر خسرو قد ذكر أنه قد حُكى له وهو فى أثناء زيارته لمصر، أن بها رجلا يهوديا يسمى أبو سعيد، وافر الثراء يتجر بالجواهر، وكان مقرباً من السلطان الذى كان يعتمد عليه فى شراء ما يريد من الجواهر الكريمة. وقيل إنه لا يعرف مدى غناه إلا الله سبحانه وتعالى، فقد كان على سقف داره ثلاثمائة جرة من الفضة زرع فى كل منها شجرة، كأنها حديقة، وكلها أشجار مثمرة.

وقد اعتدى عليه الجنود وقتلوه، ثم خافوا بطش الخليفة، فهربوا إلى الصحراء، ثم عادوا عندما أعطاهم الأمان.

---

(١) وأنظر عنه بالتفصيل فى الفصل الخاص باليهود والنظام الإدارى فى مصر.

(٢)وأنظر عنهما بالتفصيل فى الفصل الخاص باليهود والنظام الإدارى فى مصر.

ويذكر ناصر خسرو أن أخاه عندما تملكه الفزع بعد موت أخيه، كتب رسالة إلى الخليفة يقول فيها: «إنى أقدم للخزانة مائتى ألف دينار مغربى حالا».

(٣) التاجر يوسف بن عوكل (Joseph Ibn Awkal) :

تشير إليه وثائق الجنيزة فى الربع الأول من القرن ٥هـ/١١م (زمن الدولة الفاطمية) باعتباره من التجار اليهود العظام المقيمين بمصر.

ويبدو أن أسرة ابن عوكل، التى يعتقد بأنها فارسية الأصل، قد هاجرت فى القرن ٤هـ/١٠م من تونس إلى مصر فى أعقاب دخول الفاطميين مصر عام ٣٥٩هـ/٩٦٩م.

ويتضح من الرسائل التى كانت موجهة إليه وأوردتها وثائق الجنيزة، أنه كان يعيش فى الفسطاط.

وقد كان «ابن عوكل» يصدر البضائع إلى المغرب الإسلامى، ويستوردها منه، يعاونه أولاده. وكانت هذه الشركة العائلية تصدر من مصر حوالى ٨٣ صنفاً من السلع، مثل: الكتان، النيلة، الفلفل، السكر، الكافور، المسك، ونباتات يستخرج منها العطور والأدوية، واللؤلؤ والبلور. وتستورد: المسكوكات، النحاس، الرصاص، المرجان، زيت الزيتون، الصابون، الشمع، العسل، الجلود، الحرير، والأقمشة المطرزة.

وكان «ابن عوكل» يشرف من مكان إقامته الثابت على أعماله التجارية المترامية الأطراف، على أن مراسلاته التى أوردتها وثائق الجنيزة، تكشف عن أنه لم يكن يشرف بشخصه على تصدير بضائعه من الاسكندرية، وإنما كان يعهد بها لوكلاء يعملون عنده، معظمهم من التجار اليهود الصغار.

وقد توفى يوسف بن عوكل حوالى عام ٤٣٠هـ/١٠٣٨م (زمن الخليفة المستنصر بالله الفاطمى ٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م).

(٤) التاجر نهراى بن نسيم (Nahray b. Nissim) :

يذكر جويتاين أنه استطاع أن يتتبع نشاطاته فى وثائق الجنيزة لفترة خمسين عاما، من عام ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م (فى خلافة المستنصر بالله الفاطمى ٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦- =

١٠٩٤م) وهو العام الذى جاء فيه إلى مصر، حتى عام ٤٩٠هـ/١٠٩٦م (خلافة المستعلى بالله الفاطمى ٤٨٧-٤٩٥هـ/ ١٠٩٤-١١٠١م)(*)، وهو العام الذى توفى فيه.

ولد نهراى بن نسيم بمدينة القيروان حوالى عام ٤١٦هـ/١٠٢٥م، ثم سافر منها إلى الفسطاط فى عام ٤٣٧هـ/١٠٤٥م، وفى رواية مارك كوهن عام ٤٤٢هـ/١٠٥٠م - واستقربها، كما يتضح ذلك من أن معظم الرسائل الموجهة إليه كانت ترسل للقاهرة، وتزوج بها من أسرة محلية عريقة.

وقد اتضح من الرسائل التى أوردتها الجنيزة، أن نهراى بن نسيم قد تولى خزانة بيت المال[1]، وأنها كانت مهنته الرئيسية خلال بعض الفترات.

(*) وهو المستعلى بالله أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبى تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله أبى الحسن على بن الحاكم بأمر الله أبى على منصور. ولد فى عام ٤٦٨هـ/١٠٧٥م أو فى عام ٤٦٩هـ/١٠٧٦م، وبويع له عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م حين مات أبوه المستنصر، وذلك أن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى عندما مات المستنصر بادر إلى القصر، وأجلسه، ولقّبه بالمستعلى. وكان المستنصر قد عهد بالأمر إلى ولده نزار، فخلعه الأفضل بن بدر الجمالى بعد موت أبيه، وأمر الناس فبايعوا أحمد بن المستنصر أخاه، فهرب نزار إلى الاسكندرية - وإليه تنسب الدعوة النزارية - وبايعه أهلها وساعده قاضيها ابن عمار، ومتوليها أفْتكين، فنازلهم الأفضل، وظفر بهم ورجع إلى القاهرة بأفتكين ونزار، فذبح أفتكين، وبنى على نزار حائطاً فهلك. وبعد موت نزار استقر المستعلى فى الخلافة وعمره إحدى وعشرون سنة. وفى أيامه اختلّت دولتهم، وضعف أمرهم، وانقطعت من أكثر مدن الشام دعوتهم، وانقسمت البلاد الشامية بين الأتراك الواصلين من العراق وبين الفرنج. ولم يكن للمستعلى سيرة فتذكر، فإن الأفضل كان يدبر أمر الدولة تدبير سلطنة وملك، لا تدبير وزارة. وقد توفى المستعلى بمصر عام ٤٩٥هـ/١١٠١م، ومدة خلافته سبع سنين وشهر واحد وعشرون يوما، وتولى بعده ولده أبو على المنصور الملقب الآمر، وقام بتدبير دولته الأفضل بن أمير الجيوش - كما ذكرت فى موضع سابق.

(١) وكان يطلق عليها الخزانة الكبرى، والخزانة السلطانية وأيضا بيت المال. وكانت فى أول أمرها مستودع أموال المملكة، وكان ناظر الخاص يشرف على جميع أموال الدولة، وعندما أنشئت وظيفة الخاص قل شأن الخزانة الكبرى، وأصبحت لا تستعمل إلاّ فى تخزين الفائض والاحتياطى أو حفظ ما يخصص للموظفين من أرزاق، وكان يعمل بها ناظر وشهود وصيارفة وكاتب.

وعلى الرغم من أن أعماله كانت أضيق نطاقا من أعمال ابن عوكل - كما يقول مارك كوهن - إلا أنها مدوّنة فى وثائق الجنيزة على نحو أفضل من السابقة.

والتاجر نهراى بن نسيم كان تاجراً للجملة، تنوعت تجارته، ومن السلع التى كان يتاجر فيها: الكتان الذى كان يصدره من مصر إلى تونس وصقلية، والحرير من أسبانيا وصقلية، وزيت الزيتون، والصابون، والشمع المصدر من تونس وفلسطين وسوريا، والتوابل الشرقية مثل: الفلفل والقرفة والقرنفل، ومواد تلميع وصباغة ودباغة، ومعادن مثل: النحاس والحديد والرصاص، وقوالب الفضة، وكلها تصدر من الغرب إلى الشرق، وكُتب مثل: التوراة والتلمود، إلى جانب الكُتب العربية، ومجوهرات وأحجار كريمة، وعطور، ومواد غذائية مثل: السكر المصدر من مصر، وغير ذلك.

وقد كان لنهراى بن نسيم وكلاء له، ولكنه، بخلاف ابن عوكل، كان يقوم بنفسه بإدارة جزء من تجارته العالمية، فيسافر إلى القدس، وسوريا، ولبنان، كما زار بصورة متكررة المراكز الخاصة بزراعة الكتان فى مصر، مصاحباً السلطات المحلية اليهودية والمسلمة. هذا إلى جانب براعته فى المعاملات المصرفية.

(٥) التاجر موسى بن أبى الحى (Musa b. Abi'l-Hayy) :

كان تاجراً معروفا، وله مكانته فى الفسطاط، وذلك فى النصف الثانى من القرن ٥هـ/١١م (زمن الدولة الفاطمية).

(٦) التاجر عروس بن يوسف (Arus b. Joseph) :

وقد وجد فى وثائق الجنيزة مجموعة من الوثائق التى تذكر اسمه، مؤرخة من عام ٤٨١هـ/١٠٨٨م إلى عام ٥١٠هـ/١١١٦م (أى فى زمن الخلفاء الفاطميين المستنصر بالله والمستعلى بالله والآمر بأحكام الله ٤٢٨-٥٢٤هـ/ ١٠٣٦-١١٢٩م).

(٧) التاجر أبو على حزقيال (Abu Ali Ezekiel) :

وهو من التجار الذين كانت لهم مكانة فى مدينة قليوب[١]. وهو من أصل هندى، وكان أخا لحلفون بن نثانئيل ها ـ ليفى (Halfon b. Nethanel)، التاجر الهندى الشهير.

(٨) التاجر موسى ها ـ كوهن (Moses ha-Kohen) :

كان كبير التجار بالقاهرة، وقد كان مقيماً بها حوالى عام ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م (زمن الملك العادل ٥٩٦-٦١٥هـ/ ١١٩٩-١٢١٨م)، كما اتضح ذلك من خطاب أرسل إليه من الاسكندرية فى نفس الوقت تقريبا.

وربما كان «موسى» هذا إبناً لأبى زكرى كوهن الصيرفى المعروف بالفسطاط ـ والذى سيأتى ذكره عند الحديث عن الصيارفة ـ أو قريباً له، لتشابه الأسماء.

والى جانب هؤلاء التجار، كان هناك تجار يهود آخرون أوردتهم وثائق الجنيزة، كانوا مقيمين بالاسكندرية. وفى رأينا أن إقامة هؤلاء التجار فى الاسكندرية وهى من الموانئ التجارية الهامة، قد ساعدتهم ـ بلا شك ـ على العمل كوكلاء شحن لتجار آخرين.

ومن هؤلاء التجار :

(١) التاجر اسحاق النيسابورى (Isaac Nisaburi) :

وهو من أصل فارسى، أقام بالاسكندرية. وقد ظهر من وثائق الجنيزة أنه كان يتاجر فى أصناف عديدة من البضائع، منها: نباتات صبغية مثل: الزعفران المستورد من تونس،

---

(١) قليوب: قاعدة مركز قليوب. من القرى القديمة، وهى مدينة عظيمة حسنة، يقال إنه كان بها ١٧٠٠ بستان، وقد خرب أكثرها. وهى كرسى الاقليم، وبها من أنواع الفواكه شئ كثير رخيص، وبها خليج السردوس، وهو أحد نزهات الدنيا، لأنه يسار فيه بين بساتين مشتبكة، وأشجار ملتفة وفواكه دانية. وكانت القرى التى يتكون منها اليوم إقليم القليوبية، تابعة لاقليم الشرقية، وفى عام ٧١٥هـ/ ١٣١٥م أنشئ لأول مرة اقليم القليوبية بإسم الأعمال القليوبية، وجعلت مدينة قليوب قاعدة له، وإليها تنسب القليوبية. وقد استمرت قليوب قاعدة للقليوبية إلى أن نقل منها ديوان المديرية، والمصالح الأميرية الأخرى إلى مدينة بنها عام ١٨٥٠م مع بقاء المديرية باسم القليوبية.

وأعشاب طبية، وزجاج، وحرير، ومرجان وكان يستورده من أوربا وشمال أفريقيا، وعطور مثل: العنبر، والمسك، وشمع من تونس وغير ذلك.

وتكشف أوراق الجنيزة عن أن «اسحاق النيسابورى»، كان يعمل وكيل شحن لتجار آخرين.

ويذكر جويتاين أنه إلى جانب التاجر «اسحاق النيسابورى»، تشير رسائل الجنيزة إلى أسماء أربع تجار آخرين، كانوا معاصرين له، ومقيمين بالاسكندرية، إلا أنه لم يذكر أسماءهم.

على أنه فى جزء آخر من كتابه أورد اسماً لتاجر يهودى يعيش فى الاسكندرية، يدعى: **يشوع بن صمويل أو إسماعيل** (Yeshua b. Samuel or Isma'il)، قال عنه: إنه من أصل تونسى، استقر بالاسكندرية. وكان فى شبابه قد درس فى القيروان، لذلك ذكر جويتاين أنه من التجار المتعلمين.

وكان موجوداً فى الاسكندرية حوالى عام ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م (فى خلافة المستنصر بالله الفاطمى ٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م)، كما يتضح من وصيته التى كتبها فى أثناء مرضه، وكانت مؤرخة فى هذا العام.

كما أورد جويتاين اسماً لتاجر يهودى يعيش فى الاسكندرية، وذلك فى جزء آخر من كتابه، يدعى: **موردخاى بن موسى** Marduk b. Musa (Mordechai b. Moses). ذكر عنه أنه من أصل ليبى، وبالتحديد من طرابلس. وأنه استقر بالاسكندرية، حيث أصبح تاجر عالميا هاماً بها. وكان معاصرا للتاجر نهراى بن نسيم.

ومن التجار اليهود الذين لم تذكر المصادر العربية اسمه، ويبدو أنه كان تاجر تجزئة من الطبقة المتوسطة: تاجر يهودى (صائغ) زمن كافور الاخشيدى، كانت المصادر العربية قد أشارت إليه، عندما اضطرت زوجة كافور أن تشكوه إلى الخليفة الفاطمى «المعز»

(٣٦٢-٣٦٥هـ/ ٩٧٢-٩٧٥م)، بعدما أنكر أنه أخذ قبَاء[١] منها من لؤلؤ منسوج بالذهب، وكانت هى قد أودعته عنده. وقد أمر الخليفة باستدعائه، واستجوبه، فأنكر، فأمر بتفتيش منزله، فعثر فيه على القباء مدفوناً.

وتذكر المصادر العربية أن «المعز» عندما سلّمه إليها، أرادت أن يأخذه منها هدية، إلاّ أنه أبىَ أن يقبله «فاستحسن ذلك منه الحاضرون من مؤمن وكافر».

هذا بالنسبة للفريق الأول من التجار وهم التجار المستقرون، أما بالنسبة للفريق الثانى وهم التجار المتجولون، فقد كان هؤلاء إما تجاراً صغاراً يتجولون فى نطاق محدود داخل جهات نفس البلد، أو تجاراً كباراً يتنقلون من بلد إلى أخرى، يتاجرون فى أصناف عديدة من السلع.

وبالنسبة للتجارة الداخلية، التى كان يقوم بها تجار صغار، فيوجد العديد من الوثائق والرسائل التى تشير إلى هذا النوع من التجارة، كذلك أشارت وثائق الجنيزة إلى تجار متجولين داخل مصر، ينتقلون من بلدة صغيرة فى الريف المصرى إلى أخرى لبيع الأنسجة.

وقد عرف هذا التاجر فى وثائق الجنيزة باسم «الركاض» (rakkad)، وهو اسم مبالغة من ركض أى يعدو.

ففى رسالة مؤرخة عام ٥٣٥هـ/١١٤٠م (فى خلافة الحافظ لدين الله الفاطمى ٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٢٩-١١٤٩م)، كتب تاجر يقول: «لقد اشتريت ٤٠ رطلا من الحرير من (ركاض) فى منية زفتى».

ويمكننا اعتبار التاجر **بو الفرج بن بركات بن سليمان** (Bu'l-Faraj b. Barakat b. Sulayman) من فئة هؤلاء التجار. ففى إحدى وثائق الجنيزة والخاصة بشهادة صلاحية جبن إشتراه من التاجر الصقلى فرجى كوهين ابن يوسف كوهين (Faraji Kahen Ibn Joseph Kohen)، والصادرة بالاسكندرية فى عام ٦١١هـ/١٢١٤م (زمن الملك العادل ٥٩٦- ٦١٥هـ/ ١١٩٩- ١٢١٨م)، يظهر أنه كان يسافر إلى أماكن مختلفة فى الريف المصرى لبيع الجبن.

(١) القبَاء جمع أقْبية: وهو ثوب يلبس فوق الثياب.

أما بالنسبة للتجارة الخارجية، فقد كان يقوم بها تجار كبار، ينتقلون من بلد إلى أخرى، وهم فى حالة ترحال مستمر.

ويرى جويتاين أن انتشار تجوال التجار يرجع إلى سببين: **الأول**: مخاطر الانتقال، مما يتطلب من مالك البضاعة إما أن يصطحبها بنفسه أو يعهد بها إلى مَن يثق به.

والثانى: سياسة التجار ـ وخاصة الاعتقاد الذى نستخلصه من كثير من رسائل الجنيزة وهو أن «الشخص الذى يباشر بنفسه تجارته، يرى مالا يستطيع الغائب رؤيته». وأن معرفة التاجر الشخصية بالشارى والمنتج ومورد البضائع من سمات التاجر الناجح.

ومن التجار اليهود الذين لعبوا دوراً هاماً فى التجارة الخارجية بين الشرق والغرب، وكانوا على صلات وثيقة مع يهود مصر، هم ما أطلق عليهم ابن خرداذبة اسم: «الريدانية» أو «الراذانية»[*]، وكان المسلمون يعرفونهم فى القرن ٣هـ/٩م باسم «تجار البحر».

وكان هؤلاء التجار يقومون بالترحال من دول غرب أوربا إلى الهند والصين فى الشرق، مرورا بالبحر الأحمر، وطريق القُلْزُم[١] والـفَرَمَا[٢] الذى كان من أهم حلقات الإتصال بين الشرق والغرب، وبالعكس.

(*) نسبة إلى نهر الرون بفرنسا وسويسرا.

(١) القُلْزُم: بالضم ثم السكون ثم زاى مضمومة، وميم. ميناء قديم هام يقع على الطرف الشمالى للبحر الأحمر. وقد أصبح القلزم فى صدر الإسلام ميناء مصر الرئيسى فى البحر الأحمر، وأدت إعادة حفر خليج أمير المؤمنين الواصل بين الفسطاط والقلزم إلى زيادة أهميته، نظرا لما يقوم به من الوصل بين مصر والحجاز. ولكونه ميناء عاصمة مصر. وكان تجار الغرب يفدون إليه من الفرما، ومنه يركبون البحر إلى «الجار» (ميناء المدينة وقتئذ)، ثم إلى جدة، ومنها إلى عدن فى طريقهم إلى سواحل الهند. ويذكر اليعقوبى أن القلزم كان ميناء مصر إلى الحجاز واليمن، وأن به سفناً كباراً تعبر البحار العالية، وأن جل سكانه من التجار الأغنياء. وذكر المقدسى أنه كان يرسل منه ما لا يقل عن ثلاثة آلاف جمل محملة بالبضائع كل أسبوع عابرة خليج أمير المؤمنين، وذكر أيضا أن القلزم خزانة مصر وفُرضة الحجاز. ومعونة الحاج. وقد كان يوجد بالقلزم دار للصناعة، ولهذا كانت القلزم قاعدة للأسطول المصرى فى البحر الأحمر فى صدر الإسلام.

(٢) الفَرَمَا: وهى مدينة قديمة بين العريش والفسطاط قرب قَطْيَة (وهى قرية فى طريق مصر قرب الفرما)، وشرقى تِنيس (وهى جزيرة فى بحر مصر قريبة من البر، ما بين الفرما ودمياط)، على ساحل البحر =

وقد احترف اليهود الراذانية استيراد بضائع الشرق الغالية الثمن عبر البحر الأحمر، وتصديرها إلى بلاد أوربا، كما أدى ترحالهم المستمر إلى إلمامهم بعدة لغات، فيقول ابن خرداذبة تحت عنوان (مسلك التجار اليهود الراذانية): إنهم كانوا يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية، والافرنجية والأندلسية والصقلبية. وكانوا يسافرون من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق براً وبحراً، ويجلبون من المغرب (فرنجة) الخدم والجوارى والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسَّمُّور[1]، والسيوف، ويركبون من فرنجة[2] فى البحر الغربى فيخرجون بالفرما. ويحملون تجارتهم على الظهر إلى القلزم وبينهما خمسة وعشرون فرسخا[3]، ثم يركبون البحر الشرقى من القلزم إلى الجار[4] وجدة، ثم يمضون إلى السند والهند والصين، فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدارصينى وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحى، حتى يرجعوا إلى القلزم، ثم يحملونه إلى الفرما، ثم يركبون فى

= على يمين القاصد لمصر، وبينها وبين بحر القُلْزُم المتصل ببحر الهند أربعة أيام، وهو أقرب موضع بين البحرين بحر المغرب وبحر المشرق، وهى كثيرة العجائب غريبة الآثار. والفرما مدينة من أقدم الرباطات المصرية بقرب الحدود المصرية لمصر، وكانت فى زمن الفراعنة حصن مصر من جهة الشرق لأنها فى طريق المغيرين على مصر. إسمها المصرى القديم «برآمن» أى مدينة الاله آمون، ومنه اسمها العبرى «برمون»، والقبطى «برما»، ومن هذا أتى الإسم العربى وهو «الفرما»، وسماها الروم «بيلوز» ومعناها الوحلة لأنها كانت واقعة فى منطقة من الأوحال بسبب تغطية ماء البحر الأبيض لأراضى تلك المنطقة.

وقد اندثرت هذه المدينة، وتعرف اليوم آثارها بتل الفرما على بعد ثلاثة كيلومترات عن ساحل البحر الأبيض المتوسط، وعلى بعد ٢٣ كيلو متر شرقى محطة الطينة الواقعة على السكة الحديدية التى بين بورسعيد والإسماعيلية.

(١) السَّمُّور جمع سمامير: حيوان برى من فصيلة السموريات ورتبة اللواحم، يشبه ابن عرس وأكبر منه، لونه أحمر مائل إلى السواد. يتخذ من جلده فراء ثمينة.

(٢) يقصد بفرنجة فرنسا.

(٣) الفرسخ ثلاثة أميال.

(٤) الجار: مدينة على ساحل بحر القلزم، بينها وبين المدينة يوم وليلة. وهى فرضة ترفأ إليها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والصين وسائر بلاد الهند.

البحر الغربى، فربما عدلوا بتجارتهم إلى القسطنطينية فباعوها إلى الروم، وربما صاروا بها إلى ملك فرنجة فيبيعونها هناك، وإن شاءوا حملوا تجارتهم من فرنجة فى البحر الغربى، فيخرجون بأنطاكية، ويسيرون على الأرض ثلاث مراحل إلى الجابية[1]، ثم يركبون فى الفرات إلى بغداد، ثم يركبون فى دجلة إلى الأُبُلَّة[2]، ومن الأبلة إلى عُمان والسند والهند والصين، كل ذلك متصل بعضه ببعض.

وكان نشاط التجار اليهود الراذانية قد امتد فى الشرق قبل قيام الدولة الإسلامية بمائتين وخمسين عاما، واستمر حتى منتصف القرن ٤هـ/١٠م، ثم توقف بسبب ظهور التجار الكارمية، وتوليهم أمر التجارة بين الشرق والغرب، وكذلك بسبب قيام الجمهوريات الإيطالية التجارية بهذا النشاط.

والتجار الكارمية هم فئة من كبار التجار احتكروا تجارة الهند والشرق الأقصى فى التوابل والسلع الأخرى، خاصة فى عهد دولة الفاطميين، وازدهرت تجارتهم عبر البحر الأحمر فى العهد الأيوبى والمملوكى ازدهاراً كبيراً.

ولقد أثبت جويتاين من واقع وثائق الجنيزة، أن التجار اليهود شاركوا فى تجارة الكارم طوال عهد الفاطميين جنبا إلى جنب مع التجار المسلمين، مخالفاً بذلك القول السائد بأن تجارة الكارم قد اقتصرت فقط على التجار المسلمين، وأن مَن أراد المشاركة فيها كان عليه اعتناق الإسلام.

ومن اليهود الذين اشتغلوا بتجارة الكارم أسرة أبى الفرج يوسف ابن يعقوب بن عوكل، الذى أشرنا إليه سابقا عند الحديث عن التجار اليهود فى مصر، وقد ثبت من أوراق الجنيزة أنه كان يتاجر فى التوابل وخاصة الفلفل.

(١) الجابية: بكسر الباء، وياء مخففة. هى قرية من أعمال دمشق.

(٢) الأُبُلَّة: بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها. وهى بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى مدينة البصرة، وهى أقدم من البصرة، لأن البصرة مصرت فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وكانت الأبلة حينئذ مدينة فيها قائد من قبل كسرى.

أما فى العصر الأيوبى (٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م)، فقد توقف نشاط التجار اليهود فى هذه التجارة، واستقر معظم تجار اليهود الراذانية فى بلاد الشرق الإسلامى، وقصروا نشاطهم على التجارة الداخلية وأعمال الصيرفة فى داخل هذه البلاد.

ويذكر د. عطية القوصى أنه من المحتمل أن يكون بعضهم قد اعتنق الإسلام، ويؤيد ذلك أن أسماء بعض التجار المسلمين فى العهد المملوكى، والذين عملوا فى الكارم كان أجدادهم يهوداً.

على أن وثائق الجنيزة قد تحدثت عن وجود تجار يهود فى تجارة الكارم فى العهد الأيوبى، كما أشار فيشيل Fishel إلى وجود عائلة يهودية كانت فى مصر فى العصر الأيوبى، كانت تعمل فى تجارة الكارم والصيرفة، وأن نشاط هذه العائلة قد استمر فى العهد المملوكى، وكانت تعرف بالبيت الكارمى.

مستخدمو التجار:

يتضح من وثائق الجنيزة أن كبار التجار، كان يعمل فى خدمتهم مجموعة من الموظفين تنقسم إلى فئتين:

الأولى: وهم فئة الموظفين المختصين بالمراسلات والحسابات.

والثانية: وهم مَن عرفوا فى الوثائق باسم «الصبية» (Sabi).

وبالنسبة للفئة الأولى، فقد كان التجار الكبار، يحتاجون لموظفين لكتابة مراسلاتهم، وتدوين حساباتهم. وكانوا يستخدمون لذلك أكثر من موظف.

على أنه ـ كما يظهر من وثائق الجنيزة ـ كان التجار فى بعض الأوقات يضطرون لكتابة رسائلهم بأنفسهم، خاصة عندما يكونون فى خارج البلاد وبدون موظف قريب، أو أن موضوع الرسالة يحتاج إلى السرية التامة.

ويذكر جويتاين أنه لم يكن من المعتاد توقيع الرسائل، فقد كان اسم باعث الخطاب يظهر فقط فى العنوان، ويكتب فى الركن الشمالى الأعلى، أو يشار إليه بجمل مثل: «من صديقك»، أو «من أحد الممتنين لعطفك».

وكان متسلم الخطاب يتأكد من صحة الرسالة، إما عن طريق معرفته بخط مراسله، أو معرفته بخط موظفه.

وفى بعض الحالات، كان محتوى الرسالة يكتبه الموظف، أما العنوان فيكتبه صاحب العمل بخطه. ويرى جويتاين أن هذه الطريقة فى الكتابة، كانت السبب فى شيوع المثل القائل «الجواب يُعْرف من عنوانه».

ولم يكن هؤلاء المستخدمون يتقاضون أجوراً شهرية، وإنما كانوا ـ كما يرجح جويتاين ـ يتقاضون الأجر بالقطعة، أى بالرسالة.

أما بالنسبة للفئة الثانية وهم الصبية، فيتضح من وثائق الجنيزة أن التجار الكبار كانوا يستخدمون أكثر من صبى فى عملهم.

فيذكر جويتاين أن التاجر العظيم ابن عوكل، كان لديه على الأقل اثنين من هؤلاء المساعدين فى نفس الوقت، أحدهما يهودى، والآخر مسلم.

وكان الصبى يقوم أحيانا بدور وكيل أعمال لمستخدمه التاجر الكبير، وإنجاز بعض المهام التى يكلفه بها. ففى رسالة بعث من أحد التجار فى القيروان إلى صبيّه فى مصر، مؤرخة فى عام ٤٤٠هـ/ ٩أغسطس ١٠٤٨م (زمن المستنصر بالله الفاطمى ٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م)، طلب منه أن يشترى لصديق بعض أنواع معينة من الأقمشة من الفسطاط، كما طلب منه القيام ببعض المهام لزوجته فى مصر.

وفى رسالة أخرى عبّر أحد الصبية لشريكه ولشقيقته، عن تردده فى قبول هذه الوظيفة بقوله: «علاوة على ذلك، فإننى أخشى بأننى سوف أضطر للسفر كثيراً لخدمته، وهكذا سأفترق عنكم».

وعن أجر هؤلاء الصبية، أشارت وثائق الجنيزة إلى أن أقل أجر يومى كان يتراوح ما بين ٢: ٣ درهم. على أن هذا الأجر كان يختلف تبعاً لمكانة التاجر، وتبعا للعمل الموكل للصبى.

المعاملات التجارية:

تناولنا فى الصفحات السابقة طبقة التجار اليهود وموظفيهم، وسنتناول الآن المعاملات التجارية التى تتمثل فى: التعاون التجارى بين التجار، ونظام الوكالة، ونظام السمسرة والدلالة.

أولا: التعاون التجارى:

بداية نود أن نشير إلى مقولة جويتاين بأن المعاملات التجارية فى العصور الوسطى، كانت فى الغالب تقوم على التعاون والمشاركة، وليس على التوظيف والخدمة.

وقد أشارت وثائق الجنيزة إلى ثلاث طرق للتعاون التجارى وهى:

١ ـ تعاون غير رسمى.

٢ ـ تعاون رسمى.

٣ ـ تعاون عائلى.

وبالنسبة للتعاون غير الرسمى، فقد ظهر من خلال العديد من الرسائل التى حفظت بالجنيزة ـ أن هذا النوع من المعاملات التجارية، كان هو النموذج الرئيسى للتجارة الخارجية فى العضور الوسطى.

فقد كانت التجارة بالبحر المتوسط، كما كشفت ذلك جنيزة القاهرة، مبنية بصورة كبيرة على الثقة المتبادلة والصداقة، وليس على المستندات والضمانات القانونية.

فكان قسم كبير من التجارة اليهودية يعتمد على التعاون غير الرسمى الذى فضلوه على المستندات الرسمية، وعلى دفع الرسوم لقاء الخدمات المقدمة. فكانوا يشعرون

بالاطمئنان وهم يودعون تجارتهم ـ ولاسيما شحنات البضائع المصدرة إلى أماكن أخرى ـ لدى أصدقاء لهم، لا يتقاضون أجراً عن ذلك، وقد نجحت هذه الطريقة لأنها كانت تقوم على مبدأ التبادل.

وكان يمكن للتعاون غير الرسمى ـ كما يقول جويتاين ـ أن يستمر طوال عمر المتعاملين، وقد يستمر لعدة أجيال.

وفى رسالة وردت فى أوراق الجنيزة، بعثت فى عام ٤١٧هـ/ ٥مارس ١٠٢٦م من الأهْوَاز[1] (مركز نسيج هائل) فى الجنوب الغربى لإيران إلى الفسطاط (زمن الظاهر الفاطمى ٤١١-٤٢٨هـ/ ١٠٢٠-١٠٣٦م). عدّد الراسل شحنات لأنسجة مختارة، أرسلت للمرسل إليه، يطلب منه أن يبيعها، ثم يشترى له بربحها أى شئ ذا فائدة، ثم ألحق بها قائمة طويلة لأنواع أنسجة مصرية متميزة، وطلب منه أن يشتريها.

ويذكر جويتاين أن فحوى هذه الرسالة يرينا أن الخدمات المتوقعة لم يكن ينظر إليها كصنيع، ولكن كواجب، يظهر ذلك خاصة من بعض الجمل التى وردت فى الخطاب مثل: «أرجو شراء... بمقابل خدماتى لك»، أو الختام المعتاد لرسائل العمل: «لا تمنع عنى رسائلك بتقارير عن صحتك، وعن طلباتك حتى أتمكن من تلبيتها كما هو واجبى».

---

(١) الأهْوَاز: آخره زاى، وهى جمع هَوْز، وأصله حَوْز، فلما كثُر استعمال الفرس لهذه اللفظة، غيّرتها حتى أذهبت أصلها جملة، لأنه ليس فِي كلام الفرس حاء مهملة، وإذا تكلّموا بكلمة فيها حاء قلبوها هاء. ثم تلقفها منهم العرب فقلبت بحكم الكثرة فى الاستعمال، وعلى هذا يكون الأهْواز اسماً عربيا سمّى به فى الإسلام، وكان اسمها فى أيام الفرس خوزستان، وفى خوزستان مواضع يقال لكل واحد منها خوز كذا. وأما البلد الذى يغلب عليه هذا الاسم عند العامة اليوم فإنما هو سوق الأهواز. وتبعا لرواية البلاذرى فقد غزا المغيرة بن شعبة سوق الأهواز فى ولايته بعد أن شخص عتبة بن غزوان من البصرة فى آخر عام ١٥هـ/٦٣٦م، أو أول عام ١٦هـ/٦٣٧م، فقاتله البيروان دهقانها ثم صالحه على مال، ثم نكث فغزاها أبو موسى الأشعرى حين ولاّه عمر البصرة بعد المغيرة ففتح سوق الأهواز عنوة، وولى ذلك بنفسه فى عام ١٧هـ/٦٣٨م، وسبى سبياً كثيراً، فكتب إليه عمر أنه لا طاقة لكم بعمارة الأرض، فخلّوا ما بأيديكم من السبى واجعلوا عليهم الخراج، قال: فرددنا السبى ولم نملكهم، ثم سار أبو موسى ففتح سائر بلاد خوزستان.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الرسالة كانت مرسلة إلى ثلاثة أشقاء من الأسرة «التسترية» (Tustari) فى مصر، والذى كان أحد أبناء الأخوة الثلاث التاجر أبو سعيد التسترى السابق ذكره. ومنها يتضح مدى التعاون بين أبناء البلدة الواحدة فى كل من مصر وإيران.

على أن الرسائل التى وردت بالجنيزة تظهر لنا كذلك أن هذه المعاملات كان يشوبها أحيانا بعض الخلافات، ففى رسالة أرسلت إلى التاجر اليهودى «ابن عوكل» من القيروان، اتضح منها أن «ابن عوكل» كان غير راض عن تعامل الراسل مع شحنة من خشب البرازيل(*)، التى كان الأخير قد باعها فى عاصمة تونس، بدلا من إرسالها ـ كما كان مقررا لها ـ إلى أسبانيا، فقد عبر فيها الراسل عن خيبة أمله من ابن عوكل الذى وبّخه على تصرفه بدلا من أن يثنى عليه.

وعلى أية حال، فقد اتضح من سجلات الجنيزة أن قائمة الخدمات التى كان يقدمها أصدقاء العمل التجارى بعضهم لبعض، كانت لا تنتهى فمنها:

١ ـ أنه كان على التاجر المرسل إليه شحنة تجارية، أن يتسلمها، ويبيعها بأعلى ربح. ثم يسدد من هذا المال مدفوعات لأشخاص محددين، أو يشترى بضائع محلية طبقا لقائمة تُرسل له، أو طبقاً لتصرفه. ثم يشحن هذه البضائع التى اشتراها، بما يترتب على ذلك من ترتيبات خاصة بالشحن.

وهذا النوع من الخدمة كان يتطلب تسليم حسابات دقيقة. ويرى جويتاين أن ضرورة تقديم حسابات، كان يشكل عبئا على التجار أكثر من الخدمة نفسها.

٢ ـ الاشراف أو مساعدة تجار آخرين يعملون لحساب التجار كالوكلاء أو الصبية. ويذكر جويتاين أن الرسائل المتبادلة بين التجار، كانت تحتوى على تقارير أو طلبات فيما يخص النشاطات الخاصة بتجار آخرين على ارتباط بكاتب الرسالة، أو بالمرسل إليه.

(*) خشب البرازيل (Brazil Wood): خشب من أشجار أمريكية، تستخرج منه أصباغ حمراء وأرجوانية.

٣ ـ تبادل المعلومات فيما يخص العمل التجارى، مثل: السعر، وحجم العمل، والمشترين، وتحركات القوافل أو السفن وغير ذلك. ويذكر جويتاين أن وثائق الجنيزة قد حفظت لنا أعداداً كبيرة من هذه التقارير.

٤ ـ كان على التجار المسافرين أن يحملوا معهم بضائع لتسليمها لمندوبى التجار، أو يشرفوا على شحنها.

[٢] التعاون الرسمى:

إلى جانب التعاون غير الرسمى بين التجار اليهود، كان يوجد تعاون رسمى، يقوم على كتابة العقود ودفع الرسوم.

والتعاون الرسمى نوعان:

النوع الأول، ويطلق عليه «شركة» (Shirka) (هكذا باللغة العربية). وفيه كان المتعاقدون يقومون بالخدمات المتعددة بالتساوى، أو بأنصبة متساوية أو غير متساوية، ويشاركون فى الربح أو الخسارة تبعاً لإستثماراتهم.

أما النوع الثانى، فيطلق عليه اسم «قرض» (qirad) أى سلفة مشتركة. وفيه كان الشريك أو عدة شركاء يساهمون برأس المال أو البضائع أو كلاهما، فى حين كان الآخرون يقومون بالعمل نظير نسبة أصغر فى الربح، عادة تكون الثلث، لكن لا يشاركون فى الخسارة.

والحق فإن انتشار التعاون الرسمى، قد حل محل مجالين واسعين وهما: التوظيف، والقرض بفائدة، خاصة إذا علمنا ـ كما يقول جويتاين ـ أن التجار فى العصر الوسطى كانوا ينفرون من العمل فى خدمة شخص آخر، ويفضلون عنها التعاون. أما القروض بفائدة أى الربا، فقد كانت من الناحية الدينية مكروهة يتجنبها المتعاملون، ففى كتاب الأمثال «... المُقْتَرِض عَبْدٌ للمُقْرِض».

ومن العقود التى وردت فى وثائق الجنيزة، وتوضح نظام الشراكة مع التوظيف، عقد كتب حوالى عام ٤٧٣هـ/١٠٨٠م (زمن المستنصر الله الفاطمى ٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦- ١٠٩٤م)، وفيه استثمر شخص مبلغ ٥٠٠ دينار، فى حين ساهم الشريك الآخر بمبلغ ٥٨ ديناراً فقط، ولكنه شارك فى الربح والخسارة بمعدل ٧/٢٤ (أى ١٦ر٢٩٪)(*). وكان للشريك الأكبر الحق فى الاشراف الكامل على رأس المال المشترك، ولم يكن للشريك الأصغر أى حق فى توقيع الكمبيالات، أو أى رأى فى منح القروض.

وفى عقد كتب عام ٥٤٧هـ/١١٥٢م (زمن الظافر بالله الفاطمى ٥٤٤-٥٤٩هـ/ ١١٤٩-١١٥٤م)، عهد صمويل بن يهودا بن أسعد (Samuel b. Judah b. Asad) بكمية من الكتان، وأقمشة أخرى تقدر بحوالى ألف دينار إلى شريكين، كل منهما قد ساهم بمبلغ ٥٠ دينار، وكان على الاثنين أن يبيعا هذه البضائع، ويشتروا غيرها من المدن والريف المصرى، وذلك لمدة سنة. وعلى أن يقسم الربح والخسارة بالتساوى فى نهاية السنة بين صاحب المال كما أطلق عليه فى الوثيقة وبين شريكيه.

ومن بين عقود التعاون الرسمى، وجدت عقود تجمع بين تجار مسلمين وتجار يهود فى شركة واحدة، مما يثبت وجود تعاون تجارى بين اليهود والمسلمين.

الشريك الأكبر   الشريك الآخر

(*) إجمالى رأس المال = ٥٠٠ دينار + ٥٨ دينار = ٥٥٨ دينار

ومن المتعارف عليه أنه يتم تقسيم الربح والخسارة طبقا لنسبة رأس مال كل شريك

فيكون نصيب الشريك الأكبر فى الربح والخسارة = ٥٠٠ دينار / ٥٥٨ دينار = ٦ر٨٩٪ تقريبا

ويكون نصيب الشريك الآخر فى الربح والخسارة = ٥٨ دينار / ٥٥٨ دينار = ٤ر١٠٪ تقريبا

فى حين أن ما جاء بالعقد المشار إليه أن نسبة المشاركة فى الربح أو الخسارة للشريك الآخر ٧/٢٤ أى تعادل ١٦ر٢٩٪ بزيادة ١٩٪ تقريبا عن النسبة المفروضة وهى ٤ر١٠٪. ولم يوضح جويتاين ما سبب هذه الزيادة!؟

وقد كانت العقود الرسمية للشركات تحتوى على بعض البنود، التى تذكر عادة فى العقد، منها: عدد الأشخاص المتعاقدين، وكان من الشائع أن تكون بين ثلاثة أو أربعة أشخاص، وقد وجدنا عقوداً بين خمسة أشخاص.

كذلك كان لابد من كتابة المبالغ التى يساهم بها الشركاء فى العقد، ففى حساب كتبه التاجر نهراى بن نسيم فى عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م (زمن المستنصر بالله الفاطمى ٤٢٨- ٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م)، وردت أسماء شركتين من بين خمسة شركات بين ثلاثة تجار، أحدهما كان يساهم فقط بنصيب «الثُمْن».

وفى رسالة أخرى للتاجر نهراى بن نسيم، جرى ذكر شركة، اشترك فيها شريكان فى رأس المال بنسبة الثلث، وساهم الشريكان الآخران بنسبة السدس لكل منهما.

على أن الوضع الشائع فى عقود هذه الشركات الرسمية هو أن المتعاقدين كانوا يضعون مبالغ متساوية، وبالتالى يتشاركون فى الربح والخسارة، بالإضافة إلى نفقات الإدارة، ونفقات الإعاشة فى أنصبة متساوية. أما المشاركة فى الأعمال بأنصبة مختلفة، فقد قسمت فيها الربح والخسارة تبعا لنسبة استثمار كل متعاقد.

على أية حال، فقد اتضح من العقود التى وردت فى وثائق الجنيزة، أن مشاركة الشركاء فى الربح والخسارة، كانت ترجع إلى اتفاق المشتركين، وليس إلى قواعد ثابتة.

ففى عقد شركة لتاجر كان مسافرا لصقلية فى ربيع عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م (زمن المستنصر بالله الفاطمى ٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م)، يتضح أنه قد تسلم من صديق عمل مصرى توابل شرقية وعطور تقدر بحوال ٥/٨ ١٨٦ دينار، لبيعها فى جزيرته، بشرط أن يشارك فى «ثلث» الأرباح والخسارة.

وفى عقد كتب فى عام ٥٥٨هـ/يوليو ١١٦٢م (زمن العاضد الفاطمى ٥٥٥- ٥٦٧هـ/ ١١٦٠-١١٧١م) بين شريكين، ساهم أحدهما بمبلغ ٥٥ دينار من إجمالى ١٥٠ دينار، وشارك الآخر فى «ثلث» الأرباح والخسارة. وكان كل من الشريكين له الحق

فى تنظيم المبلغ المشترك، والذى كان يوضع فى كيس مصنوع من الجلد، كما هو شائع فى نظام المشاركة. ويوضح العقد أن التاجران كانا يشتركان فى بيع الحرير فى الريف المصرى، كل واحد منهما يسافر إلى بلدة مختلفة.

ويذكر جويتاين أن المشتركين الجدد فى الشركات، كانوا يتسلمون نصيباً أقل فى الربح من الأعضاء القدامى.

ففى وثيقة مؤرخة فى عام ٤٥٣هـ/١٠٦١م (زمن المستنصر بالله الفاطمى ٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م)، سمح شريكان (والد وولده) وهما من مغسّلى المَوْتى فى مصر بدخول شريك ثالث بينهما. وتذكر الوثيقة أنه كان سيتسلم «الربع» فقط من كل المصاريف والأرباح، وليس «الثلث» كما كنا نتوقع.

وكان من الشائع فى المعاملات التجارية أن المستثمر إذا رغب فى سحب نقوده عند نهاية العقد، أن يعطى مهلة لمدة شهرين.

كذلك كان من العادة أن يشترك التاجر فى عدد من الشركات حتى فى نفس السلعة، أو أن يأخذ هذه السلعة من صديق عمل بالعمولة، ومن آخر فى شكل شركة. على أن الأمر كان يعود إلى اتفاق المشتركين، فمثلا: فى رسالة كتبها تاجر تونسى لابن شقيقته فى مصر، قال فيها: «كل ما اشتريت هذا العام هو بصفة شركتى معك، لم أرسل أى شئ آخر لأى شخص آخر».

وفى عقد شركة أخرى سمح للمدير بأن يتاجر مع آخرين فى البضاعة المعنية.

وعلى العكس، ففى عقد شركة بين ثلاثة تجار، اشترط تاجران على التاجر الثالث والجديد فى العقد، عدم المتاجرة فى الحرير (وهى السلعة التى يتاجرون فيها)، أو عقد شركة أخرى تخص هذه السلعة. وفرضوا فى العقد عقوبة تقدر بحوالى ١٠ دنانير.

ومن الشروط كذلك التى كانت تُذكر فى عقود الشركات الرسمية: شرط اقتصار التجارة على بلاد معينة دون غيرها. ففى عقد كتب فى عامى ٥١٠هـ/١١١٦م-٥١١هـ/١١١٧م (زمن الفائز الفاطمى ٥٤٩-٥٥٥هـ/ ١١٥٤-١١٦٠م)، فإن المستثمرين سمحا للمدير بأن يقوم بأعماله فى الريف المصرى وموانىء دمياط وتنيس والاسكندرية فقط، وإذا تصرف المدير بعكس ذلك، وحدث شئ لرأس المال، فإنه يكون مسئولا عن الخسارة كلها.

ويتضح من عقود الشركات الرسمية، أن هذه الشركات كانت تستثمر لمُدَد قصيرة، يحدد فيها نوع المشروع.

وكانت المدة الشائعة للعقد هى عام، تجدد حسب الرغبة، أما التعاقد لمدة عامين أو لفترة أطول، فيرجع لظروف خاصة تغرى الأطراف بالتعاقد لهذه المدة.

كذلك كان من المهم تحديد الوقت الذى ينبغى فيه على الشركاء تقديم حساباتهم. وبطبيعة الحال، كان يتم ذلك فى نهاية الشركة التى هى فى العادة عام، أما إذا كانت الشركة لأكثر من عام، فكانت الحسابات لابد أن تقدم كل عام.

[٣] التعاون العائلى:

وإلى جانب التعاون الرسمى والتعاون غير الرسمى بين التجار، كان هناك نوع آخر من العلاقات التجارية وهو التعاون العائلى. وقد ظهر من خلال الصلات العائلية لكبار التجار فى أوراق الجنيزة. فالتجارة كانت فى خلال القرن ٥هـ/١١م ـ كما يقول جويتاين ـ تسيطر عليها البيوتات الكبيرة.

وقد جمع هذا التعاون العائلى بين التعاون الرسمى وغير الرسمى كما سوف نرى.

ومن العائلات الكبيرة التى عملت بالتجارة، عائلة التاهرتيين (Tahertis)[1]. وهـذه العائلة كانت منتشرة فى مصر والقيروان وتونس وأسبانيا، وكانت إحدى بنات رأس العائلة، والذى يعرف باسم «برهون» (Barhun) ـ هى والدة التاجر الكبير نهراى بن نسيم.

ويذكر جويتاين أنه ظهر من خلال المراسلات التى كانت بين أبناء وأحفاد هذه العائلة، أن الجيل الثانى لأشقاء «التاهرتيين» كانوا يعملون سوياً، أما الأحفاد فقد كانوا يعملون بطريق التعاون غير الرسمى، وربما رجع ذلك لانتشارهم فى بلاد كثيرة. وهذه العائلة مثال للتعاون غير الرسمى بين العائلة الواحدة.

ومن أمثلة التعاون العائلى الذى تحول إلى تعاون رسمى، هو ما ذكرته وثائق الجنيزة التى أوردت حالة شركة عائلية بين تاجر وابن أخته، اتخذت شكلا رسميا موثقاً بعد الموافقة القانونية، وذلك فى عام ٥٠٦هـ/ سبتمبر ١١١٢م بالفسطاط وذلك فى خلافة الآمر بأحكام الله الفاطمى (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩م).

وكان الاثنان قد اعتادا على مباشرة معاملاتهما بطريقة غير رسمية، ولكنهما ما لبثا أن قاما بتقييم ملكياتهما، ومراجعة حساباتهما، وأقاما علاقتهما على أساس رسمى.

ومن الشروط التى ذكرت فى العقد: أن كل شريك له الحق فى التصرف باستقلال عن الآخر، وأن كل الأرباح التى يحصل عليها الاثنان من أى معاملات قاما بها، تنتمى جميعها للشركة. وزواج ابن الأخت سيكون على حساب الشركة كما تزوج العم من قبل. لكن لم يذكر فى العقد مدة هذه الشركة، كما هو متعارف عليه فى الشركات الرسمية.

---

(١) ذكر جويتاين أن اسم هذه العائلة، يشير إلى موطنهم الأصلى وهو تاهرت بالجزائر.
ويقول ياقوت: تَاهَرْت: بفتح الهاء، وسكون الراء، وتاء فوقها نقطتان. اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يقال لإحداهما تاهرت القديمة وللأخرى تاهرت المحدثة. وهى بين تلمسان وقلعة بنى حماد. وهى مدينة جليلة، وكانت قديما تسمى عراق المغرب. ولها أربعة أبواب: باب الصفا، وباب المنازل، وباب الأندلس، وباب المطاحن. وهذه تاهرت الحديثة، وهى على خمسة أميال من تاهرت القديمة.

هذا بالنسبة للتعاون العائلى بين كبار التجار، أما صغار التجار، فيذكر جويتاين أنه كان من الشائع أن يعمل فى تجارة التجزئة الأشقاء والأقارب معاً، بدون أى ترتيبات رسمية، وإن ظهر مَن كانوا يعقدون شركات رسمية.

ثانيا: وكيل التجار:

ظهر فى المعاملات التجارية بين التجار، ما عرف باسم نظام الوكالة، ويعنى به وكيل التجار أو ممثل التجار[1].

وقد عرف ممثل التجار فى ذلك العصر باسم «الوكيل» (Wakil) بالعربية، وبالعبرية عرف باسم «البكيد» (Paqid)، وهو اختصار لكلمة (Paqid ha-Soharim).

ويرى جويتاين أنه على الرغم من أن الصداقة والثقة المتبادلة، كانت هى أساس تجارة البحر المتوسط خلال العصور الوسطى. فإنها لم تكن كافية لتفى بإحتياجات مجتمع متقدم، لأن التجارة لا تنبنى فقط على العلاقات الشخصية، من هنا نشأت الحاجة لظهور ما عرف باسم ممثل التجار.

ولقد لعب وكيل التجار دوراً اقتصاديا هاماً فى عالم التجارة، إذ كان يعمل كممثل قانونى وتجارى للتجار الآخرين. وكان الذى يتولى هذه الوظيفة عادة من فئة التجار المقيمين فى البلد.

ويفهم من ذلك أن وكيل التجار كانت له مهمتان:

الأولى ـ كما يشير إلى ذلك لقبه ـ العمل كوكيل قانونى للتجار. فكان أى شخص تكون له دعوى ضد مدين مقترض للمال، متأخر فى السداد فى بلدة أخرى، يعطى توكيلا له لكى يمثله فى المحكمة، سواء كان هذا الوكيل يعيش فى البلد الأخرى، أو سيسافر بدلاً منه.

---

(١) يرى جويتاين أن شاه بندر (Shah-Bender) التجار فى القرون المتأخرة، هو امتداد لوكيل التجار فى العصور الوسطى.

وهذا الدور القانونى للوكيل، يفسر لنا ـ كما يقول جويتاين ـ لماذا كان هناك عدد لا بأس به من الوكلاء المسلمين المذكورين بالجنيزة، يتولون منصب القاضى.

أما المهمة الثانية للوكيل، فكانت الاشراف على تخزين بضائع التجار، وتسويقها. لذلك كان لوكيل التجار مخزن يملكه يسمى «دار الوكالة»، يقوم بهذه الوظيفة المزدوجة.

وتذكر إحدى وثائق الجنيزة التى ترجع إلى عام ٥٣٦هـ/١١٤١م (زمن الحافظ لدين الله ٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٢٩-١١٤٩م)، إلى أن العروض لإقامة الشركات التجارية، كانت ملزمة فقط، حينما كانت تتم فى دار الوكالة، وليس فى أى مكان آخر، مما يوحى ـ كما يقول جويتاين ـ بأن دار الوكالة كانت لها مكانة رسمية.

ويعتبر نظام الوكالة صورة أخرى من صور التعاون التجارى بين اليهود والمسلمين، فتشير وثائق الجنيزة إلى أن منصب وكيل التجار، كان فى أحيان كثيرة يتولاه تاجر مسلم وتاجر يهودى بالإشتراك معاً، فقد ورد فى إحدى رسائل الجنيزة، أن «فلان هو الآن وكيل التجار مشاركة مع أبى محمود».

كما تشير وثائق الجنيزة إلى أن اليهود كانوا يعهدون ببضائعهم وأعمالهم لوكلاء مسلمين أيضا.

ويرى جويتاين أن الوكيل المثالى لتولى هذه الوظيفة، كان دائما هو التاجر الناجح الذى يملك النفوذ الذى يجعله يمثل العديد من التجار الآخرين بالمحكمة، والذى يملك الثروة التى تجعل لديه مخزناً أو داراً للوكالة.

على أن تولى وظيفة وكيل التجار، كان يحتاج إلى سَنَد رسمى أو رخصة رسمية لمن يتولاها، فوكيل التجار كانت وظيفة رسمية معترف بها، ولم يكن فقط مجرد تاجر كبير ذى نفوذ.

ويذكر جويتاين أنه علينا أن نفرق بين التجار الأثرياء الذين كانوا يعملون أحيانا كوكلاء لتجار آخرين، وأولئك الذين تولوا رسمياً وظيفة وكيل التجار.

ومن الأمثلة على ذلك التاجر نهراى بن نسيم (Nahray b. Nissim)، الذى عمل، بعد حوالى عشر سنوات من وصوله إلى مصر، كوكيل غير رسمى للتجار، خاصة من أبناء وطنه التونسيين. ففى العديد من الرسائل التى أوردتها الجنيزة، ظهر «نهراى» بمصر كوكيل قانونى ووسيط فى الشئون العامة لمواطنيه التونسيين، ولكنه لم يكن ـ كما هو واضح ـ وكيلا رسمياً معترفاً به، ففى توكيل أعطى له فى عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م (خلافة المستنصر بالله الفاطمى ٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م) وصدر بالقيروان، ذكر اسمه مرارا مكتوبا بحبر مختلف عن ذلك الموجود بباقى الوثيقة، ويرى جويتاين أن ذلك يعنى أن التفويض الذى أعطى له لم يكن بصفته وكيلا رسمياً معروفا بصورة شخصية لجماعة التفويض، ولكن كوكيل قانونى محترف.

ويذكر جويتاين أن سبب عدم توليه لهذه الوظيفة رسمياً، غير معروف، وذلك يرجع لنقص المعلومات الخاصة بذلك.

وكان وكيل التجار فى المدينة الساحلية، يعمل فى الوقت نفسه فى وظيفة «ناظر»، أى مشرف على الميناء، وكذلك كجامع للضرائب.

ولم يكن وكلاء التجار موجودين فقط فى المدن الكبيرة والموانئ البحرية والمدن الساحلية، مثل: الفسطاط والاسكندرية ودمياط، ولكن أيضا فى المدن الصغيرة مثل: منية زفتى.

وكما هو الحال فى العديد من المهن، وكما تشير إلى ذلك أوراق الجنيزة، فإن ممثل التجار كان يمكن أن يخلف أباه، أو أى عضو كبير سناً ومقاماً فى عائلته.

ويذكر جويتاين أن قوة وكيل التجار ونفوذه كانت تزداد مع توليه عدة وظائف إلى جانب الوكالة، فمثلا: الوكيل الذى يتولى القضاء أو الاشراف على الميناء أو يجمع الضرائب كان مركزه أقوى من غيره.

وكانت العمولة التى يأخذها الوكيل، تختلف تبعا للخدمات التى يقوم بها.

وكان أول من تولى وظيفة وكيل التجار (أو البكيد سوهاريم Peqid Soharim)، فى الفسطاط هو **حزقيال بن مسعود العقرباني** (Ezekiel b. Mas'ud al-Agrabani).

ومن أشهر التجار اليهود الذين عملوا كوكلاء لتجار آخرين: **أبو ذكرى يهودا بن موسى ابن سيغمار كوهين** Judah b. Moses Ibn Sighmar: وهو سليل أسرة عريقة، سافر من بلدته القيروان (وفى موضع آخر سجلماسة)، إلى مصر فى صيف عام ٤٤٠هـ/١٠٤٨م (خلافة المستنصر بالله الفاطمى ٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م)، وأقام بالفسطاط وتزوج بها. وكان يعمل كوكيل قانونى لمواطنيه التونسيين، كما أشارت إلى ذلك وثائق الجنيزة، خاصة فى وثيقة مؤرخة فى عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، وأخرى مؤرخة فى عام ٤٩٢هـ/١٠٩٨م (خلافة المستعلى بالله الفاطمى ٤٨٧-٤٩٥هـ/ ١٠٩٤-١١٠١م). وتوجد رسالة وردت فى وثائق الجنيزة، وصفته بلقب وكيل، مرسلة إليه من الاسكندرية إلى مخزنه الكائن فى الفسطاط(*).

وكان «ابن سيجمار» نشطا وناجحاً وسخياً ـ كما يرينا اللقب الشرفى الذى منح له وهو «أبو ذكرى» (Abu Zikri) ـ وكما يثبته خطاب أرسل إليه من القدس يقول فيه كاتبه: «إن الرب قد أحضر أبا ذكرى عضو الأكاديمية من الغرب، لكى يكون بمصر عوناً لكل شخص يأتى من أى مكان: من العراق، سوريا، فلسطين، الغرب، وبلاد الروم (أوربا)، يكون عطوفاً عليهم، ينفق عليهم من أمواله، ويستخدم مكانته الاجتماعية العالية لما فيه مصلحتهم. فليحفظ الرب الثروة التى وهبها له، ويزيدها، ويجعله يرى زفاف ولده».

ومن الجدير بالذكر أن أبا زكرى كان يعمل لديه «صبى» يعمل كوكيل لأعماله عبر البحار.

ومن التجار كذلك الذين عملوا كوكلاء تجار، التاجر **أبو يعقوب الحكيم** (Abu ya'qub al-Hakim)، الذى كان وكيلا للتجار بالفسطاط حوالى عام ٤٨٣هـ/١٠٩٠م

(*) (ابن سيجمار كان معاصرا للتاجر نهراى بن نسيم).

(خلافة المستنصر بالله الفاطمى ٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م). وقد علمنا من وصية التاجر السكندرى يشوع بن صمويل أو ابن إسماعيل (yeshu'a b. Samuel or Ismail)، أنه كان يدير مخازنه بالفسطاط. ويذكر جويتاين أنه قد أشير إليه باسمه الأول ولقبه فقط.

ثالثاً: السمسار:

ومن أنواع المعاملات التجارية كذلك نظام السمسرة، وكان من يتولى هذه الوظيفة يقال له: سمسار (Simsar) بالعربية، وهى كلمة فارسية أخذها العرب من الفرس، ومن العرب انتشرت الكلمة إلى العديد من اللغات الأوربية مثل الايطالية والألمانية.

وتشير وثائق الجنيزة إلى أسماء عدد كبير من السماسرة أو الوسطاء، سواء من الرجال أو من السيدات.

ولم تكن طبقة السماسرة من التجار الأثرياء فقط، وإنما ضمت التجار متوسطى الحال والصغار كذلك، فنجد فى وثائق الجنيزة سمساراً ثرياً يشارك بمبلغ كبير فى تجارة عبر البحار، أو سمساراً يكسب بضعة دراهم فى اليوم.

ولقد ظهر من خلال وثائق الجنيزة، ثلاثة أنواع من السماسرة، يرى جويتاين أن التمييز بينهم كان صعبا فى أحيان كثيرة وهم:

١ ـ سمسار العقارات.
٢ ـ والسمسار المتخصص فى بيع الأقمشة.
٣ ـ ومنادى المزادات (munadi بالعربية).

وكان هؤلاء فى كثير من الأحيان، متخصصين فى مجال محدد أو سوق محدد، مثل: منادى سوق تجار الصوف، أو سمسار العطور بالفسطاط.

ولم يكن للسمسار متجر خاص به، ولكن كان له فى الغالب مكان ثابت ومعروف، فتشير وثيقة مؤرخة فى عام ٦٢١هـ/ ٢٦ فبراير ١٢٢٥م (زمن الملك الكامل ٦١٥-٦٣٥هـ/ ١٢١٨-١٢٣٧م)، إلى ذهاب اثنين لمتجر ملابس، حيث باعا هناك بعض

الملابس عن طريق سمسار كبير. ويستنتج جويتاين من ذلك أن هذا السمسار كان له مكان محدد.

وكانت المكافأة التى تدفع للسمسار يطلق عليها لفظ دلالة (dilàla)، وكلمة دلالة هى الكلمة العامية التى تعنى العمولة، والتى تكررت كثيراً فى سجلات الجنيزة.

السمسارة أو الدلالة:

ذكرت سابقا أن وثائق الجنيزة قد ضمت أسماء سماسرة، رجال وسيدات. بل إن من ضمن هؤلاء، وجدت أسماء لسيدات مسلمات اشتغلن بهذه المهنة، وهو ما ظهر من وثيقة كتبت فى عام ٥٣٣هـ/ ٢٣ مارس ١١٣٨م (خلافة الحافظ لدين الله الفاطمى ٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٢٩-١١٤٩م)، كذلك ورد فى سجل يومى مفصل لتاجر نسيج، أسماء لثمانية سيدات أخذن منه قماش، معظم أسمائهن لسيدات مسلمات.

والحقيقة أنه عند الحديث عن دور السمسار فى التجارة، يجب ألاّ نغفل دور السيدات اللائى قمن بمهنة السمسرة، خاصة إذا علمنا أن سيدات الطبقة العليا من المسلمات، لم يكن يسمح لهن بزيارة أسواق الملابس.

ولهذا فإن السمسارة أو «الدلالة» كما عرفت بذلك فى وثائق الجنيزة، كن يترددن على هؤلاء السيدات، فيعرضن عليهن فى بيوتهن الأقمشة الغالية.

على أنه لم يقتصر عمل الدلالة على بيع الأقمشة فقط، فقد وردت فى وثائق الجنيزة ذكر دلالة كانت تبيع الكتب اليهودية المقدسة (التوراة والتلمود).

المعاملات المصرفية:

(الصيرفى والجهبذ)

تعتبر المعاملات المصرفية إحدى صور المعاملات التجارية بين التجار، وكانت معروفة فى العصر الإسلامى، ويتولاها الصيرفى والجهبذ. وقد اتفقت معظم المصادر والمراجع على أن وظيفة الصيرفى والجهبذ هما وظيفة واحدة لشخص واحد.

فيقول القلقشندى تحت عنوان «ألقاب أرباب الوظائف من كتاب الأموال»: الصيرفى هو الذى يتولى قبض الأموال وصرفها، وهو مأخوذ من الصرف، وهو صرف الذهب والفضة فى الميزان، وكان يقال له فيما تقدم الجهبذ.

وقد نقل د. حسن الباشا عن القلقشندى تعريفه للصيرفى.

ويقول د. نعيم زكى: جهبذ وجمعها جهابذة أى خبراء المال، وتطلق على جماعة مستبدلى الأموال أى الصيارف.

وتذكر د. سيدة كاشف أن لفظ جهبذ يستعمل فى العراق بمعنى المشرف على المالية أو الخبير المالى[١].

ويقول د. حسن ظاظا: الجهبذ هو المصرفى فى الشرق الإسلامى، وجهابذ أى صيارف، وهو الخبير بالمال والتجارة معاً.

ويفهم مما ذكره آدم متز أن الجهبذ هو الصراف.

وقد اختلف معهم جميعا د. عطية القوصى الذى يرى أن وظيفة الجهبذة هى وظيفة مشتقة من الصيرفة، ويقول إنه قد وصل إلى هذه الحقيقة بعد معاناة شديدة، وذلك لخلط معظم الكتّاب، وخاصة الأقدمين، الذى تناولوا الحديث عن المسائل المالية فى العهد العباسى بين الصراف والجهبذ، لتقارب نوع العمل الوظيفى بينهما، ولوجود الوظيفتين معاً فى الدولة العباسية فى وقت واحد، بل أن بعضهم كان يطلق التسميتين على مسمى واحد.

---

(١) وكان لفظ الجهبذ قد حل محل لفظ الجسطال - كما تقول د. سيدة كاشف - وذلك منذ عام ٢٧٨هـ/٨٩١م. والجسطال أو القسطال هو المشرف على مالية الكورة فى مصر، وذلك حسب ما جاء فى أوراق البردى حتى القرن ٣هـ/٩م، وكان صاحب الكورة فى مصر يستعين فى أعماله وفى جباية الخراج والأموال بجسطال الكورة. وتقول د. سيدة كاشف إن لفظ جهبذ - الذى حل محل لفظ الجسطال - لفظ مستورد من العراق والشرق، دخل مصر بحكم ارتباطها بالخلافة العباسية وتمشيا مع وحدة العالم العربى، وتداخل الكثير من الألفاظ، والكثير من مظاهر الحياة والحضارة فى العالم العربى آنذاك.

ويذكر د. عطية القوصى أن الجهابذة قد عملوا فى أول الأمر بالصيرفة، ثم ارتقى الحال بهم دون سائر الصيارفة، بأن أصبحوا كتّاب خراج فى أقاليم الدولة المختلفة، ثم تطور الأمر بهم وزاد رقى حالهم، فأصبحوا أصحاب بيوت مالية كبيرة (بنوك مصرفية) تعمل لحساب الخلفاء والوزراء.

ويقول د. عطية القوصى إن الجهبذة ظهرت فى القرنين ٣ و٤هـ/ ٩ و١٠م، ثم اختفت واستمرت الصيرفة فى الدولة الإسلامية.

ويرى أن تعريف القلقشندى للصيرفى بأنه كان يعرف قديما باسم الجهبذ، يرجع إلى بُعد القلقشندى بعهد الجهابذة.

وفى رأيى أن المصادر والمراجع لم تخطئ عندما خلطت بين وظيفة الصيرفى والجهبذ، كما أن د. عطية القوصى كذلك لم يخطئ عندما فصل بينهما. ذلك أنه من خلال دراستنا لهذا الموضوع وجدنا أن الجهبذ يقوم بنفس أعمال الصيرفى ـ التى سنتناولها فيما بعد ـ أضيفت إليها بعض الأعمال الأخرى مثل: كتابة الخراج وغيرها، كما ذكر د. عطية القوصى، ولكنهم لم يرتقوا ليصبحوا أصحاب بيوت مالية، لأنهم منذ البداية كانوا أصحاب بيوت مالية باعتبار أن عملهم الأول هو الصرافة، كما ذكر بنفسه. وإنما الارتقاء هنا يعنى زيادة نفوذهم، إذ أصبحوا يقدمون الأموال للخلفاء، كما يقومون بدور الوسطاء بينهم وبين التجار، هذا إلى جانب أن الوزراء كانوا يودعون عندهم أموالهم، مما جعلهم يشرفون على حسابات هؤلاء الوزراء الخاصة كما ذكر د. عطية القوصى.

وفى الحقيقة فإن جويتاين قد أورد تعريفا للجهبذ، نميل للأخذ به، فهو يقول: إن الجهبذ (Jahbadh) لقب أطلق على الصراف التابع للحكومة.

ومعنى ذلك أنه عندما ظهرت وظيفة الصراف كوظيفة تابعة للحكومة، أطلق على صاحبها لقب الجهبذ، حتى يفرق بينه وبين الصراف الذى يعمل لحسابه.

وحسبنا دليلا على وجود نوعين من الصرافة: صرافة تابعة للحكومة، وصرافة خاصة، ما ورد فى وثائق الجنيزة. ففى رسالة بعث بها صاحبها إلى الفيوم، نصح فيها المرسل إليه بأن يحجم عن كل التعاملات المصرفية مع الحكومة. هذا إلى جانب عقود الشراكة فى الصيرفة، والتى وردت فى الجنيزة(*).

وكانت وظيفة الجهبذ قد أصبحت فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى فى الدولة العباسية من الوظائف الهامة التى حرص الخلفاء العباسيون على اختيار الأكفاء لها، شأنهم فى ذلك شأن أرباب وظائف الدولة الكبرى.

ولم يظهر الجهبذ كموظف حكومى فى مصر، إلا فى أواخر عهد الدولة الفاطمية، وفى عهد الأيوبيين.

لذلك يذكر جويتاين أن كل الاشارات للجهابذة فى وثائق الجنيزة ترجع إلى القرن ٥هـ/١١هـ، وبدايات القرن ٦هـ/١٢م، ولا يوجد أى إشارة مطلقا لذلك فى القرن ٧هـ/١٣م.

على أية حال، فالجهبذ كلمة فارسية، عُرِّفت فى قواميس اللغة العربية بأنها تعنى الناقد العارف بجيد المال ورديئه، والجمع جهابذة.

ولأهمية هذه الوظيفة ـ كما يقول جويتاين ـ فإن متوليها يمكن له أن يحمل اللقب العبرى جيزبار (gizbàr) أى أمين الصندوق، وهى كلمة فارسية الأصل أيضا مثل جهبذ.

وكان الجهبذ يقوم بأعمال الصراف ـ التى سنتناولها فيما بعد ـ إلى جانب الأعمال التى أضيفت إليه باعتباره موظفا حكوميا، فكان الجهابذة يعاونون الولاة فى جباية الضرائب وتحصيل الأموال. وكان الجهبذ يستلم الوارد من الخراج وغيره، ويعمل حسابا شهرياً

(*) لم يورد جويتاين غير عقد واحد فقط من هذه العقود، يرجع إلى القرن ٥هـ/١١م، وذكر أن أحد الشركاء قد ساهم فيه بمبلغ ٥٠٠ دينار.

وسنوياً به، يرسله إلى الديوان العام. فيقول ابن مماتى (ت عام ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) عن عمل الجهبذ إنه «كاتب برسم استخراج المال وقبضه، وكتب الوصولات به، وعليه عمل الخازيم والرزنمجات والختمات وتواليها، ويطالب بما يقبضه، ويخرج ما يرفعه من الحساب اللازم له.

وكان الحساب الشهرى (جملة الايرادات والمصروفات) الذى يعمله الجهبذ، يعرف بالختمة، وسمى ذلك لأنه كان يتم فى ختام الشهر، أما الحساب السنوى، فكان يعرف بالختمة الجامعة. وكان الجهبذ يدفع إيصالاً بالدفع لكل من يدفع ما عليه من مال للدولة.

وقد ظهر عمل الجهبذ هذا بوضوح من خلال رسالة من الفسطاط، يقول الراسل فيها: «لقد دفعت هنا للجهبذ، وهو قد سجل ٥٠٠ دينار فى حسابنا فى الدفتر اليومى (الروزنامة وهو لفظ فارسى) للجهبذ من ديوان النفقات. وفى مقابل ذلك، تسلم الجهبذ «بشران» (Bushran)، الإيصالات الرسمية، وسلم لى إيصالات بتوقيعه».

ولم يكن هؤلاء الجهابذة فى زمن الدولة الفاطمية مجرد موظفين حكوميين، بمرتب ثابت، ولكن كان يسمح لهم أيضا بالعمل لحسابهم الخاص.

وقد عرف مرتب الجهبذ باسم «حق الجهبذة»، أو «مال الجهبذة»، وكان يحدد عند تعيين الجهبذ، وتسلمه مهام منصبه.

وعن مقر الجهابذة والصيارفة، يذكر جويتاين أن الصرافين كانوا موجودين فى كل مكان. وأن الاسكندرية كان بها «سوق للصرف»، إلا أن الفسطاط ظلت حتى زمن الدولة الفاطمية هى المركز التجارى القادر على تدبير كل الإصدارات الخاصة بالعملة، والتى كان التجار يحتاجونها فى معاملاتهم المنتشرة فى كل مكان.

ففى وثائق الجنيزة (خلال القرنين ٥ و٦هـ/ ١١ و١٢م) خطابات لتجار اسكندريين، يطلبون نقوداً مالية من الفسطاط.

ويذكر جويتاين أن جهبذ مكتب ديوان النفقات كان مقره فى القاهرة، إلا أنه اعتاد أن يأتى لمكتب الفسطاط ليقيم فيه الساعات لخدمة التجار المحليين الذين كانوا يرغبون فى ذلك.

وكان المقريزى قد أشار إلى أن سوق الصيارفة فى القاهرة، كان يقابله سوق السيوفيين، إلا أنه بعد ذلك حل محله سوق باب الزهومة، نسبة إلى اسم أحد أبواب القصر الذى كان يقع فى هذا المكان(*).

وقد كان أغلب الجهابذة والصيارفة فى الدولة الإسلامية، من أهل الذمة.

ويرى أشتور (Ashtor) أن الحكومة الإسلامية، لم يكن فى وسعها الاستغناء عن خدمات الصيارفة اليهود والمسيحيين، لذلك عندما كانت تصدر أوامر الخلفاء بعدم استخدام أهل الذمة فى الأعمال الحكومية، كان يستثنى منها الجهبذة، فيذكر أبو المحاسن أن الخليفة المقتدر بالله العباسى (٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٧-٩٣٢م) أمر فى عام ٢٩٦هـ/٩٠٨م أثناء ولاية عيسى النوشرى[1] على مصر - ألاّ يستخدم أحد من اليهود والنصارى إلا فى الطب والجهبذة.

وقد ورد فى وثائق الجنيزة أسماء تجار يهود عملوا بالصرافة، إلى جانب عملهم بالتجارة. ويرى جويتاين أن مهمة التاجر الصيرفى مهمة معقدة جداً.

(*) ذكرت د. ناريمان عبدالكريم أن سوق الصيارفة هذا يقع فى الفسطاط، والصحيح ما أوردناه فى المتن، وأثبتناه من خطط المقريزى.

(١) وهو عيسى بن محمد النوشرى أبى موسى، ولى مصر على صلاتها عام ٢٩٢هـ/٩٠٤م من قبل الخليفة المكتفى. عوحدث فى ولايته أن توفى الخليفة المكتفى بالله فى عام ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م، وبويع جعفر بن أحمد المعتضد ولقب المقتدر بالله، فأقر النوشرى على ولايتها. وقد توفى عيسى النوشرى فى نهاية شعبان من عام ٢٩٧هـ/٩١٠م، وكانت ولايته على مصر زهاء خمس سنين وشهرين ونصفا. وقام بالأمر من بعده ابنه أبو الفتح محمد بن عيسى النوشرى، إلى أن قدم الوالى الجديد أبو منصور تكين بن عبدالله من قبل المقتدر.

الصيارفة اليهود:

ومن اليهود الذين تولوا مهنة الصرافة، وأشارت إليهم وثائق الجنيزة:

١ ـ أبو نصر هارون بن سهل التسترى (Abu Nasr):

وهو من التجار الذين عملوا بالصرافة إلى جانب عملهم الأساسى وهو التجارة(*).

٢ ـ نهراى بن نسيم (Nahray b. Nissim):

وهو كذلك من التجار الذين عملوا إلى جانب التجارة بالصرافة، يتضح ذلك من كثير من العقود التى تظهر نشاطاته كمبدل للنقود وخازن.

ويفهم مما ذكره جويتاين أن نهراى بن نسيم كان صرافاً خاصاً، لأنه يذكر أنه لم «ينجح فى أن يصبح عضوا» فى دار الصرف بالفسطاط(**).

٣ ـ ابراهام بن اسحاق (Abraham Ibn Isaac):

وقد تولى مهنة الصرافة فى دار الصرف بالفسطاط. وتعود العديد من الوثائق التى تشير إليه، أو وقعها هو لما بين عام ٤٤٢هـ/ يناير ١٠٥٠م، وعام ٤٨٦هـ/ ديسمبر ١٠٩٣م، وذلك فى خلافة المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م).

وقد حفظت هذه الوثائق ـ كما يرى جويتاين ـ بسبب عمله كقاضى للمجتمع اليهودى.

وذُكر فى وثائق الجنيزة أن المراسلات التى كان يتلقاها، كانت ترسل إلى العنوان التالى: «دار الصرف، دكان ابراهام ابن المعلم الخازن (الأمين)».

وفى رسالة وردت فى وثائق الجنيزة، وصف الراسل فيها ابراهام بالآتى: «إنه يعمل فى تغيير العملة، ويتمتع بثروة هائلة. ليحفظها الرب له، ويحفظه من كل الأعداء والحقاد والحساد».

(*) وأنظر عنه كذلك فى طبقة التجار، وفى الفصل الخاص باليهود والإدارة فى مصر.

(**) وأنظر عنه بالتفصيل فى «طبقة التجار».

ويرى جويتاين أن هذه الرسالة تدل على أن ابراهام، كان مرتبطا بالحكومة، وأنه كان ضحية للمؤامرات، وهو ما وضح فيما بعد من رسالة كتبت بواسطة «إليشَع» (Elijah)، الذى كان يرأس المحكمة العليا اليهودية للقدس من عام ٤٢٧هـ/١٠٣٥م إلى عام ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م.

٤ ـ ابن علان (Ibn Allan):

وهو من الصيارفة الكبار المشهورين بالفسطاط حوالى عام ٤٤٢هـ/١٠٥٠م، يتضح ذلك من رسالة أرسلت إليه من القيروان فى نفس هذا العام.

٥ ـ سليمان بن حاييم (Soloman b. Hayyim):

ذكر اسمه فى وثيقة مؤرخة فى الربع الأول من عام ٥٢٠هـ/١١٢٦م (خلافة الآمر الفاطمى ٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩م)، بعد إعطائه سُلْفة للعطار أبو المنى يعقوب بن داود (Abu'l-Muna Jacob b. David) بمبلغ ٥٧ دينارا.

٦ ـ أبو زكرى كوهين (Abu Zikri Kohen):

وهو من التجار الذين عملوا بالصرافة إلى جانب الوكالة ـ كما ذكرت فى موضع سابق. وتحتفظ له وثائق الجنيزة بمجموعة من أوامر الدفع أو «الرقعة» التى كتبها بنفسه فى عام ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م (خلافة الحافظ الفاطمى ٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٢٩-١١٤٩م).

٧ ـ أبو الخير خيار (Abu'l-Khayr Khiyar):

وهو من الصيارفة الذين كانوا بالفسطاط كذلك، حوالى عام ٥٣٥هـ/١١٤٠م، كما يظهر ذلك من أمر دفع «رقعة»، كتبه أبو زكرى كوهن ليدفعه هو.

٨ ـ ابن شعيا (أشعيا) (Ibn Sha'ya «Isaiah»):

كان صرافا بالفسطاط. وقد وجد فى وثائق الجنيزة خمسة سفاتج على الأقل قد خطت بيده.

الخدمات المصرفية:

استعانت التجارة اليهودية بالخدمات المصرفية والاعتمادات المالية المتطورة، حتى إن معظم صفقات اليهود المصرفية والمالية، لم تكن تتم إلا مع يهود ـ كما يقول مارك كوهن. وكانت الاعتمادات المالية بين اليهود أنفسهم هى الطريقة المألوفة فى تصريف أعمالهم.

وكانت أهم الأعمال التى يقوم بها الصيرفى عملان، هما: تغيير النقود، وإصدار السندات القانونية.

أولاً: تغيير النقود:

كان الدور الهام والرئيس الذى يقوم به الصراف، هو ما دل عليه اللفظ العام لوظيفته، وهو تغيير النقود، أو ما عرف باسم الصيرفى (Sayrafi) أو مبدل المال، أى وزن واختبار العملات، وختم الأكياس.

ولقد حفظت لنا وثائق الجنيزة شهادة خازن بيت مال، يقول فيها: «حضر منصور بصحبة مسلمين، واللذان طلبا منه سعر كمية من الكتان، ولقد أخرج (منصور) دنانير، وأعطاهم لى، لكى أزنهم فى حضرة الطرفين، ولقد وزنتهما وفحصتهما».

لقد كان التعامل بالعملات فى ذلك العصر يقوم على وزنها وتحديد نوعها، وكذلك عددها.

ولما كانت عملية وزن النقود وفحصها عملية مملة، وتستهلك الكثير من الوقت ـ كما يقول جويتاين ـ فقد كان المال يوضع فى أكياس مختومة، تحدد قيمتها خارج الكيس، وهو ما كان منتشرا فى ذلك الوقت.

وقد أوردت وثائق الجنيزة نوعين من هذه الأكياس:

النوع الأول: أكياس تحمل ختم فاحصى الأموال المرخّصين والموثوق بهم، والعاملين فى مكتب الصرافة التابع للدولة. ومن أمثلة هذا النوع وثيقة مؤرخة فى عام

٤٧٩هـ/١٠٨٦م (خلافة المستنصر بالله الفاطمى ٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م)، يقول فيها أحد البقالين: «كيس بخمسين دينارا، بختم الصيرفى الشهير فى شارع الكيميائيين»(*).

أما النوع الثانى: فهى أكياس تحمل ختم أسماء تجار. وقد ظهرت بصورة متكررة فى رسائل أصدقاء العمل، فنجد مكتوباً على الجانب: «كيس يحتوى على كذا وكذا مقدار من الدنانير تحمل ختمك».

ويرى جويتاين أن كتابة اسم أحد التجار على كيس للأموال، ربما يرجع إلى أنه عندما كانت تتم الصفقة، ويأتى وقت الدفع المحدد لها، كان الشارى يذهب للصراف، ويجعله يزن ويختبر الأموال، ويختم فى كيس المقادير من العملات التى ستدفع، فربما كان يضيف لختم الخازن اسم التاجر، خاصة وأن هذا الإجراء قد أشير إليه فى إحدى الوثائق.

هذا بالنسبة للعملات الذهبية، أما العملات الفضية فكانت لا توضع فى أكياس مختومة محلياً، كما ظهر ذلك من الحسابات الخاصة لأحد الصيارفة. وإنما كانت الفضة (الدراهم)، ترسل فى أكياس، لا يوجد عليها تحديد للعدد أو لوزن العملات، كما كان يحدث مع الذهب(**).

(*) لم يشر المقريزى فى خططه إلى شارع بهذا الاسم فى حدود علمنا.

(**) وذلك لأن مصر ـ كما تقول د. سيدة كاشف ـ كانت تتبع قاعدة الذهب، كما تدل على ذلك قطع «الأوستراكا». وقد ذهب علماء الإقتصاد إلى القول بأن نظام المعدن الفردى الذهبى، لا يمنع استعمال نقود أخرى غير الذهب، وبخاصة النقود الفضية، ولكن الذهب يكون وحده هو العملة القانونية التى لها قوة إبراء غير محدودة، أى تكون أداة للوفاء بالإلتزامات، والقانون لا يعترف لغيرها بقوة الإبراء من الديون، وتعتبر النقود الأخرى عملة مساعدة.

ويقول المقريزى: «أما مصر من بين الأمصار، فما برح نقدها المنسوب إليه قيم الأعمال، وأثمان المبيعات، ذهبا فى سائر دولها، جاهلية وإسلاما، يشهد لذلك بالصحة أن خراج مصر فى قديم الدهر وحديثه إنما هو الذهب».

وتؤيد أوراق البردى وقطع الأوستراكا ما ذكره المقريزى، إذ تشهد كلها بأن الجزية والضرائب وإيجار الأراضى وأجور العمال وسائر المعاملات كانت تدفع بالدنانير وأقسامها.

وفى خلال معظم فترة الخلافة الفاطمية فى مصر، كانت التعاملات المالية الكبيرة تتم عادة فى الذهب بمساعدة الصرافين، فى حين أن النقود الفضية كانت تستخدم بصورة رئيسية للنفقة اليومية فى شراءات التجزئة أو دفع الإيجار للمساكن المتواضعة(*). ففى حسابات لأحد تجار الجبن مدونة فى عام ٥٤٥هـ/ شهر يوليو ١١٥٠م (خلافة الظافر الفاطمى ٥٤٤-٥٤٩هـ/ ١١٤٩-١١٥٤م) ـ ذكر أنه دفع مبالغ هائلة بالجنيهات الفضية.

وفى العصر الأيوبى المتأخر (٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م)، عندما أصبح الذهب نادرا، نرى ـ كما يقول جويتاين ـ دار صرافة أو بنكاً يمنح قروضا من ٤٠٠ و٥٠٠ درهم، دون أن نعرف ما إذا كانت الدراهم (النقود الفضية) فى هذا العصر قد أصبحت فى أكياس مختومة أم لا؟(**).

= وقد ظلت الدنانير الذهبية هى النقود المتداولة فى مصر بعد الفتح العربى، كما كان الحال قبل الفتح، ولابد أن النقود الإسلامية قد دخلت فيها بعد الفتح.
وربما ظلت النقود الأجنبية فى مصر يتعامل بها جنبا إلى جنب مع النقود الإسلامية، حتى إصلاح عبدالملك بن مروان للسكة، وتحريمه الدنانير الأجنبية، أى أن السكة فى مصر خضعت للسكة الإسلامية. ولم تستقل سكة مصر عن السكة المستعملة فى الخلافة إلا بعد أن استقلت مصر عن الخلافة كما حدث فى عهد أحمد بن طولون.

(*) تذكر الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف أن من أهم الظواهر الخاصة بالنقود، التى بدت واضحة فى مصر فى العصر الفاطمى هو تعامل الناس بالدراهم والدنانير بدلا من تعاملهم بالدنانير فقط، وكان قيمة أو صرف الدينار المعزى خمسة عشر درهماً ونصف.

(**) أصبحت مصر فى العصر الأيوبى ـ كما تقول د. سيدة كاشف ـ تتبع نظام المعدنين، الذهب والفضة فقد زاد التداول بالدراهم الفضية زمن الأيوبيين، حتى أصبحت تقوم بها المبيعات الهامة وخراج الأرض وأجرة المساكن وقيم الأعمال (نلاحظ ارتباط العملة المصرية بالحالة السياسية والحربية آنذاك). على أن الأمر قد تطور بعد ذلك، فمنذ عام ٦٣٠هـ/١٢٣٢م فى عهد الملك الكامل، نرى النقود النحاس تنتشر فى مصر، وعرفت باسم «الدراهم الفلوس». وانفسح المجال لظهور العملات الأجنبية الفضية فى الأسواق المصرية مثل: نقود البندقية، ونقود فلورنسا، وذلك لاتصال الشرق بأوربا حربيا وتجاريا، بل أن ظهور العملات الإيطالية فى السوق المصرى ساعد على اختفاء الفضة المصرية التى كانت تهرب إلى أوربا حيث تسك فى دور الضرب الإيطالية.

وكان البيع فى زمن الخلافة الفاطمية فى مصر، يشترط أن يكون بالعملة المسكوكة محلياً، كما ظهر ذلك من شهادة وثائق الجنيزة. فعندما كان يتم الدفع، أو يشترط عليه فى العقد، فإن المال (أى الذهب) كان يوصف عادة بأنه مصرى، وهو ما يعنى أنه «صك فى الفسطاط». وفى وثائق رسمية كثيرة كانت الدنانير تعرف بأنها «عملة الفسطاط ووزن الفسطاط المعتمد»، أو «كعملة الفسطاط فى ذلك الوقت».

وبرغم السيادة الهائلة للعملة المحلية، فإن تبادل النقد كان من أكثر النشاطات شيوعا فى أسواق العصور الوسطى. ولم تكن الحكومة تسحب العملات القديمة، لأن العملات كانت نادرة فى العموم، على الرغم من أن العملات القديمة كانت بمرور الوقت والاستخدام تصبح أرفع، وبالتالى أقل قيمة عن طريق التآكل، حتى إن نفس العملة كان لها قيم تبادل مختلفة فى وقت واحد.

ثانياً: إصدار السندات القانونية:

إلى جانب تغيير النقود، كان الصيرفى يقوم بإصدار بعض السندات القانونية مثل: الرقعة (أمر الدفع)، والسفتجة، والكمبيالة.

فقد كانت التجارة ـ سواء كانت تجارة الجملة أو التجزئة ـ تتم على الحساب ـ كما سنرى فيما بعد. وكان المرء ـ سواء كان تاجراً أو عميلا عاديا يشترى بالتجزئة ـ لا يدفع نقداً، وإنما كان يدفع عن طريق الرقعة، أو السفتجة، أو الكمبيالة، كما يقضى الشراء، وكان الصيرفى هو الذى يقوم بكتابتها.

ويرى جويتاين أن وثائق الجنيزة الخاصة بالتجارة تعكس إلى حد كبير ما يمكن أن نطلق عليه الاقتصاد الورقى، وليس النقدى، فى العصور الوسطى، الذى يقوم على «الرقعة» فى معناها المزدوج أمر الدفع أو التوصيل، وعلى «السفتجة» وإن كان إصدارها محدوداً كما سنرى فيما بعد، وعلى الكمبيالة.

١ ـ الرقعة (rug'a):

والرقعة هى اللفظ المستخدم لأمر الدفع بالعربية ـ كما يقول جويتاين.

ويذكر جويتاين أن أوامر الدفع من الناحية القانونية شكل لنقل الدين أو التنازل أى حوالة (hawàla).

والرقعة ـ أو أمر الدفع ـ هى من الطرق التى نقرأ عنها كثيراً فى أوراق الجنيزة لتجنب الدفع الفورى.

ففى وثائق الجنيزة حوالى عشرون أمراً كتبهم الصيرفى أبو زكرى كوهين (Abu Zikri Kohen) خلال شهر من عام ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م (خلافة الحافظ الفاطمى ٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٢٩-١١٤٩م)، وباستثناء أمر واحد بمبلغ مائة دينار، فإن الأوامر الأخرى كانت بمبالغ صغيرة، تتراوح ما بين ١/٤ ١ دينار إلى ٧ دنانير، وفى ستة أوامر ذُكر الغرض من الدفع.

ويرى جويتاين أن شكل أوامر الدفع فى العصور الوسطى، يشبه إلى حد كبير الشيك الحديث، ففى الركن الأعلى بالشمال يكتب المبلغ المراد دفعه بأرقام قبطية(*)، ويتبع بالآتى: يدفع فلان «اسم الصيرفى الصادر عنه الأمر» لحامله، مبلغ كذا «يكتب بالحروف». وفى الركن الأسفل الشمالى يكتب التاريخ (الشهر والسنة ولا يكتب اليوم). وفى الطرف الأسفل من المذكرة يكتب اسم الصيرفى الصادر عنه الأمر.

ويبدو أن الصيارفة الكبار كانوا يميزون أوامر الدفع الصادرة من عندهم، فيذكر جويتاين أن «أبا ذكرى» كان يكتب على قائمة أوامره كلمة بالعبرية تعنى الصدق.

ويذكر جويتاين أن حجم أوامر الدفع كان صغيراً، تقريبا نصف مقاس الشيك الحديث، ويرجع ذلك لأن الورق كان غالى الثمن.

(*) هكذا ذكرها جويتاين. وترى الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف أنها فى الغالب أرقام يونانية، وذلك قبل انتشار استعمال الأرقام العربية فى العصر العباسى.

٢ ـ السفتجة (Suftaja):

والسفتجة كلمة فارسية تترجم عادة بالحوالة، ولكنها مختلفة عن الرقعة أو أمر الدفع.

وتعريف السفتجة ـ كما جاء فى المنجد ـ هى أن تعطى مالاً لرجل، فيعطيك خطاً (خطابا)، يمكنك من استرداد ذلك المال من عميل له فى مكان آخر.

وكان أهم فائدة للسفتجة هى استعمالها من قبل التجار لتصفية حساباتهم بين الأقطار المختلفة بكتابة السفاتج على وكلائهم.

وكان لكل سفتجة موعد لاستحقاقها، وكان يمكن لصاحب السفتجة أخذ النقود دفعة واحدة أو على أقساط.

وكانت النقود المذكورة فى السفتجة تدفع فى أى بلد، وكان من السهل أن يحملها التاجر عبر الطرق الطويلة وهو آمن مطمئن، فقد كانت السفاتج وسيلة لتجنب أخطار المواصلات.

ومما يدل على توطد العلاقات التجارية بين العالم الإسلامى وبين أوربا، أن سفاتج التجار المسلمين، كانت تصرف فى البلاد غير الإسلامية.

ومن هنا صار للسفاتج قيمة المال، واستخدمها الأفراد فى مبيعاتهم ومعاملاتهم الخاصة.

وكان التجار وحتى موظفى الحكومة يفضلون الشراء بنظام السفتجة عن النقد.

ويفهم من العديد من الإشارات للسفتجة فى وثائق الجنيزة، أن حامل السفتجة، لم يكن يتوقع أن يدفع له بعملة البلد التى بعث إليها، بل على العكس، كان يرغب فى أن يستلم نفس نوع النقود التى دفعها للصيرفى.

وكان يتم إصدار السفتجة وكتابتها من قبل صيارفة معروفين جيداً، أو ممثلى التجار، يأخذون فى مقابل إصدارها أتعابا متفقاً عليها، وتفرض. عقوبة أو جزاء يومى لأى تأخير فى الدفع.

ويتضح من الرسائل التى وردت فى أوراق الجنيزة، أن السفتجة لم تكن متاحة فى كل وقت، أو لم يكن من السهل الحصول عليها. ففى رسالة من أحد التجار السكندريين حوالى عام ٤٩٤هـ/١١٠٠م (خلافة المستعلى بالله الفاطمى ٤٨٧-٤٩٥هـ/١٠٩٤-١١٠١م) موجهة إلى صانع القماش الأرجوانى المعروف عروس بن يوسف (Arus b. Joseph) فى الفسطاط، أخبره أنه اضطر إلى إرسال الفلوس نقداً، لأنه لم يجد من يكتب له سفتجة. فيقول فى هذه الرسالة: «لقد أرسلت النقود نقداً مع فلان، فليجعل الرب وصوله سالماً، ولو كنت وجدت أحداً مستعداً لأخذ سفتجة فى الفسطاط (أى يجعل الدفع هناك) فى مقابل أن يتسلم مثيله هنا، لفعلت، ولكنى لم أجد أحداً». ويفهم من ذلك - كما يرى جويتاين - أنه لم يجد فى ذلك الوقت صيارفة، يصدرون سفتجة بالاسكندرية.

ومن دراسة وثائق السفتجة فى أوراق الجنيزة، يتضح أن استخدام السفتجة كان متطورا بدرجة كبيرة بين مصر وجيرانها من جهة الشرق، وبين الحواضر الدولية مثل: القاهرة وبغداد. إلا أن التحويل بواسطة السفتجة كان يبدو محدودا إلى حد ما.

ويرجع ذلك - فى رأى جويتاين - إلى أن الصيرفى الذى يصدرها كان لابد له أن يحتفظ بنقود سائلة، وبالتالى يمتنع عن الاستثمار، وهو ما يخالف منهج التجارة الصحيحة كما يراها اليهود.

٣ - الكمبيالة أو الصك:

الكمبيالة أو الصك هو فى الأصل سند الدين، وهو عبارة عن ورقة مالية تثبت فيها قيمة دين أو قرض أو استحقاق مالى، له أجل معين. وقد استخدمت الصكوك فى كافة أنحاء العالم الإسلامى.

وكانت الكمبيالة التى تصدر من الصيارفة ينظر إليها كنقد.

وكان الصيارفة والجهابذة يصرفون قيمة هذه الصكوك لأصحاب الأموال التى أودعوها عندهم، لقاء رسم معلوم.

ويتضح من وثائق الجنيزة أنه كان من المعتاد أن يضع المرء جزءاً من أمواله مع الصيرفى، ففى وصية لأحد تجار السكر، ختمها بالملحوظة التالية: «لقد أودعت مع أبا نصر (Abu Nasr) الصيرفى مبلغ ٧٠٠ درهم، للإيفاء بالتزاماتى».

ويذكر مارك كوهن أن ايداع المال لدى الصيارفة، كان من مميزات المعاملات اليهودية، مما خدم الاحتياجات الاقتصادية فى مجتمعات شاع فيها الدفع بالسندات إلى جانب الدفع نقدا.

وكان الصيرفى يستفيد من الأموال المودعة عنده، فهو يأخذ من صاحبها فائدة نظير الايداع - كما ذكرت آنفاً، ويستثمرها فى التجارة الخارجية، وفى الصيرفة، خاصة فى إصدار السفاتج التى كان معظمها يصدر بمبالغ كبيرة، وفى تغيير الأموال التى كانت تتطلب دائما وجود أموال سائلة معه.

أما إحدى المنافع الرئيسية التى كان الصيرفى يستفيد منها من المبالغ المودعة عنده فهى إقراض المال أو السلف (Salaf).

ويظهر الصيرفى أو الجهبذ كمقرض للأموال فى ثلاثة عقود للشراكه فى الصيرفة أوردتها وثائق الجنيزة، وفى اثنين منها احتفظ الشريك الأكبر لنفسه بحق منح السلف، وفى الثالث اشتكى شريك من أن السلف كان يعطى بدون موافقته.

ومعنى ذلك أن الصيارفة فى ذلك الوقت كانوا يقومون بعمل البنوك الحالية - كما لاحظ د. عطية القوصى - وهو قبول ودائع الناس لديهم، والقيام بتقديم سلفيات وقروض للتجار، مقابل فوائد محددة.

المعاملات المالية:

من المعاملات التجارية بين التجار، كانت المعاملات المالية، ونعنى بها: نظام البيع والشراء، ونظام الدفع، ونظام إجراء الصفقات، ونظام التسليف أو الاقراض (الديون).

أولاً: نظام البيع والشراء:

كان البيع والشراء يتم إما مباشرة بين رجل ورجل فى المتجر، أو فى السوق، أو فى المبانى التجارية، أو عن طريق المزاد العلنى الذى عرف فى وثائق الجنيزة باسم «الحلقة» (halqa).

وتذكر وثائق الجنيزة أن البيع عن طريق الحلقة أو المزاد كان يمكن للبائع أن يقوم به بنفسه، أو عن طريق سمسار أو عن طريق وكيل التجار.

ففى رسالة يقول صاحبها: «إننى أنوى بمشيئة الرب أن أعقد بعد السبت (حلقة) لتلك الرزم الثلاث لبيعها». وفى رسالة أخرى «أن الوكيل الذى كان مضطلعا ببيع الحرير المصرى، قد بعث سمساراً للحلقة، ولكن على الرغم من جهود الأخير، فإنه لم يتحصل فقط إلا على خمسة دنانير لعشرة أرطال، ومن هذا المبلغ كان لابد من اقتطاع مصاريف الوكيل والسمسار».

ثانياً: نظام الدفع:

يذكر جويتاين أنه مادام قد نودى على سعر ما، وقبله الشارى، فإنه لا يسمح للبائع بأن يحصل سعراً أعلى بعد ذلك.

ومن دراسة وثائق الجنيزة، اتضح أنه كان يوجد طرق عديدة للدفع، منها: الدفع على الحساب، والدفع الفورى، ودفع عربون من المبلغ الكامل.

١ ـ الدفع على الحساب:

وبالنسبة للدفع على الحساب، فقد كان من العادات الشائعة فى نظام البيع، سواء فى تجارة الجملة أو فى تجارة التجزئة، وإن ظهر بصورة كبيرة فى الوثائق الخاصة بتجارة الجملة.

ويذكر جويتاين أن فترة السماح بالدين كانت محددة بصفة عامة، وذلك وفقاً لما اتفق عليه. فنقرأ فى وثائق الجنيزة عن تأجيل الدفع لمدة أربعة أشهر، وفى أحد الأمثلة سمح

بفترة سماح ستة أشهر، أما تأجيل الدفع لمدة شهر واحد فكان نادراً، وكان الشائع هو تأجيلها لمدة شهرين.

وتكشف حسابات خاصة بصاحب محل فى بلدة محلية (لم يذكر جويتاين اسمها) فى عام ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م (خلافة الظافر الفاطمى ٥٤٤-٥٤٩هـ/ ١١٤٩-١١٥٤م)، عن أنه فى بعض الأحيان، يكون الدفع على أقساط أسبوعية. على أن شروط الدفع فى معظم الحالات كانت لا تحدد.

ويظهر من وثائق الجنيزة أن فترة تأجيل الدفع، لم يكن يراعيها الشارى فى بعض الأحيان، ففى إحدى الرسائل نرى كاتبا يشكو من أنه على الرغم من الشهرين المسموح بهما، فإن المرسل إليه قد مرت عليه خمسة أشهر بدون دفع.

كما اضطر بائع للحرير فى المدن الصغيرة بالريف المصرى أن يمر على زبائنه ليجمع منهم أثمان البضاعة بعد عام من بيعها.

٢ ـ الدفع الفورى:

اتضح من وثائق الجنيزة أن خفض السعر عند الدفع الفورى كان مسموحاً به، وإن كان نادرا للغاية فى أوراق الجنيزة، ومن الطبيعى أنه لم يكن يمنح خصم للسلع الرائجة.

فقد كتب تاجر من الاسكندرية لصديقه بالفسطاط: «لا تبع الكراوية الخاصة بك بأقل من $\frac{١}{٢}$ ٣ دينار للقنطار سواء كان نقداً، أو على الحساب، وخلاف ذلك فلا تبع».

وفى العديد من الأمثلة التى أوردتها وثائق الجنيزة كان مقدار الخصم لا يحدد، فيذكر أن السعر المذكور يمثل المبلغ المدفوع بعد حساب الخصم. فالتاجر الصقلى الذى حمل فى عام ٤٥٠هـ/ مارس ١٠٥٨م (خلافة المستنصر بالله الفاطمى ٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م) توابل وروائح عطرية تقدر بمبلغ $\frac{٥}{٨}$ ١٨٦ دينار ـ لصديق عَمِل فى الفسطاط، أعطى تعليمات بمنح خصم قدره دينار واحد وهو ما يمثل حوالى $\frac{١}{٢}$ ٪.

ويرى جويتاين أنه على الرغم من أن الخصم كان مسموحاً به، إلا أنه كان يسمح به فقط فى ظل ظروف خاصة بالسلعة مثل: الرطوبة التى أثرت على شحنة سكر وغير ذلك.

٣ ـ دفع عربون (Urbun or Arabun):

وهو يعنى دفع مقدم من المبلغ الكامل، وهو طريقة من طرق الدفع التى كانت موجودة فى ذلك الوقت كما هو معروف الآن، إلا أنها كانت قليلة فى وثائق الجنيزة.

ومن الوثائق التى أشارت إليها، رسالة لتاجر قاهرى فى دمشق، أبلغ فيها شريكه أنه أرسل إليه ٢١ جملاً محملاً بالفلفل، وأنه دفع مقدماً لها قدره ٢٥٠ دينارا، وهو نصف المبلغ الكامل.

ثالثاً: نظام إجراء الصفقات:

ومن المعاملات التجارية المالية عقد الصفقات (Safga). وكلمة «الصفقة» مشتقة من تصفيق الأيدى(*). فقد كان تصفيق الأيدى إشارة إلى الموافقة على بيع منزل فى وثيقة تعود لعام ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م (خلافة الحافظ لدين الله الفاطمى ٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٢٩- ١١٤٩م).

وطبقا للنظام الإسلامى، فقد كان مجرد العرض الشفهى والقبول الشفهى أيضا، كافيين لجعل أى اتفاقية ملزمة. أما النظام اليهودى فقد كان يتطلب إجراءات أكثر رسمية، وهو ما يدعى ـ كما يقول جويتاين ـ «بالبيع الرمزى».

شهود الصفقات:

وكان يقوم بالشهادة على صفقات البيع أكبر عدد ممن يوثق بهم، وذلك على الرغم من أن النظام الإسلامى واليهودى، لم يكونا يتطلبان أكثر من وجود شاهدين فقط.

(*) الصَفْقَة: ضرب اليد على اليد فى البيع. وصفق له بالبيع وصفق على يده وصفق يده بالبيعة: ضرب يده على يده وذلك علامة وجوب البيع.

والسبب فى ذلك هو محاولة التأمين على الصفقة فى حالة ما إذا حدث أى نزاع بعد مضى فترة من الوقت، أو أى تساؤلات فى بلد بعيد، لذلك كان يجتمع عدد كبير من التجاريين وأصدقاء العمل عند عقد أية صفقة ذات أهمية، كما كان الشهود يرسلون خطابات لمراسليهم عبر البحار، خاصة إلى البلاد التى جاء منها أحد من أطراف البيع، يذكرون فيها الصفقة، حتى يكون عندهم علم بها.

وكان شهود الصفقات يختارون من بين الأشخاص الفضلاء المعروفين فى المجتمع الذى ينتمى إليه الطرفان، لأنه فى حالة حدوث نزاع، كانت المسألة تتحول طبيعياً أمام محكمة هذا المجتمع.

كذلك كانت الصفقات يشهد عليها مسلمون، حتى لو كان الطرفان من اليهود.

ويذكر جويتاين أن عقود صفقات البيع لم تكن تكتب غالباً، إلا فى بعض الاستثناءات، مثل: بيع المنازل أو العبيد أو الكتب.

رابعا: نظام التسليف أو الاقراض (الديون):

حوت أوراق الجنيزة الكثير من الوثائق التى تشير إلى الديون، سواء فى الوثائق الخاصة بالوصايا، أو الممتلكات، أو الحسابات، أو الرسائل.

وكانت الوثائق التى تختص بالقروض، تعرف «بالإقرار» (igrar)، وتكتب بصيغة قانونية متعارف عليها، ومن أهم بنودها أن يعلن فيها المدين، المبلغ الذى يدين به للدائن، ويبين متى وكيف يردّه، وعادة يكون الرد على أقساط. كذلك كان المدين يضمن فى هذا الإقرار المبلغ المدين به بكل ممتلكاته. وأحيانا كانت تضاف شروط خاصة مثل: جزاءات للتأخير، وإن كانت غير شائعة. كذلك كان من الضرورى أن يُذكر فى هذا الإقرار الصحة العقلية والجسدية للمدين، ويشار فيه إلى أنه يكتبه فى حرية وبدون ضغط.

وقد كانت هذه الاقرارات توضع أمام السلطات اليهودية والسلطات المسلمة. ويذكر جويتاين أن السلطات اليهودية وإن كانت تدين أو تعاقب كل من يلجأ للمحاكم المسلمة،

إلا أنها لم تكن تعترض على كتابة عقود الديون من خلال وكلاء مسلمين، أو يشهد عليها شهود مسلمون أمام المحكمة المسلمة.

ففى وثيقة كتبت فى عام ٥٢٤هـ/ يونيو ١١٢٩م، ذكر فيها أن الصيرفى اليهودى «ابن سُنينات» (Ibn Sunaynat)، قد منح قرضاً قدره ٣٠٠ دينار لوالد وولده، على أن يسدد فى خلال ست سنوات بمعدل خمسين ديناراً فى كل سنة. وما يهمنا هنا هو أن هذا الدين قد كتب بواسطة شخصية مسلمة بارزة، وتم تأكيده أمام محكمة يهودية.

وفى وثيقة أخرى، كان فيها «ابن سنينات» السابق ذكره، مدينا بمبلغ ٤٤٠ ديناراً، فقد كتب إقرار الدين فى حجتين (hujjas) باللغة العربية، وواحدة باللغة العبرية وتعرف باسم شيطار (shetar).

ويذكر جويتاين أن السلف كان منتشرا حتى بين صفوة القوم من المسلمين ومن اليهود وكانت السلفيات أو القروض إما لمساعدة أقارب أو أصدقاء أو محتاجين، وإما لتمويل أعمال تجارية. ففى رسالة لتاجر تونسى أثناء رحلة عمل لبوصير[1] حوالى عام ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م (خلافة المستنصر بالله الفاطمى ٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م)، كتب يقول: «لقد أخذت دينارا من هذا الصديق، وديناران من آخر، ولكننى لا أستطيع الاستمرار هكذا طوال الوقت».

---

(٥) بوصير أو أبو صيرة اسم لبلدان كثيرة فى مصر. وهذا الإسم من بقايا التاريخ القديم إذ كان المصريون القدماء يسمون بلدانا كثيرة باسم الإله أوزريس. وبوصير هذا مشتق من الإسم المصرى القديم بروسر أى «مكان الإله أوزير». وكان هناك زمن مقتل مروان بن محمد (١٣٢هـ/٧٤٩م) أربع قرى بمصر باسم بوصير، فكان هناك بوصير قوريدس من أعمال الأشمونين، وبوصير السدر فى كورة الجيزة، وبوصير دفدنو فى كورة الفيوم، وبوصير بنا فى كورة سمنود.

ويقول الأستاذ محمد رمزى: أبو صير: هى من القرى القديمة، وردت فى معجم البلدان بوصير السدر بليدة من كورة الجيزة، وفى قوانين ابن مماتى بوصير رجب وهى بوصير السدر، وفى التحفة أبو صير السدر من أعمال الجيزة. والظاهر أن هذه الناحية كان بها كثير من شجر السدر ـ وهو شجر النبق ـ فاشتهرت به. وقد عرفت فى عام ١٢٢٨هـ باسمها الحالى المختصر أبو صير.

وفى وثيقة مؤرخة فى عام ٤٨١هـ/مايو ١٠٨٨م، أعطى صانع القماش الأرجوانى عروس ابن يوسف (Arus b. Joseph) والذى كان مشهوراً بكرمه ـ سلفة بمبلغ ١١ دينارا لشخص من رام الله بفلسطين، يتم ردها فى أقساط على مدار ٦٦ شهراً، أى خمسة أعوام ونصف، بواقع دينار فى الشهر.

ويرى جويتاين أنه كان يريد أن يساعده فى تطوير عمل صغير أو ورشة.

أما السلف للأغراض التجارية، فقد ظهر بصورة متفرقة فى وثائق الجنيزة، وذلك فى القرن ٤هـ/١٠م، ثم ظهر قليلا فى القرن ٥هـ/١١م، أما فى القرن ٦هـ/١٢م، وبخاصة فى النصف الثانى منه، فإن الدين التجارى أصبح أكثر انتشاراً.

ومن الوثائق التى تناولت سُلف التجار، وكلها مكتوبة باللغة العبرية، وثيقة كتبت عام ٣٦٤هـ/٩٧٤م (خلافة المعز لدين الله الفاطمى ٣٦٢-٣٦٥هـ/ ٩٧٢-٩٧٥م)، وفيها أبرأ تاجر فى الفسطاط تاجراً آخر من دين قدره ٨٥ دينار.

وفى سجل محكمة عام ٣٧٣هـ/٩٨٣م (خلافة العزيز بالله الفاطمى ٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م)، وردت سلفة بمبلغ ٧٥ دينارا لمدة شهرين.

وفى ربيع عام ٤٠٨هـ/١٠١٧م (خلافة الحاكم الفاطمى ٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م) تسلم عضو بارز فى مجتمع الفسطاط اليهودى، سلفة تقدر بمبلغ ٣٠ دينارا من تاجر تونسى، عن طريق وكيل الأخير، على أن تدفع بعد ١٢ شهر.

ووردت سلفة أخرى بمبلغ ٣٠ دينارا، تسدد على أقساط على مدار عشرة أشهر، تمت فى الفسطاط فى صيف ٤١٩هـ/١٠٢٨م (خلافة الظاهر الفاطمى ٤١١-٤٢٨هـ/ ١٠٢٠- ١٠٣٦م)، بواسطة صيرفى يحمل اسماً تونسياً، نعرفه ـ كما يقول جويتاين ـ من سجلّى محكمة آخرين، وهو متزوج فى مصر.

وفى رسالة فى نفس الفترة السابقة (حوالى عام ٤١٩هـ/١٠٢٨م)، أبلغ تاجر بالفسطاط، يقيم مؤقتا بالاسكندرية - مراسله فى العاصمة، أنه قد تسلم سلفة بمبلغ ٨٠ دينار.

والرسالة مليئة بتعبيرات استحسان للسلفة الممنوحة، والتى يظهر منها - كما يرى جويتاين - أن هذا النوع من القروض التجارية كان يعطى كنوع من المعروف، وفى الوقت نفسه هو وسيلة من وسائل التعاون المشترك.

ويبدو من الوثائق كذلك أن الحرفيين كانوا يساعدون بعضهم بسلف خالية من الفائدة، تشهد على ذلك الوثائق القادمة إلينا من القرن ٥هـ/١١م.

ففى إقرار كتب عام ٤١٩هـ/١٠٢٨م (خلافة الظاهر الفاطمى ٤١١- ٤٢٨هـ/ ١٠٢٠-١٠٣٦م) بواسطة شخصية مسلمة، تسلم مئزرى(*) مسلم، من مئزرى يهودى سلفة تقدر بمبلغ ١٥٠ درهم.

وقد ظل نظام السلف بدون فائدة سائداً حتى القرن ٦هـ/١٢م (أى زمن الدولة الأيوبية ٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م)، ثم أصبح السلف بفائدة.

ففى إحدى عقود الجنيزة الخاصة بالديون، ومؤرخة فى عام ٥٥١هـ/ ١١٥٦م (خلافة الفائز الفاطمى ٥٤٩-٥٥٥هـ/ ١١٥٤-١١٦٠م)، وردت سلفة تدفع على مدار ٦ سنوات، منحتها إمرأة لرجل وأمه. وتنص المذكرة الأصلية للقاضى على أن هذه السلفة، وقدرها ٢٧ دينارا سوف تدفع على أقساط نصف سنوية قدرها ١/٢ دينار. وأوضحت الوثيقة العبرية التى تعرف باسم «شيطار»، أن « ١/٢ دينار سوف تدفع كل شهر خلال ست السنوات».

ويذكر جويتاين أن دفع ١/٢ دينار كل شهر لمدة ست سنوات، معناه أن المبلغ المفروض تسديده هو ٣٦ دينارا، أى بفائدة تقدر بـ١١ ٪ فى العام.

(*) وعن الإزار اليهودى أنظر، الموضوع الخاص بالملابس.

على أن جويتاين قد جانبه الصواب فى حساب الفائدة، لأن المبلغ المفروض تسديده وهو ٣٦ دينار عندما يطرح منه أصل القرض وهو ٢٧ دينار، يكون الباقى هو ٩ دنانير وهى الزيادة على أصل القرض. وعندما تقسم هذه الزيادة (٩دنانير) على أصل القرض (٢٧ دينار)، تكون الفائدة الإجمالية ٣٣,٣٣ ٪. ولحساب فائدة السنة الواحدة نقسم الفائدة الإجمالية ٣٣,٣٣ ٪ على مدة القرض (٦ سنوات)، تكون الفائدة ٥,٥٥ ٪ فى العام، وليست ١١ ٪ فى العام كما ذكر جويتاين![1]

على أية حال، فإن جويتاين يتعجب من هذا الخرق الصريح للنظام اليهودى، وبالطبع الإسلامى والمسيحى[2]، بطلب فائدة تكتب فى سجل رسمى لقاضى، لذلك فهو يرى أن هذه الترتيبات من الأرجح أن تكون قد تمت خارج المحكمة، أو بدون علم السلطات، أو أن هذا ربما كان يحدث فى حالة الديون الطويلة الأجل.

وبدراسة الوثائق الخاصة بالديون، فإنه لا توجد غير وثيقتين ذكرتا الفائدة المحددة، التى كان يطلق عليها بالعربية «ربا» (riba)، وبالعبرية «ربت» (ribbith). الأولى فى بلبيس عام ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م (زمن الملك الصالح نجم الدين أيوب ٦٣٧-٦٤٧هـ/ ١٢٣٩-١٢٤٩م)، والثانية فى نهاية العصر المملوكى. ويهمنا الوثيقة الأولى التى تتصل بفترة دراستنا، وقد وصلت الفائدة فيها إلى ٢٠ درهم فى الشهر، على دين قدره ٣٦ دينارا، بفائدة ١٦ ٢/٣ ٪ سنويا، وقد اشترطت هذه الفائدة أمام رجل بارز مسلم.

---

(١) ويتم حساب الفائدة كالآتى:

المبلغ المسدد - أصل القرض = مبلغ الفائدة

٣٦ - ٢٧ = ٩

نسبة الفائدة الإجمالية = مبلغ الفائدة / أصل القرض = ٩ / ٢٧ = ٣٣,٣٣ ٪

نسبة الفائدة للسنة الواحدة = نسبة الفائدة الاجمالية / عدد السنوات = ٣٣,٣٣ ٪ / ٦ = ٥,٥٥ ٪

(٢) يذكر آدم متز أن النصارى كانوا يتعاملون بالربا، حتى إنه فى حوالى عام ١٨٤هـ/٨٠٠م، ألف كتاب تشريع للنصارى، أجبر فيه أن يتعاملوا فيما بينهم بربح يبلغ العشرين فى المائة.

ويرى جويتاين أن عدم ذكر الفائدة فى الوثائق الخاصة بالديون، يرجع إلى أن المجتمع اليهودى فى داخله كان يتجنب ذكر الفائدة صراحة. وذلك لأن الشريعة اليهودية منعت اليهود من أخذ الربا من أبناء جنسهم، رغم أنها أباحتها مع الآخرين. ففى سفر التثنية: «لا تقرض أخاك بربا فضة أو ربا طعام أو ربا شئ ما مما يقرض بربا، للأجنبى تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا، لكى يباركك الرب إلهك فى كل ما تمتد إليه يدك فى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها»(*).

وكان الشكل الشائع للفائدة المستترة ـ كما وردت فى رسالة لموسى بن ميمون ـ هى تأجيل الدفع لسعر أعلى من السعر الحقيقى.

ويرى مارك كوهن أن إرجاء موعد دفع الديون مقابل دفع مبلغ أكبر تشتم منه رائحة الربا، إلا أن السلطة الدينية اليهودية قد سكتت عن ذلك مرغمة لمصلحة إدارة التجارة بشكل سليم.

وعلى الرغم من أن الشريعة الإسلامية قد حرمت التعامل بالربا، إلا أن المسلمين قد أقرضوا اليهود بالربا، يظهر ذلك بوضوح فى وثائق الجنيزة فى خلال القرن ٥هـ/١١م. ولم تكن هذه الديون تجارية، وإنما كانت ديوناً نتجت عن الحاجة إلى المال ـ كما يقول جويتاين.

على أن حالات المديونية من الأفراد اليهود للمسلمين، والتى أوردتها وثائق الجنيزة، كانت لظروف خاصة كما يقول جويتاين، ففى وثيقة مؤرخة عام ٥٢٥هـ/١١٣٠م (خلافة الحافظ الفاطمى ٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٢٩-١١٤٩م)، تحدثت عن يهودى هارب من الاسكندرية من دائنيين مسلمين، طلب من موظف الخدمة الاجتماعية اليهودى بالفسطاط المعونة أولاً لمجرد المعيشة، وثانيا للبدء فى دفع ديونه.

(*) وقد أشارت التوراة فى سفر نحميا إلى أن اليهود قد أخذوا الربا من اليهود، ومن غير اليهود على حد سواء.

أما القروض بالفائدة التى كان اليهود يمنحونها لمسلمين أو لمسيحيين فلم تكن واضحة فى وثائق الجنيزة.

ويذكر جويتاين أن القروض قصيرة الأمد كانت شائعة فى وثائق الجنيزة. ففى وثيقة مؤرخة فى شهر كسليو (نوفمبر ـ ديسمبر)، من عام ١١٧٠م/٥٦٦هـ (خلافة العاضد الفاطمى ٥٥٥-٥٦٧هـ/ ١١٦٠-١١٧١م)، منح الصيرفى سلفة تقدر بمبلغ ١٤ ديناراً، على أن تسدد فى أول الشهر القادم.

الضمانات أو الرهون:

ذكرت سابقا أن المدين فى إقرار السلف كان يضمن المبلغ المدين به بكل ممتلكاته. ويرجع ذلك ـ كما يقول جويتاين ـ إلى أن سداد الدين كان يتعرض لكثير من المماطلة وتأجيل الدفع، بل إن المدين، إذا كان شخصا ذا أهمية، كان من الصعب مطالبته بالدفع.

من هنا كانت الضمانات أو الرهون ـ والتى أشير إليها بصورة متكررة فى وثائق الجنيزة الخاصة بالسلفيات ـ هى الوسيلة التى يلجأ إليها الدائنون لحماية أنفسهم.

وقد كانت الضمانات أو الرهون تشمل كل شئ مثل: الذهب، والفضة، والمجوهرات، والملابس. وبالنسبة للفقراء كان الرهن يشمل كل ما تحتويه منازلهم من الفرش أو الكتب ـ والتى كانت شائعة ـ وفى الحالات القصوى كان الأطفال يوضعون كرهن!

ويظهر من وثائق الجنيزة أن هذه الضمانات أو الرهون فى العادة كانت تزيد بكثير عن قيمة القرض الممنوح.

ففى عام ٤١٨هـ/١٠٢٧م (خلافة الظاهر الفاطمى ٤١١-٤٢٨هـ/ ١٠٢٠-١٠٣٦م) رهنت مخطوطة كاملة للكتاب المقدس (التوراة)، تقدر قيمتها بمبلغ ٢٠ دينارا، وذلك ضماناً لدين من ٦ دنانير.

وفى عام ٥٣٠هـ/١١٣٥م (خلافة الحافظ الفاطمى ٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٢٩-١١٤٩م) رهن منزل لدين بمبلغ عشرة دنانير. وفى عام ٦١٠هـ/١٢١٣م (زمن الملك

العادل ٥٩٦-٦١٥هـ/ ١١٩٩-١٢١٨م) رهنت سبع قطع من الملابس الغالية لأربعة دنانير، وهكذا.

ويذكر جويتاين أنه فى بعض حالات عدم سداد الدين، كانت توقع العقوبة القصوى، وهى السجن لمدة طويلة والتعذيب، وهو ما كانت المحكمة المسلمة تأخذ به، أما المحكمة اليهودية فقد كان موقفها فى الحالات القصوى هو تجريد المدين من الديانة، أو تسليمه للسلطات المسلمة حتى تتخذ الإجراءات اللازمة.

لذلك، ونظراً لخطورة هذا الإجراء، فإن رئيس المجتمع اليهودى بمصر، اعتاد أن يباشر حالات المديونين الميئوس منهم بنفسه، وقد حفظت الوثائق الكثير من هذه الحالات.

ففى رسالة مخطوطة بيد الجاؤون مصليح (Masliah) (تولى رئاسة اليهود من عام ٥٢١هـ/١١٢٧م - ٥٣٤هـ/١١٣٩م)، نصح فيها بلهجة حازمة رئيس المجتمع اليهودى فى «مَلِيج» (Malij)[١] بالعمل على تسوية دين مستحق فى هذه المدينة، حتى لا يضطر الشاكى إلى تقديم التماس إليه مرة ثانية.

وفى وثيقة مؤرخة فى عام ٥٢٨هـ/ يناير ١١٣٣م (خلافة الحافظ الفاطمى ٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٢٩-١١٤٩م)، قام «مصليح» شخصيا بتسوية دين نتج عن شركة فى أعمال تجارية، مع ابن أحد الشركاء الذى توفى، وقد صدق عليه بنفسه، وقد اتفق فيه على أن يتم الدفع على ٤٠ قسطاً بمعدل دينار فى كل شهر، وذلك لمدة ثلاث سنوات وربع السنة.

دفع الدين على أقساط:

اتضح من الأمثلة التى ورد ذكرها سابقا، أن نظام تقسيط الديون، كان شائعا جدا فى وثائق الجنيزة.

(١) مَليج: بالفتح ثم الكسر، وياء تحتها نقطتان ساكنة وجيم. قرية بريف مصر، قرب المحلة. وذكر الأستاذ محمد رمزى أن مليج هو اسمها القبطى. وينتسب إليها بعض الأشخاص فيقال «المليجى».

وكان أكثرها شيوعا هو الأقساط الشهرية بمبلغ دينار. فقد وجد سبع حالات، أقدمها وثيقة إبراء مؤرخة فى عام ٤٢٢هـ/ نوفمبر ١٠٣٠م (خلافة الظاهر الفاطمى ٤١١-٤٢٨هـ/ ١٠٢٠-١٠٣٦م).

وقد كانت المدة المجملة للقسط أحيانا تمتد إلى ستة أعوام، ولكن بشروط، وبعض هذه الشروط ـ كما يرى جويتاين ـ من المحتمل أنها كانت تحتوى على فائدة مخفية.

ومن ناحية أخرى، كان كثير من الوثائق تشير إلى أن الدفع على أقساط كان مسموحاً به، إذا كان المدين غير قادر على الوفاء بالتزاماته.

ويذكر جوبتاين أنه فى بعض حالات عدم سداد الدين [illegible] المحكمة [illegible]

[illegible]

للسلطات المسلمة حتى تتخذ الإجراءات اللازمة.

لذلك، ونظراً لخطورة هذا الإجراء، فإن رئيس المجتمع اليهودى [illegible] اعتاد أن يباشر

حالات المدينين الميئوس منهم بنفسه، وقد حفظت الوثائق الكثير من هذه الحالات.

ففى رسالة مخطوطة بيد الجاؤون مصليح (Masliah) (تولى رئاسة اليهود من عام ٥٢١هـ/١١٢٧م - ٥٣٤هـ/١١٣٩م)، نصح فيها بلهجة حازمة رئيس المجتمع اليهودى فى «مليج» (Malij)[1] بالعمل على تسوية دين مستحق فى هذه المدينة، حتى لا يضطر الشاكى إلى تقديم التماس إليه مرة ثانية.

وفى وثيقة مؤرخة فى عام ٥٢٨هـ/ يناير ١١٣٣م (خلافة الحافظ الفاطمى ٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٢٩-١١٤٩م)، قام «مصليح» شخصيا بتسوية دين نتج عن شركة فى أعمال تجارية، مع ابن أحد الشركاء الذى توفى، وقد صدق عليه بنفسه، وقد اتفق فيه على أن يتم الدفع على ٤٠ قسطاً بمعدل دينار فى كل شهر، وذلك لمدة ثلاث سنوات وربع السنة.

دفع الدين على أقساط:

اتضح من الأمثلة التى ورد ذكرها سابقا، أن نظام تقسيط الديون، كان شائعا جدا فى وثائق الجنيزة.

(١) مليج: بالفتح ثم الكسر، وياء تحتها نقطتان ساكنة وجيم. قرية بريف مصر، قرب المحلة. وذكر الأستاذ محمد رمزى أن مليج هو اسمها القبطى، وينتسب إليها بعض الأشخاص فيقال «المليجى».

الفصل السابع

الحياة الفكرية لليهود فى مصر

الحياة الفكرية لليهود فى مصر :

- أنواع التعليم عند اليهود :
  - التعليم الدينى.
  - التعليم غير الدينى.
- اهتمام المجتمع اليهودى بالتعليم.
- تعليم المرأة اليهودية.
- مراكز التعليم عند اليهود :
  - المعبد.
  - اليشيفا (Yeshivas) أو الأكاديمية.
  - بيوت المعلمين والطلبة.
- مراحل التعليم عند اليهود والمواد الدراسية فى كل مرحلة:
  - التعليم الابتدائى.
  - التعليم المتوسط.
  - التعليم العالى.
- علماء اليهود فى فروع العلوم المختلفة :
  - علماء دين يهود.
  - كتّاب يهود.
  - شعراء يهود.
  - أطباء يهود.
  - مهندسون يهود.
  - علماء فلسفة ومنطق يهود.
  - منجمون يهود.

الفصل السـابـع

الحياة الفكرية لليهود فى مصر

اهتم المجتمع اليهودى بالتعليم اهتماما كبيرا، وكانت له مدارسه الخاصة ومناهجه.

وكان التعليم عند اليهود نوعين:

النوع الأول، وهو التعليم الدينى.

النوع الثانى، وهو التعليم غير الدينى.

وبالنسبة للنوع الأول، فقد كانت الدراسة الدينية عند اليهود تعتبر عبادة، فهى عمل من أعمال التقوى، وكان إعطاء الوقت قدر المستطاع للدراسة، ومناقشة النصوص المقدسة، من الأعمال التى تحظى دينيا بالتقدير. لذلك فقد كان على كل فرد يهودى أن يحاول تكريس جزء على الأقل من وقت فراغه للدراسة الدينية. وكانت الدراسة الدينية عند اليهود تعتمد فى جميع مراحل التعليم المختلفة على حفظ النص بدقة، وترتيل النصوص القديمة.

أما بالنسبة للنوع الثانى وهو التعليم غير الدينى، فكان ينقسم إلى قسمين: القسم الأول، وهو ما يختص بالدراسات الفلسفية ـ العلمية، وهى التى تهيئ الفرد خاصة لمهنة الطب. والقسم الثانى، وهو ما يختص بالدراسات الإدارية ـ الأدبية، وهى التى تهيئ الفرد للخدمة الحكومية، وخاصة تولى وظيفة (الكاتب).

ويذكر جويتاين أن التعليم الإدارى على الرغم من أنه كان فى بعض الأحيان يدفع المرء لنيل أعلى المناصب الاجتماعية، إلا أنه لم يكن له نفس مكانة دراسة الفلسفة أو الطب أو ما ارتبط بهما.

ويذكر المؤرخ صاعد الأندلسى أن اليهود اهتموا بالدراسات الدينية، أى علوم الشرائع، وسِيَر الأنبياء أكثر من اهتمامهم بالعلوم الفلسفية وغيرها، وأن اهتمامهم بالعلوم غير الدينية لم تظهر إلا بعدما تفرقوا فى البلاد، واختلطوا بالأمم.

على أية حال، فقد كان التعليم عند اليهود فى العصور الوسطى فى أحيان كثيرة يجمع بين الدراسة الدينية والدراسة غير الدينية. ومن العلماء الذين جمعوا بين الدراستين موسى بن ميمون الذى كان كتابه عن الخلاصة الوافية لقانون الدين اليهودى، عملا رائعاً على نفس مستوى عمله الفلسفى، كما قام أيضا بكتابة كتب عن الطب ـ كما سنرى فيما بعد.

وقد كان من نتائج تشجيع المجتمع اليهودى رجاله على التعليم، أن الآباء كانوا يحرصون على إرسال أولادهم إلى المدرسة. بل كان الآباء يحرصون، خاصة فى عطلة نهاية الأسبوع، على التأكد بأنفسهم من تقدم أبنائهم «حتى يصبح قلبه سعيداً» ـ كما ورد فى إحدى الرسائل.

وتحوى وثائق الجنيزة على أمثلة عديدة لآباء كانوا على سفر يعطون تعليمات لزوجاتهم أو لأقاربهم بخصوص التعليم المناسب لأولادهم، وفى حالات أخرى يشكون من زوجة تركت الطفل يتخلف عن المدرسة ويلعب فى الشارع.

لذلك كانت مصاريف المدرسة من أساسيات ميزانية الأسر اليهودية، حتى الأسر المتواضعة فيها. وكانت المصاريف تدفع عادة فى يوم الخميس، ولذلك عرفت فى ميزانية الأسرة باسم (خميس المدرسة)، ويذكر جويتاين أن يوم الخميس تم اختياره حتى يتمكن المدرس من شراء احتياجاته ليوم السبت المقدس (*).

ويتضح من الوثائق الرسمية لأوراق الجنيزة أن متوسط مصاريف التعليم كانت تقدر بنصف درهم لكل تلميذ فى الأسبوع، أما إذا حضر ثلاثة أخوة بنفس المدرسة فكان يعمل لهم تخفيض.

(*) كان من عادات وتقاليد اليهود ـ كما يقول جويتاين ـ أن الزوج، وليست الزوجة، هو الذى يقوم بالتسوق.

أما التعليم الخاص ـ وهو ما سنتناوله فيما بعد ـ فيظهر من الوثائق أنه كان غالى الثمن، فقد ورد بها أن مدرساً خاصاً رفع صاحب المنزل ـ وهو تاجر غنى ـ راتبه من ١٠ إلى ١٥ درهم فى الأسبوع، أى دينار ونصف فى الشهر، عندما هدد بأنه لن يحضر بعد ذلك. ويعلق جويتاين على هذا المبلغ بأن المدرس الخصوصى، كان يأخذ من التعليم الخاص ما كان يأخذه من تعليم ٣٠ طفلا فى الكتّاب (Kuttab)(*).

وبالإضافة للمصاريف كانت هناك هدايا تعطى للمدرسين فى الأعياد، وعلى سبيل المثال فى عيد الحانوكاه (Hanukkah)، أو عيد الأنوار(**). وقد أشارت الوثائق إلى مدرس خاص تلقى هدايا من جدة تلميذ.

ونظرا لاهتمام المجتمع اليهودى بالتعليم فإنه كان يوفر للأيتام، وأطفال الفقراء، التعليم الخاص بهم؛ وكان يدفع لهم الأجور اللازمة، وكان الأشخاص من ذوى الثقة فقط هم الذين يعيّنون كمدرسين للأيتام. وكانت هذه الوظيفة تضفى على صاحبها شرفا، لذلك نجد فى بعض السجلات أشخاصا يضيفون هذا اللقب إلى توقيعاتهم، وهو «مدرس للأيتام»(***).

أما عن تعليم المرأة، فيظهر من الوثائق أن السيدات المتعلمات كانت نسبتهن ضئيلة، إلى جانب اقتصار تعليمهن على المرحلة الابتدائية.

ففى إحدى هذه الرسائل التى يصف فيها مدرس مشاكله مع صبى مشاكس على وجه الخصوص، نقرأ فيها أن شقيقة الصبى كانت تحضر إلى المدرسة أيضا.

(*) والجدير بالذكر أن أوراق الجنيزة كانت تستخدم كلمة «الكُتّاب» الذى يستعمل فى النظام التعليمى الإسلامى، لتشير إلى المدارس اليهودية.

(**) وعن هذا العيد بالتفصيل أنظر، الموضوع الخاص بالأعياد.

(***) يذكر مارك كوهن أنه فى وقت لاحق (حوالى أواخر القرن ٦هـ/١٢م) أصبح من المألوف ضم أبناء المحتاجين إلى حلقات دروس مشتركة مع الصبيان الذين يدفعون أجور التعليم، وكانت الطائفة اليهودية تدفع أجور هؤلاء المحتاجين.

كذلك فى رسالة أخرى إلى النجيد أو رئيس اليهود فى مصر، اقتراح من امرأة عهد إليها بالاشراف على الفتيات اليتيمات، أن توضع كل فتاتين مع إمرأة تستطيع تعليمهن الفنون النسائية مثل: التطريز، فى حين أن المدرس الخاص سوف يأتى للمنزل لتعليمهن الصلاوات «حتى لا ينشأن كحيوانات برية»، ونلاحظ هنا إدراكها أهمية تعليم المرأة، ووصفها للمرأة غير المتعلمة بأنها كالحيوان البرى.

وهذا الاهتمام بتعليم الفتيات اليتيمات، يوضح أن الطبقات الاجتماعية العليا، كانت تولى اهتماماً أكبر بتعليم الفتيات.

وإلى جانب الرسائل التى تبين لنا وجود فتيات يهوديات متعلمات، هناك رسائل أخرى مبعوثة إلى نساء، تشير إلى أن المرسل إليهن لم يكن يقرأن، وكن يعتمدن على الأقارب أو المعارف من الرجال للتعريف بفحوى الرسائل، وعندما كانت سيدة تقول فى رسالتها: «إننى أكتب إليك»، لم يكن يعنى هذا بالضرورة أنها كتبتها بأيديها.

وكان المدرس فى المجتمع اليهودى يتمتع بالتقدير العالى كما يظهر من سجلات الجنيزة، فكان الآباء يخاطبون المدرسين بصورة محترمة جدا، وليس كموظفين يعملون لديهم، وكذلك كان يفعل المجتمع من كبيره إلى صغيره أى من درجة النجيد إلى ما تحتها.

ففى عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م (زمن الملك العادل الصغير ٦٣٥-٦٣٧هـ/ ١٢٣٧-١٢٣٩م) عندما طلبت الحكومة وفدا من عشرة ممثلين عن المجتمع اليهودى فى مصر لانتخاب داود بن إبراهيم (David) ـ حفيد موسى بن ميمون ـ نجيد، كان من ضمنهم مدرس ـ كما يقول جويتاين ـ معروف لدينا من مصادر أخرى.

وكان افرايم (Ephraim) زعيم اليهود فى الفسطاط خلال النصف الأول من القرن الحادى عشر الميلادى/ الخامس الهجرى (زمن الدولة الفاطمية فى مصر ٣٥٨-٥٦٧هـ/

٩٦٨-١١٧١م)، يخاطب بلقب: (ابن الميلامد(*) شمريا)، أى ابن المدرس شمريا، مما يدل على مكانة المدرس.

ويظهر من الرسائل الكثيرة التى يشكو فيها المدرس تلميذه إلى والده، أن المجتمع اليهودى لم يعط للمدرس سلطة عقاب الطفل، التى كانت من حق الأب فقط.

على أية حال، فالتدريس عموما فى المجتمع اليهودى كان يعتبر مهنة رابحة، تحقق دخلا مالياً لصاحبها، على الرغم من وجود عدد من الرسائل التى تشير إلى العكس. ففى رسالة من مدرس إلى صديقه يشكو فيها من أن تدريسه للتلاميذ يجعله يحصل على قوت يومه بالكاد! أو على حد قوله «نكسب الخبز فقط»، بمعنى أن مهنة التدريس تجعله لا يأكل غير الخبز.

ولكن الكثير من الحالات الأخرى فى الوثائق والسجلات ترينا مدرسين تركوا مبالغ كبيرة من المال لأقاربهم، أو أنهم كانوا يمتلكون جارية، أو جزءا من منزل، كما كانوا يستطيعون إعطاء قروض كبيرة. ففى إحدى أوراق الجنيزة شكوى تدل على أن مهنة التدريس كانت مهنة رابحة، وهى عن تجاوز طبيب وتعديه على حقوق الآخرين، وتقول إنه كان قد اضطلع بتعليم مجموعة من الأطفال بالإضافة إلى مهنته كطبيب، عندما سافر مدرسهم الأصلى. وعندما عاد المدرس رفض الطبيب عودة الأطفال إليه، ويرجع ذلك ـ كما تقول الشكوى ـ إلى الدخل الاضافى الذى حققه من التدريس.

وكان التعليم على وجه العموم، والتعليم الابتدائى على وجه الخصوص، يواجه مشكلة ارتفاع أسعار الكتب نوعا ما، بل ونقصها، على الرغم من أن المدرسين كانوا يزودون تلاميذهم بالكتب، ويرجع ذلك لكونها مخطوطة باليد.

وعن مشكلة نقص الكتب، يذكر جويتاين أن مجموعة من بلدة تنيس، طلبت من صديق فى القاهرة أن يزودهم بكتب معينة، إلا أن الصديق اضطر إلى اخبارهم بأنه لا

(*) الميلامد (ha-Melammed) كلمة عبرية تعنى مدرس.

يستطيع ذلك، وأرسل كتباً أخرى، ونصح أصدقاءه أن يذاكروها إلى أن يتمكن من إيجاد الكتب المطلوبة.

مراكز التعليم عند اليهود:

على أية حال، فقد تمثلت مراكز التعليم عند اليهود فى ثلاثة مراكز:

الأول: المعبد.

الثانى: اليشيفا (Yeshivas) أو الأكاديمية.

الثالث: بيوت المعلمين والطلبة (وهو ما يعرف بالتعليم الخاص).

وبالنسبة للمركز الأول وهو المعبد، فكان يقوم بدور المسجد عند المسلمين. وقد اختص المعبد بالتعليم الابتدائى، لذلك فقد عرف الأطفال الذين يدرسون به باسم (أطفال المعبد).

كذلك اختص المعبد بالتعليم المتوسط، أو تعليم الغلمان ـ كما أطلق عليه جويتاين.

وكانت المدارس العليا ـ فى الغالب ـ تدير مناهجها الدراسية كذلك فى المعبد.

وكانت الدراسة فى المعبد تتم فى أيام العطلات الأسبوعية أو الأعياد، وكان اليهود حريصين على إنارة المعبد طوال الليل حتى يستطيع كل من يرغب فى الدراسة أن يدرس كما يريد.

ففى رسالة عن تعيين شماس للمعبد فى القاهرة كان واجب هذا الشماس الرئيسى، هو إنارة المعبد، حتى يستطيع العلماء أن يدرسوا طوال الليل.

أما بالنسبة للمركز الثانى وهو اليشيفا (Yeshivas) أو الأكاديمية، فيذكر جويتاين أنها كانت مؤسسة خاصة بالتعليم العالى. واليشيفا هى مكان يجلس فيه العلماء ليدرسوا التوراة والقانون المقدس بتوسع، ويصدروا أحكاما رسمية تتعلق بتفسير وتطبيق القانون، كما كانوا ينظرون فى المسائل الدينية والقانونية المقدمة إليهم. وهكذا فإن اليشيفا جمعت بين

الأكاديمية، أى بيوت التعليم اليهودية كما يطلق عليها، وبين المحكمة الدستورية. وأعضاء اليشيفا لا يضعون قانونا (ففى عرفهم أن القانون هو قانون الله)، ولكنهم فقط يقرون مسائل لها أهمية شعبية بتصويت الأغلبية.

وقد وجدت اليشيفا فى ثلاثة أماكن فقط: واحدة فى فلسطين، واثنتان فى العراق فى بلدتى سورا وبومبيديتا(*) مركز الديانة اليهودية. ويذكر جويتاين أن اليشيفا الفلسطينية كانت أقل فى المكانة من اليشيفا العراقية.

وبالنسبة للمركز الثالث من مراكز التعليم عند اليهود، وهو بيوت المعلمين والطلبة. فقد كان يتم التدريس فى بيت المدرس أو المعلم، وفى كثير من الأحيان كان المعلم يؤجر مكانا لهذا الغرض، كذلك كان يتم التدريس فى دور الطلبة وخاصة منازل الأسر الغنية.

ويرجع ظهور نظام التعليم الخاص ـ فى رأى جويتاين ـ إلى وجود عدد من العلماء أو المدرسين الذين لا يشغلون أى وظيفة، فيعملون فى التعليم الخاص.

وكان على المدرس الذى يرغب فى إنشاء مدرسة خاصة به أن يحصل على إذن بذلك، على أن جويتاين لم يذكر ممن يؤخذ هذا الإذن.

مراحل التعليم عند اليهود:

كان التعليم عند اليهود يمر بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: التعليم الابتدائى.

المرحلة الثانية: التعليم المتوسط. (أو تعليم الغلمان كما أطلق عليه جويتاين).

المرحلة الثالثة: التعليم العالى.

وبالنسبة للمرحلة الأولى، فتشير سجلات الجنيزة فى مواضع كثيرة إلى التعليم الابتدائى خاصة خلال القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين (٥ و٦هـ) (زمن

(*) وعن موقع بلدتى سورا وبومبيديتا أنظر، الفصل الخاص برؤساء المجتمع اليهودى.

الدولة الفاطمية فى مصر ٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٨-١١٧١م)، ففى رسالة بعثها رجل من الاسكندرية إلى أحد أقاربه المسافرين فى رحلة، يقول فيها: «أطفالكم فى حالة جيدة، ويذهبون إلى المدرسة كل يوم، وإلى المعبد يوم السبت».

وكان الهدف الرئيسى من التعليم فى المدرسة الابتدائية هو إعداد التلاميذ للقيام بدور فعال فى خدمة المعبد اليهودى، ولذلك فإن المواد الدراسية التى كانت تدرّس فى هذه المرحلة قد وضعت لتخدم هذا الهدف، فقد كان على التلميذ دراسة ما عرف باسم (الترجوم Targum) ويقصد بها الترجمة التفسيرية لنص التوراة أى يترجم العبرية إلى اللغة الأرامية على اعتبار أنه فى العصور القديمة كانت اللغة الأرامية هى اللغة الدارجة، ويذكر جويتاين أنه على الرغم من أن هذه الدراسة أصبحت لا معنى لها عندما لم تعد تستخدم اللغة الأرامية، إلا أنهم ظلوا يدرسونها للأطفال فى هذه السن، فكان على الطفل أن يحفظ النص كما هو بدون فهم(*).

كذلك كان الأطفال يدرسون اللغة العبرية، هذا إلى جانب دراسة الخط العربى(**) والرياضيات بالإضافة إلى القانون المقدس.

ففى رسالة كتبها صبى من ليبيا إلى عمه الذى يقيم إقامة مؤقتة فى مصر، يقول فيها: «.... ولقد ذكرت فى رسالتك أن أولادك يدرسون القانون المقدس والخط العربى واليهودى، فشكراً للرب على ذلك».

(*) تذكر الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف أن طريقة التعليم مأخوذة إلى حد كبير عن الطريقة الإسلامية، فقد كانت الدراسة فى المعاهد الإسلامية فى المراحل الأولى عن طريق الحفظ أيضا.

(**) لاحظ دخول تعليم اللغة العربية والخط العربى إلى جانب الدراسات اليهودية، وفى رأينا أن دخول اللغة العربية فى المواد الدراسية، لم يظهر بصورة واضحة بعد دخول العرب مصر، وإنما بعد تعريب الدواوين، واعتبار اللغة العربية لغة رسمية للبلاد (فى ولاية عبدالله بن عبدالملك بن مروان على مصر ٨٦-٩٠هـ/ ٧٠٥-٧٠٨م)، فكان لابد على اليهود أن يتعلموها إذا أرادوا تولى أى وظيفة فى الدولة.

وتشير الوثائق كذلك إلى اتفاق مكتوب فى قصاصة بين أعوام (٤٩٤-٥٣٤هـ/ ١١٠٠-١١٣٩م) (فى خلافة كل من المستعلى الفاطمى والآمر والحافظ) بخط يد حلفون ابن مناص ها ـ ليفى (Halfon b. Manasse ha-levi) ـ بين أرملة ورجل كبير فى السن، ربما كان تاجراً كبيراً، ولكنه ليس مدرس متخصصاً، لكى يدرس لابنها الخط العربى والرياضة.

وكانت دراسة الخط الغرض منها أن يكتب الصبى الإملاء بدون أخطاء، أما دراسة الرياضيات فكان الغرض منها أن يكون الصبى متمكناً من الحسابات المعقدة جداً.

وعلى الرغم من الإشارات العديدة لدراسة الخط العربى، إلا أن دراسة الرياضيات كانت نادرة ـ كما لاحظ جويتاين.

وقد ذكر جويتاين أن الدراسة فى المرحلة الابتدائية كانت دراسة شاقة جداً لا يقدر عليها سوى الأطفال الأذكياء.

هذا بالنسبة للمرحلة الأولى من نظام التعليم عند اليهود وهى التعليم الابتدائى، أما بالنسبة للمرحلة الثانية ونعنى بها التعليم المتوسط أو تعليم الغلمان، فهى مرحلة مكملة للتعليم الابتدائى، خاصة وأن المدرسة الابتدائية كانت تعتبر مجرد مرحلة تمهيدية.

وكان من أهم ما يدرس فى هذه المرحلة، هو فن الكتابة العربية، خاصة إذا علمنا أن المدارس الابتدائية لم تكن تعلم فن الكتابة بقدر ما كانت تهدف لتعليم القراءة، لذلك فقد كان فن الكتابة يدرس بصورة منتظمة فقط فى المراحل الأعلى فى التعليم المدرسى.

ويذكر جويتاين أن فن الكتابة لا القراءة، والذى كان منتشرا بصورة أكبر، كان هو العلامة المميزة للشخص الذى ينتمى إلى طبقات المتخصصين، فيكون موظفا بالحكومة (أى كاتبا)، أو طبيباً، أو عالم دين. فقد كان الشخص الذى يريد تولى مثل هذه الوظائف عليه أن يتعلم الكتابة العربية.

أما المرحلة الثالثة والأخيرة من مراحل التعليم عند اليهود، فهى مرحلة التعليم العالى. وهو نوعان: تعليم عالى فى الأكاديمية أو اليشيڤا (Yeshivas) كما ذكرت فى موضع سابق، وتعليم عالى محلى أى فى كل بلد.

ففى البداية كان على كل من يرغب من اليهود فى مواصلة تعليمه العالى، أن يسافر إلى العراق أو فلسطين لينضم إلى اليشيڤا.

وعن نظام التعليم فى اليشيڤا (Yeshivas) أو الأكاديمية، يتضح مما ذكره جويتاين أن اليشيڤا كمبنى تعليمى كان يضم بين جوانبه إلى جانب الطلبة، مجموعة من العلماء أى المعلمين وموظفين مساعدين، وعلى رأسهم رئيس يعرف باسم الجاؤون (Gaon)(*).

وكانت اليشيڤا ترأسها لجنة مكونة من ثلاث، وفقاً للدور الثلاثى الذى تلعبه: كمحكمة عليا، ومؤسسة تعليمية، وكيان تشريعى، وهؤلاء الثلاث هم: الجاؤون ـ وكما ذكرت ـ هو رئيس الأكاديمية. ثم رئيس المحكمة أو الأب، وهو نائب الجاؤون، وكان يحل محل الجاؤون بعد مماته، فهو الرجل الثانى بعد الرئيس. وأخيرا الكاتب، وهو المسئول عن صياغة أجوبة الأسئلة التى كانت توجه إلى اليشيڤا.

وبالإضافة إلى رئيس الأكاديمية ومساعديه، كانت اليشيڤا تضم علماء أو مدرسين، ولم يكن هناك حد لعددهم على الرغم من أن عضوية اليشيڤا اقتصرت على عضوية سبعين عضوا فقط. وهؤلاء العلماء ـ كما يفهم مما ذكره جويتاين ـ كانوا يعملون، إلى جانب عملهم فى اليشيڤا، كموظفين، أو مشاركين فى تجارة أو حرفة، لذلك فلم يكونوا يعيشون بصفة دائمة فى بيوت اليشيڤا.

وكان على رأس هؤلاء العلماء، سبعة علماء، كل منهم مسئول عن إحدى الصفوف ويعرف باسم (رأس الصدر) (Rosh ha-Seder).

(*) وعن وظيفة الجاؤون بالتفصيل أنظر، الفصل الخاص برؤساء المجتمع اليهودى.

أما أقل المدرسين مستوى فى اليشيڤا فهم من عرفوا باسم (التانايم) Tannaim وتعنى الذين يعيدون أو يكررون. وهم أشخاص كانوا يحفظون أجزاء من المشنا أو التلمود بترتيل صحيح حفظاً جيداً، وكانوا يدربون التلاميذ على حفظ النص. وكقاعدة عامة لم يكن المكررون رجالا متعلمين، وإنما كانوا فى العادة صبية ممن فقدوا البصر، ولكن لهم ذاكرة جيدة على الحفظ، حيث كان يتم تعليمهم لهذا الغرض.

وكان الطلبة الذين يدرسون فى اليشيڤا يعرفون باسم (أبناء السيد)، أو (أبناء منزل سيدهم)، على اعتبار أنهم ـ كما يقول جويتاين ـ كانوا يحتاجون إلى الإرشاد والاشراف من معلمهم.

وكان لليشيڤا مدارس ملحقة بها تعرف باسم ميدراش (Midrash) أى مدرسة، ويرى جويتاين أن هناك صلة بين هذه الكلمة وكلمة «مدرسة» التى تشير إلى بيوت المسلمين للتعليم.

ورؤساء المدارس كانوا يأتون فى المكانة بعد رؤساء الصفوف.

ويذكر جويتاين أن الدراسة فى اليشيڤا كانت شهرين فى العام، وبالتحديد شهر فى نهاية الصيف، وشهر فى نهاية الشتاء، حيث كان يتطلب من كل فرد الحضور.

وعن نظام التعليم بها يقول الدكتور عطية القوصى، نقلا عن ناتان البابلى: «وخلال أسابيع أربعة تعقد جلسات علمية تحت اشراف الجاؤون، ويجلس الحاضرون فى سبعة صفوف يحتوى كل صف على عشرة أشخاص كل حسب درجته الدينية، ويشكل هؤلاء السبعون مجلس العلم، ويقومون بمدح السنهدرين (المجلس الدينى الأعلى لليهود). ويجلس خلف هؤلاء السبعين أربعمائة من الحواريين، ويبدأ الجلسة أحد المعلمين بسؤال خاص بتشريعات التلمود التى تكون قد درست فى الاجتماع الفائت، ويجيب أفراد الصف الأول عن هذا السؤال، ثم يقوم الرئيس بتلخيص الموضوع وشرحه. وعادة ما يطرح الرئيس مواضيع للمناقشة. ويقوم رجال الصف الأول بالمناقشة المطولة فيها، ويشترك أفراد الصف

الثانى أيضا فى المناقشة. وخلال الأسبوع الأخير يقوم الجاؤون بامتحان الدارسين، ومن يرسب فى الامتحان يعنفه الجاؤون بشدة لتراخيه وكسله، وربما يتعرض لانقاص معاشه. وفى آخر المدة يطلب الجاؤون من الجميع دارسة موضوع محدد فى التشريع اليهودى للاجتماع المقبل».

هذا بالنسبة لنظام التعليم فى اليشيڤا أو الأكاديمية، أما عن نظام التعليم المحلى، فيذكر جويتاين أن التعليم العالى المحلى لم يكن يظهر إلا عندما يكبر المجتمع اليهودى وبالنسبة لمصر، فإن قرب الأكاديمية الفلسطينية منها أدى إلى عدم وجود داع لوجود تعليم عالى محلى فى الفسطاط، لكن فى الثلث الأخير من القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى)، وخاصة عندما هبط مستوى اليشيڤا الفلسطينية، أسس العالم اليهودى شمريا بن الحنان(*) (Shemarya b. El hanan) مدرسة للتعليم العالى فى الفسطاط، نافس بها اليشيڤا الفلسطينية، إلا أنها لم تكن مثل اليشيڤا كما أشار هو بنفسه إليها بلفظ ميدراش، ثم عاد وأعلن خطأه واعترف بسلطة اليشيڤا الفلسطينية خاصة عندما صدرت مجموعة من الإدانات ضده.

ويذكر مارك كوهن أن يهود مصر عندما كانوا يرغبون فى التعليم العالى دون الحاجة إلى مغادرة بلادهم، كان بإمكانهم اتمام هذا النوع من التعليم فى نطاق دروس جرت فى المعبد، أو الحصول على دروس خصوصية لدى أحد الحاخاميين المحليين.

على أية حال، فإن ظهور المعاهد العليا المحلية ـ كما يقول جويتاين ـ لم يكن يعنى خراب الياشيڤات العالمية.

ولقد صنف أحد الرحالة العراقيون اليهود، متعلمى التعليم العالى من اليهود فى مصر فى منتصف القرن ٦هـ/١٢م إلى ثلاث فئات:

(*) وهو أول من تولى منصب رئيس اليهود فى مصر وذلك زمن الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م). وعنه بالتفصيل أنظر، الموضوع الخاص برؤساء اليهود فى مصر.

الفئة الأولى: وهى المجاميع الكبيرة وربما يعنى الغالبية.

الفئة الثانية: الدارسون أو العلماء.

الفئة الثالثة: الأطباء.

وبالنسبة للفئة الأولى وهى الغالبية فكانت قد تعلمت: القانون الشفهى والمكتوب أى الكتب الخمسة لموسى، وكتاب الصلوات الذى يتألف من الوصايا الدينية والتى تتصل بالصلوات وتقديس يوم السبت والأجازات.

أما الفئة الثانية وهم الدارسون أو العلماء، فهم يدرسون بالإضافة لما يطلق عليه اسم «بنتاتوخ» (Pantateuch)، الأجزاء الأخرى من الكتاب المقدس بالإضافة للطقوس الدينية والقانون. وقد عرّف جويتاين العالم أو الدارس بأنه هو الرجل الذى درس الكتاب المقدس بأكمله، وبخاصة كتب الأنبياء، وكان عليه أيضا أن يعرف القانون المدنى والدينى. وهكذا كان العالم يستطيع أن يلقى موعظة، وأن يخدم فى وظيفة مساعد قاضى.

وبالنسبة للفئة الثالثة والأخيرة فهى الأطباء، وهم أعلى المستويات ـ كما يقول الرحالة العراقى ـ وكانوا يدرسون المشنا والتلمود.

أما عن مناهج الدراسة عموما فى التعليم العالى، فإن دراسة الكتاب المقدس العبرى مع الشرح ومع ترجمة له باللغة الأرامية ـ كان يشكل أكبر جزء فى المنهج العام لأى رجل متعلم.

وكان يرتبط بالدراسة السابقة دراسة اللغة العبرية: ألفاظها، ونحوها، وتطبيقها على كتابة الرسائل والأشعار، كذلك ترجمة أجزاء عديدة من الكتاب المقدس إلى العربية.

كذلك دراسة القانون المدنى والدينى، وما يتعلق به من دراسة الصياغات القانونية، وإجراءات المحاكم، وواجبات القاضى وما شابه تلك المواضيع.

وكان الأشخاص الذين يعدّون أنفسهم ليكونوا قضاة، وزعماء روحيين هم فقط الذين يدرسون التلمود باستفاضة.

ولم تكن دراسة الفلسفة وغيرها من العلوم، تشكل جزءا من المنهج الإعتيادى فى الدراسات العليا اليهودية، وكانت بالأحرى تنتمى لمجال التعليم الدينوى. ويرى جويتاين أن دراسة الفلسفة وغيرها من العلوم كانت تهم الأشخاص الذين هيئوا أنفسهم لمهنة الطب.

تناولنا فى الصفحات القادمة الحياة العلمية لليهود فى مصر، والمتمثلة خاصة فى التعليم، وذلك من خلال مراكز التعليم المختلفة لليهود، ومراحل التعليم عند اليهود، والمناهج الدراسية فى كل مرحلة، وهى حياة منفصلة عن الحياة العلمية للمسلمين كما لاحظنا.

ويتضح مما ذكر فى المصادر الإسلامية أن اليهود كانوا يدخلون مدارس المسلمين وكتاتيبهم، فقد ذكرت أن الخليفة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م) قد أصدر قرارات متكررة لمنع دخول أولاد غير المسلمين إلى كتاتيب المسلمين، وأن لا يعلمهم مسلم، وذلك منذ عام ٢٥٣هـ/٨٤٩م إلى عام ٢٤٠هـ/٨٥٤م.

بل نجد أن هذا المنع قد تعدى إلى منعهم من تعلم اللغة العربية، وهو ما يعنى عدم تمكين غير المسلمين من تولى الوظائف، خاصة بعد أن صارت اللغة العربية لغة رسمية بعد تعريب الدواوين زمن الخليفة عبدالملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٤-٧٠٥م).

وقد شهدت مصر فى فترة الدراسة عدداً كبيراً من العلماء اليهود فى فروع العلوم المختلفة الدينية منها وغير الدينية، وكان لهم دور فى الحضارة الإسلامية، وحظوا باهتمام المؤرخين المسلمين.

سعديا بن يوسف الفيومى[1] (Saadya b. Joseph):

كان من أفاضل اليهود وعلمائهم المتمكنين من اللغة العبرية. والفيومى كما يظهر من لقبه من الفيوم بمصر، وقد تعلم فى أكاديمية سورا (Sura)[2]، واستطاع بفضل علمه أن يتولى منصب جاؤون أكاديمية سورا وذلك فى عام ٣١٦هـ/٩٢٨م - كما ذكرت فى فصل سابق.

وسعديا أو سعيد الفيومى ألف عدداً من الكتب اليهودية باللغة العربية، فكان له مؤلفات فى العقائد والمذاهب، كما قام بأول ترجمة عربية للتوراة مع إضافة بعض التعليقات والتفسيرات والشروح لبعض محتوياتها، حتى يسهل على عامة اليهود فهمها واستيعاب ما جاء فيها. كما قام بدراسة علمية لقواعد اللغة العبرية، وصنف معجماً لها مع ما يقابلها باللغة العربية، أى أنه صنف قاموساً عبرياً عربياً. وهو أول من اهتم بدراسة الفلسفة وإدخالها بين الدراسات اليهودية، ومن ثم يعتبر مبتدع الفلسفة الدينية فى العصور الوسطى. كما تبحر فى دراسة التلمود الذى يتضمن شرائع وسنن اليهود.

ومن كتبه - كما يقول النديم -: كتاب الشرائع، وكتاب تفسير اشعياء، وكتاب تفسير التوراة، وكتاب الأمثال وهو عشر مقالات، وكتاب تفسير أحكام داود، وكتاب تفسير النكت، وهو تفسير زبور داود عليه السلام، وكتاب تفسير السفر الثالث من النصف الآخر من التوراة مشروح، وكتاب تفسير أيوب، وكتاب إقامة الصلوات والشرائع وغيرهم.

---

(١) ذكر الدكتور عبدالوهاب المسيرى أن سعديا الفيومى كان فى الفترة ما بين أعوام (٢٦٩-٣٣١هـ/ ٨٨٢-٩٤٢م). أما الدكتورة فاطمة عامر فقد ذكرت أنه كان ما بين أعوام (٢٧٩-٣٣١هـ/ ٨٩٢-٩٤٢م)، وذكر الدكتور عطية القوصى أنه كان ما بين أعوام (٢٧١-٣٣١هـ/ ٨٨٤-٩٤٢م).

(٢) سورا: موضع بالعراق من أرض بابل، وهى قريبة من الوقف والحلّة المَزْيَدِيَّة. وعن أكاديمة سورا وأكاديمية بومبيديتا أنظر، الفصل الخاص برؤساء المجتمع اليهودى (الجاؤون).

شمريا بن الحنان(*) (Shemarya b. Elhanan):

كان واعظا مشهورا امتاز بمواعظه وخطاباته وشروحه وتفاسيره لكثير من الأمور الدينية.

وهو أول من تولى منصب رئيس اليهود فى مصر زمن الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م). وقد أسس مدرسة (كلية) للتعليم العالى فى الفسطاط ـ كما ذكرت سابقا ـ كان يشير إليها بلفظ «مدراش» Midrash وذلك فى أواخر القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى.

وقد توفى شمريا بن الحنان عام ٤٠٢هـ/ ٣١ ديسمبر ١٠١١م.

موسى بن ميمون الطبيب:(**)

وهو الرئيس أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي. كان يهوديا عالما بسنن اليهود، ويعد ـ كما يقول ابن أبى أصيبعة ـ من أحبارهم وفضلائهم. تولى منصب رئيس اليهود فى مصر من عام ٥٩٢هـ/١١٩٥م زمن الملك العزيز عثمان (٥٨٩-٥٩٥هـ/ ١١٩٣-١١٩٨م) إلى عام ٦٠١هـ/١٢٠٤م أى إلى وفاته زمن الملك العادل أبى بكر بن أيوب (٥٩٦-٦١٥هـ/ ١١٩٩-١٢١٨م).

وقد عين بواسطة الحكومة المصرية فى ذلك الوقت كرئيس لليهود، وحمل لقب «رئيس» (Ra'is).

وبتوليه منصب رئيس اليهود، صار فى إمكانه الإفتاء، فكانت تصله رسائل اليهود تسأله الفتوى، وتطلب منه الحل لمشاكلهم الدينية، وقد خصص لنفسه يوم السبت من كل أسبوع لاستقبال رجال الدين اليهود ليعطيهم إرشاداته لباقى الأسبوع، إذ كان هذا اليوم (أى يوم السبت) مخصصاً للخدمة الدينية، أما باقى الأسبوع فكان لممارسة مهنة الطب.

(*) أنظر عنه كذلك فى الفصل الخاص برؤساء المجتمع اليهودى.

(**) أنظر عنه فى الموضوع الخاص بأطباء اليهود باعتباره كان طبيبا، كذلك فى الفصل الخاص برؤساء المجتمع اليهودى.

ويرى د. عطية القوصى أن موسى بن ميمون كان هو المؤسس الحقيقى للديانة اليهودية، وواضع أسس هذه العقيدة، ومثبت أركان الايمان بها، ولذلك رفعه اليهود إلى مرتبة النبوة وأطلقوا عليه «النبى موسى الثانى». فقد أعاد تنظيم العقيدة اليهودية، كما أعاد ترتيب التلمود، فعمل على استخلاص الأحكام الشرعية والفتاوى منه، وتخليصها مما يتخللها من استطردادات وحكايات وأساطير.

ويعتبر د. عطية القوصى كتب موسى بن ميمون الدينية هى سر شهرته وعظمته بين يهود العالم، فقد استطاع فيها أن يوفق بين التوراة والتلمود، وأن يشرح الحقائق الرئيسية للديانة اليهودية فى العقيدة والتشريع، كما عمل على تبسيط التعاليم اليهودية للناس، بعد أن استعصى فهمها على اليهود بسبب كثرة التضارب فى كتبهم المقدسة، كما حاول فى كتاباته أن يقرب بين طائفتى الربانية والقرائين اليهوديتين(*).

ومن أهم كتب موسى بن ميمون الدينية: كتاب «المثنا المبسّطة»، وكانت أول محاولة لوضع مشناه مبسطة للعامة. ثم كتاب «مشنا توراة» وقد عرف بالتوراة الثانية عند اليهود، ولقد قسمه إلى أربعة عشر جزءاً، أوضح فيها التعاليم اليهودية ببساطة، وصاغ فيها كل أحكام التلمود والمشناه والتوراة بأسلوب عبرى سهل واضح دقيق. ويعد كتاب «مشنا توراة» من أبرز الكتب الأدبية فى العالم، وكان موسى بن ميمون قد ألفه عام ٥٧٦هـ/١١٨٠م زمن الناصر صلاح الدين الأيوبى (٥٦٧-٥٨٩هـ/ ١١٧١-١١٩٣م). وربما يكون هذا الكتاب هو الذى ذكره ابن أبى أصيبعة فى كتابه، فقد ذكر أن من كتبه: كتاب كبير على مذهب اليهود.

ومن كتب موسى بن ميمون الدينية كذلك: كتاب «الدلالة» أو «دلالة الحائرين»، وهو من أهم كتبه على الإطلاق، وفيه مزج بين التعاليم اليهودية وفلسفة أرسطو. وقد ذكر

(*) وعن فرقة الربانيين وفرقة القرائين، وعن التلمود والمشناه والتوراة أنظر، الفصل الخاص بالحياة الدينية لليهود فى مصر.

ابن أبى أصيبعة أن عبداللطيف البغدادى رأى هذا الكتاب وذلك فى أثناء زيارته لمصر، وأن موسى ابن ميمون لعن من يكتبه بغير القلم العبرانى.

إبراهيم بن سهل التسترى:

وقد ذكره صاعد الأندلسى من ضمن العلماء بشريعة اليهود.

الكتاب اليهود

ذكرت سابقا أن من أنواع دراسات اليهود غير الدينية كان ما يختص بالدراسات الإدارية ـ الأدبية، وهى التى تهيأ الفرد للخدمة الحكومية، وخاصة تولى وظيفة الكاتب، كما ذكرت سابقا أن اللغة العربية وتعليم الخط العربى كان من ضمن المناهج اليهودية ابتداء من المرحلة الابتدائية. وقد رأيت أن اهتمام اليهود بتعليم اللغة العربية والخط العربى لأولادهم، يرجع إلى تعريب الدواوين فى ولاية عبدالله بن عبدالملك بن مروان على مصر عام (٨٦-٩٠هـ/ ٧٠٥-٧٠٨م)، حتى يتسنى لهم تولى الوظائف فى الدولة.

والمقصود بالكتّاب اليهود هنا ليس من يتمكنون من كتابة اللغة العربية فقط، وإنما من يتمكنون كذلك من كتابة اللغة العبرية، فالكتّاب اليهود كانوا ينتمون إلى ثلاثة أنواع كما يقول جويتاين:

النوع الأول، وهو كاتب الحكومة: الذى كان يشار إليه باللفظ العربى (كاتب)، والذى كان بالطبع قد تدرب بصورة رئيسية على الخط العربى، على الرغم من أن بعضهم قد تميز أيضا فى الخط العبرى. فوظيفة الكاتب كانت تتطلب ممن يتولاها أن يكون دارسا للخط العربى واللغة العربية وبعض الأدب، ويحتمل أيضا دراسة بعض الموسوعات والكتيبات الخاصة بموضوع الإدارة والتى كتبت خصيصا لاستعمال الكتبة.

النوع الثانى، الخطاط العبرى: الذى كان غالبا يعرف العربية الفصحى معرفة بسيطة، وكان يمكن أن يعمل أيضا ككاتب محكمة، أو كاتب أعمال ومراسلات خاصة، أو

كناسخ للكتب، أو فى بعض أو كل هذه الأعمال معا، وكان يعرف باسم سوفير (Sofer) وهى كلمة عبرية تعنى أديب.

النوع الثالث، الناسخ الممتاز: الذى كان يعرف بلقب (ناسخ)، وهو لفظ عربى، وكان ينطبق بصفة خاصة على خبراء النسخ لنصوص الكتاب المقدس، وكان الناسخون متخصصون.

وفى الصفحات القادمة سنتناول أسماء اليهود الذين انتموا إلى كل نوع على حدة فى حدود ما ذكرته المصادر والمراجع.

وبالنسبة للنوع الأول وهم كتّاب الحكومة، فالمقصود بهم كتّاب ديوان الإنشاء اليهود أى الذين تولوا ديوان الإنشاء. وهنا يجدر بنا أن نشير أولاً إلى المراحل التى مر بها ديوان الإنشاء فى مصر.

يذكر القلقشندى أن ديوان الإنشاء فى مصر (خاصة فى فترة دراستنا من الفتح العربى إلى نهاية الدولة الأيوبية) قد مر بأربع مراحل:

المرحلة الأولى: وتمتد من الفتح العربى إلى بداية الدولة الطولونية (٢٠-٢٥٤هـ/ ٦٤١-٨٦٨م).

المرحلة الثانيـة: وتبدأ مع قيام الدولة الطولونية على يد مؤسسها أحمد بن طولون، وتنتهى بانقراض الدولة الاخشيدية (٢٥٤-٣٥٨هـ/ ٨٦٨-٩٦٨م).

المرحلة الثالثة: وهى فترة الخلافة الفاطمية (٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٨-١١٧١م).

المرحلة الرابعة: وهى فترة الدولة الأيوبية (٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م).

وبالنسبة للمرحلة الأولى فلم يكن لهم عناية بديوان الإنشاء، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن الولاة لم يكن لهم سلطة تامة فى شئون البلاد إلاّ بعد مراجعة مركز الخلافة، هذا بالإضافة إلى أن اللغة العربية كانت فى محيط ضيق لا يتحدث بها إلاّ قبائل العرب وبعض

الموالى، وأن اللغة الرسمية فى مصر كانت اليونانية حتى أمر عبدالملك بن مروان بتعريبها عام ٨٧هـ/٧٠٥م.

وبالنسبة للمرحلة الثانية التى مر بها ديوان الانشاء فى مصر، فتبدأ مع قيام الدولة الطولونية، وقد ترتب ديوان الانشاء بها مع اهتمام أحمد بن طولون به، بحيث نافس به ديوان الانشاء فى بغداد.

وكان من شدة رغبة أحمد بن طولون (٢٥٤-٢٧٠هـ/ ٨٦٨-٨٨٣م) أن تصدر الرسائل على درجة كبيرة من الاتقان، أنه أنشأ ديوان (التصفح) لمراجعة ما يكتبه كتّاب الإنشاء.

أما بالنسبة للمرحلة الثالثة وهى فترة الخلافة الفاطمية (٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٨-١١٧١م)، فقد اهتم الفاطميون - منذ تولوا الديار المصرية - بديوان الإنشاء(*) وكتّابه. وولى ديوان الإنشاء جماعة من أفاضل الكتّاب وبلغائهم ما بين مسلم وذمى.

وأخيرا بالنسبة للمرحلة الرابعة وهى فترة الدولة الأيوبية (٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م)، فقد اهتم الأيوبيون كذلك بديوان الإنشاء فى مصر.

والحقيقة فإن المصادر العربية كانت ضنينة جداً فى ذكر أسماء الكتّاب اليهود، بل إن أسماء معظم الكتّاب اليهود ترجع إلى فترة الدولة الفاطمية التى كانت تهتم بأهل الذمة - كما رأينا فى فصل سابق. فهل ترجع قلة أسماء اليهود فى المصادر العربية إلى أن اليهود لم يكونوا يهتمون كثيراً بتولى هذه الوظيفة، خاصة وأنها كانت تتطلب مهارات عالية فى فن النثر؟ أو لأن هذه الوظيفة قد صادفت بعض العقبات التى وضعها بعض الفقهاء، عندما اشترطوا على مَن يتولاها أن يكون مسلما. فيذكر القلقشندى أن هناك مجموعة من الصفات عددها عشر يشترط أن تكون فى الكاتب، أولها الإسلام، وذلك «ليؤمن فيما

(*) وقد عرف ديوان الإنشاء فى أوائل العصر الفاطمى باسم «ديوان الرسائل».

يكتبه ويُمْليه، ويُوثَق به فيما يَذَره ويأتيه، إذ هو لسان المملكة، المرهب للعدو بوقع كلامه، والجاذب للقلوب بلطف خطابه، فلا يجوز أن يولّى أحد من أهل الكفر، إذ يكون عيناً للكفار على المسلمين، ومُطْلعا لهم على خفاياهم، فيصلون به إلى ما لا يمكن استدراكه. وقد قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ... ﴾(*) والمراد بالبطانة فى الآية - كما يقول القلقشندى - من يطّلع على حال المسلمين، كالإطلاع على مقدار خزائنهم من المال، وأعداد جيشهم من الخيل والرجال».

ويرى الشافعى أنه «ما ينبغى لقاضٍ ولاوال أن يتخذ كاتباً ذمياً، ولا يضع الذمى موضعا يَفْضُل به مسلماً. ويَعِزُّ على المسلمين أن يكون لهم حاجة إلى غير مسلم».

وجزم الماوردى والقاضى أبو الطيب وابن الصباغ وغيرهم من أصحاب الشافعية أنه يشترط فى كاتب القاضى أن يكون مسلماً وهو الأصح الذى عليه الفتيا فى المذهب. وإذا اشترط الإسلام فى كاتب القاضى والوالى، ففى كاتب السلطان أولى لعموم النفع والضر به.

وذكر القلقشندى أن أبا الفضل الصورى قال: «ولا شك أن كاتب الإنشاء من أحوج الناس إلى الاستشهاد بكلام الله تعالى فى أثناء محاوراته، وفصول مكاتباته، فإذا كان الكاتب غير مسلم، لم يكن لديه من ذلك شئ، وكانت كتاباته خالية مما يتبرك به أهل الايمان والإسلام.

هذا العرض لآراء الفقهاء عن سبب اعتراضهم على تولى أهل الذمة لمنصب متولى ديوان الإنشاء، يفسر ندرة أسماء من تولوا هذه الوظيفة من اليهود فى المصادر العربية.

على أية حال، فإن وجود بعض الأسماء حتى ولو كانت قليلة من اليهود الذين تولوا هذه الوظيفة تعد - فى رأينا - دليلا على أنهم كانوا شديدى البراعة فى فن النثر الذى كان

(*) سورة آل عمران آية رقم ١١٨.

يتطلب دراسة ومعرفة وثيقة بمفردات اللغة العربية. فالنثر ـ كما هو معروف ـ هو الكتابة الفنية التى يتعمد فيها الكاتب الأناقة فى التعبير، ومحاولة السمو بالأسلوب إلى مستوى رفيع، وصياغة صور فنية لا تختلف عن الصور التى فى الشعر.

فمن الطبيعى أن هذه البراعة هى التى أتاحت لهم فرصة العمل فى ديوان الإنشاء. وإذا علمنا أن هذا المنصب كان لا يتولاه إلاّ أجلّ كتاب البلاغة تأكد لنا هذا الرأى.

وقد أشار القلقشندى فى كتابه ـ نقلا عن ابن الطوير ـ إلى سلطة صاحب من يتولى هذا المنصب زمن الدولة الفاطمية، فيقول:

«وهو أول أرباب الاقطاعات فى الكسوة والرسوم والملاطفات، ولا سبيل أن يدخل إلى ديوانه أحد، ولا يجتمع بأحد من كتّابه إلاّ الخواص، وله حاجب من الأمراء الشيوخ، وله فى مجلسه المرتبة العظيمة والمَخَادّ والمِسْنَد، والدواة العظيمة الشأن، ويحمل دواته أستاذ من خواص الخليفة عند حضوره إلى مجلس الخلافة».

ويقول فى موضع آخر: «وإليه تسلم المكاتبات الواردة مختومة فيعرضها على الخليفة فى يده، وهو الذى يأمر بتنزيلها والإجابة عنها، ويستشيره الخليفة فى أكثر أموره، ولا يُحْجب عنه متى قصد المثول بين يديه، وربما بات عنده الليالى».

وكان لقب متولى هذه الوظيفة يعرف بصاحب ديوان الإنشاء، أو كاتب الدَّسْت[1] الشريف فى الدولة الفاطمية.

وفى الصفحات القادمة سنتناول أسماء الكتّاب اليهود الذين تولوا ديوان الانشاء.

(١) والدست نسبة إلى دست السلطان وهو مرتبة جلوسه لجلوسهم للكتابه بين يديه. وهذا فى زمن القلقشندى المتوفى عام ٨٢١هـ/١٤١٨م.

يعقوب بن كلس:[1]

كان من كتّاب كافور الاخشيدى (٣٥٥-٣٥٨هـ/ ٩٦٥-٩٦٨م)(*). ويبدو أن ابن كلس تولى ديوان الإنشاء إلى جانب توليه منصب الوزارة(**)، وذلك فى زمن العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م) كما يفهم ذلك من القلقشندى الذى يقول: «وممن اشتهر من وزرائهم أرباب الأقلام فيما ذكره ابن الطوير: يعقوب بن كلس وزير العزيز». ويقول السيوطى: «فكتب للعزيز بن المعز وزيره ابن كلس».

ابن أبى الدم اليهودى:

وهو أحد كتّاب الإنشاء فى أيام الخليفة الآمر بأحكام الله (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١١٩م) كما أجمعت على ذلك المصادر العربية والمقريزى فى كتابه (اتعاظ الحنفا)، وإن كان المقريزى قد ذكر فى كتابه (الخطط) أنه أحد كتاب الانشاء زمن الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م).

إبراهيم بن سهل التسترى أبو سعيد:

ذكر القلقشندى فى كتابه، نقلا عن ابن الطوير، أن ممن اشتهر من وزرائهم (أى الفاطميين) أرباب الأقلام[2]: أبو سعيد التسترى.

(١) أنظر عنه بالتفصيل، فى الفصل الخاص باليهود والإدارة فى مصر.

(*) وهو أبو المسك كافور بن عبدالله الاخشيدى، كان عبدا ـ أسود اللون شديد السواد ـ لبعض أهل مصر، ثم اشتراه أبو بكر محمد بن طغج الاخشيد عام ٣١٢هـ/٩٢٤م بمصر، وترقى عنده إلى أن جعله أتابك ولديه. ولما توفى الاخشيد تولى مملكة مصر والشام ولده الأكبر أبو القاسم أو نوجور (محمود بالعربية)، وقام كافور بتدبير دولته أحسن قيام، إلى أن توفى أونوجور عام ٣٤٩هـ/٩٦٠م وحمل إلى القدس ودفن عند أبيه، وتولى بعده أخوه أبو الحسن على، فاستمر كافور على نيابته إلى أن توفى «على» عام ٣٥٥هـ/٩٦٥م وقيل عام ٣٥٤هـ/٩٦٥م. وقد استقل كافور بالمملكة من هذا التاريخ. وكان وزيره أبا الفضل جعفر بن الفرات. ولم يزل مستقلا بالأمر إلى أن توفى عام ٣٥٦هـ/٩٦٦م وقيل عام ٣٥٥هـ/٩٦٥م وقيل عام ٣٥٧هـ/٩٦٧م. ودفن بالقرافة الصغرى وقبته مشهورة هناك. وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر إلا سبعة أيام.

(**) تذكر الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف أن يعقوب بن كلس تولى ديوان الإنشاء بصفته مسلماً.

(٢) أرباب الأقلام: هم الكتّاب، وسموا بذلك لأنهم يعملون بأقلامهم، وكانوا يتولون الوزارة، ومنهم كتّاب ديوان الإنشاء، وكتاب السر، وكتاب الدست.

والحقيقة أن أبا سعيد التسترى لم يتول منصب الوزارة، وإنما كان يتولاها صدقة بن يوسف الفلاحى، وكان أبو سعيد سالباً لسلطات منصبه.

فهل قصد القلقشندى أنه كان الوزير الفعلى، ولذلك عدّه من ضمن الوزراء حملة الأقلام؟، أو أنه أخطأ فى الاسم، وكان يقصد الحسن بن إبراهيم بن سهل التسترى (أبو على) الذى تولى الوزارة فعلا عام ٤٥٦هـ/١٠٦٣م زمن المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٨-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م)؟[1]

هذا بالنسبة لكتّاب الحكومة الذين تولوا ديوان الإنشاء، أما بالنسبة للنوع الثانى وهم الخطاطون فيذكر جويتاين أن أكثر الخطاطين إنتاجا فى سجلات الجنيزة، والذى حفظ لدنيا بخط يده مئات المخطوطات هو:

حلفون ها. ليفى بن مناص ابن القطائف (Halfon ha-levi b. Manasse Ebn al-Qataif):

تاريخ الوثائق التى كتبها مؤرخه ما بين أعوام ٤٩٤-٥٣٣هـ/ ١١٠٠-١١٣٨م أى فى خلافة كل من المستعلى بالله الفاطمى والآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله (٤٨٧-٥٤٤هـ/ ١٠٩٤-١١٤٩م). ويذكر جويتاين أنه كان قد نسخ باللغة العبرية كتاباً عربيا متداولاً لمؤلف مسلم (لم يذكر اسمه) من القرن ٤هـ/١٠م، لم يتم العثور على أصل الكتاب حتى الآن.

هليل بن إيلى (Hillel b. Eli):

كان يتولى منصب «منشد» أو «حزان»(*) فى بغداد. وهو والد زوجة حلفون السابق ذكره. وتاريخ الوثائق التى كتبها مؤرخه ما بين أعوام ٤٥٩-٥٠٢هـ/ ١٠٦٦-١١٠٨م أى فى خلافة كل من المستنصر بالله الفاطمى والمستعلى بالله والآمر بأحكام الله (٤٢٨-٥٢٤هـ/ ١٠٣٦-١١٢٩م).

---

(١) أنظر عن هذا الموضوع بالتفصيل فى الفصل الخاص باليهود والإدارة فى مصر.

(*) وعن وظيفة المنشد أو الحزان أنظر، الفصل الخاص برؤساء المجتمع اليهودى.

صدقة بن يوسف بن على الفلاحى:

قال عنه ابن الصيرفى فى كتابه: «إنه كان «موصوفا» بالبراعة فى صروف الكتابة». إلاّ أنه لم يشر إلى توليه ديوان الإنشاء فى مصر، فهل كان كاتبا خاصاً؟

كاتبان يهوديان مجهولان عند شمس الملك:

لم يذكر المسبحى اسمهما، وإنما ذكر أنه فى عام ٤١٥هـ/١٠٢٤م (خلافة الظاهر الفاطمى ٤١١-٤٢٨هـ/ ١٠٢٠-١٠٣٦م) توفى الأخوان اللذان كانا يعملان بالكتابة عند شمس الملك[1]، ودفنا فى مقابر اليهود.

ويبدو أنهما كانا يعملان ككاتبين خاصين عند شمس الملك.

ابن جميع الطبيب:[2]

ذكر المقريزى فى كتابه، نقلا عن ابن عبدالظاهر، أن ابن جميع الطبيب كان يكتب لقراقوش(*).

---

(١) وهو الوزير أبو الفتح المسعود بن طاهر بن الوزان الملقب بشمس الملك المكين الأمين. تولى الوزارة ـ كما يقول المقريزى ـ عام ٤١٤هـ/١٠٢٣م.

(٢) وعنه بالتفصيل أنظر، الموضوع الخاص بالأطباء اليهود.

(*) وهو أبو سعيد قراقوش بن عبدالله الأسدى، الملقب بهاء الدين. كان خادم صلاح الدين، وقيل خادم أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين. ولما استقل صلاح الدين بالديار المصرية جعله زمام القصر، ثم ناب عنه مدة بالديار المصرية، وفوض أمورها إليه، واعتمد فى تدبير أحوالها عليه. وهو الذى بنى السور المحيط بالقاهرة ومصر وما بينهما، وبنى قلعة الجبل، وبنى القناطر التى بالجيزة على طريق الأهرام، وعمّر بالمقس رباطا، وعلى باب الفتوح بظاهر القاهرة خان سبيل. وكانت وفاته فى عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م بالقاهرة، ودفن فى تربته المعروفة به بسفح المقطم.

وقراقوش: بفتح القاف والراء وبعد الألف قاف ثانية، ثم واو وبعدها شين معجمة. وهو لفظ تركى تفسيره بالعربى العقاب الطائر المعروف وبه سمى الإنسان.

كاتب يهودى مجهول زمن وزارة صلاح الدين:

تذكر المصادر العربية أن صلاح الدين عندما كان وزيرا للخليفة العاضد لدين الله آخر الخلفاء الفاطميين (٥٥٥-٥٦٧هـ/ ١١٦٠-١١٧١م)، شدد على أهل القصر، واستبد بأمور الدولة، وأضعف جانب الخلافة، وقبض على أكابر أهل الدولة، مما دفع مؤتمن الخلافة جوهر (قتل عام ٥٦٤هـ/١١٦٨م) وهو أحد الأساتذة المحنكين بالقصر إلى الاتفاق مع عدد من الأمراء المصريين والجند لاستدعاء الفرنج إلى القاهرة، حتى إذا خرج صلاح الدين لقتالهم بعسكره، ثاروا هم بالقاهرة، واجتمعوا مع الفرنج على إخراجه من مصر، لكن هذه المؤامرة كُشفت عندما قبض على الرجل الذى كان يحمل الرسالة للفرنج.

وقد أجمعت أغلب المصادر العربية على أن كاتب هذه الرسالة كان أحد الكتّاب اليهود، وإن لم تذكر اسمه، وأن صلاح الدين عندما أمر بقتله، اعتصم بالإسلام وأسلم.

وبالنسبة للنوع الثالث والأخير من الكتّاب اليهود وهم النساخون فيذكر جويتاين أن من النساخ اليهود: سليمان (solomon) ابن القاضى صمويل بن سعديا ها - ليفى -Sam) (uel b. Saadya ha-levi والذى وصلت إلينا وثائق عديدة بخطه، وكان يطلق عليه فى سجل المحكمة «الخطاط الماهر»، فقد كان استاذا فى حرفته.

الشعراء اليهود

كان إلى جانب اليهود الذين برعوا فى فن النثر إلى حد أتاح لهم العمل فى ديوان الإنشاء ككتّاب - يهود آخرون كانوا يقرضون الشعر.

وعلى الرغم من أن المصادر الإسلامية لا تذكر إلاّ اسم واحد فقط - فى حدود علمى - من شعراء اليهود فى مصر طوال فترة دراستنا الممتدة من الفتح العربى إلى نهاية الدولة

الأيوبية أى حوالى ستة قرون - إلاّ أن هذا لا يعنى أن اليهود لم يكن بينهم شعراء، فقد ذكر بعض المؤرخين العرب، وخاصة الأصفهانى فى كتابه (الأغانى)، أسماء لكثير من اليهود الذين كانوا شعراء لكن ليس فى مصر[1]. مما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن اليهود فى مصر، كان بينهم شعراء، لكن المصادر العربية لم تذكرهم لنا.

والشاعر اليهودى الوحيد الذى كان موجوداً فى مصر، وذكرته المصادر الإسلامية هو:

الطبيب الموفق بن شوعة (ت عام ٥٧٩هـ/١١٨٣م):[2]

كان الطبيب الموفق بن شوعة شاعراً، ويلعب بالقيثارة. ومن شعره يقول ابن أبى أصيبعة: أنشدنى القاضى نفيس الدين بن الزبير قال: أنشدنى الموفق بن شوعة لنفسه، فمن ذلك قال فى النجم الخوبشانى[3] لما قلع عينه:

---

(١) ومن هؤلاء الشعراء اليهود:
١ - الشاعر أوس بن زنّى اليهودى.
٢ - الشاعر السموأل بن عادياء.
٣ - الشاعر سعية بن عادياء (أخو السموأل).
٤ - الشاعر أبو الذيال اليهودى.
٥ - الشاعر الربيع بن أبى الحُقَيق.
٦ - الشاعر كعب بن الأشرف.
٧ - الشاعر إبراهيم بن سهل الاشبيلى الإسرائيلى.

(٢) أنظر عنه بالتفصيل فى الموضوع الخاص بالأطباء.

(٣) وهو فقيه صوفى، كان يسكن خانقاه السميساطى بدمشق، وكان يعرف بالخوبشانى ويلقب بالنجم. ويذكر ابن أبى أصيبعة أن الخوبشانى كان ثقيل الروح، قشفاً فى العيش، يابساً فى الدين. وكان له معرفة بنجم الدين أيوب وبأخيه أسد الدين، فلما جاء أسد الدين إلى مصر تبعه، ونزل بمسجد عند دار الوزارة كان يعرف فى أثناء وجود ابن أبى أصيبعة بمصر بمسجد الخوبشانى، وكان يسب أهل القصر، ويجعل تسبيحه سبهم، وكان سلطاً، ومتى رأى ذميا راكبا قصد قتله، فكانوا يتحامونه، ولما كان فى بعض الأيام رأى ابن شوعة وهو راكب، فرماه بحجر أصاب عينه فقلعها.

لا تعجبوا من شعاع الشمس إذ حسرت   منه العيون وهذا الشأن مشهور

بل اعجبوا كيف أعمى مقلتى نظرى   للنجم وهو ضئيل الشخص مستور

ومن أشعاره كذلك شعراً يهجو فيه الطبيب ابن جميع[١] وقد ذكره لابن أبى أصيبعة كذلك القاضى نفيس الدين يقول فيه:

يا أيها المدعى طبا وهندسة   أوضحت يا ابن جميع واضح الزور

إن كنت بالطب ذا علم فلم عجزت   قواك عن طب داء فيك مستور

وقد توفى عام ٥٧٩هـ/١١٨٣م زمن الناصر صلاح الدين الأيوبى (٥٦٧-٥٨٩هـ/ ١١٧١-١١٩٣م.

شعراء يهود زاروا مصر:

ومن الشعراء اليهود الذين زاروا مصر، الشاعر اليهودى الأسبانى **يهودا ها ـ ليفى** (Judah ha-levi) الذى مر بالاسكندرية، وهو فى طريقه للأراضى المقدسة بالقدس، وقد قضى فيها عدة شهور فى خريف عام ١١٤٠م/٥٣٥هـ، وربيع عام ١١٤١م/٥٣٦هـ (خلافة الحافظ لدين الله الفاطمى ٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٢٩-١١٤٩م). وكان المسلمون يطلقون عليه «مقدم اليهود»، على الرغم من أنه لم يكن يشغل هذا المنصب الرسمى.

الأطباء اليهود

استمرت دراسة الطب فى مصر بعد الفتح العربى، خاصة عند اليهود والنصارى، وذلك بتشجيع الخلفاء لهم، حتى إننا نلاحظ أنه فى الوقت الذى كانت تصدر فيه أوامر الخلفاء بعدم استخدام أهل الذمة فى الأعمال التى تخص الدولة، كان يستثنى منها ممارسة

(١) أنظر عنه فى الموضوع الخاص بالأطباء اليهود فى مصر.

الطب، فيذكر أبو المحاسن أن الخليفة المقتدر، وخاصة فى عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م أثناء ولاية عيسى النوشرى على مصر ـ أمر ألا يستخدم أحد من اليهود والنصارى إلا فى الطب والجهبذة(*).

وقد عرف فى الدولة الطولونية نظام اللجنة الطبية التى تعرف بـ «الكونسلتو» فى الوقت الحاضر، والمقصود به ـ كما تقول د. سيدة كاشف عن البلوى ـ أن الطبيب إذا رأى حالة متعصية كان يرى من الأفضل أن يجتمع عدد من الأطباء للوصول إلى رأى. ويذكر البلوى أن كل طبيب كان له أعوان ومساعدون كان اسمهم (الشاكرية)، وكانت وظيفتهم دق العقاقير وعجن الأدوية حسب أمر الأطباء، أو نفخ النار تحت الأدوية المطبوخة. وكان الأطباء يقومون بتركيب الأدوية اللازمة للمريض، كذلك كانت لهم وسائلهم فى الفحص والعلاج، كما كانوا يحددون للمريض أنواع الأطعمة التى يتناولها أثناء مرضه.

ولا تقدم لنا المصادر العربية أخبارا ذات أهمية عن الأطباء اليهود فى عصر الولاة، بعكس أخبارهم زمن الخلافة الفاطمية أو زمن الدولة الأيوبية، وإن كان ذلك يرجع ـ كما هو واضح ـ إلى أن دور اليهود لم يبرز فى جوانب الحياة المختلفة إلا فى عصر الخلفاء الفاطميين.

وقبل البدء فى عرض أسماء أطباء اليهود فى مصر، يجدر بنا أولا أن نقدم بعض الملاحظات التى توافرت لنا من خلال تتبعنا ودراستنا لتراجم الأطباء اليهود خاصة زمن الدولتين الفاطمية والأيوبية.

فيتضح من هذه المعلومات التى استقيناها أنه كان هناك فريقان من الأطباء فى ذلك الوقت: فريق يطلق عليه فى المصادر العربية اسم «أطباء الخاص».

وفريق نستطيع أن نطلق عليه اسم «أطباء العامة».

(*) وعن الجهبذ والجهابذة أنظر، الفصل الخاص بالحياة التجارية لليهود فى مصر.

أطباء الخاص:

وبالنسبة لأطباء الخاص، فقد ظهروا خاصة زمن الخلافة الفاطمية (٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٨-١١٧١م)، وذلك لمعالجتهم هم وحريمهم وأقاربهم وحاشيتهم.

ويتضح من أسماء أطباء الخاص الذين ذكرهم ابن أبى أصيبعة، أنهم كانوا يختارون من الأطباء المسلمين، ومن أطباء أهل الذمة أقباط ويهود على السواء. ومعنى ذلك أن أطباء الخاص كانوا يختارون لمهارتهم ولقدرتهم على معالجة الأمراض التى تستعصى على غيرهم، كما فى حالة الطبيب اليهودى الذى أطلق عليه الخليفة الحاكم بأمر الله لقب «الحقير النافع»، فقد جعله «الحاكم» من «أطباء الخاص» لنجاحه، فى علاجه من جرح مزمن فى رجله.

وكان أطباء الخاص عند اختيارهم يُخلع عليهم، ويمنحون بيوتاً مجهزة بأفخم الأثاث والفرش، كما كانوا يعطون مرتبات شهرية من الخلفاء قدّرها القلقشندى بأنها كانت تتراوح ما بين خمسين ديناراً وعشرة دنانير، وذلك تبعا المنزلة الطبيب ومكانته.

ويظهر الاختلاف الكبير فى المستوى المعيشى بين أطباء الخاص والأطباء الآخرين أو أطباء العامة كما أطلقنا عليهم، مما أورده ابن سعيد عن حالة الطبيب صقر، أو شقير اليهودى، الذى أصيب بالدهشة وتلعثم فى الكلام عندما منح الامتيازات التى يحصل عليها أطباء الخاص من خلع ومسكن.

ويبدو ـ مما ذكره القلقشندى ـ أن كل طبيب من أطباء الخاص كان يعمل تحت يده أربعة أطباء أو ثلاثة كمساعدين عند ممارسته للعلاج فى قصر الخليفة. كما كان له مكان معروف فى قصر الخليفة ليسهل استدعائه عند الحاجة فيقول القلقشندى: «وكان للخليفة طبيب يُعرف بطبيب الخاص، يجلس على باب دار الخليفة كل يوم. ويجلس على الدكك

التى بالقاعة المعروفة بقاعة الذهب[١] بالقصر، دونه أربعة أطباء أو ثلاثة، فيخرج الأستاذون، فيستدعون منهم من يجدونه للدخول على المرضى بالقصر لجهات الأقارب والخواص، فيكتب لهم رقاعاً على خزانة الشراب[٢]، فيأخذون ما فيها، وتبقى الرقاع عند مباشريها شاهداً لهم».

ويتضح لنا من المعلومات التى وردت عن أطباء الخاص، أنهم لم يكونوا يقومون فقط، بعلاج الخليفة وحاشيته. وإنما كانوا يقومون أيضا بعلاج عامة الناس، ويظهر ذلك بوضوح من رسالة الطبيب موسى بن ميمون الذى كان يذهب كل صباح إلى قصر الخلافة لمعالجة قواد السلطان وأتباعه، ويظل هناك حتى الظهر ثم يعود إلى منزله ليعالج المرضى الذين ينتظرونه أمام باب منزله، والذى كان فى الحقيقة منزله وعيادته فى نفس الوقت.

كذلك يتضح مما أورده المقريزى أن أطباء الخاص لم يكونوا مقصورين على الخلفاء فقط، فقد ذكر أن الوزير يعقوب بن كلس «كان يجلس عنده فى كل يوم الأطباء لينظروا فى حال الغلمان، ومن يحتاج منهم إلى علاج أو إعطاء دواء». مما يعنى أن الوزير يعقوب بن كلس كان لديه أطباء خاص يعملون فى قصره يعالجونه ويعالجون غلمانه. ويشير المقريزى إلى أنه كان فى قصر هذا الوزير خزانة للشراب، وبالطبع كان بها كافة الأدوية اللازمة للعلاج.

أطباء العامة:

أما بالنسبة لأطباء العامة، فقد كانوا يعالجون المرضى دون نظر إلى دياناتهم، فالطبيب اليهودى موسى بن ميمون كان يعالج مرضى مسلمين يقفون على باب داره يطلبونه للعلاج.

---

(١) وعن قاعة الذهب يقول المقريزى: «وكان يقال لقاعة الذهب قصر الذهب، وهو أحد قاعات القصر الذى هو قصر المعز لدين الله معدّ، وبنى قصر الذهب العزيز بالله نزار بن المعز، وكان يدخل إليه من باب الذهب الذى كان مقابلا للدار القطبية التى هى اليوم المارستان المنصورى، ويدخل إليه أيضا من باب البحر الذى هو الآن تجاه المدرسة الكاملية. وجدّد هذا القصر من بعد العزيز، الخليفة المستنصر فى سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٦م، وبهذه القاعة كانت الخلفاء تجلس فى الموكب يوم الاثنين ويوم الخميس، وبها كان يعمل سماط شهر رمضان للأمراء، وسماط العيدين، وبها كان سرير الملك».

(٢) وكان من ضمن ما فيها: «أصناف الأدوية من الرواند الصينى وما يجرى مجراه مما لا يقدر أحد على مثله إلا هناك، وما يدخل فى الأدوية من آلات العطر».

وكان الأطباء يذهبون لمعالجة الناس فى بيوتهم عندما يطلبونهم، مثل الطبيب أبو البيان ابن المدور الذى اضطر فى أواخر أيامه وبسبب كبر سنه إلى الامتناع عن معالجة الناس فى بيوتهم.

ويذكر عبداللطيف البغدادى أنه فى أثناء المجاعة التى تعرضت لها مصر فى عام ٥٩٨هـ/١٢٠١م زمن العادل أبو بكر بن أيوب (٥٩٦-٦١٥هـ/ ١١٩٩-١٢١٨م) - دعى أحد الأطباء اليهود مريض، فلما وصل إليه، حاول المريض ومن معه قتله، إلا أنه نجا بعد سماع استغاثته، وعندما أحضر الفاعل وسألوه: ما حملك على ما فعلت. فقال: الجوع! فضرب ونفى.

ويظهر مما ذكرته المصادر العربية أن الأطباء كانوا، على اختلاف دياناتهم، يعملون فى البيمارستانات، وكان بعض الأطباء اليهود يتفوقون أحيانا على نظرائهم من الأطباء المسلمين، فقد أشار ابن أبى أصيبعة فى كتابه إلى تفوق الطبيب اليهودى الشيخ السديد بن أبى البيان عندما كان يعمل معه فى البيمارستان الناصرى وهو ما سنراه فيما بعد.

وفى الحقيقة، فإن التحاق الطبيب بالعمل فى البيمارستان أو المستشفى كان جزءاً من تعليمه الطبى، وذلك لكى يتم تدريبه العملى، غير أنه كان صعبا للغاية، لأنه كان يحتاج إلى وَاسْطَة - كما يقول جويتاين.

ويظهر من بعض الوثائق أن ممارسة مهنة الطب بصفة عامة، كانت لا تتم إلا بعد الحصول على شهادة سير وسلوك التى كان لا يحصل عليها إلا بوَاسْطَة كذلك، ففى رسالة بعثها رجل إلى قاضى قال له فيها: «فلان وفلان (لم يذكر الاسم) لا يستطيعان العمل بسبب التزكية (tazkiya)، فإنه لا يسمح لأحد بممارسة مهنة الطب فى الفسطاط أو فى القاهرة بدون شهادة حسن سير».

وتشير أوراق الجنيزة إلى أن أبرز الأطباء هم الذين كانوا يعملون بالمستشفيات، بل أن الأطباء كانوا يسعون للعمل بها لأسباب تتعلق بالوجاهة أو بالمنزلة الاجتماعية.

وكان العمل بالمستشفى يستلزم المبيت بها ليلاً (نظام النوبتجيات)، يظهر ذلك من رسالة كتبها إبراهيم الميمونى عام ٦٣٣هـ/١٢٣٥م (زمن الملك الكامل ٦١٥-٦٣٥هـ/ ١٢١٨-١٢٣٧م)، ذكر فيها أنه لم يستطع أن يحضر حفل زفاف لأن دوره فى السهر بالمستشفى كان فى هذه الليلة (أى ليلة الحفل)، كما أنه لم يرد تعيين بديل له لأسباب خاصة.

كذلك يتضح أن الأطباء لم يكونوا أطباء فقط، بمعنى معالجة الناس فقط، وإنما كانوا أطباء ومعلمين فى نفس الوقت، فتذكر المصادر العربية أن الكثيرين منهم كان تحت يدهم تلاميذ، يتعلمون منهم أو يشتغلون معهم - كما سنرى فيما بعد - مثل: الطبيب افرائيم بن الزفان، والطبيب أبو البيان بن المدور، والطبيب ابن جميع، والطبيب أبو الفضائل بن الناقد، والطبيب موسى بن ميمون الذى كان من تلاميذه الطبيب أبو الحجاج يوسف، والطبيب يوسف بن يحيى بن اسحق - كما أشير إلى ذلك فى ترجمتهما، والطبيب يوسف بن أحمد ابن حسداى الذى قدم من الأندلس حوالى عام ٥١٦هـ/١١٢٢م زمن الآمر بأحكام الله (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩م)، فقد صار هذا ضيفا على الدولة، وكتب له مرسوم كان من ضمنه تصريح له لتدريس الطب، بل الأكثر من ذلك إعطاؤه الحرية فى إجازة أحد الأطباء عن غيره، إذا لم يجده موفقاً فى مهنة الطب، وقد حدد الطبيب ابن حسداى لنفسه يومين فى الأسبوع يقوم فيهما بتدريس الطب[1].

ويظهر من المصادر العربية أن هناك بعض الأطباء الذين كانوا إلى جانب ممارستهم لمهنة الطب، يمارسون مهنة أخرى علمية، وهى مهنة نسخ الكتب العلمية، وهو ما يعنى فى عصرنا الحالى طبع ونشر هذه الكتب. ومن هؤلاء الأطباء الطبيب افرائيم بن الزفان اليهودى الذى كان يعمل تحت يده مجموعة من الكتبة - منهم كتبة مسلمين - بأجور

(١) أنظر عن هؤلاء الأطباء بالتفصيل فى الصفحات القادمة.

ثابتة. وكان يبيع هذه الكتب، حتى إنه باع فى مرة واحدة ـ كما يقول ابن أبى أصيبعة ـ حوالى عشرة آلاف مجلد!

ومنهم كذلك الطبيب اليهودى يوسف بن أحمد بن حسداى (أعلن إسلامه فى مصر) الذى قدم من الأندلس حوالى عام ٥١٦هـ/١١٢٢م فى زيارة لمصر زمن الآمر بأحكام الله (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩م)، فصار ضيفا على الدولة، وكُتب له مرسوم كان من ضمنه أن يشرح كتب أبقراط ويفسرها، ويصنف فى غير ذلك من أنحاء العلوم، وأن يحمل ما يكمل أول بأول إلى خزائن الكتب. وقد حدد الطبيب ابن حسداى لنفسه خمسة أيام فى الأسبوع يتفرغ فيهم لتصنيف وتأليف الكتب، وكانت الكتب التى يتم الانتهاء منها تحمل إلى الخزائن. ويذكر المقريزى أنه استخدم كاتبين لتبييض ما يؤلفه.

وتشير أوراق الجنيزة التى ترجع إلى أعوام ٥١٦-٥٤٨هـ/ ١١٢٢-١١٥٣م (فى خلافة الآمر الفاطمى والحافظ والظافر ٤٩٥-٥٤٩هـ/ ١١٠١-١١٥٤م) ـ إلى امتلاك بعض اليهود لمستشفيات خاصة على الرغم من أنهم لم يكونوا أطباء، ومن هؤلاء القاضى اليهودى الشهير ناثان بن صمويل (Nathan b. Samuel) الذى كان لديه مستشفى خاص للمرضى ولكبار السن. ويذكر جويتاين أن زوجته هى التى كانت تديرها وتشرف عليها، وذلك لأن القاضى «ناثان» كان مشغولا بالعمل فى المحكمة والييشيفا.

تعرضنا فى الصفحات السابقة لبعض الملاحظات التى تتعلق بالأطباء وذلك من خلال دراستنا للمعلومات التى وردت عن هؤلاء الأطباء (اليهود منهم) خاصة زمن الدولتين الفاطمية والأيوبية.

وفى الصفحات القادمة سنعرض أسماء أطباء اليهود الذين سكنوا مصر، أو الذين هاجروا منها، أو حتى الذين زاروها، وذلك مع إعطاء نبذة عن كل منهم.

ومن الأطباء اليهود فى مصر:

طبيب يهودى مجهول زمن أحمد بن طولون:

ذكر المسعودى فى كتابه أن أحمد بن طولون كان له طبيب يهودى، يسمح له بحضور مجالسه، لكنه لم يذكر لنا اسمه.

عائلة الطبيب موسى بن العازار الإسرائيلى

وتتكون منه ومن ابنيه الطبيب اسحق بن موسى، وإسماعيل بن موسى، وحفيده الطبيب يعقوب بن اسحق.

وقد عملت عائلة الطبيب موسى بن العازار بالطب فى زمن المعز (٣٦٢-٣٦٥هـ/ ٩٧٢-٩٧٥م) فتذكر المصادر أن موسى بن العازار هو وابنه اسحق كانا يعملان فى خدمة المعز لدين الله، وكانا من أطباء الخاص بقصره. وعندما توفى اسحق بن موسى عام ٣٦٣هـ/٩٧٣م، عين «المعز» مكانه أخاه إسماعيل بن موسى، كما عين ابن اسحق وكان اسمه يعقوب بن اسحق.

وفيما يتصل بالطبيب **موسى بن العازار الإسرائيلى**، فقد خدم الخليفة المعز لدين الله عند قدومه من المغرب، وكان موضع تقدير المعز وثقته. وهو الذى كان يعالجه فى مرضه الذى مات فيه. وكان مشهورا بالتقدم والحذق فى صناعة الطب. ومن كتبه: «الكتاب المعزى فى الطبيخ» ألفه للمعز. مقاله فى السعال. جواب مسأله سأله عنها أحد الباحثين عن حقائق العلوم الراغبين جنى ثمارها. كتاب «الأقرا باذين»، الذى أهداه إلى المعز، وقد فقد هذا الكتاب كما يقول جويتاين، إلا أن بعض روشتاته ووصفاته الطبية قد نقلت فى كتب أخرى.

أما الطبيب **اسحق بن موسى**، فقد كان بدوره فى خدمة المعز مع أبيه، وإن كان جليل القدر عند المعز، مقرباً منه، ومتوليا أمره كله فى حياة أبيه.

وقد توفى اسحق بن موسى فى ١٢ صفر من عام ٣٦٣هـ/٩٧٣م. ويذكر ابن أبى أصيبعة أنه عندما توفى حزن عليه المعز كثيراً «لموضعه منه ولكفايته».

والطبيب **اسماعيل بن موسى**، فهو أخو الطبيب اسحق بن موسى، وكان المعز قد جعله فى وظيفة أخيه بعدما توفى.

أما الطبيب **يعقوب بن اسحق**، فهو ابن الطبيب اسحق بن موسى، وكان المعز كذلك قد جعله فى وظيفة أبيه بعدما توفى مع عمه.

عائلة الطبيب سعديا:

ومن العائلات اليهودية كذلك التى عملت بالطب زمن الخلافة الفاطمية، وبالتحديد خلال النصف الثانى من القرن الخامس وبداية القرن السادس الهجرى (ق ١١م و١٢م) (حوالى خلافة المستنصر بالله الفاطمى والمستعلى والآمر ٤٢٨-٥٢٤هـ/ ١٠٣٦-١١٢٩) ـ عائلة الطبيب «سعديا» Saadya(*).

ويذكر جويتاين أن هذه العائلة كانت فى خدمة البلاط الفاطمى، وكانت تتكون من الأب الطبيب **«سعديا»**، وابنيه الطبيب النجيد **«أبو الفضل مبارك»** (ميفوراخ) (Abu'l-Fadl Mevorakh b. Saadya)، والنجيد **«يهودا»** Judah، وحفيده الطبيب **موسى بن أبو الفضل**.

وكان ابن القلانسى قد ذكر فى كتابه أن والد الفضل بن أبى الفضل اليهودى غلام الوزير ابن كلس وذلك فى خلافة العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م)-كان طبيبا يهوديا. ويبدو لنا أنه يقصد به الطبيب أبو الفضل مبارك (ميفوراخ) السابق ذكره.

الطبيب صقر اليهودى أو شقير فى رواية ابن سعيد:(**)

وهو من أطباء الخاص للحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م). وكان الخليفة الحاكم قد عيّنه وخلع عليه فى عام ٣٩٨هـ/١٠٠٧م خلفاً للطبيب ابن نسطاس النصرانى الذى توفى عام ٣٩٧هـ/١٠٠٦م.

(*) أنظر كذلك عن هذه العائلة، وتولى بعض أفرادها منصب النجيد فى مصر، وذلك فى الفصل الخاص برؤساء المجتمع اليهودى.

(**) يقول الدكتور حسين نصار: إن ابن أبى أصيبعة لم يذكر طبيبا بهذا الاسم فى أطباء مصر، ولكنه ذكر ابن مقشر بين أطباء الحاكم بأمر الله.

ويذكر المقريزى أن الحاكم بأمر الله كان قد أمر بحمله على بغلة تكريماً له، كما أهداه ثلاث بغلات بسرج ولجم محلاة، ومنحه أفخم الثياب، وأعطاه داراً لسكناه فرشت وزينت وعلق على أبوابها الستور، وزوده بكل ما يحتاج إليه، وقد قدّرت جملة هدايا الحاكم بأمر الله إليه بعشرة آلاف دينار.

وقد ذكر ابن سعيد فى كتابه ـ بصورة مفصلة ـ الطريقة التى تم بها إبلاغ الطبيب صقر أو شقير بتعيينه طبيبا من أطباء الخاص، والهدايا التى منحت له مما أثار دهشة هذا الطبيب حتى إنه تلعثم فى كلامه. ويوضح ابن سعيد أن أموال الهدايا التى منحت له كانت من مصادرة بعض النصارى فيقول:

«وفى يوم السبت لعشر بقين من شعبان استحضر (أى الحاكم) جماعة الأطباء إلى القصر. وحضر فى جملتهم المعروف بشقير اليهودى المتطبب. فخرج بعض الخدم فصاح: «شقير». فقام بين الجماعة. فأخذ بيده ومضى به. فخُلع عليه، وحُمل على بغلة، وقيد بين يديه ثلاث بغلات كلها بسروج ولجُم. وحمل معه عشرون سفطا(*) من أنواع الثياب الملونة. وخرج ومعه جماعة من الخدم الخاصة، فلحقه دَهَش وحيرة، وبان ذلك منه، وتلجلج فى كلامه. ثم عدل به إلى طريق لم يجر به رسمه. فقال: «إلى أين أذهب؟ ليس هذا طريقى إلى منزلى». فقيل له: «ها هنا تنزل». ومضى به إلى الدار التى اشتريت له بأربعة آلاف دينار، بعد أن فرشت بأنواع الفرش وزينت، وعلق على أبوابها وحجرها الستور، وأعد فيها جميع ما يحتاج إليه. وأدخل إليها وقيل له: «هذه دارك، وما فيها فهو لك». فنزل فى قاعتها، وجلس فى مجلس منها فيه فَرْش دبيقى ابتيع بألف دينار. وكان فى كل مجلس من مجالسها أنواع من الفرش والديباج الأرمنى. فحصل له فى ساعة واحدة ما قيمته عشرة آلاف دينار».

وقد توفى الطبيب صقر اليهودى فى ربيع الآخر من عام ٤٠٠هـ/١٠٠٩م.

(*) السَفَط جمع أسْفَاط: وعاء كالقفة. (المنجد، ص٣٣٧).

الطبيب الحقير النافع:

كان طبيبا جرائحيا، حسن المعالجة، يرتزق بصناعة مداواة الجراح، وهو من أهل مصر. و«الحقير النافع» ليس اسماً له، فابن أبى أصيبعة لم يذكر اسمه، ولكنه لقب أطلقه عليه الخليفة الحاكم بأمر الله، عندما تمكن من تركيب دواء عالج به جرح مزمن فى رجله فشفى فى خلال فترة قصيرة لا تتجاوز الثلاث أيام، فى الوقت الذى فشل فى علاجه أطباء الخاص، فعندئذ لقبه بالحقير النافع، لمظهره الذى يتسم «بالخمول» ـ كما يقول ابن أبى أصيبعة، وقد منحه الحاكم مكافأة تقدر بألف دينار، كما خلع عليه، وجعله من أطباء الخاص.

الطبيب افرائيم بن الزفان:

واسمه بالكامل كما أورده ابن أبى أصيبعة هو: افرائيم بن الحسن بن اسحق بن إبراهيم بن يعقوب، أبو كثير. يعد من الأطباء المشهورين بديار مصر، وقد خدم الخلفاء الفاطميين (لم يذكر ابن أبى أصيبعة أسماءهم)، فحصل له من جهتهم من الأموال والنعم شيئاً كثيراً جداً.

ومن أجل تلاميذه الطبيب على بن رضوان أبى الحسن. وكانت للطبيب افرائيم مكتبة كبيرة تضم الكثير من الكتب الطبية، ولأجل ذلك كان يعمل عنده برواتب ثابتة مجموعة من النساخ، من ضمنهم محمد بن سعيد بن هشام المعروف بإبن ملساقة.

ويذكر ابن أبى أصيبعة أنه رأى عدة كتب بخطه كتبها لافرائيم، وعليها خط افرائيم.

كما يذكر ابن أبى أصيبعة، نقلاً عن محادثة تمت بينه وبين أبيه، أن الطبيب افرائيم كان قد باع حوالى عشرة آلاف مجلد من الكتب التى عنده إلى رجل من العراق، كان قد أتى إلى مصر ليشترى كتباً. وعندما علم بذلك الوزير الأفضل ابن

أمير الجيوش[1]، رفض أن تخرج هذه الكتب من مصر وأن تظل بها، فبعث إلى الطبيب افرائيم بالمال الذى كان اتفق عليه مع العراقى، ليشترى الكتب بدلاً منه، وبالفعل نقلت الكتب إلى خزانة الأفضل، وكتبت عليها ألقابه. ويذكر ابن أبى أصيبعة أنه وجد كتباً كثيرة من الكتب الطبية وغيرها عليها اسم افرائيم وألقاب الأفضل أيضا.

وقد خلّف افرائيم من الكتب ما يزيد على عشرين ألف مجلد.

ومن كتبه: كتاب «تعاليق ومجريات». ويذكر ابن أبى أصيبعة أن هذا الكتاب كان بخط الطبيب افرائيم وفيه ذكر الأمراض ومداواتها. وكتاب «التذكرة الطبية فى مصلحة الأحوال البدنية». ومقالة فى التقرير القياسى على أن البلغم يكثر تولده فى الصيف، والدم والمرار الأصفر فى الشتاء.

الطبيب سلامة بن رحمون:

وهو أبو الخير، سلامة بن مبارك بن رحمون بن موسى، من أطباء مصر وفضلائها، وله أعمال حسنة فى صناعة الطب.

ويفهم مما ذكره ابن أبى أصيبعة أنه كان يعتمد على كتاب «صناعة الطب» للطبيب اليهودى افرائيم وذلك فى عمله، كما كان يقوم بتدريس جميع كتب المنطق.

---

(١) السيد الأجل الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى، تولى الوزارة حين اشتد مرض والده فى شهر ربيع الأول من عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م وذلك فى زمن الخليفة المستنصر، وقد ظل وزيراً حتى قتل فى عام ٥١٥هـ/١١٢١م. وقد عاصر الأفضل فى وزارته ثلاثة من الخلفاء الفاطميين وهم: الخليفة المستنصر (٤٢٨-٤٨٧هـ/١٠٣٦-١٠٩٤م)، والمستعلى (٤٨٧-٤٩٥هـ/١٠٩٤-١١٠١م)، والخليفة الآمر (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩م). وعنه كذلك أنظر ترجمته فى الفصل الخاص برؤساء المجتمع اليهودى.

وقد اجتمع به الطبيب أبو الصلت أمية بن عبدالعزيز الأندلسى[1]، عندما وصل من المغرب إلى مصر حوالى عام ٥١٠هـ/١١١٦م زمن الآمر الفاطمى ٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩م، وذكره فى رسالته المصرية عندما ذكر من رآه من أطباء مصر.

ومن كتبه فى الطب: مقالة فى خصب أبدان النساء بمصر عند تناهى الشباب.

مبارك بن سلامة بن رحمون:

وهو مبارك بن سلامة بن مبارك بن رحمون، ابن أبى الخير. ويظهر من اسمه أنه كان ابناً للطبيب اليهودى سلامة بن رحمون.

ويذكر ابن أبى أصيبعة أنه ولد وتربى وعاش بمصر، وأنه كان طبيباً فاضلاً.

ومن كتبه: مقالة فى الجمرة المسماة بالشقفة والخزفة مختصرة.

الطبيبان أبو منصور[2] وابن قرقة:

يذكر أبو المحاسن أنه كان من ضمن أطباء الخاص للخليفة الحافظ لدين الله (٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٢٩-١١٤٩م) طبيبان يهوديان أحدهما يعرف بأبى منصور، والآخر

(١) وهو أبو الصلت أمية بن عبدالعزيز بن أبى الصلت الأندلسى، يذكر ابن أبى أصيبعة أنه بلغ فى صناعة الطب مبلغاً لم يصل إليه غيره من الأطباء. وكان قد أتى إلى مصر، وأقام بالقاهرة مدة، ثم عاد بعد ذلك إلى الأندلس. وكان دخول أبى الصلت إلى مصر فى حدود سنة ٥١٠هـ/١١١٦م.

(٢) الطبيب أبو منصور هو صمويل بن حنانيا الذى تولى منصب النجيد زمن الخلافة الفاطمية. أنظر عنه كذلك فى الفصل الخاص برؤساء المجتمع اليهودى. ويذكر جويتاين أن والده وأخاه الأكبر (لم يذكر اسمه) كانا يعملان بالطب.

يعرف بابن قرقة وكان خبيراً بالاستعمالات. وكان الخليفة الحافظ قد استدعاهما إليه لعمل تركيبة من السم للتخلص من ولده حسن(*).

وقد اختلف المقريزى مع أبى المحاسن فذكر أن ابن قرقة هذا كان نصرانيا، وأنه كان يتولى الاستعمالات بدار الديباج وخزائن السلاح، وكان ماهراً فى علم الطب والهندسة.

واختلف معهما ابن الأثير الذى ذكر أن الطبيبان اللذان استدعاهما الخليفة الحافظ كان أحدهما يهودى والآخر مسلم.

وقد اتفق أبو المحاسن مع المقريزى فى سرد هذه الحادثة فيذكران أن أبا منصور كان قد حضر قبل ابن قرقة، ففاوضه الخليفة الحافظ فى عمل تركيبة السم «السقية القاتلة» لولده، فتحرج من ذلك، وأنكر معرفته وحلف برأس الخليفة وبالتوراة أنه لا يعرف شيئا من هذا فتركه. ثم حضر ابن قرقة ففاوضه فى السقية، فقال: الساعة، ولا يتقطّع الجسد، بل تفيض النفس لا غير، فأحضرها فى يومه. وقد شربها «حسن» ومات.

(*) تذكر المصادر العربية أنه بعد وفاة سليمان أكبر أولاد الخليفة الحافظ، وولى عهده ووزيره ـ وذلك فى عام ٥٢٨هـ/١١٣٣م رشح ابنه حسن لولاية العهد من بعد أخيه، إلا أن الخليفة الحافظ عين بدلاً منه أخاه حيدرة فى ولاية العهد وفى النظر فى المظالم، فعظم ذلك على حسن الذى كان كثير المال، فله عدة بلاد ومواشى وحاشية وديوان مفرد ـ كما يقول المقريزى ـ فأوقع الفتنة بين الطائفة الجيوشية والطائفة الريحانية، وانضم إليه مجموعة من أوباش الناس عرفوا باسم (صبيان الزرد) لأنه فرقه فيهم. وشرع فى تتبع أكابر الناس فقتلهم، وحاول قتل أباه الحافظ وأخاه حيدرة، فاضطر الحافظ إلى كتابة سجل بولايته العهد، وأرسله إليه، فقرئ على الناس، فمازاده ذلك إلاّ جراءة عليه، وشدّد التضييق على أبيه. وعندما أرسل إليه الحافظ يحذره من بعض الأمراء، أمر صبيانه بقتلهم، كما قتل جماعة من الأعيان، مما جعل الأمراء والأجناد يعقدون النية على خلع الحافظ ومحاربة ابنه حسن، فسيروا إلى الحافظ يشكْون ما هم فيه من البلاء مع ابنه حسن، ويطلبون منه أن يزيله من ولاية العهد، هذا فى الوقت الذى ضعفت فيه قوة حسن وعجز عن استمراره فى المقاومة مما اضطره إلى الالتجاء إلى القصر عندما خاف على نفسه، وصار إلى أبيه الحافظ الذى قيده وبعث إلى الأمراء يخبرهم بذلك، فأجمعوا على ضرورة قتله، فردّ عليهم أنه قد صرفه عنهم، ولا يمكنه أبداً من التصرف، ووعدهم بالزيادة فى الأرزاق والاقطاعات، فألحوا فى قتله ونادوا بخلع طاعته، وحاولوا حرق القصر، فطلب منهم الخليفة أن يعطوه مهلة ثلاثة أيام، رأى فى خلالها أنه لا مفر من قتله، حتى يأمن نفسه منهم، لذلك استدعى هذين الطبيبين وأخبرهما برغبته فى قتله كما ذكرت فى المتن.

كما يذكر أبو المحاسن والمقريزى أن الحافظ بعد موت ابنه، قبض على الطبيب ابن قرقة الذى عمل تركيبة السم، فرماه فى خزانة البنود، وصادر جميع أملاكه، وأودعها فى الديوان ثم قتله عام ٥٢٩هـ/١١٣٤م. وفى المقابل أنعم الحافظ على الطبيب أبى منصور وجعله رئيس اليهود. وفى رواية المقريزى أنه أنعم عليه بجميع ما كان لابن قرقة، وأنه جعله رئيس الأطباء.

أما ابن الأثير فقد انفرد فى سرد هذه الحادثة بطريقة مختلفة، خاصة وأنه ذكر أن الطبيبين اللذين استدعاهما الخليفة الحافظ كان أحدهما يهودى والآخر مسلم كما ذكرت سابقا. فقد جعل الطبيب اليهودى هو الذى يرفض عمل تركيبة السم، فى الوقت الذى جعل فيه الطبيب المسلم يوافق على عملها، والغريب أن ابن الأثير يخبرنا أن الحافظ بعد موت ولده مسموماً، طرد الطبيب المسلم من قصره مع احتفاظه بما له من الأنعام والجَامْكِيَّة(*)، وأحضر الطبيب اليهودى وجعله يقيم فى القصر.

الطبيب هبة الله الإسرائيلى:

وهو الرئيس هبة الله نثانئيل بن موسى ها ـ ليفى (Hibt Allah Nethanel b. Moses ha-levi)، كان مشهورا بالطب، حسن المعالجة. وكان فى آخر الدولة الفاطمية. وقد خدم الخلفاء الفاطميين بصناعة الطب، وكانت له منهم الجامكية الوافرة والصلات المتوالية.

وقد تولى رئاسة اليهود فى مصر عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م زمن الخليفة الفاطمى العاضد (٥٥٥-٥٦٧هـ/ ١١٦٠-١١٧١م)(**).

(*) الجَامْكِيَّة جمع جَامكيَّات: مرتَّب خدام الدولة من العسكرية والملكية. وهى كلمة تركية.

(**) أنظر عنه كذلك، الفصل الخاص برؤساء المجتمع اليهودى.

ويذكر ابن أبى أصيبعة أنه بعد زوال الدولة الفاطمية، بقى بعدهم يعيش فيما أنعموا به عليه إلى أن توفى. وكانت وفاته فى الثمانينيات من سنة خمسمائة(*).

الطبيب الأسعد المحلى:

وهو أسعد الدين يعقوب بن اسحق. والمحلى نسبة إلى مدينة المَحلَّة(1) من أعمال ديار مصر، فكان منها، إلا أنه أقام بالقاهرة.

وهو من المشهورين فى صناعة الطب، خبير بالمداواة والعلاج، سافر فى أول عام ٥٥٨هـ/١١٦٢م (وذلك فى خلافة العاضد الفاطمى ٥٥٥-٥٦٧هـ/ ١١٦٠-١١٧١م) إلى دمشق، وأقام بها مدة قصيرة، ثم رجع بعد ذلك إلى مصر وتوفى بالقاهرة.

ومن كتبه: مقالة فى قوانين طبية وهى ستة أبواب، وفى مسائل أخرى فى الطب وأجوبتها وهو يحتوى على ثلاث مقالات، ومسائل طبية وأجوبتها سألها لبعض الأطباء بدمشق وهو الطبيب اليهودى صدقة بن منجا السامرى.

(*) وعنه يقول جويتاين إنه عندما كان شابا، كان دائما فى صحبة شباب طائشين، فأعطاه والده ـ الذى كان طبيبا ـ مبلغ ٢٥ دينار، وهو مبلغ ضخم، لكى لا يبرح المنزل ـ حتى لزيارة الحمام ـ ويكرس وقته بالكامل لدراسة الطب واللغة أى العربية الفصحى والعبرية، ودراسة التلمود وعلم اللاهوت، باختصار «دراسة كل ما ينبغى لطبيب يهودى متميز أن يعرفه». وتوضح الرسائل التى بعثها الشاب خلال فترة حبسه فى المنزل أن الاهتمام العلمى الجاد قد استحوذ عليه، بالرغم من أنه كان يشكو بمرارة من عزله عن أصدقائه.

(1) المَحلَّة: بالفتح، والمحلّ والمحلّة الموضع الذى يُحَلّ به: وهى مدينة مشهورة بالديار المصرية، وهى عدة مواضع، منها محلة دقَلا: وهى أكبرها وأشهرها وهى بين القاهرة ودمياط. ومحلة أبى الهيثم: أظنها بالحوف من ديار مصر. ومحلّة شرقيّون: بمصر أيضا وهى المحلة الكبرى وهى ذات جنبين أحدهما سنْدَفا والآخر شرقيّون. ومحلّة منُوف: وهى مدينة بالغربية ذات سوق. ومحلة نقيْدَة: بالحوف الغربى بمصر. ومحلّة الخلفاء.

الطبيب أبو البيان بن المدور الملقب بالسديد:[1]

كان عالماً بصناعة الطب، حسن المعرفة بأعمالها، يعتمد على معالجته. عاصر الدولة الفاطمية فى آخرها، وخدم الخلفاء الفاطميين فى آخر دولتهم، ثم بعد ذلك خدم الملك الناصر صلاح الدين (٥٦٧-٥٨٩هـ/ ١١٧١-١١٩٣م).

ولقد عمّر هذا الطبيب حتى أصابه الوهن والضعف بسبب كبر سنه، فأجرى عليه الملك الناصر صلاح الدين فى كل شهر مبلغاً من المال يقدر بأربعة وعشرين ديناراً مصرية، أن يكون ملازماً لبيته ولا يكلف خدمة، فبقى على تلك الحال، والمبلغ يصل إليه نحو عشرين سنة.

وعلى الرغم من انقطاعه فى بيته إلاّ أنه لم ينقطع عن عمله بالاشتغال فى صناعة الطب، كما لم يخل موضعه من التلاميذ والمشتغلين عليه ـ كما يقول ابن أبى أصيبعة ـ وكان لا يمضى إلى أحد لمعالجته فى تلك الفترة إلاّ من يعز عليه جداً.

وعاش الطبيب أبو البيان ابن المدور ثلاثا وثمانين سنة، وتوفى فى سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م بالقاهرة، وذلك فى زمن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى (٥٦٧-٥٨٩هـ/ ١١٧١- ١١٩٣م). ومن كتبه: مجرباته فى الطب.

الطبيب ابن جُمَيْع اليهودى (Ibn Jumay):

لقب بالشيخ الموفق شمس الرياسة. واسمه بالكامل كما أورده ابن أبى أصيبعة هو: أبو العشائر، هبة الله بن زين بن حسن بن افرائيم بن يعقوب بن اسماعيل بن جميع الإسرائيلى.

وهو من الأطباء المشهورين، كثير الاجتهاد فى صناعة الطب، وكان مولده ومنشؤه بفسطاط مصر كما يقول ابن أبى أصيبعة. وإن كان المقريزى قد أشار فى كتابه إلى دار

(١) يبدو أن الطبيب أبو البيان بن المدور هو والد الطبيب السديد بن أبى البيان الآتى ذكره فى الصفحات القادمة. وأن لقب «السديد» الذى عرف به كان نسبة إلى ابنه الطبيب سديد الدين بن أبى البيان.

الطبيب اليهودى ابن جميع، وذكر أنها كانت تقع مكان المدرسة العاشورية بحارة زويلة من القاهرة بالقرب من المدرسة القطبية الجديدة ورحبة كوكاى، فربما انتقل بعد ذلك من الفسطاط وسكن بالقاهرة[1].

والطبيب ابن جميع خدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب (٥٦٧-٥٨٩هـ/ ١١٧١-١١٩٣م)، وحظى فى أيامه، وكان رفيع المنزلة عنده، عالى القدر، نافذ الأمر، يعتمد عليه فى صناعة الطب.

وكان الطبيب ابن جميع يقوم بتدريس الطب، فيذكر ابن أبى أصيبعة أنه كان له مجلس عام للذين يشتغلون عليه بصناعة الطب.

وقد تعرض الطبيب ابن جميع لنقد ابن المنجم المصرى، الذى كانت له أهاجى كثيرة فى ابن جميع، منها:

كذبت وصحفت فيما ادعيت ... وقلت أبوك جميع اليهودى

وليس جميع اليهودى أباك ... ولكن أباك جميع اليهود

كما تعرض لنقد الطبيب اليهودى الموفق بن شوعة، وسنتناول ذلك عند الحديث عن الموفق بن شوعة، هذا فى الوقت الذى رثاه يوسف بن هبة الله بن مسلم فى قصيدة خطّها بنفسه.

ويرى ابن أبى أصيبعة أن كتبه ومصنفاته كانت جيدة التأليف، كثيرة الفوائد، ومن كتب الطبيب ابن جميع: كتاب الإرشاد لمصالح الأنفس والأجساد أربع مقالات، ومقالة

(١) ذكر ابن أبى أصيبعة فى سياق حديثه عن الطبيب ابن جميع أنه كانت له دكان عند سوق القناديل بفسطاط مصر. والحقيقة ان كلمة (دكان) استوقفتنى، خاصة وأن ابن أبى أصيبعة لم يشر إلى أنه كان تاجراً، لذلك ربما كانت كعيادة يعالج فيها مرضاه. (ابن أبى أصيبعة: طبقات الأطباء، ص٥٧٧). وقد أكد اعتقادنا هذا «جويتاين» الذى ذكر أن عيادة الطبيب كان يطلق عليها فى ذلك الوقت اسم دكان (dukkan)، وهذا الدكان كان كأى متجر آخر مفتوح فى السوق، وكان أحيانا يشترك فيه طبيبان، وكانت توضع لافتة فوق المتجر لاعلان مهنة الطبيب.

فى الليمون وشرابه ومنافعه، ومقالة فى علاج القولنج واسمها الرسالة السيفية فى الأدوية الملوكية.

الطبيب الموفق بن شوعة الإسرائيلى:

كان من أعيان العلماء وأفاضل الأطباء، مشهوراً بإتقان الصناعة، وجودة المعرفة فى علم الطب والكحل والجراح.

وقد خدم الملك الناصر صلاح الدين (٥٦٧-٥٨٩هـ/ ١١٧١-١١٩٣م) بالطب عندما كان فى مصر، وعلت منزلته عنده.

وكان الطبيب الموفق بن شوعة شاعراً، ويلعب بالقيثارة. ويبدو أن علاقته بالطبيب اليهودى ابن جميع كانت سيئة ويشوبها التوتر، فقد كان من أشعاره، شعراً يهجو فيه الطبيب اليهودى ابن جميع يقول فيه:

يا أيـهـا المـدعـى طبـا وهـنـدســـة ... أوضحت يا ابن جميع واضح الزور

إن كنت بالطب ذا علم فلم عجزت ... قـواك عـن طب داء فيك مستور

وقد توفى الطبيب ابن شوعة بالقاهرة فى عام ٥٧٩هـ/١١٨٣م.

الطبيب أبو الفضائل بن الناقد الملقب المهذب:

كان طبيبا مشهوراً بالطب والكحل، أى بطب العيون. وقد اعتبره ابن أبى أصيبعة أنه كان متخصصاً فى طب العيون، فيقول: «إلا أن الكحل كان أغلب عليه».

ويبدو أنه كان مشغولاً جداً بمداواة المرضى، فيذكر ابن أبى أصيبعة أنه لم يكن له مجلس للعلم فقط، وإنما كان الطلبة والمشتغلين عليه فى أكثر أوقاته يقرؤون عليه وهو راكب وقت سيره وافتقاده للمرضى.

وقد أورد ابن أبى أصيبعة قصة عن الطبيب أبو الفضائل يظهر منها ارتفاع دخله من عمله بمهنة الطب، وزيادة الطلب عليه كطبيب، وبالتالى اشتهاره. فقد كان قيمة ما حصل عليه فى يوم واحد يقدر بنحو ثلاثمائة دراهم سود[1]، مما جعله يعلق على ذلك بقوله: «وهذا يدل على معاش زائد وقبول كثير».

وتوفى الطبيب أبو الفضائل عام ٥٨٤هـ/١١٨٨م (زمن الملك الناصر صلاح الدين ٥٦٧-٥٨٩هـ/ ١١٧١-١١٩٣م) بالقاهرة، وكان له ابن أعلن إسلامه يعرف باسم أبو الفرج كان طبيبا وكحالاً أيضا.

ومن كتب الطبيب أبو الفضائل: مجرباته فى الطب.

الطبيب الرئيسى موسى بن ميمون:[2]

وهو الطبيب أبو عمران موسى بن ميمون القرطبى. يقول عنه ابن أبى أصيبعة: إنه كان أوحد زمانه فى صناعة الطب وفى أعماله.

وقد إلتجأ إلى مصر فى عهد صلاح الدين (٥٦٧-٥٨٩هـ/ ١١٧١-١١٩٣م) بعد هروبه مع أسرته من المغرب، عندما خيّر عبدالمؤمن بن على (ت عام

---

(١) عرفت الدراهم التى ضربها معاوية بن أبى السفيان بالدراهم السود الناقصة، وكان كل درهم ستة دوانيق أو خمسة عشر قيراطا إلا حبة أو حبتين. وترى د. سيدة كاشف أن تسمية دراهم معاوية «السود الناقصة» ربما تعنى أنها بعكس الدراهم المعروفة منذ العصر الجاهلى باسم «السود الوافية» والتى تتكون من ثمانية دوانيق. والدراهم السوداء أسماء على غير مسميات، وكل درهم ـ كما يقول الأب أنستاس الكرملى ـ معتبر فى العرف بثلث درهم نقرة. وفى عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م أبطل صلاح الدين الدرهم الأسود، وضرب الدراهم الناصرية، وجعلها من فضة خالصة ومن نحاس نصفين بالسوى. وفى عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م أبطل الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب ـ الدرهم الناصرى، وضرب الدراهم المستديرة، وجعل الدرهم الكامل ثلاثة أثلاث، ثلثيه من فضة وثلثه من نحاس، فاستمر ذلك بمصر والشام مدة أيام ملوك بنى أيوب.

(٢) أنظر عنه، فى الموضوع الخاص بعلماء الدين اليهود، وكذلك فى الفصل الخاص برؤساء المجتمع اليهودى.

٥٥٨هـ/١١٦٢م)[1] أمير الموحدين مَن عنده من النصارى واليهود بين الإسلام أو النفى، فجاء موسى بن ميمون إلى مصر، واحترف مهنة الطب فيها، وعندما ذاع صيته اختير الطبيب الأول لوزير صلاح الدين القاضى الفاضل عبدالرحيم البيّسَانى[2] الذى أوصله إلى البلاط السلطانى وغمره بامتيازات عديدة.

---

(١) وهو أبو محمد عبدالمؤمن بن على القيسى الكومى. صاحب المغرب والأندلس. ولد عام ٥٠٠هـ/١١٠٦م وقيل عام ٤٩٠هـ/١٠٩٦م. وقد امتد ملكه إلى المغرب الأقصى والأدنى وبلاد إفريقية وكثير من بلاد الأندلس، وكان أول ما أخذ من البلاد وهران ثم تلمسان ثم فاس ثم سلا ثم سبته، ثم مراكش وكانت عام ٥٤٢هـ/١١٤٧م. وكان يسمى نفسه بأمير المؤمنين. وكان ملكاً عادلاً، سائسا، عظيم الهيبة، عالى الهمة، كثير المحاسن، متين الديانة، يجتنب لبس الحرير ويصوم الاثنين والخميس. وقصدته الشعراء، وامتدحته بأحسن المدائح. وقد توفى بمدينة «سلا» بعد اصابته بمرض شديد وذلك عام ٥٥٨هـ/١١٦٢م، وحمل إلى «تين ملّ» ودفن هناك. وكانت مدة ولايته ثلاثا وثلاثين سنة وأشهرا.

والكومى: بضم الكاف وسكون الواو وبعدها ميم. نسبة إلى كومية وهى قبيلة صغيرة نازلة بساحل البحر من أعمال تلمسان، ومولده فى قرية هناك يقال لها تاجرة.

(٢) وهو أبو على عبدالرحيم ابن القاضى الأشرف بهاء الدين أبى المجد على ابن القاضى السعيد أبى محمد الحسن بن الحسن بن أحمد بن الفرج ابن أحمد اللخمى العسقلانى المولد، المصرى الدار، المعروف بالقاضى الفاضل الملقب مجير الدين. كانت ولادته عام ٥٢٩هـ/١١٣٤م بمدينة عسقلان، وتولى أبوه القضاء بمدينة بيّسان فلهذا نسبوا إليها. وهو صاحب ديوان الإنشاء، وشيخ البلاغة، وقد برز فى صناعة الإنشاء وفاق المتقدمين، وله فى الشعر أيضا أشياء حسنة. وبنى بالقاهرة مدرسة بدرب ملوخية. وعبدالرحيم البيّسانى وزّر للسلطان صلاح الدين وترقى منزلته عنده، وبعد وفاة صلاح الدين استمر على ما كان عليه عند ولده الملك العزيز عثمان فى المكانة والرفعة ونفاذ الأمر، ولما توفى العزيز عثمان وقام ولده الملك المنصور بالملك بتدبير عمه الملك الأفضل نور الدين كان أيضا على حاله، ولم يزل كذلك إلى أن [illegible] الملك العادل وأخذ الديار المصرية، فعند دخوله القاهرة، توفى القاضى الفاضل وذلك فى [illegible] الأربعاء سابع شهر ربيع الآخر عام ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م بالقاهرة ـ فجأة. ودفن فى تربته من الغد بسفح المقطم فى القرافة الصغرى، وصلى عليه الملك الأفضل. وقيل إن دخله كل سنة من إقطاعه ورباعه وضياعه كان خمسون ألف دينار، هذا سوى التجارات من الهند والمغرب وغير ذلك، كما ذُكر أن عدد كتبه قد بلغ مائة ألف كتاب وأربعة عشر ألف كتاب.

وقد خدم الطبيب موسى بن ميمون السلطان صلاح الدين بالطب، وكان يعالجه هو وولده الملك الأفضل على.

والطبيب موسى بن ميمون كان مقيما بفسطاط مصر.

ومن كتبه فى الطب: اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس، مقالة فى البواسير وعلاجها، مقالة فى تدبير الصحة صنفها للملك الأفضل على بن الملك الناصر صلاح الدين، مقالة فى السموم والتحرز من الأدوية القاتلة، كتاب «شرح العقار».

وكان للطبيب عبداللطيف البغدادى رأىٌ فى الطبيب اليهودى موسى بن ميمون، وذلك عندما قابله فى أثناء زيارة له لمصر، فهو يقول: «وجاءنى موسى، فوجدته فاضلا فى الغاية، قد غلب عليه حب الرياسة، وخدمة أرباب الدنيا. وعمل كتابا فى الطب جمعه من الستة عشر لجالينوس، ومن خمسة كتب أخرى، وشرّط أن لا يغير فيه حرفا، إلا أن يكون واو عطف أو فاء وصل»[1].

وقد أورد الدكتور عطية القوصى نقلا عن (Dubnov) خطابا للطبيب موسى بن ميمون كان قد أرسله إلى أحد أصدقائه، أعطانا صورة ـ كما يقول ـ لبرنامج عمله اليومى، خاصة فيما يتعلق بعمله بالطب، فيقول الخطاب: «إنى أعيش فى الفسطاط بالقرب من قصر السلطان المتواجد بالقاهرة، والذى لا يبعد عن مقر إقامتى كثيراً، وإنى أتواجد فى كل صباح فى حضرة السلطان، حيث أقوم بمعالجة قواد السلطان وأتباعه. وأظل هناك، ولا أعود إلى الفسطاط قبل الظهر بأى حال من الأحوال. وعند عودتى للفسطاط أجد فى انتظارى كثيراً من الناس مسلمين ويهود واقفين أمام دارى، فأنزل من على حمارى، وأغتسل، وأعتذر للناس عن تأخرى، وأطلب منهم الانتظار قليلاً حتى أتناول لقيمات قليلة. ثم أعود لمعالجة المرضى، وأكتب لهم العلاج. ويظل الناس من حولى فى ذهاب ورواح حتى المساء، وأظل فى خدمتهم حتى الثانية صباحا»[2].

---

(١) كان لتعليق عبداللطيف البغدادى بقية تتعلق بكتاب دين ألفه موسى بن ميمون لليهود. سنورده فى أثناء حديثنا عن علماء الدين اليهود).

(٢) (بقية الخطاب يوضح فيه أن يوم السبت كان مخصصاً للخدمة الدينية. وسنشير إلى ذلك فى أثناء حديثنا عن علماء الدين اليهود).

وقد توفى موسى بن ميمون عام ٦٠١هـ/١٢٠٤م.

الطبيب إبراهيم السامرى المعروف بشمس الحكماء:

كان طبيبا للملك الناصر صلاح الدين (٥٦٧-٥٨٩هـ/ ١١٧١-١١٩٣م). وقد خلط الدكتور عطية القوصى بين اسم هذا الطبيب والطبيب مهذب الدين يوسف بن أبى سعيد السامرى. فذكر أن يوسف بن أبى سعيد هذا هو الذى كان يلقب بشمس الحكماء، وكان فى خدمة صلاح الدين الأيوبى. وفى الحقيقة أن الذى كان طبيبا لصلاح الدين هو الطبيب إبراهيم السامرى، وهو الذى كان معروفا بشمس الحكماء، ويتضح هذا مما أورده ابن أبى أصيبعة، فهو يقول عن الطبيب يوسف بن أبى سعيد: «هو الشيخ الإمام العالم الصاحب الوزير مهذب الدين يوسف بن أبى سعيد بن خلف السامرى، قد أتقن الصناعة الطبية، وتميز فى العلوم الحكمية، واشتغل بعلم الأدب، وبلغ فى الفضائل أعلى المراتب. وكان كثير الاحسان، غزير الامتنان، فاضل النفس، صائب الحدس. وقرأ صناعة الطب على الحكيم إبراهيم السامرى المعروف بشمس الحكماء، وكان هذا شمس الحكماء فى خدمة الملك الناصر صلاح الدين يوسف، وقرأ أيضا....».

الطبيب أبو المعالى بن تمام:

وهو أبو المعالى تمام بن هبة الله بن تمام. كان غزير العلم، وافر المعرفة. وكان مشهوراً فى الدولة، خدم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب (٥٦٧-٥٨٩هـ/ ١١٧١-١١٩٣م)، وحظى فى أيامه، كما خدم بعد ذلك أخاه الملك العادل أبى بكر بن أيوب (٥٩٦-٦١٥هـ/ ١١٩٩-١٢١٨م).

والطبيب اليهودى أبو المعالى كان مقيما بفسطاط مصر، وقد أسلم جماعة من أولاده.

وكان له من الكتب: تعاليق ومجربات فى الطب.

الطبيب أبو زكرى بن أبو الفرج بن الريس (Abu Zikri b. Abu'L-Faraj b. al-Rayyis) :

كان طبيبا للعيون متخصصاً فيها، وكان فى خدمة الملك العزيز عثمان (٥٨٩-٥٩٥هـ/ ١١٩٣-١١٩٨م).

ويذكر جويتاين أنه كان صغيرا فى السن، فلم يكن قد تعدى بعد سن العشرين، وأن والده كان يعمل فى خدمة العزيز كذلك. وكان الملك العزيز عثمان يهتم كثيراً بالطبيب أبى زكرى[1].

الطبيب الشيخ السديد بن أبى البيان:

وهو سديد الدين أبو الفضل داوود بن أبى البيان سليمان بن أبى الفرج إسرائيل بن أبى الطيب سليمان. خدم الملك العادل أبا بكر بن أيوب (٥٩٦-٦١٥هـ/ ١١٩٩-١٢١٨م).

يقول عنه ابن أبى أصيبعة: كان شيخا محققا للصناعة الطبية، متقنا لها، متميزا فى علمها وعملها، خبيرا بالأدوية المفردة والمركبة.

وكان ابن أبى أصيبعة قد عمل معه فى البيمارستان الناصرى، وشاهد طرقه فى علاج المرضى فيقول: «ولقد شاهدت منه حيث نعالج المرضى بالبيمارستان الناصرى بالقاهرة، من حسن تأنيه لمعرفة الأمراض وتحقيقها، وذكر مداواتها، والاطلاع على ما ذكره جالينوس فيها ـ ما يعجز عن الوصف».

وكان الطبيب ابن أبى البيان ـ كما يقول ابن أبى أصيبعة أيضا ـ أقدر أهل زمانه من الأطباء على تركيب الأدوية، ومعرفة مقاديرها، وأوزانها على ما ينبغى، حتى إنه كان فى أوقات يأتى إليه من المستوصفين من به أمراض مختلفة، أو قليلة الحدوث، فكان يملى

---

(١) لم يوضح جويتاين ماذا كان يعمل والده؟ وان كان يفهم من كلامه أنه كان طبيبا، وربما كان عمل والده عند الملك العزيز عثمان قد أعطاه فرصة العمل عنده كذلك.

وصفات أدوية مركبة بحسب ما يحتاج إليه ذلك المريض من الأقراص والأشربة أو غير ذلك، وهى فى نهاية الجودة وحسن التأليف.

وكان شيخه فى صناعة الطب الطبيب الرئيس هبة الله بن جميع اليهودى.

وقد وجد ابن أبى أصيبعة شعرا فى مدحه يقول:

إذا أشكل الداء فى باطن   أتى ابن بيان له بالبيان

فإن كنت ترغب فى صحة   فخذ لسقامك منه الأمان

وكان الطبيب سديد الدين قد ولد بالقاهرة فى عام ٥٥٦هـ/١١٦٠م (خلافة العاضد الفاطمى ٥٥٥-٥٦٧هـ/ ١١٦٠-١١٧١م)، وعاش فوق الثمانين سنة، وقد ضعف بصره فى آخر عمره.

ومن كتبه: كتاب «الأقرابا ذين» وهو اثنا عشر بابا قد أجاد فى جمعه، وبالغ فى تأليفه، واقتصر على الأدوية المركبة المستعملة المتداولة فى البيمارستانات بمصر والشام والعراق وحوانيت الصيادلة. ويذكر ابن أبى أصيبعة أنه قرأه عليه وجمعه معه.

وله من الكتب كذلك: تعاليق على كتاب العلل والأعراض لجالينوس[*].

الطبيب إبراهيم بن موسى بن ميمون:

وهو أبو المنى إبراهيم بن الرئيس موسى بن ميمون الطبيب. كان طبيبا مشهورا، عالما بصناعة الطب، جيداً فى أعمالها. نشأ فى الفسطاط، وكان فى خدمة الملك الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب (٦١٥-٦٣٥هـ/ ١٢١٨-١٢٣٧م).

وكان يعالج المرضى فى البيمارستان الذى بالقاهرة من القصر، وقد قابله ابن أبى أصيبعة عندما كان فى مصر، يعمل طبيبا بالبيمارستان بها، فيقول عنه: «فوجدته شيخا طويلا، نحيف الجسم، حسن المعاشرة، لطيف الكلام، متميزاً فى الطب».

وقد توفى بمصر فى الثلاثينيات من سنة ستمائة.

(*) لم يوضح ابن أبى أصيبعة الكتاب الذى قرأه عليه وجمعه معه هل هو كتاب الأقراباذين، أم تعاليق على كتاب العلل، وان كان يظهر لنا أنه كتاب الأقراباذين لذلك ذكرت فى المتن أنه قرأه معه.

الطبيب أبو البركات بن شعيا الملقب بالموفق:

يقول عنه ابن أبى أصيبعة أنه شيخ مشهور، كثير التجارب، مشكور الأعمال فى صناعة الطب. عاش ستا وثمانين سنة، وتوفى بالقاهرة، وخلف ولداً يقال له سعيد الدولة أبو الفخر، وهو طبيب أيضا، ومقامه بالقاهرة.

وعلى الرغم من أن ابن أبى أصيبعة لم يذكر الزمن الذى كان موجوداً فيه هذا الطبيب، إلا أنه يبدو لنا أنه كان موجوداً فى فترة الدولة الأيوبية، خاصة إذا علمنا أن ابن أبى أصيبعة اشتغل بمهنة الطب فى مصر فى المارستان الناصرى الذى أنشأه الملك الناصر صلاح الدين، وأنه بعد ذيوع شهرته سافر للعمل طبيبا فى صرخد[1] وتوفى هناك عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م. هذا فى الوقت الذى لم يشر فيه ابن أبى أصيبعة إلى أنه كان يخدم الخلفاء الفاطميين.

اطباء يهود هاجروا من مصر

الطبيب اسحق بن سليمان الإسرائيلى:

يكنى أبا يعقوب، وقد شاع ذكره وعرف بالإسرائيلى. كان طبيبا فاضلا بليغا عالماً مشهورا بالحذق والمعرفة.

وهو من أهل مصر، ثم سكن القيروان، ولازم الطبيب اسحق بن عمران وتتلمذ له. وخدم الامام أبا محمد عبيد الله المهدى[2] صاحب افريقية بصناعة الطب.

---

(١) صَرْخَد: بالفتح ثم السكون، والخاء المعجمة، والدال مهملة: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهى قلعة حصينة، وولاية حسنة واسعة.

(٢) وهو أبو محمد عبيد الله الملقب بالمهدى. يذكر ابن خلكان أنه وجد فى نسبه اختلافاً كثيراً. وهو أول من ادعى الخلافة بالمغرب، وكان داعيه أبا عبدالله الشيعى، ولما استتب له الأمر قتله وقتل أخاه، وبنى المهدية بافريقية، وفرغ من بنائها عام ٣٠٨هـ/٩٢٠م، وبنى سور تونس، وأحكم عمارتها، وجدد فيها مواضع فنسبت المهدية إليه، وملك بعده ولده القائم ثم المنصور ثم المعز وهو الذى ملك الديار المصرية وبنى القاهرة، واستمرت دولتهم حتى انقرضت على يد السلطان صلاح الدين. ولأجل نسبتهم إليه يقال لهم «العبيديون». وكانت ولادته عام ٢٥٩هـ/٨٧٢م وقيل عام ٢٦٠هـ/٨٧٣م وقيل عام ٢٦٦هـ/٨٧٩م بمدينة سَلَمِيَّة وقيل بالكوفة. وقد توفى عام ٣٢٢هـ/٩٣٣م بالمهدية.

وللطبيب اسحق بن سليمان من الكتب: كتاب الحميات، وكتاب الأغذية[1] والأدوية، وكتاب البول، وكتاب الاسطقسات. وكان يرى أن الأربع كتب هذه تحيى ذكراه لومات أكثر من الولد.

وله من الكتب كذلك: كتاب المدخل إلى صناعة الطب، كتاب فى النبض، وكتاب فى الترياق وغيرها.

وقد عمر الطبيب ابن سليمان عمراً طويلا إلى أن نيف على مائة سنة، وتوفى قريبا من سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م.

اطباء يهود زاروا مصر

الطبيب يوسف بن أحمد بن حسداى:[2]

وهو أبو جعفر، يوسف بن أحمد بن حسداى (حسديه) بن يوسف، الإسرائيلى الأصل.

قدم من الأندلس إلى مصر فى حوالى عام ٥١٦هـ/١١٢٢م زمن الآمر بأحكام الله الفاطمى (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩م)، وقد اختص بالوزير المأمون[3] مدة أيام دولته وتدبيره للملك. ويذكر ابن أبى أصيبعة أن المأمون كان فى أيام وزارته «له همة عالية، ورغبة فى العلوم، فكان قد أمر يوسف بن أحمد بن حسداى أن يشرح له كتب أبقراط، إذ

---

(١) ذكر جويتاين أن اسحق الإسرائيلى كان قد كتب كتابه عن الطعام فى القرن ٤هـ/١٠م، وأنه كان يتكون من أربعة أجزاء عن مواد الطعام وقيمتها للصحة البشرية.

(٢) ذكر ابن أبى أصيبعة بجانب هذا الطبيب طبيبان آخران قريبان الشبه بإسمه، وهما: الطبيب حسداى بن اسحق والطبيب حسداى بن يوسف بن حسداى وذكر أنهما كانا من الأندلس. والحقيقة إن لتشابه اسمهما مع اسم طبيبنا يوسف بن حسداى، يجعلنا نشك أنهم ربما كانوا من أسرة واحدة، وإن لم يذكر ذلك ابن أبى أصيبعة.

(٣) وهو أبو عبدالله محمد بن نور الدولة أبي شجاع الآمرى، تولى منصب الوزارة للخليفة الآمر لمدة ثلاث سنوات وتسعة أشهر، فقد استوزه الآمر فى ذى الحجة سنة ٥١٥هـ/١١٢١م وقبض عليه ليلة السبت الرابع من شهر رمضان عام ٥١٩هـ/١١٢٥م فى القصر بعد صلاة المغرب، ثم قتل بعد ذلك فى رجب عام ٥٢٢هـ/١١٢٨م وصلب بظاهر القاهرة.

كانت أجل كتب هذه الصناعة، وأعظمها جدوى، وأكثرها غموضا، وكان ابن حسداى قد شرع فى ذلك».

ويذكر المقريزى أنه لما قدم من الأندلس، صار ضيفاً على الدولة، فأقطعت له داراً، وأعطى كسوة شتوية وغير ذلك، كما كتب له منشورا وكانت نسخته بعد البسملة:

«ولما كان من أشرف ما طرّزت السيرة بقدره، وأنْفَس ما وشّحت الدول بجميل أثره، تخليد الفضائل وإبداء ذكرها، وإظهار المعارف وإيضاح سرّها، لاسيما صناعة الطب التى هى غاية الجدوى والنفع، ووُرد الخبر بأنها قرينة إلى الشرع. لقوله صلى الله عليه وسلم: «العلم علمان: علم الأديان وعلم الأبْدان» خرَج أمر سيدنا ومولانا لمَا يؤثره بعلو همته من إنماء العلوم وإشهارها، واختصاص الدولة الفاطمية بإحياء الفضائل وتجديد آثارها، ليبقى جمال ذلك شاهدا لها على مر الأيام، متّسقاً بما أفشاه لها من المآثر الجمّة، والمفاخر الجسام، لشيخنا أبى جعفر يوسف بن أحمد بن حسديه، أيده الله، لصرف رعايته إلى شرح كُتُب أبقراط التى هى أشرف كتب الطب وأوفاها، وأكثرها إغماضا وأبقاها، وإلى التصنيف فى غير ذلك من أنحاء العلوم، مما يكون منسوبا إلى الأوامر العالية، ورسم التّوَفر على ذلك والانتصاب له، وحَمْل ما يكمل أولاً أولاً إلى خزائن الكتب، وإقراء جميع من يحضر إليه من أهل هذه الصناعة، وعرض من يدّعيها إستْشفافه فيما يعانيه. فمن كملت عنده صناعته فلْيُجِزه على رسمه، ومن كان مقصراً فلْيَسْتَنْهضْه. واعتمدنا عليه فى ذلك لكونه مميزا فى البراعة فى العلوم، متصرفا فى فنونها، مُقدِّما فى بَسْطها وإظهار مكنونها، ولأنّه يبلغ الغرض المقصود فى شرح هذه الكتب يُوفى عليه، ويَسْلك أوضح السبل وأسدَّها إليه، وفى جميع ما شرع له. فليشرع فى ذلك مستعينا بالله، مُنْفسح الأمل بإنهاضنا له، وجميل رأينا فيه، بعد ثبوته فى الدواوين إن شاء الله تعالى. وكتب فى ذى العقدة سنة ست عشرة وخمسمائة».

ويذكر المقريزى أن الطبيب ابن حسداى بعد هذا المرسوم «انتصب لطالبى علم الطب، وأقبل أطباء البلدين إليه، واجتمع فى أيدى الناس من أماليه كثير، وجعل له يومين فى

الجمعة يشتغل فيهما، ويتوفّر فى بقية الأسبوع على التصنيف، وحمل ذلك إلى الخزائن، واستخدم كاتبين لِتَبْيِض ما يؤلفه».

ويشير محقق كتاب اتعاظ الحنفا الدكتور محمد حلمى محمد ـ إلى أن المقريزى كان قدْ أشار بهامش الأصل وبخطه أن الطبيب أبا جعفر يوسف بن حسداى كان أحد أعلام فضلاء اليهود الأطباء، وأنه أسلم بالقاهرة.

وللطبيب يوسف بن أحمد بن حسداى من الكتب: الشرح المأمونى لكتاب الايمان لأبقراط المعروف بعهده إلى الأطباء، صنفه للمأمون أبى عبدالله محمد الآمرى. وشرح المقالة الأولى من كتاب الفصول لابقراط. وقد ذكر ابن أبى أصيبعة أنه قرأ هذين الكتابين فيقول: «ووجدت له منه شرح كتاب الايمان لأبقراط، وقد أجاد فى شرحه لهذا الكتاب، واستقصى ذكر معانيه وتبيينها على أتم ما يكون وأحسنه، ووجدت له أيضا شرح بعض كتاب الفصول لابقراط».

كما كان له من الكتب: تعاليق وجدت بخطة، كتبها عند وروده على الاسكندرية من الأندلس. فوائد مستخرجة استخرجها وهذبها من شرح على بن رضوان لكتاب جالينوس إلى اغلو قن، من القول على أول الصناعة الصغيرة لجالينوس. كتاب «الاجمال فى المنطق». شرح كتاب «الاجمال».

وقد توفى الطبيب يوسف بن حسداى وهو فى حدود الثمانين من عمره.

الطبيب أبو الحجاج يوسف الإسرائيلى:

وهو مغربى الأصل من مدينة فاس[1]، فاضلا فى صناعة الطب والهندسة وعلم النجوم. أتى إلى الديار المصرية، واشتغل فيها بالطب على يد الطبيب الرئيس موسى بن

(١) فاس: بالسين المهملة. مدينة مشهورة كبيرة على برّ المغرب، وهى حاضرة البحر، وأجل مدنّه قبل أن تُختط مراكش. وهى أكثر بلاد المغرب يهودا يختلفون منها إلى جميع الآفاق.

ميمون، ثم سافر بعد ذلك إلى الشام، وأقام بمدينة حلب، وخدم الملك الظاهر غازى ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكان يعتمد عليه فى الطب.

وقد ظل الطبيب أبو الحجاج يوسف مقيما فى حلب، يعمل بالطب ويقوم بتدريسه إلى أن توفى بها.

ومن كتبه: رسالة فى ترتيب الأغذية اللطيفة والكثيفة فى تناولها. وشرح الفصول لأبقراط.

الطبيب يوسف بن يحيى بن اسحق:

وهو مغربى الأصل من مدينة فاس، فر من وطنه إلى مصر حينما شرع عبدالمؤمن بن على فى اضطهاد اليهود والنصارى وإلزامهم بالإسلام أو الجلاء عن بلاد المغرب.

وقد تتلمذ فى مصر على يد الطبيب موسى بن ميمون الذى كان أيضا من مدينة فاس وكان فاراً لنفس السبب ـ كما ذكرت سابقا.

على أية حال، فقد غادر يوسف بن يحيى مصر إلى حلب، ثم إلى العراق، ثم سافر إلى الهند، ولما عاد ـ كما يقول ترتون ـ ازدادت خبرته بالطب زيادة عظيمة، وكان صديقا حميما للقفطى صاحب تاريخ الحكماء.

وقد توفى الطبيب يوسف بن يحيى سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م.

المهندسون اليهود

أبو سعيد بن قرقة الطبيب:

كان من مهندسى أوائل القرن السادس الهجرى بمصر إلى جانب كونه طبيبا من أطباء الخاص زمن الخليفة الحافظ (٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٢٩-١١٤٩م)[1].

(١) أنظر عنه بالتفصيل كطبيب فى الموضوع الخاص بالأطباء اليهود.

وقد ذكره المقريزى فى كلامه عن بناء المرصد، وذلك عندما أراد الوزير الأفضل ابن أمير الجيوش زمن الخليفة الآمر بأحكام الله (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩م) - إقامة مرصد بمصر عام ٥١٤هـ/١١٢٠م فرشحوا له أبا سعيد بن قرقة وذلك بعدما لم يوافق على المهندس ابن أبى العيش الطرابيشى.

ويذكر المقريزى أن ابن قرقة هذا كان متولى خزائن السلاح والسروج والصناعات وغير ذلك. وقد أفاض المقريزى فى ذكر ما دار فى المقابلة التى تمت بينه وبين الوزير الأفضل، وكيف أنه استطاع بتسهيله للأمر، ولتقليل قيمة نفقات بناء هذا المرصد ـ أن اقتنع به الأفضل، وأمره ببنائه فيقول:

«فأحضره للوقت، فاتفق له من الحديث الحسن السهل، وما سبب عمل الآلات، ومن ابتدأها من الأول، وذكر القدماء فى العلم، ومن رصد منهم واحدا واحدا إلى آخرهم، شرحاً مستوفيا كأنه يحفظه ظاهراً أو يقرأه من كتاب، فأعجب الأفضل والحاضرين، وقال: أى شيء تحتاج. فقال: ما أحتاج كبير أمر، والأمور سهلة، وكل ما أحتاجه فى خزائن السلطان خلد الله ملكه: النحاس، والرصاص، والآلات، وكل ما أحتاج أستدعيه أولاً أولاً، إلاّ النفقات وأجرة الصناع فيتولاها غيرى، فأعجب به، وقال: يطلق له جار لنفسه. فقال: أنا مستخدم فى عدّة خدم، فجوارى تكفينى، فأنا مملوك الدولة، ما أحتاج إلى جار. وإذا بلغت الغرض، وأنهيت الأشغال فهو المقصود.

وكان قيل للأفضل: هذا الرصد يحتاج إلى أموال عظيمة. فقال: كم تقول يحتاج إليه. فقال: ما ينفق عليه إلاّ مثل ما ينفق على مسجد أو مستنظر. فرجع يكرر عليه القول. فقال: هاتوا ورقة، فكتب فيها: المملوك يقبّل الأرض وينهى، دعت الحاجة إلى خروج الأمر العالى إلى دار الوكالة باطلاق مائتى قنطار من النحاس الشجر، وثمانين قنطاراً من النحاس القضيب الأندلسى، وأربعين قنطارا من النحاس الأحمر، ومن الرصاص ألف قنطار، ومن الحطب، ومن الحديد، ومن الفولاذ من الصناعة ما لعله يحتاج إليه، ومن الأخشاب، ومن النفقة مائة دينار على يد شاهد ينفق عليه، فإذا فرغت استدعى غيرها. وأختار موضعا يصلح

الرصد فيه ويكون العمل والصناعة فيه، ومباشرة السلطان فيما يتوقف عليه، وما يستأمر فيه. فاستصوب الأفضل جميع ذلك».

ويذكر المقريزى بعد ذلك أن المرصد لم يكتمل بناءه فى حياة الوزير الأفضل الذى قتل فى السنة التالية من بناء المرصد وهى سنة ٥١٥هـ/١١٢١م.

وعندما تولى الوزارة المأمون بن البطائحى من بعده وذلك فى عام ٥١٥هـ/١١٢١م، طلب أن يستمر العمل فى بناء المرصد، إلاّ أنه قبض عليه فى عام ٥١٩هـ/١١٢٥م.

ويذكر المقريزى أن من جملة ما عدّد من ذنوبه كان عمل المرصد. وقيل: أطمعته نفسه فى الخلافة بكونه سماه المرصد المأمونى، ونسبه إلى نفسه، ولم ينسبه إلى الخليفة الآمر بأحكام الله. أما العامة فكانوا يقولون: «أرادوا أن يخاطبوا زحل، وأرادوا أن يعلموا الغيب. وقال آخرون منهم عمل هذا للسحر»، ونحو ذلك من الشائعات.

ويذكر المقريزى أن الخليفة أنكر العمل فى المرصد، وأمر بكسره فكسر.

وكان ابن قرقة فى أثناء تولية بناء هذا المرصد يحضر إلى مكان البناء مرتين فى اليوم الواحد ويكون معه المهندس أبو جعفر بن حسنداى، وأبو البركات ابن أبى الليث صاحب الديوان للإشراف على عملية البناء.

المهندس أبو جعفر بن حسنداى:[1]

وهو أحد المهندسين بمصر فى أوائل القرن السادس الهجرى زمن الآمر بأحكام الله الفاطمى (٤٩٥-٥٢٤هـ/١١٠١-١١٢٩م). ذكره المقريزى من ضمن المهندسين الخمسة الذين كانوا يعملون فى بناء المرصد، تحت اشراف ابن قرقة.

وقد ذكرت سابقا أن المهندس أبا جعفر بن حسنداى، وأبا البركات بن أبى الليث صاحب الديوان كانا مع ابن قرقة عندما يأتى للاشراف على العمل مرتين فى اليوم، فيبدو أنهما كانا يمران معه للتأكد من جدية سير عملية البناء فى المرصد.

(١) ذكره الأستاذ أحمد تيمور باشا باسم (ابن حيسدانى) ورأى أن هذا الاسم هو الصحيح، وليس (ابن حسنداى) أو (ابن حسداى).

وفى رأينا أن المهندس أبا جعفر بن حسنداى كان هو نفسه الطبيب أبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسداى، فإلى جانب تشابه اسميهما، كانا موجودان فى مصر فى نفس الوقت. فكان المهندس أبو جعفر بن حسنداى فى مصر زمن الآمر بأحكام الله الفاطمى، وكان الطبيب أبو جعفر يوسف بن حسداى قد قدم إلى مصر من الأندلس حوالى عام ٥١٦هـ/١١٢٢م أى زمن الآمر بأحكام الله، وقد اختص بالمأمون ـ كما ذكرت ذلك فى الموضوع الخاص بالأطباء اليهود فى مصر ـ فلا يستبعد فى رأينا أن يكون الوزير المأمون قد جعله من ضمن مهندسى المرصد، عندما تولى الوزارة وذلك بعد وفاة الوزير الأفضل وتكملته لمشروع بناء المرصد.

ومع إشارة المقريزى إلى أنه كان يهوديا، ثم أسلم فى القاهرة، فقد ذكرته من ضمن المهندسين اليهود فى مصر.

أبو المنجا بن شعيا:[1] (Abu Munajjà)

وهو أحد المهندسين الذين كانوا فى أوائل القرن السادس الهجرى بمصر، زمن الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩م).

فيذكر المقريزى أن المهندس أبا المنجا بن شعيا هو الذى تولى حفر خليج أبى المنجا(*)، أو ما تسميه العامة بحر أبى المنجا وذلك فى عام ٥٠٦هـ/١١١٢م للوزير الأفضل ابن أمير الجيوش.

---

(١) ذكر المقريزى مهندساً باسم أبو النجا بن سند الساعاتى الاسكندرانى من ضمن المهندسين الخمسة المكلفين ببناء المرصد للوزير الأفضل ثم المأمون زمن الآمر بأحكام الله، فهل كان هذا المهندس هو نفسه المهندس أبو المنجا اليهودى؟.

(*) كان يوم فتح هذا الخليج من منتزهات الخلفاء، وكان الوزير المأمون البطائحى وزير الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٢٩م) قد أمر بأن يبنى على مكان السد منظرة متسعة تكون من بحرى السدّ. وقد ظل يوم فتح سد هذا البحر أو الخليج يوماً مشهودا إلى أن زالت الدولة الفاطمية، ثم استمر الحال فى الدولة الأيوبية التى جاءت من بعدهم. ويذكر المقريزى أنه فى زمانه (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) قل الاحتفال بيوم فتح سد بحر أبى المنجا لشغل الناس بهمّ المعيشة.

وعن سبب حفره لبحر أبى المنجا تقول المصادر العربية: إن معظم بلاد الأعمال الشرقية كانت لا تروى بل تشرق فى أكثر السنين، وكان الماء لا يصل إليها، إلا من البحر السردوسى(*) أو من المواضع البعيدة. وكان أبو المنجا اليهودى يتولى وظيفة مشارف الأعمال المذكورة، فتضرر المزارعون إليه، وسألوه فى فتح ترعة يصل منها الماء إليهم، فاتصل خبر ذلك إلى الوزير الأفضل ابن أمير الجيوش، الذى أمر بحفره، فابتدئ العمل فيه فى يوم الثلاثاء السادس من شعبان عام ٥٠٦هـ/١١١٢م.

وقد اختلف ابن دقماق والمقريزى فى المدة التى استغرقت لحفر هذا البحر، ففى رواية ابن دقماق استغرق الحفر فيه ست سنوات، وفى رواية المقريزى استغرق الحفر فيه سنتين.

وتذكر المصادر العربية أنه عندما اكتمل حفره عرض على الوزير الأفضل جملة ما أنفق فيه، فاستعظمه وقال: «غرمنا هذا المال العظيم، والإسم لأبى المنجا العامل». فغير اسمه، وسماه بالبحر الأفضل، فلم يتم له ذلك، ولم يعرف إلا بأبى المنجا.

وقد كان إسراف ابن أبى المنجا للانفاق على حفر هذا الخليج أو البحر، والخلاف الذى نشب بينه وبين ابن أبى الليث، صاحب الديوان، حول قيمة النفقات ـ سبباً فى إصدار الأفضل أوامره بنفيه إلى الاسكندرية، ثم باعتقاله بها عدة سنين.

وتذكر المصادر العربية أنه حبس فى مكان بمفرده ضيق، مما جعله يتحيل فى تحصيل مصحف ويكتب بخطه ختمة(**)، ويكتب فى آخرها «كتبها أبو المنجا اليهودى»، وبعثها

(*) سرْدُوس: قال ابن عبدالحكم: كانت خلجان مصر سبعة على جوانبها الجنات، منها خليج سردوس، قال عبدالله بن عمرو بن العاص: استعمل فرعون هامان على حفر خليج سردوس، فلما ابتدأ حفره أتاه أهل كل قرية يسألونه أن يجرى الخليج تحت قريتهم ويعطونه مالاً. وقال ابن زولاق: لما فرغ هامان من حفر خليج سردوس سأله فرعون عمّا أنفقه عليه فقال: أنفقت عليه مائة ألف دينار أعطانيها أهل القرى. فقال له: ما أحوجك إلى من يضرب عنقك، آخذ من عبيدى مالاً على منافعهم! ردّها إليهم، ففعل.

(**) هكذا فى الأصل، وقد يعنى بكلمة «ختمة» خاتمة للمصحف، ثم وقعّ عليها بإسمه، مما يعنى أنه الذى كتبه.

إلى السوق مما أثار العامة، وعلم الخليفة فطلبه وقيل له: «ما حملك على هذا؟ قال: طلب الخلاص بالقتل. فأدب، وأطلق سبيله».

ويبدو فى رأينا أن من أسباب اطلاق سبيل ابن أبى المنجا، كانت الفائدة التى عادت على البلاد من حفر هذا البحر، مما هون من قيمة النفقة الباهظة التى صرفت عليه.

الطبيب أبو الحجاج يوسف الإسرائيلى:

ذكر ابن أبى أصيبعة أنه كان إلى جانب ممارسته لمهنة الطب فاضلاً فى الهندسة.

علماء الفلسفة والمنطق اليهود

الطبيب سلامة بن رحمون:[1]

ذكر ابن أبى أصيبعة أنه كان إلى جانب عمله بالطب، كان له أيضا اشتغال جيد بالمنطق، وله تصانيف فى ذلك، وكان شيخه الذى اشتغل عليه بهذا الفن، الأمير أبو الوفاء محمود الدولة المبشر بن فاتك.

وقد ذكره أبو الصلت[2] فى رسالته المصرية ـ كما يقول ابن أبى أصيبعة ـ وذكر أنه أخذ عن أبى الوفاء المبشر بن فاتك شيئا من صناعة المنطق تخصص به وتميز عن أضرابه. ثم نصب نفسه لتدريس جميع كتب المنطق، وجميع كتب الفلسفة الطبيعية. وكان أبو الصلت قد اجتمع بسلامة بن رحمون فى مصر، وجرت بينهما مباحث ومشاغبات، وكان يرى أنه

(١) أنظر عنه كذلك، فى الموضوع الخاص بالأطباء اليهود.
(٢) وهو أبو الصلت أمية بن عبدالعزيز بن أبى الصلت. من بلد دانية من شرق الأندلس. وهو من أكابر الفضلاء فى صناعة الطب، وفى غيرها من العلوم، وله التصانيف المشهورة. وقد بلغ فى صناعة الطب مبلغا لم يصل إليه غيره من الأطباء. وقد أتى أبو الصلت من الأندلس إلى ديار مصر وأقام بالقاهرة مدة، ثم عاد بعد ذلك إلى الأندلس. وكان دخوله مصر فى حدود علم ٥١٠هـ/١١١٦م. وتوفى عام ٥٢٩هـ/١١٣٤م بالمهدية.

ضعيف وليس بالقوى فيقول: «ولقد سألته أول لقائى له، واجتماعى به عن مسائل استفتحت مباحثه بها، مما يمكن أن يفهمها مَن لم يكن يمتد فى العلم باعه، ولم يكثر تبحره واتساعه، فأجاب عنها بما أبان عن تقصيره، ونطق بعجزه، وأعرب عن سوء تصوره وفهمه».

ويقول كذلك أبو الصلت: «وكان يزوّر فصولاً طبية وفلسفية، يقررها فى معارض ألفاظ القوم، وهى محال لا معنى لها وفارغة لا فائدة فيها، ثم إنه ينفذها إلى من يسأله عن معانيها، ويستوضحه أغراضها، فيتكلم عليها ويشرحها بزعمه دون تيقظ ولا تحفظ، بل باسترسال واستعجال وقلة اكترات واهتبال، فيوجد فيها عنه ما يضحك منه».

وقد تعرض سلامة بن رحمون للهجو من الشعراء كما يقول أبو الصلت وأورده ابن أبى أصيبعة فى كتابه، فمن الشعر الذى يهجوه يقول فيه الشاعر:

جنـون أبـى الخير الجنـون بعينـه   وكـل جنـون عنده غـايـة العـقـل
خـذوه فغلـوه، فشـدو وثـاقـه   فمـا عـاقـل من يستهين بمختـل
وقد كان يؤذى الناس بالقول وحـده   فقد صار يؤذى الناس بالقـول والفعـل

الطبيب موسى بن ميمون:[1]

يذكر ابن أبى أصيبعة أنه كان له معرفة جيدة بالفلسفة.

المنجمون اليهود

يذكر بتلر أن الاسكندرية كانت مشهورة بخدمتها لعلم الفلك، وكان فيها مَن لايزال يمارس التنجيم، وكـان الملوك وحكام البـلاد يرسلون من كل أقطار العـالم إلى رهبـان الصحارى لينبئوهم بما فى ضمير الغيب لهم، وكانوا فى ذلك يعتمدون على علم الرهبان بالكواكب أكثر من اعتمادهم على ربانيتهم.

وبعد الفتح العربى لمصر ظل التنجيم موجوداً بها، على الرغم من أن المصادر الإسلامية لم تشر إلى المنجمين إلاّ فى مواضع قليلة ومتفرقة. بل نستطيع أن نقول إن التنجيم كان

(١) أنظر عنه، فى الموضوع الخاص بالأطباء، وعلماء الدين اليهود، وكذلك الفصل الخاص برؤساء المجتمع اليهودى.

يلاقى اهتماما من حكام مصر الذين كانوا يهرعون إلى المنجمين لسؤالهم عند حدوث أى أمر غريب. ومن ذلك ما حدث فى أيام أحمد ابن طولون عندما تطايرت النجوم، فأحضر أرباب الفلك وسألهم، فلم يجيبوا، فدخل عليه الجمل الشاعر[1] وأنشده هذه الأبيات:

قالوا تساقطت النجوم لحادث أبدا عسير
فأجبت عند مقالهم بجواب محتنك خبير
هذى النجوم الساقطات رجوم أعداء الأمير

وتشير المصادر العربية إلى اهتمام المعز لدين الله الفاطمى بعلم النجوم، فتذكر أن المعز كان مُغرم بعلم النجوم، والنظر فيما يقتضيه أحوال مولده وأحكام طالعه، فكان يطالع طالعه كل يوم، ويستشير منجموه، ويعمل بأقوالهم.

كذلك كان الحافظ لدين الله الفاطمى (٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٢٩-١١٤٩م) يميل إلى علم النجوم[2].

وإذا كان المنجمون قد لاقوا اهتماما من بعض الحكام فى مصر، فإنهم فى أوقات أخرى قد لاقوا الجحيم ـ ان صح التعبير ـ خاصة فى زمن الحاكم بأمر الله الفاطمى، فعلى الرغم من أنه فى بداية حكمه كان ينظر فى النجوم، وكان له منجمون خاصين به[3] كما تذكر المصادر العربية إلا أنه فى عام ٣٩٣هـ/١٠٠٢م طلب أن ينادى منادى «بإباحة دم المنجمين وأنهم كفار، فهربوا ولم يبق بالديار المصرية منجم».

وفى عام ٤٠٤هـ/١٠١٣م «منع الناس من الكلام فى النجوم، وأقيم المنجمون من الطرقات، وطلبوا فتغيبوا، ونفوا». ويذكر ابن سعيد أنهم عندما جمعوا وشُهد عليهم بالتوبة، أعفوا من النفى.

---

(١) هو الشاعر الحسين بن عبدالله بن عبدالسلام أبو عبدالله المصرى المعروف بالجمل الأكبر (ت عام ٢٥٩هـ/٨٧٢م وقيل عام ٢٥٨هـ/٨٧١م) من شعراء الفسطاط فى الدولة الطولونية.

(٢) يذكر المقريزى أنه كان له من المنجمين سبعة، ذكر منهم أربعة وهم: المحقوف، وابن الملاح، وأبو محمد بن القلعى، وابن موسى النصرانى. ولكنه لم يحدد إذا كان أحدا منهم يهوديا.

(٣) يذكر النويرى أن منجمه الخاص كان يعرف بالعكبرى، وكان شديد الاختصاص به.

وفى عام ٤١١هـ/١٠٢٠م أعاد أمر النفى مرة أخرى فيذكر الذهبى أنه «نفى المنجمين من بلاده».

ومن المنجمين اليهود:

منجم يهودى زمن احمد بن طولون:

لم يذكر البلوى اسمه، وإنما ذكر أن هذا اليهودى كان قد أسر مع مَن أسر من أعوان أبى الروح[1] الذى خرج على أحمد بن طولون. وكان أحمد ابن طولون عندما لاقى هذا المنجم اليهودى قال له: «أريت هذا فى نجومك؟ فقال: نعم قد رأيته، ونصحت له (أى المخزومى)[2]، فلم يقبل نصيحتى. فأمر أحمد بن طولون بقطع يديه ورجليه، وصلب حياً مقابلاً للمخزومى حتى مات».

المنجم هيلا بن هيلا اليهودى:

توفى عام ٤١٥هـ/١٠٢٤م (فى خلافة الظاهر الفاطمى ٤١١-٤٢٨هـ/ ١٠٢٠-١٠٣٦م). ويقول المسبحى: إنه عندما مات لم يترك شيئاً «لا مال ولا ذخيرة».

الطبيب أبو الحجاج يوسف الإسرائيلى:

يذكر ابن أبى أصيبعة أنه كان إلى جانب ممارسته لمهنة الطب، كان فاضلا فى علم النجوم.

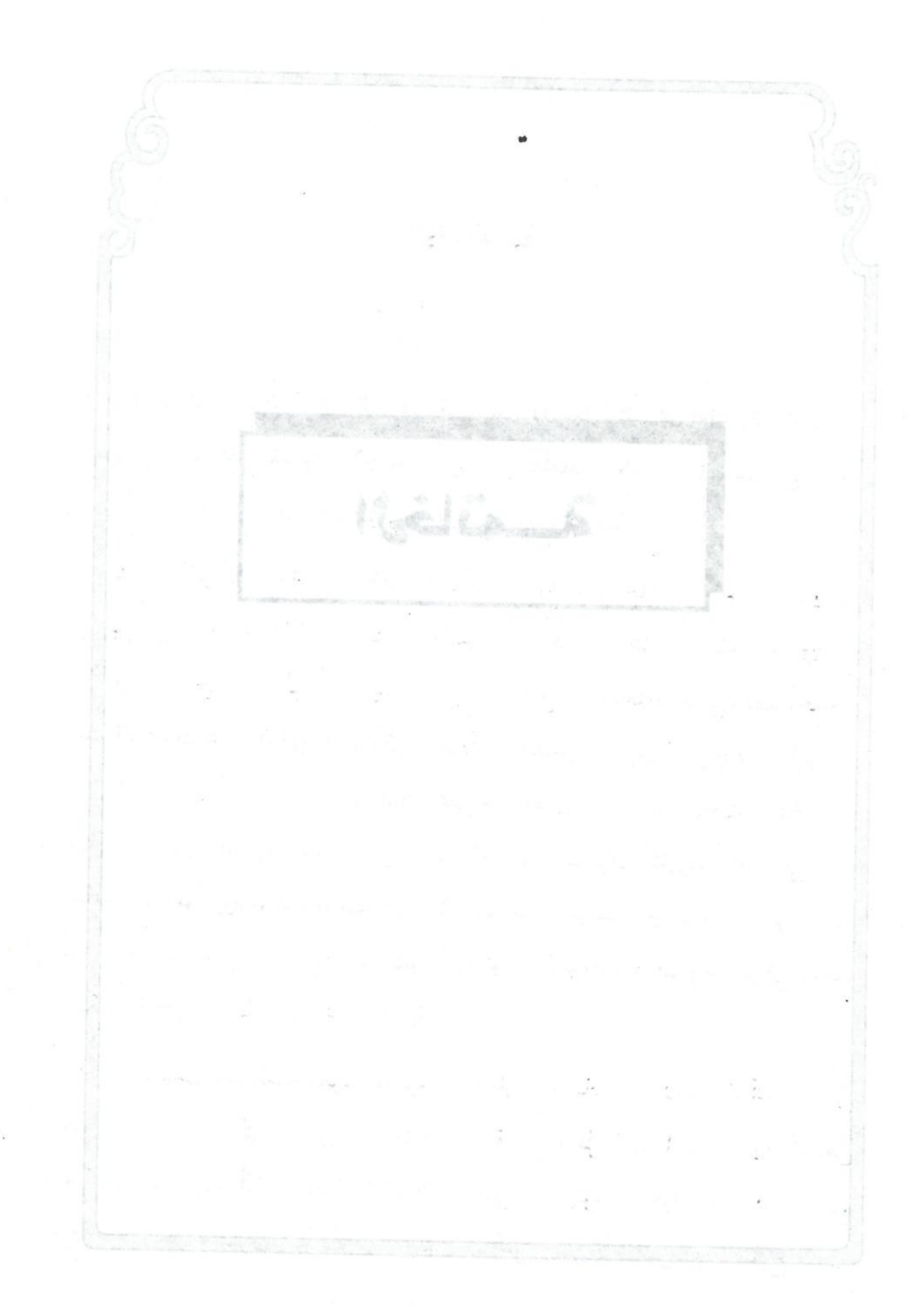
---

(١) يذكر البلوى أن (أبا الروح) كان اسمه (سكن) وهو من بوادى بحيرة الاسكندرية، وكان قد خرج على أحمد بن طولون فى الصعيد، فوجه إليه أحمد بن طولون جيشا بقيادة قائد من قواده يعرف بيلبق الطرسوسى، فهزم أمام جيش أبا الروح.
ثم أهمل أحمد بن طولون أمره حتى سمع خبره من نواحى الفيوم، فأرسل إليه جيشاً بقيادة قائد من قواده يعرف بابن جيغويه الذى استطاع جيشه بقيادة شعبة بن خركام أن يهزم أبا الروح، الذى استطاع بالحيلة أن يحصل على الأمان من القائد ابن جيغويه عندما راسله بطلب الأمان، ولم يكن يدرى أن جيشه قد هزم جيش أبا الروح فأعطاه الأمان مما أغاظ أحمد بن طولون فمنعه من الرجوع إلى البلد، وألزمه سكنى الريف شهوراً كثيرة. وكان هذا المنجم اليهودى مع المخزومى ـ المذكور فى المتن ـ من ضمن الأسرى الذين أرسلهم القائد شعبة بن خركام إلى أحمد بن طولون.

(٢) كان من ضمن الأسرى، وقد ضربه أحمد بن طولون بالسوط، وحمل على جمل، فمات فى الطريق، ومكث زمانا مطروحاً على رأس الجسر.



الخاتمـــة



الخاتمــة

بعد أن تتبعنا تاريخ الوجود اليهودى فى مصر، ودرسنا الكثير مما يتعلق بالحياة الخاصة باليهود فى مصر على المستوى الاجتماعى والدينى والثقافى والاقتصادى والسياسى ـ يجدر بنا هنا أن نشير إلى أهم ما توصلت إليه من سمات هذه الطائفة.

بداية نذكر أن هذه الدراسة قد أثبتت أن اليهود الذين عاشوا فى مصر لم يكونوا مصريين، وإنما كانوا جالية مختلفة عن المصريين فى ديانتها وعاداتها وتقاليدها. ويتبدى ذلك بوضوح من دراسة الوجود اليهودى فى مصر قبل وبعد الفتح العربى، فقد أجمعت معظم الدراسات على أن اليهود لم يكونوا جزءاً من الشعب المصرى يدين بالديانة اليهودية، وإنما كانوا جالية أجنبية استوطنت مصر على مر العصور عن طريق الهجرات المتلاحقة، وأنها استقرت فى مصر، وتميزت عن الشعب المصرى بمميزات كثيرة، خاصة فى عصر البطالمة، وقد أقر الرومان هذه الامتيازات، إلا أنهم عندما فرضوا عليهم ضريبة الرأس التى كانت مفروضة على المصريين، قام اليهود بعدة ثورات لإثبات تميزهم وحقهم فى مواطنة الاسكندرية حتى تسقط عنهم هذه الضريبة.

وتأكد ذلك عند الفتح العربى لمصر، فقد أشارت المصادر الإسلامية إلى أن عدد من رحل من مدينة الاسكندرية من اليهود فى الليلة التى دخل فيها عمرو بن العاص الاسكندرية ـ سبعون ألف يهودى. الأمر الذى يعنى أن اليهود لم يكونوا يعتبرون أنفسهم جزءاً من الشعب المصرى، مثل الأقباط الذين هم أهل مصر الأصليين، فقد سارع اليهود

إلى الخروج من الاسكندرية، مثلهم فى ذلك مثل الرومان، فى حين بقى القبط الذين تعاونوا مع العرب على فتح مصر، وعلى طرد الرومان منها.

وقد اختلفت الآراء فى عدد اليهود فى مصر بعد الفتح العربى بشكل لا يحسم الأمر، خاصة وأنه لا توجد لدينا معلومات مؤكدة عن تاريخ اليهود فى عصر الولاة أى طوال القرون الثلاثة الأولى للفتح العربى، أما معلوماتنا عن أعداد اليهود فى العصر الفاطمى فقد زودنا بها الرحالة اليهودى بنيامين التطيلى، بالإضافة إلى وثائق الجنيزة.

وقد أرجعت الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف هذا الإختلاف فى عدد اليهود فى مصر إلى إسلام الكثيرين منهم، وإلى عدم استقرار اليهود فى بلد واحد بسبب أسفارهم التجارية.

ولكن يلاحظ أنه على الرغم من الهجرات اليهودية التى استؤنفت إلى مصر بعد الفتح العربى، فإن أعدادهم ظلت بشكل عام قليلة بالنسبة إلى أعداد كل من المسلمين والمسيحيين.

وقد عاش اليهود فى معظم المدن والقرى المصرية، ولكن أكبر الطوائف اليهودية، كانوا متجمعين فى ثلاث مدن رئيسية هى: الاسكندرية والفسطاط والقاهرة.

وكان اليهود يعيشون فى مصر فى حارات خاصة بهم، تشبه «الجيتّو» Ghetto فى أوربا، وكانت الحارة اليهودية تضم بين جوانبها أماكن معيشتهم فضلا عن أماكن إقامة شعائرهم. ومن هنا فإن مجرد ذكر اسم معبد يهودى، أو كنيسة خاصة باليهود، تعنى أنها تقع فى حارة خاصة باليهود.

وقد عرضت فى الدراسة أسماء أحياء اليهود وأسماء دورهم، خاصة فى مدينتى الفسطاط والقاهرة باعتبارهما أكبر عاصمتين فى مصر تحت الحكم الإسلامى.

وذكرت أسماء معابد اليهود ومواقعها كما وردت فى المصادر الإسلامية. وقد ذكرت أنها كانت جميعا تقع فى نفس الحارة اليهودية، وأن كل طائفة دينية يهودية كانت تبنى

لها معبدا خاصاً بها لإقامة شعائرها الخاصة، فهناك معبد للقرائين، ومعبد للربانيين، ومعبد للسامرة.

وقد ظهر من وثائق الجنيزة أن معابد اليهود قد اتسمت ببعض السمات الخاصة منها: وجود تابوت يحتوى على كتاب التوراة، تخصيص مكان لصلاة السيدات تبين من وصفه أنه شبيه بالمكان المخصص للسيدات فى جامع المسلمين فى عصرنا الحالى، كذلك احتواؤها على مخطوطات تُعار لمن يرغب.

وكان من الملاحظات التى سجلتها هذه الدراسة أن المعابد اليهودية فى مصر، خاصة من بين أماكن عبادة أهل الذمة، قد أفلتت من عمليات الهدم لمدة أربعة قرون تقريبا، وبالتحديد من الفتح العربى لمصر، وحتى زمن الحاكم بأمر الله الفاطمى، والسبب فى ذلك يرجع إلى أن قضية بناء وهدم الكنائس كانت ترتبط بعضها ببعض، فقرارات هدم الكنائس بصفة عامة كانت لا تظهر إلاّ مع بناء كنائس جديدة، ولما لم يبق اليهود معابد لهم إلاّ بعد بناء مدينة القاهرة فى زمن الخلافة الفاطمية فى مصر، فمن هنا أفلتت الكنائس اليهودية من قرارات هدمها على مدى حوالى ثلاثة قرون، وقد امتدت بعد ذلك إلى أربعة قرون كاملة بسبب تسامح الفاطميين مع أهل الذمة ـ كما ظهر من هذه الدراسة.

وقد تميز المجتمع اليهودى ـ كأى مجتمع طائفى ـ بالتنظيم الدقيق الذى يتيح لأفراده ممارسة شرائعهم الدينية والاجتماعية. ومع الحرية التى نالها عندما جاءت الحكومة الإسلامية، فقد كان من حقهم انتخاب قيادات لهم، أقرتها لهم الحكومة الإسلامية، التى كانت تصدر المراسيم لتعيين هذه القيادات.

وقد عرف رئيس الطائفة اليهودية فى العالم الإسلامى باسم «رأس الجالوت» ومقره بغداد. أما رئيس «اليشيفا» أو الأكاديمية فقد عرف باسم «الجاؤن» وكانت مهمته الإجابة على أسئلة اليهود الدينية والقانونية التى ترد إليه من مختلف البلاد التى يوجد بها اليهود.

وعرف زعيم الجماعة اليهودية فى الوثائق الرسمية بالإسم العربى «رئيس اليهود»، ثم استبدل بهذا الإسم اللقب العبرى «نجيد» (الذى ترجمته بعض الدراسات العربية الحديثة خطأ «ناجد»). وقد أثبتنا أن لقب «نجيد» أطلق على رئيس اليهود المستقل عن رأس الجالوت واليشيفا العراقية.

وقد ناقشت فى هذه الدراسة جميع الآراء التى تحدثت عن تاريخ نشأة النجيد فى الدولة الفاطمية، وأسباب هذه النشأة. ووفقا للتحقيق الذى أجريناه فى ضوء وثائق الجنيزة، اتضح أن لقب «النجيد» لم يظهر فى مصر إلا بعد حوالى مائة عام تقريبا من الفتح الفاطمى، كما أنه لم يستخدم باستمرار، إلا مع بداية القرن ٧هـ/١٣م الذى أصبح فيه لقب «نجيد» يعنى رئيس اليهود.

وقد أوردنا كشفاً بأسماء مَن تولى رئاسة اليهود، ومَن أطلق عليه خاصة لقب «نجيد». هذا بالاضافة إلى بعض القيادات اليهودية الأخرى مثل: المقدم، والبرناس، وأمين المحكمة أو النعمان، والحبر، والحزان أو المنشد، والشليح صبور، وشماس المعبد وأخيرا الناسى.

أما فيما يتعلق بالحياة الدينية لليهود، فقد تناولت ثلاث موضوعات تختص بها، أولها: فرق اليهود الدينية وخاصة الفرق التى ظهرت منذ القدم ثم اختفت وهى: البيروشيم، والصدوقيون، والحسديم. والفرق التى وجدت عندما ظهر الإسلام وهى: الربانيون، والقراء، والسامرة.

وثانيا، كتب اليهود الدينية المقدسة، ونعنى بها: التوراة أو العهد القديم، والتلمود. فتبعا للأساطير الدينية اليهودية، كانت هناك توراتان أو شريعتان: واحدة مكتوبة أعطاها الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام عند جبل سيناء وهى التوراة، والأخرى شفوية يتناقلها الحاخامات عن موسى عليه السلام، ولها نفس قداسة التوراة المكتوبة وهى التلمود.

على أن التلمود بصورته النهائية التى وصلت إلينا لم يكن موجوداً بهذا الشكل من البداية ـ كما ظهر من دراستنا للمراجع العربية ـ وإنما مر بمراحل عديدة حتى وصل إلى

هـذا الشـكل النهائى. ففى البداية ظهر ما يعـرف باسم المشناه، ثم أضيفت إليه بعض الشروح والتعليقات التى عرفت باسم الجماراه، ومن المشناه والجماراه تكوّن ما يعرف بالتلمود.

أما ثالث المواضيع التى تناولتها فيما يتعلق بالحياة الدينية لليهود، فهى ما أشرت إليه باسم: واجبات اليهود الدينية، وأعنى بها: الصلاة عند اليهود. وأيام الصوم التى ارتبطت عندهم بحوادث تاريخية معينة كما اتضح ذلك من اسمها أو من أسباب صومها، ومعظم هذه الأيام لم يفرض على اليهود الصيام فيها، وإنما فرضها اليهود على أنفسهم. وكذلك الحج إلى بيت المقدس. وتقديس يوم السبت الذى ميز اليهود عن غيرهم. وأخيرا الطهارة عند اليهود.

وقد تميز اليهود عن غيرهم ببعض السمات فى حياتهم الاجتماعية، التى استمدت من شريعتهم.

فقد تشددت الشريعة اليهودية خاصة فيما يختص بضرورة الزواج، وكان عدم الزواج عن قصد من الآثام الكبرى فى اليهودية، كما ورد فى الشريعة اليهودية الكثير من الأوامر المتعلقة بالمحارم التى اتفقت مع ما نصت عليه الشريعة الإسلامية مثل: تحريم الزواج من الأم وزوجة الابن، والجمع بين الأم وابنتها وغير ذلك.

على أنه مما كانت تقتضى به الشريعة اليهودية هو أن الأخ إذا مات أخوه، يتحتم عليه أن يتزوج أرملته مهما كان عدد زوجاته هو! والبكر الذى تلده الزوجة بعد ذلك ينسب إلى زوجها الميت وليس إلى أبيه الحقيقى.

وكان من أهم ما صادفنا فى عادات الزواج عند اليهود هى حرية الفتاة التى وصلت إلى سن الرشد فى اختيار زوجها، بعكس الفتاة الصغيرة التى كان لأبيها وحده الحق فى هذا الاختيار، وقد ظهر ذلك من خلال سجلات المحاكم القضائية الخاصة بالأحوال الشخصية.

وكان الزواج عند اليهود يمر بثلاث مراحل هى: ١ ـ الخطبة. ٢ ـ عقد القران. ٣ ـ الزفاف. والزواج عند اليهود يمكن أن ينعقد بدون بائنة، لكن لا يمكن أن يتم بدون مهر، وهذا يفسر لنا ندرة عقود الزواج التى تتحدث عن البائنة بعكس المهر. وقد أوردت فى هذه الدراسة مجموعة من عقود الزواج التى أظهرت عادات اليهود الخاصة بالزوج.

كما تناولت الطلاق عند اليهود، وأوضحت أن الشريعة اليهودية إذا كانت قد أباحت للرجل حق تطليق زوجته، إلا أنها حرمت على المرأة طلب هذا الحق مهما بلغ من عيوب زوجها، فلم يكن من السهل على المرأة الحصول على ورقة الطلاق.

وقد تعرضت لأعياد اليهود، فتحدثت عن خمسة أعياد ذكرت بالتوراة، إلى جانب عيدين أحدثوهما ولم يذكرا بالتوراة، وأسباب الاحتفال بهذه الأعياد، ومظاهر الاحتفال بهم.

كما تعرضت لملابس اليهود، وأثبت ارتباطها بواجباتهم الدينية التى وردت فى التوراة، ومنها: وضع الشراشيب على أطراف الملابس.

وقد ظهر أنه كان من عادات اليهود أن الزوج يكون ملزماً بتوفير الملابس لزوجته فى الصيف وفى الشتاء، كذلك عادة الاهتمام بملابس يوم السبت. وأن غلاء الملابس قد أدى إلى انتشار عادة انتقال العديد من الملابس من الأم إلى ابنتها، وكذلك عادة شراء الملابس المستعملة. كما ظهرت الملابس التفصيل إلى جانب الملابس الجاهزة، وهو ما تناولناه بشىء من التفصيل فى هذه الدراسة.

وقد تعرضت لعادات اليهود وتقاليدهم الخاصة بالطعام والشراب، والتى ظهرت من خلال الخطابات الخاصة التى أوردتها فى دراستى، على الرغم من ندرتها فى المصادر والمراجع. وأوضحت ارتباط هذه العادات والتقاليد، إلى حد كبير بمعتقداتهم الدينية التى تمثلت خاصة فى تناول أكلات معينة فى مناسباتهم الدينية أو الاجتماعية، وفى تحريمهم لبعض الأكلات تبعا لهذه المعتقدات.

كما تحدثت عن عادات الدفن والمواكب الجنائزية عند اليهود، والتى ظهرت بوضوح من خلال الوصايا التى تضمنتها وثائق الجنيزة، والتى يبدو أنها كانت شائعة فى المجتمع اليهودى. وكانت محتويات الوصية عموماً تشمل توزيع الميراث، وتعيين أوصياء أو وكلاء على التركة، والطريقة التى يحب الشخص أن يدفن بها والتى تتعلق بملابس الكفن، ومكان القبر، والموكب الجنائزى وغير ذلك.

وأوضحت بعض العادات الخاصة بمظاهر الحزن عند اليهود مثل: الصيام فى أول أيام الحداد التى هى سبعة أيام، والعويل لمدة ثلاثة أيام، وعدم لبس ملابس مزركشة، وعدم حلاقة الشعر لمدة شهر، وتغطية الوجه بالتراب وغير ذلك، كما ظهر من إحدى الرسائل التى وردت فى وثائق الجنيزة.

كما تعرضت للحياة السياسية لليهود فى مصر، وتحدثت عن الوظائف التى تولوها، والتى كان توليهم إياها مرتبطا بسياسة الحكم القائم فى مصر، ومرتبطا أيضا بمشاعر المسلمين التى كانت تستطيع أن تؤثر على قرارات هذا الحكم.

وقد أوضحت أن بعض اليهود نجحوا فى الوصول إلى أعلى المناصب خاصة فى الدولة الفاطمية، فقد تولوا منصب الوزارة، وتولوا وظائف مهمة فى الديوان. بل أن بعضهم وصلت سلطته إلى قدرته على عزل وزير وتعيين آخر بكلمة منه، مثل: إبراهيم بن سهل التسترى اليهودى الذى عزل الوزير الأنبارى وعين بدلاً منه صدقة بن يوسف الفلاحى اليهودى فى منصب الوزارة.

واهتمت الدراسة بأوضاع اليهود فى الحياة التجارية وفى الصيرفة وفى الأعمال المالية، فتعرضت لعدد كبير من أسماء يهود مصر الذين مارسوا التجارة وورد ذكرهم فى وثائق الجنيزة، كذلك اهتممت بدراسة طبيعة المعاملات التجارية بين التجار، والتى تتمثل فى: التعاون التجارى، ونظام الوكالة، ونظام السمسرة والدلالة، هذا إلى جانب المعاملات المصرفية التى تولاها الصيرفى والجهبذ، والخدمات المصرفية التى كانا يقومان بها من تغيير

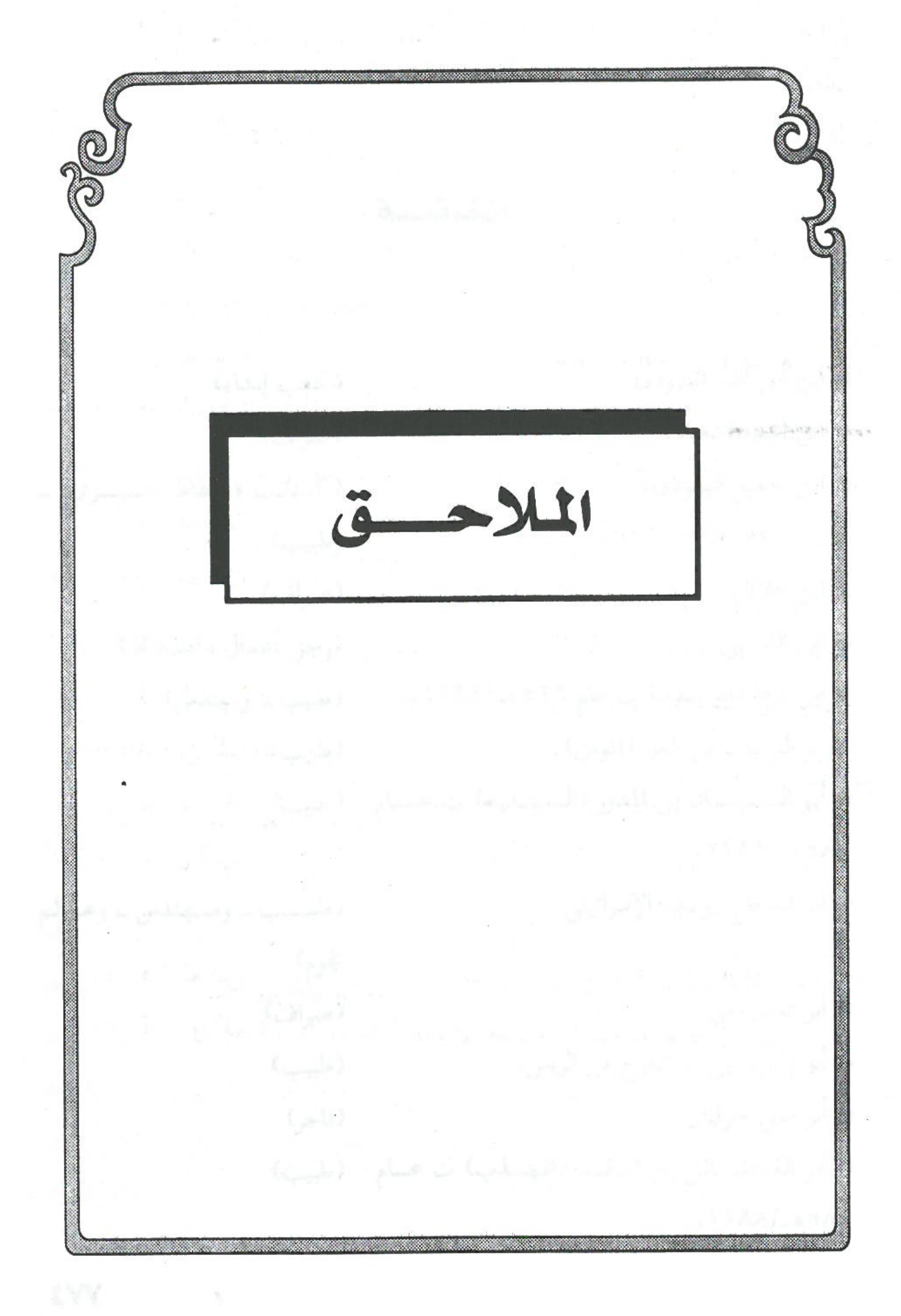
العملة، وإصدار السندات القانونية مثل: الرقعة (أمر الدفع)، والسفتجة، والكمبيالة. هذا إلى جانب المعاملات المالية ونعنى بها: نظام البيع والشراء، ونظام الدفع، ونظام إجراء الصفقات، ونظام التسليف أو القروض. وقد تناولنا كل هذا بشىء من التفصيل، معتمدين فيه على وثائق الجنيزة.

أما آخر المواضيع التى تناولتها هذه الدراسة فهى الحياة الفكرية لليهود فى مصر، فتعرضت لنظام التعليم عند اليهود الذى كان على نوعين: الأول، وهو التعليم الدينى. والثانى، وهو التعليم غير الدينى. وقد ظهر من خلال الرسائل المتبادلة التى وردت فى وثائق الجنيزة حرص اليهود على تعليم أولادهم، والأكثر من ذلك تعليم بناتهم.

وتناولت مراكز التعليم عند اليهود، فتحدثت عن ثلاثة مراكز: الأول، المعبد. الثانى، اليشيفا أو الأكاديمية. الثالث، بيوت المعلمين والطلبة وهو ما يعرف بالتعليم الخاص. كما تحدثت عن مراحل التعليم عند اليهود.

ولما كانت مصر قد شهدت فى فترة الدراسة عدداً كبيراً من العلماء اليهود فى فروع العلوم المختلفة الدينية منها وغير الدينية، وكان لهم دور فى الحضارة الإسلامية، وحظوا باهتمام المؤرخين المسلمين، فقد تناولت أسماء بعضهم، مع إعطاء نبذة عن كل منهم، كل فى تخصصه، فتحدثت عن العلماء والكتاب والشعراء والمهندسين اليهود، وعلماء الفلسفة والمنطق اليهود، إلى جانب الأطباء اليهود الذين حظوا بمكانة عالية خاصة فى الدولة الفاطمية.

ومن هذا العرض يتضح أننا قد حاولنا تغطية الكثير من جوانب الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية لليهود فى مصر فى الفترة الخاضعة للبحث.



الخاتمة

- ابن أبى الدم اليهودى. (كاتب إنشاء)
- ابن أشعيا (شعيا). (صراف)
- ابن جميع اليهودى. (كاتب «خطاط عبرى» - وطبيب)
- ابن علان. (صراف)
- ابن القاسبى. (رجل أعمال بالفسطاط)
- ابن قرقة (أبو سعيد) ت عام ٥٢٩هـ/١١٣٤م. (طبيب - ومهندس)
- أبو البركات بن شعيا (الموفق). (طبيب)
- أبو البيان بن المدور (السديد) ت عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م. (طبيب)
- أبو الحجاج يوسف الإسرائيلى. (طبيب - ومهندس - وعالم نجوم)
- أبو الخير خيار. (صراف)
- أبو زكرى بن أبو الفرج بن الريس. (طبيب)
- أبو على حزقيال. (تاجر)
- أبو الفضائل بن الناقد (المهذب) ت عام ٥٨٤هـ/١١٨٨م. (طبيب)

- أبو المعالى بن تمام. (طبيب)
- أبو المنجا بن شعيا. (مهندس)
- أبو يعقوب الحكيم. (تاجر ووكيل تجار)
- ابراهيم بن اسحق. (صراف)
- ابراهيم بن سهل التسترى (أبو سعيد). (كاتب إنشاء ـ تاجر ـ عالم دين)
- ابراهيم بن سهلان. (حبر «رئيس جماعة البابليين»)
- ابراهيم بن شمريا. (حبر «رئيس جماعة الفلسطينيين»)
- ابراهيم بن موسى بن ميمون. (طبيب ـ ورئيس اليهود عام ٦٠١هـ/١٢٠٤م ونجيد عام ٦١٠هـ/١٢١٣م)
- ابراهيم السامرى (شمس الحكماء). (طبيب)
- اسحق بن سليمان الإسرائيلى ت عام ٣٢٠هـ/٩٣٢م. (طبيب)
- اسحق بن موسى بن العازار ت عام ٣٦٣هـ/٩٧٣م. (طبيب)
- اسحق النيسابورى. (تاجر)
- اسعد الدين يعقوب بن اسحق (الأسعد المحلى). (طبيب)
- إسماعيل بن موسى بن العازار. (طبيب)
- افرائيم بن الزفان. (طبيب)
- أولاه ها ـ ليفى بن يوسف (سعيد بن المنجى). (برناس)
- إيلى ها ـ كوهين بن يحيى (علاّن بن يعيش). (برناس)
- بلطيال. (رئيس اليهود ـ وطبيب)

- بو الفرج بن بركات بن سليمان. (تاجر)
- توفيا بن إيلى. (رئيس اليهود فى بلبيس)
- جوشيا. (جاؤون «رئيس اليشيفا الفلسطينية»)
- حزقيا بن داود. (رأس الجالوت ـ وجاؤون «رئيس اليشيفا العراقية» ٤٣٠هـ/١٠٣٨م)
- حزقيال بن مسعود العقربانى. (تاجر ووكيل تجار)
- الحسن بن ابراهيم بن سهل التسترى (أبو على). (وزير المستنصر بالله الفاطمى ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)
- الحقير النافع (لقب). (طبيب)
- حلفون ها ـ ليفى بن مناص ابن القطائف. (خطاط عبرى)
- الحنان بن شمريا ت عام ٤١٦هـ/١٠٢٥م. (رئيس اليهود)
- دانيال بن حسداى. (رأس الجالوت ـ وجاؤون «رئيس اليشيفا العراقية)
- دانيال بن عزاريا. (جاؤون «رئيس اليشيفا الفلسطينية» ٤٤٣-٤٥٤هـ/١٠٥١-١٠٦٢م)
- داود بن إبراهيم. (نجيد ٦٣٥-٧٠٠هـ/١٢٣٧-١٣٠٠م)
- داود بن دانيال بن عزاريا. (ناسى ـ ورئيس اليهود ٤٧٥-٤٨٧هـ/ ١٠٨٢-١٠٩٤م)
- دوزا بن سعديا بن يوسف. (جاؤون «رئيس أكاديمية سورا ٣٨٧هـ/٩٩٧م)

الاسم	الصفة
زوطا.	(رئيس اليهود)
سارشالوم ها ـ ليفى.	(رئيس اليهود)
السديد بن أبى البيان.	(طبيب)
سعديا.	(طبيب ـ ورئيس اليهود «نجيد»)
سعديا بن يوسف الفيومى.	(عالم دين ـ وجاؤون «رئيس أكاديمية سورا ٣١٦هـ/٩٢٨م)
سلامة بن رحمون.	(طبيب ـ وعالم فلسفة ومنطق)
سليمان بن إيشاى.	(ناسى)
سليمان بن حاييم	(صراف)
سليمان بن صمويل بن سعديا ها ـ ليفى.	(ناسخ عبرى)
سليمان بن يهودا.	(جاؤون «رئيس اليشيفا الفلسطينية»)
شمريا بن الحنان ت عام ٤٠٢هـ/١٠١١م.	(عالم دين ـ ورئيس اليهود)
صدقة بن يوسف بن على الفلاحى.	(خطاط عبرى)
صقر (أو شقير) ت عام ٤٠٠هـ/١٠٠٩م.	(طبيب)
ابراصمويل بن حنانيا (أبو منصور).	(طبيب ـ ونجيد ٥٣٥-٥٥٤هـ/ ١١٤٠-١١٥٩م)
صمويل بن بخريلا (النجيد صمويل).	(نجيد يهود الأندلس)
عروس بن يوسف.	(تاجر)
فرجى كوهين بن يوسف كوهين.	(تاجر)
مبارك (ميفوراخ) بن سعديا (أبو الفضل).	(طبيب ـ ونجيد ٤٧٢-٤٧٥هـ/ ١٠٧٩-١٠٨٢م ومن ٤٨٧-٥٠٦هـ/ ١٠٩٤-١١١٢م)
مبارك بن سلامة بن رحمون.	(طبيب)

الاسم	الصفة
مصليح ها ـ كوهين بن شلومو.	(جاؤون ـ ورئيس اليهود ٥٢١-٥٣٤هـ/١١٢٧-١١٣٩م)
موردخاى بن موسى.	(تاجر)
موسى بن أبو الفضل.	(طبيب)
موسى بن أبى الحى.	(تاجر)
موسى بن العازار.	(طبيب)
موسى بن مبارك.	(نجيد ٥٠٩-٥١٨ أو ٥٣٠هـ/ ١١١٥-١١٢٤ أو ١١٢٦م)
موسى بن ميمون ت عام ٦٠١هـ/١٢٠٤م.	(رئيس اليهود ـ وعالم دين ـ وطبيب ـ وعالم فلسفة)
موسى ها ـ كوهين.	(تاجر)
الموفق بن شوعة ت عام ٥٧٩هـ/١١٨٣م.	(طبيب ـ وشاعر)
ناثان بن ابراهيم.	(جاؤون «رئيس اليشيفا الفلسطينية ٤٣٠هـ/١٠٣٨م)
نثائيل بن موسى ها ـ ليفى (هبة الله).	(جاؤون ـ ورئيس اليهود)
نهراى بن نسيم ت عام ٤٩٠هـ/١٠٩٦م.	(تاجر ـ وصراف)
هارون بن سهل التسترى (أبو نصر).	(تاجر ـ وصراف)
هاى.	(جاؤون «رئيس اليشيفا العراقية»)
هليل بن إيلى.	(خطاط عبرى ـ وحزّان «منشد» ٤٥٩-٥٠٢هـ/ ١٠٦٦-١١٠٨م)
هيلا بن هيلا ت عام ٤١٥هـ/١٠٢٤م.	(منجم يهودى)
يشوع بن صمويل (أو إسماعيل).	(تاجر)
يعقوب بن اسحق بن موسى بن العازار.	(طبيب)
يعقوب بن كلس.	(كاتب كافور الاخشيدى ـ وزير

العزيز بالله الفاطمى - كاتب إنشاء زمن العزيز - وتاجر)

- يهودا ب سعديا. (طبيب - ونجيد ٤٥٨-٤٧٢هـ/ ١٠٦٥-١٠٧٩م)
- يهودا بن موسى بن سيغمار كوهين (أبو ذكرى). (تاجر ووكيل تجار - وصراف)
- يهودا ها - ليفى. (شاعر أسبانى زار القاهرة)
- يوسف بن أحمد بن حسداى (حسنداى). (طبيب - ومهندس)
- يوسف بن صمويل ت عام ٤٥٩هـ/١٠٦٦م. (نجيد يهود الأندلس)
- يوسف بن عوكل ت عام ٤٣٠هـ/١٠٣٨م. (تاجر)
- يوسف بن يحيى بن اسحق ت عام ٦٢٣هـ/١٢٢٦م. (طبيب)
- يوسف ها - كوهين. (مقدم الاسكندرية)

سجل محكمة بالفسطاط
لتوثيق عقد زواج
عام ٦٤١هـ/٢ أبريل ١٢٤٣م(*)

We, the undersigned, testify that the following happened in our presence on the tenth of Nisan, 1554, of the Era of the Documents [April 2, 1243], here in Fustat of Egypt, which is situated on the Nile River.

Mr. Joseph, the esteemed young man, may his end be blessed, son of Mr. Abraham, the esteemed elder, may his end be blessed, engaged and contracted a marriage with Rebekah, the bride, the mature virgin, daughter of Abraham, the esteemed elder, the honored almoner, may his end be blessed, and undertook to pay her 10 dinars as her first installment, plus the cost of the Henna, the "strings", and other expenses, as is customary.

Rebekah confirmed that she had received on account 5 of the 10 dinars as a first installment. Also, that he will give a written promise to pay 50 dinars as late installment and that the wedding will take place during the month of the high holidays of the current year. If he delayed the wedding, he will have to pay a fine of 5 dinars, to be waived in the case of illness. The choice of the domicile will be in her hand.

We have written down what we have witnessed, and signed and delivered the document into the hands of the aforementioned Rebekah, so that it may serve her as a proof and title of right.

(*) من كتاب : Goitein: Amediterranean Society, vol. 3.

ترجمة السجل إلى اللغة العربية:

نحن الموقعين أدناه، تأكدنا من أن ذلك قد حدث فى حضورنا فى العاشر من نيسان ١٥٥٤، ٢ أبريل ١٢٤٣م، هنا فى الفسطاط بمصر والتى تقع على نهر النيل.

السيد يوسف الشاب المحترم «بارك الله فى خاتمته»، ابن السيد ابراهام الأكبر المحترم «بارك الله فى خاتمته»، خطبا ووقعا عقد زواج العروس ربيكا العذراء الطاهرة، ابنة ابراهام الأكبر المحترم وكيل الصدقات «ربنا يبارك فى خاتمته».

وقد تعهد بأن يدفع لها مبلغ ١٠ دنانير كمقدم صداق، بالإضافة إلى تكاليف الحنة، والعازفين، وكافة المصروفات الأخرى كما هو مألوف فى هذه المناسبات.

وقد أكدت ربيكا أنها قد تسلمت مبلغ ٥ دنانير من العشرة دنانير كمقدم صداق. وأيضا لقد تعهد بكتابة «تعهد» بأنه سيدفع لها مبلغ ٥٠ دينار كمؤخر صداق، وأن الزفاف سيتم خلال شهر من الأجازة الكبرى فى العام الحالى. وإذا تأخر الزفاف، فعليه أن يدفع غرامة تقدر بمبلغ ٥ دنانير، يتم التنازل عنها فى حالة المرض، ويكون لها الحق فى اختيار مكان إقامتها.

ونحن قد كتبنا ما شهدنا، ووقعنا، وقمنا بتسليم الوثيقة إلى يد العروس ربيكا السابق ذكرها، لكى تكون لها برهانا وحجة على حقها.

وثيقة عقد قران
الفسطاط فى عام ٤١٨هـ/ديسمبر ١٠٢٧م(*)

... So-and-so declared before us: I wish to betroth and take as wife So-and-so, and here are the "gratifications" which I shall give her, He produced three rings, one of plaited gold and two of silver. We asked him: "What is the marriage gift [meaning the one given in addition to the formal, betrothal gift, see below]?" He replied: "Twenty good gold pieces, 10 for the early and 10 for the late installment." We asked: "Where are the first 10?" He said: "I do not have them at present. I shall give them to her, or to a representative of hers, as soon as God has them ready for me." we betook ourselves to her, and, after her identity was established by two trustworthy witnesses, she legally appointed So-and-so as her representative. Having done this, we betrothed him to her in a definite marriage bond and gave the "gratifictions" to her representative...

ترجمة العقد إلى اللغة العربية:

أعلن فلان الفلانى أمامنا: أننى أرغب فى عقد قران وزواج فلانة الفلانية، وهذه هى الهدايا التى سوف أعطيها لها. وقد قدم ثلاثة خواتم: واحدا مطليا بالذهب، واثنين من الفضة. ونحن سألناه: «ما هى هدايا الزواج، بمعنى الهدايا التى تعطى بالاضافة إلى هدية عقد القران الرسمية، ....؟» وقد أجاب: «عشرون قطعة جديدة من الذهب، و١٠ مقدم صداق، و١٠ مؤخر صداق». وسألناه: «أين العشرة المقدم»؟ أجاب: «لا أملكهم فى الوقت الحالى، وسوف أعطيهم لها أو إلى ممثلها، بمجرد أن يرزقنى الله بها». وقد توجهنا إليها بأنفسنا، وبعد أن تعرفنا على شخصيتها، وتحققنا منها وثبت بواسطة اثنين من الشهود الموثوق بهما. عينت لنا بطريقة شرعية فلان الفلانى كممثل لها. وقد تم ذلك، وكتبنا كتابه علينا فى وثيقة زواج محددة وواضحة، واعطينا (الهدايا) إلى ممثلها...

(*) من كتاب : Goitein: Amediterranean Society, vol. 3.

رسالة خاصة
من أخ بالمهدية إلى أخيه بمصر
يهودا بن موسى بن سيغمار
يهنئه فيها بزواجه(*)

I took notice of the description of your blessed and auspicious wedding and understand that God has granted you to become connected with the most illustrious and finest people, those of whom one can boast in East and West. This is more precious than the earth and the fullness thereof. Thank and praise God that he has cast your lot with the grandees of Israel. You really must say: [Psalm 16:6-7] May God make... complete what he has given to you and make your happiness permanent, may he aid them through you and aid you through them and make you a blessing for one another. May he bless you with a male child, "may the woman who comes into your house be like Rachel and Leah, etc."

ترجمة الخطاب إلى اللغة العربية:

لقد أخذت فكرة من وصفك لزفافك السعيد والمبشر بالنجاح، وفهمت أن الله قد باركك لارتباطك بأكثر الناس شهرة وأخيرهم، أولئك الذين يستطيع الإنسان أن يتباهى بهم فى الشرق والغرب. فهذا يعد أثمن من الأرض ومن عليها. أشكر وسبح الرب الذى أعطاك الكثير، وجعلك مثل كبار بنى إسرائيل. وفى الحقيقة يجب أن تقول: [الأمثال ١٦/٦-٧] الرب صنع....(**) وأن يكمل ما أعطاه لك، ويجعل سعادتك دائمة، ويقويهم من خلالك، ويقويك من خلالهم، ويبارك كل منكما بالآخر، وربما يباركك بولد ذكر، ويجعل المرأة التى تدخل إلى منزلك تشبه راشيل وليه، إلخ.

(*) من كتاب : Goitein: Amediterranean Society, vol. 3.

(**) نص الآيات تقول: «الرب صنع الكل لغرضه والشرير أيضا ليوم الشر. مكرهة الرب كل متشامخ القلب. يداً ليد لا يتبرأ. بالرحمة والحق يستر الإثم وفى مخافة الرب الحيدان عن الشر. إذا أرضت الرب طرق إنسان جعل أعداءه أيضا يسالمونه».
وقد لاحظنا هنا أن بداية الآيات «بالرب صنع» تبدأ من الآية رقم ٤ وليست ٦ كما ورد فى الرسالة.

رسالة خاصة
من أرمل يقيم بمصر إلى قريب له بالقسطنطينية
يشكو من إرغامه على الزواج(*)

As you know, I do not intend to remain here. But the judge Nissim reproaches me every day, saying: "How can a person like you remain without a wife, how can you commit and bear such a sin?" [For "a man, even if he has children, is not permitted to stay without a wife, as it is written: 'It is not good that the man should be alone'"]. I have no answer on my tongue. If I say to him that I intend to return, he will think I am making a fool of him, since I have already been here for two years. But if I say that I do not wish to marry, I shall even more likely be a nobody in his eyes. And not only he, but all the people here say such things to me. I am afraid that out of a sense of shame I might take a wife against my will. But if I do so, what about my sin against my mother and daughter, who are waiting for me, whose eyes are on the crossroads and whose ears are open for tidings about my return? When they will hear that I have married, they will rend their garments and their eyes will shed tears. [The Egyptian wife would not be prepared to follow her husband to a foreign country, while the mother and the daughter would feel lost in an Arabic-speaking environment. Another foreigner sojourning in Egypt who yielded to the pressure of the environment and married had to divorce his local wife before returning to his home country.]

(*) من كتاب : Goitein: Amediterranean Society, vol. 3.

ترجمة الخطاب إلى اللغة العربية:

كما تعلم، فأنا لا أنوى البقاء هنا. إلا أن القاضى «نسيم» يلوموني يوميا (بصفة مستمرة)، قائلا: «كيف لشخص مثلك أن يظل بدون زوجة؟ كيف تستطيع أن تلتزم بدون زواج؟ فالرجل حتى ولو كان لديه أطفال، ليس مسموحا له أن يظل بدون زوجة. وكما هو مكتوب: «ليس من الصالح أن يظل الرجل وحيدا». لا أجد على لسانى ما أجيب به. فإذا أخبرته بأننى أنوى العودة، فسوف يعتقد أننى أسخر منه، حيث أننى مقيم هنا ـ بالفعل ـ منذ سنتين. ولو أخبرته بأننى لا أرغب فى الزواج، فمن المحتمل جدا أننى سوف أسقط من نظره، ليس هو فقط، بل أن كل الناس هنا سوف يقولون لى مثل ذلك. إننى أخشى أن أتغلب على الإحساس بالخجل، وربما أتخذ زوجة ضد رغبتى، لكنى إن فعلت ذلك، فماذا عن شعورى بالاثم تجاه والدتى وابنتى، اللتين تنتظرانى، وأعينهما على الطريق، وآذانهما تتشوق لسماع عودتى؟ فعندما سيصل إلى علمهما أننى قد تزوجت، فسوف يمزقان ملابسهما، وأعينهما ستفيض دمعاً.

فالزوجة المصرية لن تكون مستعدة لتتبع زوجها إلى بلده الأجنبى، والأم والابنة ستشعران بالضياع فى بيئة متحدثة باللغة العربية فهناك أجنبى كان يقيم فى مصر إقامة قصيرة، وقد تزوج تحت إلحاح من حوله، إلا أنه اضطر إلى طلاق زوجته قبل عودته إلى بلده.

رسالة من رئيس المجتمع المحلى «مقدم» إلى رئيسه بخصوص زواج فتاة صغيرة(*)

Here is a man appealing to the community, who keeps telling me that he has already been married for two years and that his wife does not permit him access. I asked her to appear in court, and she conceded that he spoke the truth, but said that she was unable to have intimate relations with a man. The girl is an orphan and approximately thirteen years old. He asks now for a divorce and she, too, wishes to be divorced, but the question to be asked from your excellency is whether he is obliged to pay her late installment or perhaps be permitted to take another wife in addition to her. Your answer is urgently requested, for this man appeals to the public day and night and incites people against me.

ترجمة الخطاب إلى اللغة العربية:

عندى رجل يستغيث بالمجتمع، ولقد دأب على أن يخبرنى بأنه قد تزوج منذ سنتين، وأن زوجته لم تسمح له بالدخول بها. وقد استدعيتها إلى المحكمة، فحضرت وأقرت بأنه يقول الحقيقة، وقالت إنها غير قادرة على إقامة علاقات مع رجل. الفتاة يتيمة، وعمرها تقريبا ثلاثة عشر عاماً. وهو (أى الزوج) يطلب الطلاق الآن، والفتاة ترغب كذلك فى الطلاق. والسؤال الذى نسأله لسعادتكم هو ما إذا كان (الزوج) ملزماً بأن يدفع لها مؤخر صداق، أو يسمح له بالزواج من أخرى بالإضافة إليها. إجابتكم مطلوبة على وجه السرعة، حيث أن هذا الرجل يظهر للعامة ليلا ونهاراً ويحرض الناس ضدى».

(*) من كتاب : Goitein: Amediterranean Society, vol. 3.

وصية
لتحرير جارية يهودية
الفسطاط فى عام ٥٧٢هـ/ أكتوبر ١١٧٦م(*)

Friday, the third of Marheshwan, in the year one thousand, four hundred and eighty-eight of the era of the documents, in Fustat, Egypt, which is situated on the Nile River.

I, Abraham ha-Kohen, son of Aaron ha-Kohen, or any other name, under which I am known, hereby declare, out of my own free will, without any coercion, absentmindedness, or error, but being in full possession of my mental faculties, that I am freeing you; you, Nashiya, who were my slave beforehand. Hereby, I am freeing you; now you are free; now you belong to yourself; you are permitted to join the community of Israel, to adopt a new name in Israel, and to do what you like as do all free persons. Neither I, Abraham ha-Kohen, nor my heirs after me, nor any legal representative of mine has any rights on you or on your progeny, which you will establish in Israel. This document is for you a bill of manumission from me and a deed of freedom according to the law of Moses and Israel.

[Witnesses:] Yeshua b. Merayot, [the] m[emory of the] r[ighteous is] b[lessed].

Saadya b. Judah, [may he] r[est in] E[den].

(*) من كتاب : Goitein: Amediterranean Society, vol. 5.

ترجمة الوصية إلى اللغة العربية:

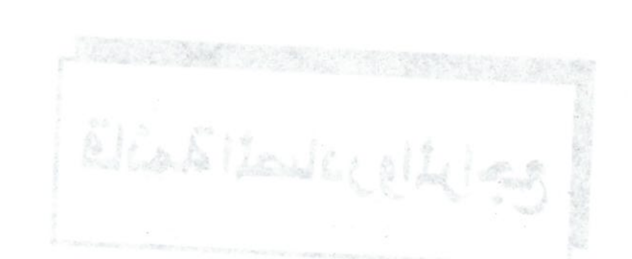
الجمعة، الثالث من مرحشوان عام ١٤٨٨، فى الفسطاط بمصر التى تقع على نهر النيل.

أنا ابراهام ها ـ كوهين ابن أرون ها ـ كوهين، أو أى اسم آخر أعرف به. أعلن هنا، بكامل إرادتى، بدون أى إجبار، أو شرود فى الذهن، أو خطأ، ولكن وأنا بكامل قواى العقلية. أننى أحررك أنتِ، أنتِ «ناشيا» التى كانت جاريتى من قبل. هنا أنا أحررك. أنت الآن حرة، أنتِ ملك نفسك، ومسموح لكِ بالإنضمام إلي مجتمع إسرائيل، وأن تتبنى اسما جديدا فى إسرائيل، وأن تفعلى ما تشائين كما يفعل الأحرار. لن يكون لى أنا ابراهام ها ـ كوهين، ولا ورثتى من بعدى، ولا أى ممثل قانونى لى أى حقوق عليكِ، أو على ذريتك التى سوف تؤسسيها فى إسرائيل. وهذه الوثيقة إعلان إعتاق منى، وصك تحرير تبعا لقانون موسى وإسرائيل.

الشهود: يشوع بن مريوت «ذكرى الصالحين مباركة».

سعديا بن يهودا «فليرقد فى جنة عدن».

قائمة المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع
العربية والمعربة والأجنبية

اولا: المصادر العربية

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ التوراة.

ابن أبى أصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجى ت عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م):

٣ ـ عيون الأبناء فى طبقات الأطباء. تحقيق الدكتور نزار رضا. دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٦٥م.

ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد الشيبانى ت عام ٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

٤ ـ أسد الغابة فى معرفة الصحابة. ٧ أجزاء. تحقيق الأستاذ محمد ابراهيم البنا وآخرون. مطابع دار الشعب ـ القاهرة ١٩٧٠م.

٥ ـ الكامل فى التاريخ. ١٢ جزء. دار صادر ـ بيروت ١٩٨٢م.

ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفى ت عام ٩٣٠هـ/١٥٢٣م):

٦ ـ بدائع الزهور فى وقائع الدهور. الجزء الأول من القسم الأول. تحقيق الأستاذ محمد مصطفى. الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٨٢م.

ابن أيبك الدواداری (أبی بكر بن عبدالله ت عام ٧٣٢هـ/١٣٣١م):

٧ ـ كنز الدرر وجامع الغرر. الجزء السادس. تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد. يصدرها قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألمانی للآثار بالقاهرة. دار الكتاب الإسلامی ـ القاهرة ١٩٦١م.

ابن البيطار (ضياء الدين عبدالله بن أحمد الأندلسی المالقی ت عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م):

٨ ـ الجامع لمفردات الأدوية والأغذية. مكتبة المثنی ببغداد (بدون تاريخ).

ابن الجوزی (أبو الفرج عبدالرحمن بن علی بن محمد بن الجوزی ت عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م):

٩ ـ سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز الخليفة الزاهد. تحقيق الأستاذ نعيم زرزور. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولی ١٩٨٤م.

١٠ ـ المنتظم فی تاريخ الأمم والملوك. ١٨ جزء. تحقيق الأستاذ محمد عبدالقادر عطا ـ ومصطفی عبدالقادر عطا. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولی ١٩٩٢م.

ابن حجر (أحمد بن علی بن حجر العسقلانی ت عام ٨٥٢هـ/١٤٤٨م):

١١ ـ الإصابة فی تمييز الصحابة. ٨ أجزاء. تحقيق الأستاذ علی محمد البجاوی. دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ القاهرة ١٩٧٢م.

١٢ ـ رفع الإصر عن قضاة مصر. ٢ قسم فی مجلد واحد. تحقيق الدكتور حامد عبدالمجيد وآخرون. مراجعة الأستاذ ابراهيم الإبياری. (بدون مكان للطبع ـ وبدون تاريخ).

ابن حزم (أبی محمد علی بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسی ت عام ٤٥٦هـ/١٠٦٣م):

١٣ ـ جمهرة أنساب العرب. راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولی ١٩٨٣م.

١٤ ـ الفصل فی الملل والأهواء والنحل. ٥ أجزاء. تحقيق الدكتور محمد ابراهيم نصر والدكتور عبدالرحمن عميرة. دار الجيل ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٩٦م.

ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله ت فی حدود عام ٣٠٠هـ/٩١٢م):

١٥ ـ المسالك والممالك. مكتبة المثنی ـ بغداد ١٨٨٩م.

ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد بن خلدون ت عام ٨٠٨هـ/١٤٠٥م):

١٦ ـ المقدمة. ٣ أجزاء. تحقيق الدكتور علی عبدالواحد وافی. دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة (بدون تاريخ).

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبی بكر بن خلكان ت عام ٦٨١هـ/١٢٨٢م):

١٧ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. ٨ أجزاء. تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار الفكر ودار صادر ـ بيروت ١٩٧٧م.

ابن دقماق (ابراهيم بن محمد بن أيْدَمَر العلائی ت عام ٨٠٩هـ/١٤٠٦م):

١٨ ـ الانتصار لواسطة عقد الأمصار، فی تاريخ مصر وجغرافيتها، وبآخره فهارس كتاب الانتصار. الجزء الرابع والخامس. تحقيق لجنة إحياء التراث العربی ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت (بدون تاريخ).

ابن الراهب (أبو شاكر بطرس بن أبی الكرم المهذب المعروف بابن الراهب):

١٩ ـ تاريخ ابن الراهب. مطبعة الآباء اليسوعيين ـ بيروت ١٩٠٣م.

ابن زولاق (الحسن بن زولاق ت عام ٣٨٧هـ/٩٩٧م):

٢٠ ـ أخبار سيبويه المصرى. تحقيق الأستاذ محمد ابراهيم سعد وحسين الديب. مكتبة الآداب ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٣٣م.

ابن سعيد (على بن موسى بن سعيد المغربى ت عام ٦٧٣هـ/١٢٧٤م):

٢١ ـ المغرب فى حلى المغرب. الجزء الأول من القسم الخاص بمصر. تحقيق الدكتور زكى محمد حسن ـ الدكتورة سيدة كاشف ـ الدكتور شوقى ضيف. مطبعة جامعة القاهرة ـ كلية الآداب ١٩٥٣م.

ابن سعيد (على بن سعيد المغربى ت عام ٦٨٥هـ/١٢٨٦م):

٢٢ ـ النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة. القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب فى حلى المغرب. تحقيق الدكتور حسين نصار. دار الكتب ـ القاهرة ١٩٧٠م.

ابن سماك (أبى القاسم محمد بن أبى العلاء محمد بن سماك المالقى الغرناطى ت فى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى):

٢٣ ـ الزهرات المنثورة فى نكت الأخبار المأثورة. تحقيق الدكتور محمود على مكى. منشورات المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد ـ مدريد ١٩٨٤م.

ابن الصيرفى (تاج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم على بن مُنْجب بن سليمان الكاتب ت عام ٥٤٢هـ/١١٤٧م):

٢٤ ـ القانون فى ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة. تحقيق الدكتور أيمن فؤاد سيد. الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

ابن عبدالبر (أبى عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر ت عام ٤٦٣هـ/١٠٧٠م):

٢٥ ـ الاستيعاب فى معرفة الأصحاب. ٤ أجزاء. تحقيق الأستاذ على محمد البجاوى. دار نهضة مصر ـ القاهرة (بدون تاريخ).

ابن عبدالحكم (أبو محمد عبدالله بن عبدالحكم ت عام ٢١٤هـ/٨٢٩م):

٢٦ ـ سيرة عمر بن عبدالعزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه رواية ابنه أبى عبدالله محمد (ت عام ٢٦٨هـ/٨٨١م). تصحيح وتعليق أحمد عبيد. مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٨٣م.

ابن عبدالحكم (أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم ت عام ٢٥٧هـ/٨٧٠م):

٢٧ ـ فتوح مصر وأخبارها. مكتبة المثنى ـ بغداد (بدون تاريخ).

ابن العماد (الإمام شهاب الدين أبى الفلاح عبدالحى بن أحمد بن محمد الجنبلى ت عام ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م):

٢٨ ـ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب. ١٠ أجزاء. تحقيق الأستاذ عبدالقادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط. دار ابن كثير ـ دمشق ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

ابن القلانسى (حمزة بن أسد بن على بن محمد التميمى المعروف بابن القلانسى ت عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م):

٢٩ ـ تاريخ دمشق (٣٦٠-٥٥٥هـ). تحقيق الدكتور سهيل زكار. دار حسان للطباعة والنشر ـ دمشق ـ الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

ابن قيم الجوزية (شمس الدين أبى عبدالله محمد بن أبى بكر ت عام ٧٥١هـ/١٣٥٠م):

٣٠ ـ عيونأحكام أهل الذمة. ٢ جزء. تحقيق الدكتور صبحى صالح. دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.

ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ت عام ٧٧٤هـ/١٣٧٢م):

٣١ ـ البداية والنهاية. ١٤ جزء. مكتبة المعارف ـ بيروت ـ الطبعة السادسة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. من الجزء الثالث إلى الجزء الثامن الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

ابن مماتى (الأسعد بن مماتى ت عام ٦٠٦هـ/١٢٠٩م):

٣٢ ـ قوانين الدواوين. تحقيق الدكتور عزيز سوريال عطية. سلسلة صفحات من تاريخ مصر العدد (١٢) ـ مكتبة مدبولى ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م.

ابن النقاش (أبو إمامة محمد بن على بن النقاش ت عام ٧٦٣هـ/١٣٦١م):

٣٣ ـ المذمة فى استعمال أهل الذمة. تحقيق الدكتور سعد بن حسين عثمان. أبها ـ المملكة العربية السعودية ـ الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم بن واصل ت عام ٦٩٧هـ/١٢٩٧م):

٣٤ ـ مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب. ٥ أجزاء. من الجزء الأول إلى الجزء الثالث تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال. والجزء الرابع والخامس تحقيق الدكتور حسنين محمد ربيع ومراجعة وتقديم الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور. مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية ـ القاهرة ـ ج١ ١٩٥٣م، ج٢ ١٩٥٧م، ج٣ ١٩٦٠م، ج٤ (بدون تاريخ)، ج٥ ١٩٧٥م.

ابن الوردى (زين الدين عمر بن مُظفَّر الشهير بابن الوردى ت عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

٣٥ ـ تاريخ ابن الوردى «تتمة المختصر فى أخبار البشر». ٢ جزء. المطبعة الحيدرية ـ النجف ـ الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

أبو عبيد (القاسم بن سلام ت عام ٢٢٤هـ/٨٣٨م):

٣٦ ـ الأموال. تحقيق الأستاذ محمد خليل هَراس. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ١٩٨٦م.

أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الأتابكى ت عام ٨٧٤هـ/١٤٦٩م):

٣٧ ـ المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى. الجزء الأول. تحقيق الدكتور محمد محمد أمين، تقديم الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور. الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مركز تحقيق التراث ـ القاهرة ١٩٨٥م.

٣٨ ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. ١٢ جزء. وزارة الثقافة والإرشاد القومى ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٣م.

أبو يوسف (القاضى يعقوب بن ابراهيم ت عام ١٨٢هـ/٧٩٨م):

٣٩ ـ الخراج. المطبعة السلفية ومكتبتها ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

الأبشيهى (شهاب الدين محمد بن أحمد بن أبى الفتح ت عام ٨٥٠هـ/١٤٤٦م):

٤٠ ـ المستطرف فى كل فن مستظرف. طبعة جديدة منقحة بإشراف المكتب العالمى للبحوث ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان ١٩٩٠م.

الأصفهانى (أبو الفرج على بن الحسين بن محمد القرشى ت عام ٣٥٦هـ/٩٦٦م):

٤١ ـ الأغانى. ٣٠ جزء. تحقيق الأستاذ ابراهيم الأبيارى. دار الشعب ـ القاهرة ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.

البلوى (أبو محمد عبدالله بن محمد المدينى ت فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى):

٤٢ ـ سيرة أحمد بن طولون. تحقيق الأستاذ محمد كرد على. مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة (بدون تاريخ).

البيرونى (أبى الريحان محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمى ت عام ٤٤٠هـ/١٠٤٨م):

٤٣ ـ الآثار الباقية عن القرون الخالية. مكتبة المتنبى (بدون تاريخ).

الجهشيارى (أبو عبدالله محمد بن عبدوس ت عام ٣٣١هـ/٩٤٢م):

٤٤ ـ الوزراء والكتاب. تحقيق الأساتذة مصطفى السقا ـ ابراهيم الأبيارى ـ عبدالحفيظ شلبى. مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

الحميرى (محمد عبدالمنعم الحميرى من أبناء القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى):

٤٥ ـ الروض المعطار فى خبر الأقطار. تحقيق الدكتور إحسان عباس. مكتبة لبنان ـ بيروت ١٩٧٥م.

الخوارزمى (الإمام الأديب اللغوى الشيخ أبى عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب):

٤٦ ـ مفاتيح العلوم. «صنفه عام ٣٦٦هـ/٩٧٦م». إدارة الطباعة المنيرية ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٤٢هـ.

خواندمير (محمد بن خاوندشاه المعروف بخواندمير ت عام ٩٠٣هـ/١٤٩٧م):

٤٧ ـ روضة الصفا فى سيرة الأنبياء والملوك والخلفا. تاريخ الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية وآل بويه والإسماعيلية والملاحدة. ترجمة عن الفارسية وعلق عليه وقدم له الدكتور أحمد عبدالقادر الشاذلى ـ راجعه وقدم له الدكتور السباعى محمد السباعى. الدار المصرية للكتاب ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨.

الذهبى (شمس الدين أبى عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان ت عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):

٤٨ ـ تذكرة الحفاظ. ٤ أجزاء. دار إحياء التراث العربى ـ بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ).

٤٩ ـ العبر فى خبر من غبر. ٣ أجزاء. تحقيق الأستاذ أبو هاجر محمد السعيد ابن بسيونى زغلول. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ١٩٨٥م.

الرازى (محمد بن أبى بكر بن عبدالقادر ت بعد عام ٦٦٠هـ/١٢٦١م):

٥٠ ـ مختار الصحاح. دار القلم ـ بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ).

الزبيدى (محب الدين أبى الفيض السيد محمد مرتضى الحسينى الواسطى الحنفى ت عام ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م):

٥١ ـ تاج العروس من جواهر القاموس. ١٠ أجزاء. المطبعة الخيرية ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٠٦هـ.

ساويرس (ساويرس بن المقفع عاش حتى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى/ أواخر العاشر الميلادى):

٥٢ ـ تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية أو سير الآباء البطاركة. المجلد الثانى (٣ أجزاء) قام على نشره الأساتذة يسى عبدالمسيح ـ عزيز سوريال عطية ـ ود. أسولد بروستر. المجلد الثالث (الجزء الثانى) قام على نشره الدكتور أزولد بروستر والدكتور أنطون خاطر. مطبوعات جمعية الآثار القبطية ـ مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية (المجلد الثانى) ج١ ١٩٤٣م، ج٢ ١٩٤٨م، ج٣ ١٩٥٩م. (المجلد الثالث) ج٢ ١٩٧٠م.

السخاوى (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أبى بكر بن عثمان السخاوى المصرى الشافعى ت عام ٩٠٢هـ/١٤٩٦م):

٥٣ ـ التبر المسبوك فى ذيل السلوك. مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة (بدون تاريخ).

السموءل بن يحيى (المغربى واسمه العبرانى الحبر شموائيل بن يهوذا بن آبون ت عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م):

٥٤ ـ إفحام اليهود وقصة إسلام السموءل ورؤياه النبى صلى الله عليه وسلم. تحقيق ودراسة الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى. دار الجيل (بيروت) ـ مكتبة الزهراء (بحرم جامعة القاهرة) ـ الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

السيوطى (جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر ت عام ٩١١هـ/١٥٠٥م):

٥٥ ـ تاريخ الخلفاء. المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

٥٦ ـ حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة. ٢ جزء. تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم. دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابى الحلبى وشركاه ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ج١ ١٩٦٧م، ج٢ ١٩٦٨م.

الشهرستانى (أبى الفتح محمد بن عبدالكريم ت عام ٥٤٨هـ/١١٥٣م):

٥٧ ـ الملل والنحل. ٣ أجزاء. صححه وعلق عليه الأستاذ الشيخ أحمد فهمى محمد. دار السرور ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م.

الشيرازى (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى ت ٨١٧هـ/١٤١٤م):

٥٨ ـ القاموس المحيط. ٤ أجزاء. الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

صاعد الأندلسى (أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبدالرحمن بن صاعد التغلبى ت عام ٤٦٢هـ/١٠٦٩م):

٥٩ ـ طبقات الأمم. تحقيق حياة بو علوان. دار الطليعة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

الطبرى (أبو جعفر بن محمد بن جرير ت عام ٣١٠هـ/٩٢٢م):

٦٠ ـ تاريخ الرسل والملوك. ١١ جزء. تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم. سلسلة دخائر العرب العدد (٣٠) ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة (بدون تاريخ).

عبد الباسط الحنفى (عبدالباسط بن خليل بن شاهين الملطى ت عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م):

٦١ ـ نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من السلاطين. تحقيق الدكتور محمد كمال الدين عز الدين على. مكتب الثقافة الدينية ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

عبداللطيف البغدادى (ابن يوسف بن محمد بن على موفق الدين ت عام ٦٢٩هـ/١٢٣١م):

٦٢ ـ الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر. تحقيق الأستاذ أحمد غسان سبانو. دار قتيبة ـ دمشق ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

الغزالى (الإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى ت عام ٥٠٥هـ/١١١١م):

٦٣ ـ إحياء علوم الدين. الجزء الثانى. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

الفيومى (أحمد بن محمد بن على ت عام ٧٧٠هـ/١٣٦٨م):

٦٤ ـ المصباح المنير. مكتبة لبنان ١٩٨٧م.

القرمانى (أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى الشهير بالقرمانى ت عام ١٠١٩هـ/١٦١٠م):

٦٥ ـ أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ. ٣ أجزاء. دراسة وتحقيق الدكتور فهمى سعد والدكتور أحمد حطيط. عالم الكتب ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على ت عام ٨٢١هـ/١٤١٨م):

٦٦ ـ صبح الأعشى فى صناعة الإنشا. ١٤ جزء. الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٦٧ ـ مآثر الأنافة فى معالم الخلافة. ٣ أجزاء. تحقيق الأستاذ عبدالستار أحمد فراج. عالم الكتب ـ بيروت (بدون تاريخ).

الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى ت عام ٣٥٠هـ/٩٦١م):

٦٨ ـ الولاة وكتاب القضاة. دار الكتاب الإسلامى ـ القاهرة (بدون تاريخ) عن طبعة دار الآباء اليسوعيين ـ بيروت ١٩٠٨م.

الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى ت عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م):

٦٩ ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ).

المسبحى (الأمير المختار عز الملك أبو عبيد الله محمد بن عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل ابن عبدالعزيز الكاتب ت عام ٤٢٠هـ/١٠٢٩م):

٧٠ ـ أخبار مصر فى سنتين (٤١٤-٤١٥هـ). تحقيق وليم ج. ميلورد. الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٠م.

المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على ت عام ٣٤٦هـ/٩٥٧م):

٧١ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر. ٤ أجزاء. تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبدالحميد. المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

المقدسى (أبو عبدالله محمد بن أحمد ت عام ٣٩٠هـ/٩٩٩م):

٧٢ ـ أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم. مكتبة مدبولى ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٩١م.

المقدسى (المنسوب إلى أبو زيد أحمد بن سهل البَلْخِى وهو لِمُطَهَّر بن طاهر المقدسى ت عام ٥٠٧هـ/١١١٣م):

٧٣ ـ البدء والتاريخ. ٢ مجلد (٦ أجزاء). مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة (بدون تاريخ).

المقريزى (تقى الدين أبو العباس أحمد بن على ت عام ٨٤٥هـ/١١٤١م):

٧٤ ـ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا. ٣ أجزاء الجزء الأول تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، الجزء الثانى والثالث تحقيق الدكتور محمد حلمى محمد أمين. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامى ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٩٦م.

٧٥ ـ إغاثة الأمة بكشف الغمة أو تاريخ المجاعات فى مصر. دار ابن الوليد ـ حمص (بدون تاريخ).

٧٦ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك. ٤ أجزاء (كل جزء يحتوى على ثلاثة أقسام). الجزء الأول والثانى تحقيق الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة. الجزء الثالث والرابع تحقيق الأستاذ الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور. مطابع لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية بالجمهورية العربية المتحدة ـ القاهرة ١٩٥٦ ـ ١٩٧٣م.

٧٧ ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية. ٢ جزء. دار صادر ـ بيروت (بدون تاريخ).

ناصر خسرو (ناصر خسرو علوى ت عام ٤٨١هـ/١٠٨٨م):

٧٨ ـ سفر نامة. «قام برحلته بين ٤٣٧-٤٤٤هـ/١٠٤٥-١٠٥٢م». ترجمة الدكتور يحيى خشاب، تصوير الدكتور عبدالوهاب عزام. سلسلة الألف كتاب الثانى العدد (١٢٢) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٩٣م.

النديم (أبو الفرج محمد بن أبى يعقوب إسحق المعروف بالوراق ت عام ٣٨٣هـ/٩٩٣م):

٧٩ ـ الفهرست. تحقيق رضا ـ تجدّد ابن على بن زين العابدين. طهران ١٩٧١م.

النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب ت عام ٧٣٣هـ/١٣٣٢م):

٨٠ ـ نهاية الأرب فى فنون الأدب. الجزء الثامن والعشرون. تحقيق الدكتور محمد محمد أمين والدكتور محمد حلمى محمد أحمد. مركز تحقيق التراث ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

وكيع (محمد بن خلف بن حيّان بن صدقة بن زياد الضبى أبو بكر ت عام ٣٠٦هـ/ ٩١٨م):

٨١ ـ أخبار القضاة. ٣ أجزاء. عالم الكتب ـ بيروت (بدون تاريخ).

ياقوت (شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى البغدادى ت عام ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

٨٢ ـ معجم الأدباء. ٢٠ جزء. دار الفكر ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٨٣ ـ معجم البلدان. ٥ أجزاء. دار صادر ـ بيروت (بدون تاريخ).

اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن واضح الكاتب ت عام ٢٨٤هـ/٨٩٧م):

٨٤ ـ البلدان. طبعة ليدن ١٨٩١م.

ثانيا: المراجع العربية والمعربة

ابراهيم نصحى (الدكتور):

١ ـ تاريخ مصر فى عصر البطالمة. الجزء الثانى والثالث. مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ الجزء الثانى ١٩٦٠م، الجزء الثالث ـ الطبعة الثالثة ١٩٦٦م.

أحمد تيمور باشا:

٢ ـ المهدسون فى العصر الإسلامى. دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ القاهرة ١٩٧٩م.

أحمد شلبى (الدكتور):

٣ ـ اليهودية. سلسلة «مقارنة الأديان» ـ الجزء الأول. مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة العاشرة ١٩٩٢م.

أحمد صادق سعد:

٤ ـ تاريخ مصر الاجتماعى ـ الاقتصادى. دار ابن خلدون ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

أحمد عثمان:

٥ ـ تاريخ اليهود. ٣ أجزاء. مكتبة الشروق ـ القاهرة ١٩٩٤م.

أحمد الغندور (الدكتور):

٦ ـ الطلاق فى الشريعة الإسلامية والقانون «بحث مقارن». دار المعارف ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٦٧م.

آدم متز:

٧ ـ الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى. ٢ جزء. ترجمة الأستاذ الدكتور محمد عبدالهادى أبو ريدة. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

أشتور (آ. أشتور):

٨ ـ التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط فى العصور الوسطى. ترجمة الأستاذ عبدالهادى عبلة، مراجعة أحمد غسان سبانو. دار قتيبة ـ دمشق ١٩٨٥م.

إلياس للجيب:

٩ ـ قاموس عزبى ـ انجليزى/ انجليزى ـ عربى. دار إلياس العصرية للطباعة والنشر ـ القاهرة (بدون تاريخ).

الأب أنستاس الكرملى:

١٠ ـ النقود العربية والإسلامية وعلم النميات. مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

آيدرس بل (هارولد آيدرس بل):

١١ ـ الهلينية فى مصر. بحث فى وسائل انتشارها وعوامل اضمحلالها من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربى. ترجمة الدكتور زكى على. دار المعارف ـ القاهرة ١٩٥٩م.

أيمن فؤاد سيد (الدكتور):

١٢ ـ الدولة الفاطمية فى مصر «تفسير جديد». الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

بتلر (الدكتور ألفريد ج. بتلر):

١٣ ـ فتح العرب لمصر. ٢ جزء. ترجمة الأستاذ محمد فريد أبو حديد. سلسلة تاريخ المصريين العددين ٢٧ و٢٨ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٩م.

ترتون (الدكتور أ. س. ترتون):

١٤ ـ أهل الذمة فى الإسلام. ترجمة وتعليق الأستاذ الدكتور حسن حبشى. الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ سلسلة تاريخ المصريين العدد (٧٠) ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٩٤م.

جوزيف نسيم يوسف (الدكتور):

١٥ ـ مجتمع الاسكندرية فى العصر المسيحى (٤٨-٦٤٢م). بحث فى كتاب (مجتمع الاسكندرية عبر العصور) ـ مطبعة جامعة الاسكندرية ـ كلية الآداب ـ عام ١٩٧٥م.

حسن ابراهيم حسن (الدكتور):

١٦ ـ تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى. ٤ أجزاء. مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٥٣م.

١٧ ـ تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب. مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة ١٩٨١م.

١٨ ـ النظم الإسلامية (د. حسن ابراهيم حسن ـ د. على ابراهيم حسن). مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٦٢م.

حسن الباشا (الدكتور):

١٩ ـ الآثار الإسلامية (عمارة ـ فنون). دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٩٠م.

٢٠ ـ الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار الإسلامية. ٣ أجزاء. دار النهضة المصرية ـ القاهرة (بدون تاريخ).

حسن ظاظا (الدكتور):

٢١ ـ الفكر الدينى الإسرائيلى «أطواره ومذاهبه». مكتبة سعيد رأفت ـ القاهرة ١٩٧٥م.

٢٢ ـ اليهود ليسوا تجاراً بالنشأة. (د. حسن ظاظا والأستاذ السيد محمد عاشور). دار الاتحاد العربى ـ القاهرة ١٩٧٥م.

حسن محمود (الدكتور):

٢٣ ـ العالم الإسلامى فى العصر العباسى (د. حسن محمود ـ د. أحمد ابراهيم الشريف). دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ الطبعة الخامسة (بدون تاريخ).

زكى شنودة:

٢٤ ـ المجتمع اليهودى. مكتبة الخانجى ـ القاهرة (بدون تاريخ).

ستانلى لينبول:

٢٥ ـ سيرة القاهرة. ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن، والدكتور على ابراهيم حسن، وإدوار حليم. مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة ١٩٢٤م.

سعيد عبدالفتاح عاشور (الدكتور):

٢٦ ـ الحركة الصليبية «صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد العربى فى العصور الوسطى». الجزء الأول. مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٧٥م.

سلام شافعى محمود (الدكتور):

٢٧ ـ أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الأول. سلسلة تاريخ المصريين العدد (٧٥) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٩٥م.

٢٨ ـ أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الثانى والعصر الأيوبى (٤٦٧-٦٤٨هـ/١٠٧٤-١٢٥٠م). دار المعارف ـ القاهرة ١٩٨٢م.

سوزان السعيد يوسف:

٢٩ ـ المرأة حقوقها وواجباتها فى الشريعة اليهودية. رسالة ماجستير غير منشورة ـ جامعة القاهرة ـ كلية الآداب عام ١٩٨٣م.

السيد عاشور:

٣٠ ـ مركز المرأة فى الشريعة اليهودية. دار الاتحاد العربى للطباعة ـ القاهرة ١٩٧٤م

سيدة إسماعيل كاشف (الدكتورة):

٣١ ـ أحمد بن طولون. سلسلة أعلام العرب العدد (٤٨) ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ القاهرة ١٩٦٥م.

٣٢ ـ الأرض والفلاح فى مصر الإسلامية. بحث فى كتاب (الأرض والفلاح فى مصر على مر العصور) ـ الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ـ القاهرة ١٩٧٤م.

٣٣ ـ تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية لساويرس بن المقفع وأهميته لدراسة التاريخ القومى. المجلة التاريخية المصرية ـ المجلدان التاسع والعاشر ـ القاهرة ١٩٦٠-١٩٦٢م.

٣٤ ـ تعريب مجتمع الاسكندرية. بحث فى كتاب (مجتمع الاسكندرية عبر العصور) ـ مطبعة جامعة الاسكندرية ـ كلية الآداب ـ عام ١٩٧٥م.

٣٥ ـ دراسات فى المجتمع المصرى الإسلامى قبل العصر الفاطمى. مستخرج من (دراسات آثارية إسلامية) ـ المجلد الثانى ـ القاهرة ١٩٨٠م.

٣٦ ـ دراسات فى النقود الإسلامية. المجلة التاريخية المصرية ـ المجلد الثانى عشر ـ القاهرة ١٩٦٤-١٩٦٥م.

٣٧ ـ العرب والبحار. حولية كلية البنات ـ جامعة عين شمس ـ العدد الرابع ـ يولية ١٩٦٤م.

٣٨ ـ مصر الإسلامية وأهل الذمة. سلسلة تاريخ المصريين العدد (٥٧) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٩٣م.

٣٩ ـ مصر فى عصر الاخشيديين. سلسلة تاريخ المصريين العدد (٢٩) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٩م.

٤٠ ـ مصر فى عصر الولاة. سلسلة تاريخ المصريين العدد (١٤) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٨م.

٤١ ـ مصر فى فجر الإسلام من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية. سلسلة تاريخ المصريين العدد (٨٢) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٩٤م.

عبدالرحمن زكى (الدكتور):

٤٢ ـ الفسطاط وضاحيتاها العسكر والقطائع. المكتبة الثقافية العدد (١٥٨) ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ مكتبة مصر ـ القاهرة أول يونية عام ١٩٦٦م.

عبداللطيف أحمد على (الدكتور):

٤٣ ـ مصر والإمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية. دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٦١م.

عبدالله على علام (الدكتور):

٤٤ ـ الدولة الموحدية بالمغرب فى عهد عبدالمؤمن بن على. دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧١م.

عبدالمنعم ماجد (الدكتور):

٤٥ ـ تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى. مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٧٣م، والطبعة الخامسة ١٩٨٦م.

عبدالوهاب المسيرى (الدكتور):

٤٦ ـ موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية «رؤية نقدية». مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ـ القاهرة ١٩٧٥م.

عطية القوصى (الدكتور):

٤٧ ـ أضواء جديدة على تجارة الكارم. المجلة التاريخية المصرية ـ المجلد الثانى والعشرون ـ القاهرة ١٩٧٥م.

٤٨ ـ تجارة مصر فى البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية. دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٧٦م.

٤٩ ـ صلاح الدين واليهود. المجلة التاريخية المصرية ـ المجلد الرابع والعشرون ـ القاهرة ١٩٧٧م.

٥٠ ـ اليهود فى ظل الحضارة الإسلامية. القاهرة ١٩٧٨م.

عطية مصطفى مشرفة (الدكتور):

٥١ ـ نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٨-١١٧١م). دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

على ابراهيم حسن (الدكتور):

٥٢ ـ تاريخ جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى. المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٥١هـ/١٩٣٣م.

٥٣ ـ مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى إلى الفتح العثمانى. مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة ـ يناير ١٩٥٤م.

على عبدالواحد وافى (الدكتور):

٥٤ ـ اليهودية واليهود. بحث فى ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعى والاقتصادى. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع (بدون تاريخ).

فاطمة مصطفى عامر (الدكتورة):

٥٥ ـ تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى. رسالة دكتوراة غير منشورة ـ جامعة عين شمس ـ كلية البنات ـ عام ١٩٧٢م.

قاسم عبده قاسم (الدكتور):

٥٦ ـ اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى. دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

لطفى عبدالوهاب يحيى (الدكتور):

٥٧ ـ مجتمع الاسكندرية فى العصر الرومانى. بحث فى كتاب (مجتمع الاسكندرية عبر العصور) ـ مطبعة جامعة الاسكندرية ـ كلية الآداب ـ عام ١٩٧٥م.

مارك كوهن:

٥٨ ـ المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى. ترجمة نسرين مرار وسمير نقاش، مراجعة سليمان جبران. مكتبة لقاء ـ المعهد اليهودى العربى ـ جامعة تل أبيب ١٩٨٧م.

محمد بيومى مهران (الدكتور):

٥٩ ـ دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم. الجزء السابع والثامن (إسرائيل). جامعة الاسكندرية ـ كلية الآداب ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

محمد حافظ:

٦٠ ـ المقارنات والمقابلات بين أحكام المرافعات والمعاملات والحدود فى شرع اليهود ونظائرها من الشريعة الإسلامية الغراء ومن القانون المصرى والقوانين الوضعية الأخرى. مطبعة هندية ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م.

محمد رمزى:

٦١ ـ القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م. قسمين وفهرس. دار الكتب المصرية ـ القاهرة. القسم الأول خاص بالبلاد المندرسة ١٩٥٣-١٩٥٤م. القسم الثانى أربعة

أجزاء (ج١ ١٩٥٤-١٩٥٥م، ج٢ ١٩٥٨م، ج٣ ١٩٦٠م، ج٤ ١٩٦٣م).

محمد سبعاوى محمد (الدكتور):

٦٢ ـ الزواج فى الشريعتين اليهودية والإسلامية. رسالة دكتوراة غير منشورة ـ جامعة الأزهر ـ كلية اللغات والترجمة ـ قسم اللغة العبرية ـ عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

محمد عبدالله عنان:

٦٣ ـ مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية. دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٥٠هـ/١٩٣١م.

محمد قنديل البقلى:

٦٤ ـ التعريف بمصطلحات صبح الأعشى. مراجعة الدكتور عبدالرحمن زكى. الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٣م.

محمد كامل حسين (الدكتور):

٦٥ ـ الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربى حتى آخر الدولة الفاطمية. سلسلة الألف كتاب العدد (٢٤٤) ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٥٩م.

محمد كامل مرسى بك (الدكتور):

٦٦ ـ الملكية العقارية فى مصر وتطورها التاريخى من عهد الفراعنة حتى الآن. مطبعة نورى ـ القاهرة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

مصطفى الحيارى:

٦٧ ـ القدس فى زمن الفاطميين والفرنجة. المعهد الملكى للدراسات الدينية ـ المكتبة الوطنية ـ عمان ١٩٩٤م.

مصطفى العبادى (الدكتور):

٦٨ ـ مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربى. مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٨٥م.

مصطفى كمال عبدالعليم (الدكتور):

٦٩ ـ يهود الاسكندرية فى عصرى البطالمة والرومان. بحث فى كتاب (مجتمع الاسكندرية عبر العصور) ـ مطبعة جامعة الاسكندرية ـ كلية الآداب ـ عام ١٩٧٥م.

مليحة رحمة الله (الدكتورة):

٧٠ ـ الملابس فى العراق خلال العصور العباسية. المجلة التاريخية المصرية ـ المجلد الثالث عشر ـ القاهرة ١٩٦٧م.

المنجد فى اللغة والأعلام:

٧١ ـ قاموس عربى ـ عربى. دار المشرق ـ بيروت ـ الطبعة الحادية والعشرون ١٩٧٣م.

المورد:

٧٢ ـ قاموس انجليزى ـ عربى. دار العلم للملايين ـ بيروت ـ الطبعة الحادية عشرة ١٩٧٧م.

ميخائيل اسكندر:

٧٣ ـ القدس عبر التاريخ. مراجعة وتقديم: الأنبا غريغوريوس. القاهرة ١٩٧٢م.

ناريمان عبدالكريم أحمد (الدكتورة):

٧٤ ـ معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية. الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ سلسلة تاريخ المصريين العدد (٩٠) ـ القاهرة ١٩٩٦م.

نافتالى لويس:

٧٥ ـ الحياة فى مصر فى العصر الرومانى (٣٠ق.م-٢٨٤م). ترجمة وتعليق الدكتورة آمال محمد الروبى، ومراجعة الدكتور محمد حمدى ابراهيم. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

نعيم زكى فهمى (الدكتور):

٧٦ ـ دور اليهود فى تجارة العصور الوسطى بين الشرق والغرب. مطابع سجل العرب ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٧١م.

٧٧ ـ طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب. الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٣م.

هارفى لوتسك:

٧٨ ـ عادات وتقاليد اليهود. ترجمة الأستاذ مصطفى الرز. دار سلمى للنشر ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٤م.

هويدا عبدالعظيم رمضان:

٧٩ ـ المجتمع فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى العصر الفاطمى. ٢ جزء. الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٩٤م.

ثالثا: المراجع الأجنبية

Goitein, S. D, Amediterranean Society: The jewish Communities of the Arab world as portrayed in the documents of the Cairo Geniza, vol. 1-5, University of California press, 1967, 1971, 1978, 1983, and 1988.

Mann, J., The jews in Egypt and in palestine under the Fatimid caliphs, vol. 1, KTAV publishing house, New York, 1970.

Neufeld, E., Ancient Hebrew marriage laws, williams, lea, and Go, London, 1944.

The words worth classical dictionary, Great Britain, 1996.

The new American desk encyclopedia, U. S. A., 1984.

رابعا: المراجع العبرية

ابن شوشان (ابراهام بن شوشان):

ـ قاموس ابن شوشان. قاموس عبرى ـ عبرى. وهو قاموس مختصر لقاموس ابن شوشان. دار كِيرْيات سيفر ـ القدس ـ الطبعة الثامنة (بدون تاريخ).

محتويات الرسالة

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٨٠٢٩ / ٢٠٠٠

I.S.B.N 977 - 01 - 7069 - 0

● هذا الكتاب

هو فى الأصل رسالة دكتوراة من جامعة عين شمس؛ وهى تعالج تاريخ اليهود فى مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الأيوبى، وتعتمد على المصادر الأساسية، وعلى رأسها وثائق الجنيزة اليهودية فى مصر. وتتغلغل فى أغوار الحياة الخاصة للمجتمع اليهودى. فهى تتناول الوجود اليهودى فى مصر منذ الفتح العربى، ورؤساء المجتمع اليهودى، وحياة اليهود الدينية، وحياتهم الاجتماعية، ودورهم فى الإدارة المصرية، والحياة التجارية، وحياتهم الفكرية، والعلمية.

كما أنها تصحح من واقع الوثائق الأصلية كثيرا من المفاهيم والأخطاء التى التصقت بتاريخ اليهود فى مصر فى العصر الإسلامى.

١٢٥٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب